



مِائِةٌ

مِائِةٌ

الشَّيَاطِينُ وَأَعْمَالُهَا

الكتاب من إعداد دير المعزّي

عنوان الكتاب الأصلي:

**«ΟΙ ΔΑΙΜΟΝΕΣ ΚΑΙ ΤΑ ΕΡΓΑ ΤΟΥΣ»**

1<sup>η</sup> και 2<sup>η</sup> έκδοση: 2005

3<sup>η</sup> έκδοση: Αυγουστος 2007

Κείμενα, διακόσμηση και ηλεκτρονική επεξεργασία και  
εκδοτική επιμέλεια:

Ιερά Μονή Παρακλήτου, Ωρωπός αττικής.

صورة الغلاف الخارجي

مراجعة ميخائيل رئيس الملائكة للإبليس حول جسد موسى النبي به ٩٠  
أيقونة في مشغل دير الباراكليتو (المعزّي) أتيكي اليونان

الشياطينُ

و

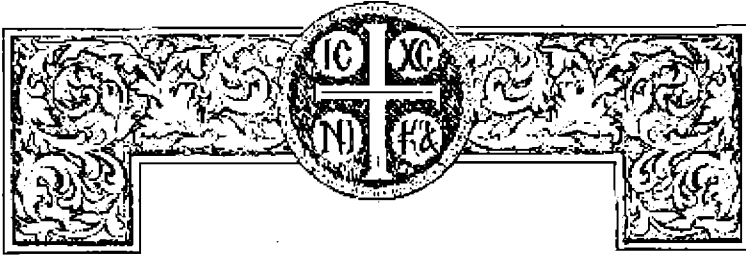
أعمالها

نقله عن اليونانية  
الأب يوحنا بدور

مكتبة البشارة

بأنثاس

2009



## الفهرس

٥	..... الفهرس
١٧	..... كلمة الناشر
٢١	..... مقدمة المبرب

### الجزء الأول

#### "تعليم الكنيسة حول الأرواح الشريرة"

٢٧	..... الخلق والسقوط
٢٤	..... ذهن ومعرفة
٢٨	..... سابق المعرفة
٤٢	..... شكل الجسد
٤٥	..... العدد - ترتيبها
٥٠	..... أسماء

٥٣	..... أين تسكن ؟
٥٩	..... القوة - التأثير
٦٧	..... العمل
٦٩	..... محطات التعشير
٧٢	..... من تحاربُ الشياطين ؟
٧٧	..... لماذا تحاربنا الشياطين ؟
٨٢	..... كيف تحاربنا ؟
٩٢	..... الفنون
١٠٢	..... أحلام - رؤى
١٠٨	..... هرطقات - ضلالات
١١٠	..... السُّحْرُ - العبادة الشيطانية
١١٦	..... الجمعيات السريّة - الديانات الباطلة
١١٧	..... حركة العصر الجديد
١١٩	..... عبادة الأوثان الجديدة
١٢٢	..... المسّ الشيطاني
١٢٩	..... مواجهة للأمر
١٤٤	..... عقاب - الجحيم

## الجزء الثاني

### "مقتطفات روايات عن أفعال الأرواح الشريرة"

#### القسم الأول

#### ظهورات وأفعال

١٥١	..... سقوط أول الجيلة
١٥٥	..... أيوب الكثير الآلام
١٥٨	..... تجارب المسيح
١٥٩	..... قيامة المنتحر
١٦٢	..... تجارب القديسة مافرا
١٦٤	..... الشجرة الشيطانية
١٦٩	..... القديسة مارينا
١٧١	..... تجارب القديس أنطونيوس الكبير
١٧٤	..... تشكّي الشيطان
١٧٥	..... ندمُ الراهب
١٧٨	..... حمامة أم غراب
١٧٩	..... قوة التواضع
١٨٠	..... شيطان الشراهة
١٨٠	..... الأب ماركيلوس
١٨٣	..... ماذا يهزم الشياطين ؟
١٨٤	..... تجارب القديس باخوميوس

١٨٥	..... "دكان حدادة" الراهب
١٨٦	..... "المجد... الآن وكل أوان..."
١٨٧	..... سجنُ الشياطين الثلاثة
١٨٨	..... الراهب بوبليوس
١٨٩	..... أطعمة الشيطان
١٩٢	..... حيلةُ القديس مكاريوس
١٩٥	..... الناسك الشجاع
١٩٦	..... توبة الشاب
١٩٨	..... الخيَّالة
١٩٨	..... العدل الإلهي
٢٠١	..... الراهب الذي أقسم
٢٠٢	..... الصلاة غير المشتتة
٢٠٤	..... تثنُّ غاريدزا
٢٠٧	..... تجارب القديس بينيدكتوس وانتصاراته
٢١٠	..... منزل الشيطان
٢١١	..... حوارات عند الموت
٢١٤	..... "الأسودُّ" و "عادمو الرأس"
٢١٦	..... الشباب المحبُّ الخدمة
٢١٧	..... صرخات من القبر
٢٢٠	..... محطات التعشير
٢٢٨	..... "البار أثناسيوس الأثوسي"

٢٣١	..... المحرَّر
٢٣٤	..... يوحنا الكثير الألام
٢٣٧	..... القديس ثيودوسيوس الكييفي
٢٤١	..... فنون لا تُصدَّق
٢٥٤	..... القديس لاونديوس
٢٦٠	..... طبَّاح غريب
٢٦٢	..... الميت غير المنحلَّ
٢٦٥	..... الشيخ يواكيم
٢٦٧	..... أنكروا الله !
٢٧١	..... العقاب
٢٧٤	..... المبتدئ ذو المشيئات
٢٧٦	..... الواجبات الروحية
٢٧٧	..... محاولة اختطاف المبتدئ
٢٧٩	..... "لا يوجد إله !"
٢٨٢	..... الشيخ أليبيوس والصلاة
٢٨٨	..... طريقٌ غير المطيع
٢٨٩	..... اختفاء بغير توقُّع
٢٩١	..... القلاية المسكونة
٣١٠	..... القفزات الشيطانية
٣١٢	..... الاسم الشيطاني
٣١٤	..... ما حصل لصانع الجوارب



٣١٩	.....	سلة الماء
٣٢٢	.....	"أحفظ ذهنك في الجحيم"
٣٢٥	.....	الشيخ يعقوب الديونيسي
٣٢٦	.....	حروب وانتصارات
٣٣٠	.....	الشيخ إيروثيوس الديونيسي
٣٣٤	.....	بابا ديمتري غاغاستاثيس
٣٣٨	.....	أحداث قرية بايني
٣٤٠	.....	المبتدئ والهر البري
٣٤٢	.....	صلوات الأبرار
٣٤٣	.....	الشيخ يعقوب
٣٤٨	.....	الشيخ كليوبا
٣٥٢	.....	سعي وراء الحقيقة
٣٥٧	.....	الزائر الليلي
٣٦٠	.....	انتصرنا

## القسم الثاني

### ضلالات

٣٦٣	.....	ضلالات شيطانية
٣٦٦	.....	القديس مكاربوس وواليس
٣٦٨	.....	الجلدة المنقذة
٣٧٠	.....	تواضع الناسك
٣٧٣	.....	البار بطرس الأتوسي

٣٧٩	..... سقوط أحد الأبرار وتقويمه
٣٨٧	..... مواهب الشيطان
٣٩٢	..... القدّاسُ الكاذب
٣٩٨	..... الشيخ باخيوميوس، الشيخ أكاكويوس وبابا - زكريا
٤٠٧	..... بقسماط الشيطان
٤١٢	..... الشيخ آثوناس
٤١٥	..... الشهيد المتوقَّع
٤١٨	..... "الملاك" و "الشماس الروماني"
٤٢٥	..... القديس اسبيريدون مع ...قرون
٤٢٩	..... "الأسقف"
٤٣٢	..... ما حصل مع المعلّم
٤٣٧	..... لجام الشيطان
٤٤١	..... "العربة النارية"
٤٤٤	..... الشيخ حبقوق

### القسم الثالث

#### السّحر - الجمعيات السريّة

٤٤٧	..... "ضربات" فرعون والسحرة المصريين
٤٥١	..... عليّم السّاجرُ
٤٥٢	..... ما حصل للمتسمّين
٤٥٣	..... القديس بنكراتيوس والأوثان
٤٦١	..... القديس قولن

٤٦٣	..... كينوباس السَّاحِر
٤٧٠	..... نويتيانوس السَّاحِر
٤٧٥	..... الوعاء الذهبي
٤٧٦	..... "من غريغوريوس إلى الشيطان"
٤٧٨	..... أثناسيوس السَّاحِر
٤٨٣	..... علبة الزيت السَّحْرِيَّة
٤٨٦	..... صاعقة القديس بايلا
٤٨٧	..... البتَّة البرونزية
٤٩٠	..... نكرانٌ مكتوب للمسيح
٤٩٨	..... استسقاء رومانوس
٥٠١	..... راهبٌ دير خريسوفالاندو
٥٠٧	..... السَّاحِر فرجينوس
٥١٣	..... جلدةُ الأرملة
٥١٥	..... الكتاب السَّحْرِيّ
٥١٦	..... احتراق المخطوطة السليمانية
٥٢٠	..... "ديونيسيوس"
٥٢١	..... تبدُّلٌ صعب
٥٢٥	..... صيَّاد الكنز
٥٢٨	..... "أعجوبة" الدرويش
٥٣٢	..... الثوم مع دبابيس
٥٣٨	..... روايات الأب أفرام

٥٤٠	..... يا سيدتي الفاتقة القداسة .....
٥٤١	..... الصليب الصغير .....
٥٤٢	..... الحمامان .....
٥٤٥	..... السَّاجِرُ ذُو السِّتَةِ عَشْرٍ عَاماً .....
٥٤٨	..... حُمُصُ السَّاجِرَةِ .....
٥٥٠	..... ماء المحبة .....
٥٥١	..... عمليات القديس نكتاريوس الجراحية .....
٥٥٥	..... أبوان قتلوا طفلتهما .....
٥٥٦	..... ملكة السُّحْرِ الأسود .....
٥٦٦	..... الغورو الكبير .....
٥٧٠	..... باربا - نيكوس السَّاجِر .....
٥٧٦	..... أيقونة اللاهوتي .....
٥٧٨	..... السَّاجِرُ الإفريقيُّ ذُو الثَلَاثَةِ عَشْرٍ سَنَةً .....
٥٨٣	..... سُّحْرٌ فِي حَانَةِ .....
٥٨٩	..... النعش الذي هَدَمَ بيوتاً .....
٥٩٩	..... الغورو ، الشاب والشيخ باييسوس .....
٦٢٥	..... خدمات اجتماعية !! .....

## القسم الرابع

### ممسون

٦٢٧	..... ممسوس كورة الجرجسين .....
٦٢٩	..... الطفل الأبكم .....

٦٣١	..... ممسوس كفرناحوم
٦٣٢	..... الحمّالُ المطيع
٦٣٦	..... قوة الصوم
٦٣٧	..... الأنبا لونجينوس والأنبا زينون
٦٣٨	..... القديس برثينيوس
٦٤٠	..... القديس بولس والشيطان
٦٤٢	..... "حَسَنَات" الافتراء
٦٤٣	..... كأسُ نبيذ
٦٤٤	..... وصية يسوع
٦٤٥	..... ماذا تخاف الشياطين وماذا تحبُّ
٦٤٨	..... تواضع اللصّ
٦٤٩	..... مداوون سينائيّون
٦٥١	..... "أنا روح الزنى"
٦٥٣	..... البار بطرس الهدوثي
٦٥٦	..... الزاني الذي سكنه شيطان
٦٥٧	..... الشيطان والخسّ
٦٥٨	..... لجتون
٦٦٠	..... الصليب الكريم
٦٦١	..... القديس بطرس الذي من أترواس
٦٦٥	..... الرهبان الثلاثون
٦٦٨	..... القديس سيرافيم ساروف

٦٧٢	..... ثيودوسيا القروية
٦٧٤	..... اسبيرو من جزيرة ايننا
٦٧٧	..... ابن أخ العسكري
٦٨١	..... توركالا العروس الجديدة
٦٨٣	..... المبتدئ يوحنا
٦٨٦	..... أجرة المعصية
٦٨٩	..... مرض أنجيليس
٦٩٢	..... رجمُ الحجارة الغرب
٦٩٨	..... ميثلُ ثعلب
٧٠٠	..... الحارق
٧٠٦	..... المئة دولار
٧٠٨	..... ممسوسة إيفاليوس
٧١١	..... أنا والدك
٧١٢	..... الشاب والوسيط
٧١٦	..... لا تنفوه بهذا الاسم
٧١٩	..... مسبحة الراهب
٧٢٠	..... الشيطان، الملاك والفائقة القداسة







## كلمة الناشر

بإعطاء الشكر لإلهنا المثلث الأقانيم، ننشر هذا الكتاب  
الشياطين وأعمالها" أملين بأن يجلب الفائدة لكل الذين  
يطالعونه.

من خلاله يُقدم دير الباراكليتو (المعزّي) أتّيكي في اليونان  
مُعد هذا الكتاب كل شيء عن الشياطين، حيث يحتوي الجزء  
الأول منه على تعليم الكنيسة عن الأرواح الشريرة، والجزء  
الثاني على روايات وأفعال هذه الأرواح وعن ضلالات شيطانية  
وعن أفعال السحر. أي أنّ الكتاب يُقدم فكرة واضحة عن هذا  
الموضوع الذي يوجد حوله لغض كبير ولا نعرف عنه إلا الشيء  
اليسير خاصة في اللغة العربية.



واليوم توجد مشكلة كبرى أنه يوجد نموذجين من البشر:  
الأول: يقول بأنه لا توجد شياطين ويعتبرون الشيطان فكرة  
وهذا يناقض الكتاب المقدس الذي يتحدث كيف أن الرب  
يسوع طرد الشيطان وحاربه.

الثاني: يعتبرونه ويؤمنون به ويقواه ويعتمدون في حياتهم  
عليه.

الشيطان ما زال موجوداً ويُعد عروضاً وأشياء جميلة لكنها  
جهنمية لجذب البشر إليه وإبعادهم عن الرب يسوع، لقد دبر  
الشيطان ذلك ليجعل الناس ينسون كل شيء عن الله، عن  
النفس والحياة الأبدية والخلاص.

وضع الشيطان طرقاً ملتوية تخدع الناس وتبعدهم عن  
الإله الحقيقي الوحيد يسوع المسيح.

علينا اليوم أن نتسلح بالأسلحة الروحية التي تكون مؤمنة  
بالنسبة للشياطين ومنها الإيمان والصلاة والصوم وأن ننضد  
تعاليم الكنيسة التي وضعت لخلصنا.

الله يسمح بالتجارب أحياناً وهو يسمح بها من أجل  
اختبارنا، نحن نُختبر كما يُختبر الذهب في البوتقة.

يريد الله أن يرى كيف قابلنا هذه التجارب، وعند نهاية  
حياتنا سيحصل الحساب عندها سوف نُقاد إما من الملائكة

إلى الفردوس أو من الشياطين إلى الجحيم.

أكثر ما يرهب الشيطان ويرتعب منه هي أمور ثلاثة:

أولاً: المعمودية المقدسة

ثانياً: الصليب المقدس

ثالثاً: المناولة الإلهية

ونحن ببركة الرب في مكتبة البشارة نُصدر هذا الكتاب ليكون فاضحاً لكل قوى الشر التي كثرت في هذه الأيام الشريرة، حيث أصبحت العبادات الشيطانية وأفعال السحر وضلالات كثيرة سيدهُ هذا العالم.

طغى الشر وصار خانقاً لكل شيء صالح وأصبحت الحرب على يسوع والكنيسة وقحة وصريحة، ولكننا بالبقية الباقية المجاهدة وبنعمة الرب وصليبه الكريم وجسده ودمه المقدسين سوف نحطم كل هذه القوى الشريرة.

رحلتنا مع هذا الكتاب بدأت منذ حوالي ثلاث سنوات عندما التقينا بالراهب دامسكينوس في دير الغريغوريو - الجبل المقدس (آتوس). حيث حدثنا في أمسية مباركة في هذا الدير المقدس عن أفعال السحر وخاصة في إفريقيا حيث يبشر هذا الأب بكلمة الرب، وفي نفس الزيارة زرنا دير الباراكليتو وأعطونا هذا الكتاب مع كتاب آخر عن الملائكة لكي نقوم

بنقلهما إلى العربية، وبالفعل بدأت رحلة الترجمة وقد أخذت وقتاً طويلاً وكان الشيطان متأهباً دوماً لكي يعرقل هذا العمل حتى في إعداد الكتاب وإخراجه أيضاً واجهتنا متاعب كثيرة، ولكن ببركة الربّ والعذراء مريم والقديس أرسانيوس الكبادوكي استطعنا أن نُخرجه إلى النور.

أخيراً نشكر الربّ الذي أهّلنا لهذا العمل المبارك أن يكون بين أيدينا هذا الكتاب وأيضاً الكتاب المرافق له 'ظهوراتٌ وعجائبٌ ملائكية' علّهما يعطونا فكرة واضحة عن تعليم الكنيسة الصحيح عن الملائكة والشياطين، طالبين من الجميع الصلاة والجهاد الروحي وأن نكون أبناء حقيقيين للكنيسة علّنا نوجد مع المسيح في ملكوته. آمين.

مكتبة البشارة  
بانياس

أحد آباء المجمع المسكوني السابع  
٢٠٠٩/١٠/١١ م





## مقدمة العرب

منذ سقوطه لا يزال الشيطان وطغمته الساقطة العدو الذي لا ينام لكل إنسان. إنه يزار مثل أسد، حسبما يقول القديس بطرس الرسول، ملتصقاً شخصاً ببعده وبعده عن خلاصه. طُرِق حربه التي يشنُّها على المؤمنين كثيرة وتختصرها فكرة واحدة: إنه في حربه لنا نحن المؤمنين يسعى كي يقصي من قلوبنا وحياتنا نعمة المسيح المقدسة وعندها نصبح قبراً صالحاً لسكانه.

هذا يعني أننا في حالة حربٍ دائمةٍ مع عدوٍّ لا يعرف الرحمة ولا الكلل. وعلاوةً على ذلك، هو عدوٌّ خبير بالإنسان وميوئه وأهوائه ويعرف كيف تُؤكَل الكتِف، ولكنه مع ذلك يبقى ضعيفاً وجباناً أمام المسيح ونعمته الإلهية. هو لا يستطيع أن

يجبر الإنسان على القيام بما لا يريده. ولكن الإنسان يجبن في حياته أمام مغريات الحياة، أمام أهوائه ولذات العمر فيسقط، ويجعل للشيطان عليه حقوقاً.

الحاجة إلى هذا الكتاب الذي بين أيدينا هي الحاجة إلى معرفة عدونا الأساسية من أجل التدرب على طرق حربه ومقاومته في المسيح. إنه يوضح بعض أهم طرق الشرير في حربه ضدنا واستغلاله ضعفاتنا في سعيه وراء هلاكنا الأبدي. هذا الكتاب يعرض لنا خبرة بعض قديسي الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة وخبرات بعض الناس في حرب الشيطان لهم ومقاومتهم له. إنه يعرض لنا غلبة المسيح الدائمة على الشيطان ويضع مثال انتصار القديسين عليه أيضاً بنعمة المسيح كمثال لنا نقتفيه في حربنا ضده.

اليوم قد تبدو بعض الحوادث الموجودة في هذا الكتاب شيئاً خيالياً أو مبالغاً فيه ولكنها حوادث حقيقة تراها بعين الإيمان الذي يؤمن أن إبليس عدو الإنسان يسعى ليلاً ونهاراً وراء هلاك البشر دونما رادع إلا رحمة الله ومعونته، الله الذي يتدخل في حياة خليقته ولا يسمح للشيطان أن يجربهم فوق طاقتهم، وليس هذا فقط بل وهو دوماً إلى جانب المجاهدين لأجل اسمه

القدوس يحميهم ويحفظ حياتهم.

رجاؤنا أن يكون هذا الكتاب مفتاحاً لمعرفة أساليب الشيطان  
وكيفية مقاومته في المسيح حتى نبلغ الظفر الذي بلغه  
قدّيسو الرب عبر الدهور ونطرح عنّا خوف الشيطان بنعمة  
المسيح الساكنة فينا والعاملة في هيكل قلبنا الداخلي.





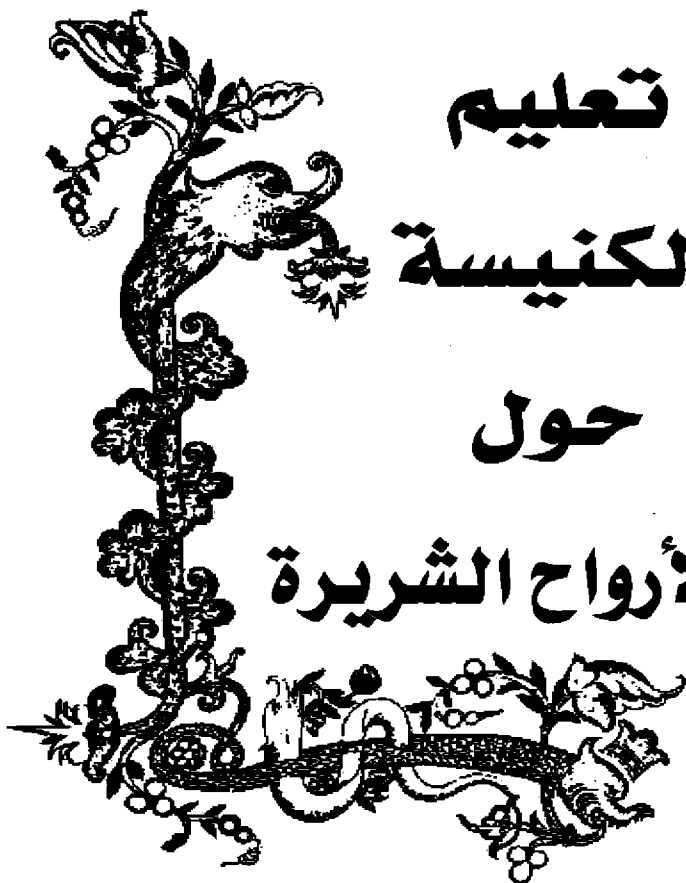
الجزء الأول

تعليم

الكنيسة

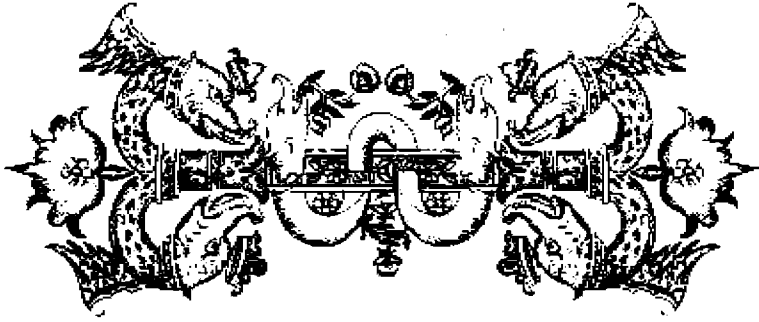
حول

الأرواح الشريرة









---

## القسم الأول

---

### تعليم الكنيسة

---

#### الخلق والسقوط

بموجب تعليم كنيسة الكتابي والآبائي، كانت الشياطين تنتمي في البداية إلى مراتب القوات الملائكية العادمة الأجساد وقد خلقها الله مثلما خلق جميع الملائكة. أي أنّ الله بداعي صلاحه غير المحدود جلبها إلى الوجود بهدف أن تتشاطر غبطته على غرار باقي الكائنات العقلية.

أي جُبلت الشياطين عادمة الشر وصالحة، تتمتع بإرادة حرّة ورغبة. لم يكن هناك أي أثر للشر والنجاسة في طبيعتها لأنّ الله لم يخلقها كشياطين وإنما كملائكة. إطلاقاً لم يخلق الله شيئاً شريراً "بجوهره" وسائر مخلوقاته كانت "حسنة جداً" (تك ١: ٣١).

رئيس الشياطين، إبوسفوروس، كان الملاك الأكثر بهاءً وحكمة من جميع الملائكة. ولكن بالرغم من سائر المواهب التي زيّنه الله بها، سقط في خطأ مأساويّ قاتل: افتكر بكبرياء بأن يصعد على عرش الله، بأن يصير إلهاً من تلقاء ذاته، شبيهاً بخالقه. أي أنه لم يرغب بأن يتبع، كباقي الملائكة، طريق الكمال عبر مشاركته بقوى الله غير المخلوقة، بل فضّل تأليه ذاته، المساواة لله في الألوهية. فكرته هذه كانت تعني دماره طبيعياً: سقط كالبرق من السماء بحسب شهادة الإنجيل (لو ١٠: ١٨). وكان سقوطه مأساوياً. تحطم بسبب عجزته. خسر رتبته السماوية السامية. وبعد أن كان رئيس ملائكة شديد البهاء صار الشيطان الأكثر ظلاماً.

يُوصَف هذا السقوط المأساوي بشكلٍ تأويلي بحسب

ما يقول آباء كثيرون، ابتداء بأشعياء النبي في روايته عن سقوط ملك بابل: "كيف سقطت من السماء أيوسفوروس الذي يشرق في الصباح؟ فوق الأرض تحطم، قلت في داخلك: سأصعد إلى السماء، سأنصب عرشي فوق كواكب السماء سأصعد فوق السحب وسأصير مشابهاً للعلي" (أش ١٤: ١٢-١٤).

ويُوصف الأمر ذاته أيضاً على لسان النبي حزقيال في نحيبه على دمار ملك صور: "تكبر قلبك وقلت: أنا إله، جلستُ على عرش الله، أنت كنتَ مثلاً للكمال وإكليل جمال. كنتَ تحيا وسط عدن فردوس الله. لبست كلَّ حجر كريم، أنت الكروب المظلل وأقمتك. على جبل الله المقدس كنتَ. بين حجارة النار تمشيت. أنت كامل في طررك من يوم خلقتَ حتى وُجد فيك إثم. فأطرحك من جبل الله وأبيدك أيها الكروب المظلل من حجارة النار. قد ارتفع قلبك لبهجتك. أفسدت حكمتك لأجل بهائك. سأطرحك إلى الأرض" (حز ٢٨: ٢، ١٢-١٥، ١٧).

حشد من الملائكة تبع المرتد طوعياً في السقوط وانفصل عن الله. هؤلاء الملائكة، بحسب تعليم القديس

يوحنا الدمشقي، ينتمون إلى الطغمة الملائكية التاسعة، التي مع قائدها إيوسفوروس، كانت قد تلقت مهمة حماية "الأمر المختصة بالأرض وما حولها".

ولكن بحسب ما يقول القديسان إيرونييموس وكاسيانوس، يأتي هؤلاء الملائكة من طغمة متعددة، وعلى الأخص من طغمتي الرئاسات والسلطين بحسب قول القديس بولس الرسول: "لأننا معركتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء والسلطين مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أف ٦: ١٢). إيوسفوروس بموجب السيناريو الأبائي الثاني سقط من طغمة السيرافيم. وهناك سيناريو آخر يقول هناك طغمة ملائكية عاشرة سقطت مع رئيسها (بحسب القديس بطرس الدمشقي). ومكان هذه الطغمة في السماء ستكملّه طغمة الرهبان مع رئيسها القديس يوحنا المعمدان السابق الكريم (بموجب تقليد رهباني). وبهذه الطريقة يتم تفسير الحقد الخاص والكراه المنقطع النظير الذي تكُنّه الشياطين للسيرة الرهبانية المعادلة للملائكة.

إنه لحدثٌ بأن يُخلَق من ملائكة مرتدين طغمة

جديدة، هي طغمة الأرواح الشريرة، أي الشياطين.  
 بالرغم من أن الشياطين أدركت حالاً بأنها من خلال  
 عصيانها لم تتمكن أن تصير "جماعة سراق للألوهية"  
 (تاتيانوس)، ولكنها مع ذلك لم تثب بل مكثت مقاومة  
 لله وعدوة له (مت ١٢: ٣٩). ولكن نظراً لعدم قدرتها على  
 إلحاق الأذى بالله ذاته، استدارت تجاه خليقته، وبشكل  
 خاص ضدّ الإنسان الذي كان أكثر مخلوقات الله  
 الأرضية كمالاً. وهكذا، بطريقة شريرة وغاشّة تسببت  
 بالمأساة البشرية. أي أنها استطاعت بإغواء المساواة في  
 الألوهية (تك ٣: ٥) أن تعرّي الإنسان من النعمة الإلهية  
 وتخرجه من الفردوس. وبشكلٍ طبيعي حتى يومنا هذا  
 صار شغلها الشاغل هو أن تُبقي الإنسان بعيداً عن الله،  
 واطعة أمامه العوائق كي لا يعود إلى قرب الله من الطريق  
 الذي فتحه المسيح لأجله بتجسده وذيبحته.  
 تالياً، بعدما صارت الشياطين شريرة بإرادتها،  
 بالرغم من أنها تذوّقت بغنى كلاً من نعمة الله وصلاحه  
 وغبطته، فقدت كل رجاءٍ بالتوبة والعودة: "لأنه من بعد  
 سقوطها ليس لها توبة مثلما لا يوجد توبة للإنسان من بعد  
 موته" (القديس يوحنا الدمشقي).

إلا أنه بموجب رأي آبائي آخر: "قبل خلق الإنسان كان هناك إمكانية لدى الشيطان ليتوب، ولكن من بعد أن خلق العالم وغرس الفردوس، وجُبل الإنسان، أُعطيت الوصية الإلهية وتتابعتم الأمور بـ "قتل" الخليقة المكرّمة (الإنسان) بسبب حسد الشيطان، صارت توبته أمراً مستحيلاً" (باسيليوس الكبير). ويقول القديس كاسيانوس الرأي التالي: "كانت خطيئة الشيطان الأولى هي الأناية وهي التي تسببت بسقوطه. خطيئته الثانية كانت حسده للإنسان، الذي بعد أن خلقه الله ببرهة قصيرة جداً، أعطاه الدعوة إلى مجدٍ نظير المجد الذي كان الشيطان يتمتع به قبل سقوطه. فهوى الحسد وجدَّ طريقه إلى الشيطان حين كان لا يزال يمتلك القدرة على النهوض والتحاور مع الإنسان. ولكن قرار الله العادل أبطله كلياً. ولن يقدر فيما بعد أن يخطو في العلويات ولا أن يوجّه نظره نحوها".

وفعلاً، لو كان الشيطان يستطيع أن يتوب لكان الله دبّر أمر خلاصه كما دبّر أمر خلاص الإنسان. ولكنه لم يفعل هذا لأن طبيعة الشيطان كانت قد

فسدت بكتيبتها تماماً. ومن المعلوم، بأن الطبيعة الشيطانية هي مختلفة كلياً عن الطبيعة البشرية. أي أن الشيطان "كروح هو غير مركّب. أي أن طبيعته لا تنقسم إلى أجزاء. حين يريد شيئاً وكلما يريد فإنما يريد بكل جوهره بإرادته يعبر الروح عن كينونته وعن عمق جوهره. تالياً، حين ارتد عن الله بحريته الخاصة، لم تنفس إرادته فقط، بل وطبيعته أيضاً التي تتحدّد بها إرادته. كان الخراب فيه كلياً وكاملاً. صار الملاك الخيرُ شريراً من دون أن يمتلك فيما بعد المقدرة على التوبة والعودة إلى الله" (الأستاذ أ. ثيوذوروس).

بالمقابل، كان الإنسان من بعد سقوطه يمتلك إمكانية التوبة لأن طبيعته لم تكن بسيطة. كان مركّباً من نفس وجسد. كان من الممكن أن تتأثر إرادته الحرة بعوامل خارجية، الشيء الذي حصل بسقوطه: لم يسقط الإنسان من تلقاء ذاته، مثل الشيطان، بل تم استدراجه وجره إلى السقوط. ولهذا السبب ندم بمرارة، ونال رحمة الله واستطاع أن يرجع إلى "الجمال الأول" عبر تجسّد المسيح.



## ذهن ومعرفة

تمتلك الأرواح الشريرة، ككائنات عقلية، ذهنًا ومعرفةً (٢كور٢: ١١). أمّا ذهنها طبعاً فقد تهشّم جداً بحيث عوضَ أن يحبّ الحق ويلتمسه، مثلما يفعل الذهن السليم، صار يكره الحقّ ويُعرض عنه. ولهذا السبب يُسمّى الشيطان في الإنجيل بـ "أبو الكذب" (يو٨: ٤٤) وفي الرؤيا يُسمّى "المضلّ" (رؤ٩: ١٢). وإرادة الأرواح الشريرة محطّمة هي بدورها أيضاً. إرادتها قد تصلّبت بدون حراك في الشرّ ولهذا السبب توجه نشاطها فقط نحو الشرّ. ولكن لديها حرية جزئية طالما تستطيع أن تتقي شرّاً من بين شرور كثيرة لتصنعه.

إنها تعرف الله، وهذه المعرفة تملؤها خوفاً: "أنت تؤمن بأنه يوجد إله. حسناً تفعل، والشياطين أيضاً تؤمن وترتعد" (يع٢: ١٩). مرات كثيرة اعترفت الشياطين بالمسيح المخلص ابناً وقدوساً لله (مت٨: ٢٩، مر١: ٢٤).

كما أنها تعرف مقاطع الكتاب المقدّس وتستخدمها. إذا عدنا إلى مقطع الإنجيل الذي يصف لنا تجارب الربّ الثلاث في البرية من بعد معموديته، سنتيقن

كيف تستند المحاججة الشيطانية حصرياً على مقاطع من العهد القديم، التي يستعملها الشيطان بصورة مُضِلَّة طبعاً (مت ٤: ١-١١، لوق ١٣-١). إنها تستخدم التكتيك ذاته ضدَّ البشر أيضاً لكي تضلَّهم أو على الأقل لكي تصيبهم بالتشويش. في كتاب المرجح الروحي يتم ذكر حادثة عن أحد الشيوخ كان جالساً في قلايته يعمل ويصلي المزامير فدخل فجأة شيطانٌ إلى قلايته على هيئة عبدٍ أعرابي وبدأ يرقص أمامه. ولكن بما أنَّ الشيخ لم يُعره انتباهاً، توجه ذلك نحوه بشكلٍ شريرٍ قائلاً: "ماذا تظنُّ أيها الراهب السيئ، هل تعتقد نفسك بأنك تقوم بأمرٍ عظيم؟ أنظرها أنت قد أخطأت في المزمور الخامس والستين، والثامن والستين والسابع والستين".

ولكن يجب أن يتوضَّح هنا بأنَّ "المعرفة اللاهوتية" هذه للشياطين هي معرفة خارجية، ناقصة ولا فائدة لها. أي بينما هي تعرف الكتاب المقدَّس وتقبل بوجود الله، إله ثالوثي، ويأنه هناك دينونةٌ وجحيم (مت ٨: ٢٩)، إلا أنَّ معرفتها لا تقدر أن تحسِّن وجودها ولا أن تقودها إلى الخلاص لأنها تتعلق بمعرفةٍ لا تترافق بأعمال، أي لا

يرافقها حفظاً لوصايا الله. وكذلك، نرى هذا "اللاهوت الشيطاني" ذاته بين البشر الذين يدنون إلى أسرار الله بالأفكار وليس عن طريق العيش، ليس عن طريق الخبرة. من بعد عصيانها، فقدت الشياطين المعرفة السماوية التي كانت تتمتع بها، وصارت حكمتها حكمة "شيطانية" (يع ٣: ١٥). يقوم بولس الرسول بتمييز حكيم بين الحكمة الشيطانية "حكمة رؤساء هذا الدهر"، التي تقود إلى الدمار، وبين "حكمة الله المخفية في سر" التي تقضي إلى المجد السماوي (١ كور ٢: ٦-٧).

يقول القديس بطرس الدمشقي فيما يختص بهذا الموضوع بأنّ الشيطان "خسر معرفة الله بسبب جحوده وكبريائه ولهذا فهو لا يعرف من تلقاء ذاته كيف يتصرف. ولكنه يرى ما يعمل الله، لكي يخلصنا، وعندها يرمينا بشروه، ويعمل عكس ما يعمل الله، وذلك في سبيل أن يُلقي بنا في التهلكة أي بعد أن رأى الله يخلق حواء لتكون معينة لآدم، جعلها الشيطان شريكاً في المعصية والتعدي. أعطى الله آدم وصية، بحيث من خلال حفظه لها يتذكر آدم عطايا المحسن إليه ويقرّ بمعروفه تجاهه، فصنع

الشیطانُ من الوصیة حجةً للمعصیة والموت. عوَضُ الأنبیاء،  
یقیمُ الشیطانُ أنبیاءَ كذبة. عوَضُ الرُّسُل، یبعثُ رسلاً  
كاذبین، وعوَضُ الناموس تجاوُزُ الناموس، وعوَضُ  
الفضائلِ رذائلٌ، وعوَضُ الوضایا تعدیات وعوَضُ كلِّ برٍّ  
هرطقاتٍ مُقرفةٌ.

الأرواح الشريرة، بحسب ما یعلِّمنا سفرُ أيوب  
(أي ۱: ۷-۱۲)، تعرف حالة العالم الراهن وتتابع أفعال  
البشر. طبعاً معرفتهم هذه تتأسس حصراً على ملاحظة  
كل ما یحدث وكيف یتصرّف الناس خارجياً. لأنها تجهل  
بالکلیّة کلاً من مخطط الله لأجل كلِّ إنسان (تدبیر  
الله) كما وتجهل كذلك ماذا یفکرُ كلِّ واحدٍ منّا قبل  
أن یعبّر عن ما یفکرُ فیهِ.

أي بما أنّ الشیاطین لا تعرف رغبة الإنسان، تُلقی به  
فی تجربةٍ وتتبهه كيف تكون ردةُ فعلِهِ. یقول الأنبا  
ماتویس: "الشیطان لا یعرف أمام أيِّ الأهواء تنقلب. إنه  
یزرع الأفكار الأهوائية طبعاً، كمثل أفكار الزنى،  
أفكار النمیمة على الآخرين، ولكنه لا یعلم إذا كان  
سیحصد، أي إذا كنّا سنقبلُ تلك الأفكار أو سننقع فی

الخطيئة. ولكنه حالما يتيقن من الأمر، من خلال تصرفات الجسد، فيعرف لأيّ من الأهواء تميل النفس، يبدأ بمحاربتها من خلاله".

يقول لنا القديس كاسيانوس بخصوص هذا الأمر: "الشياطين لا تعرف طبيعة نفسنا ولا تستطيع أن تدخل إلى داخلها. ولكنها تقدر أن تميّز ما هي حالتها من خلال أعمالنا، أقوالنا، تصرفاتنا ومواهبنا. بالنسبة إلى الأفكار التي لم تخرج أبداً من أعماق نفسنا لا تستطيع أن تفهم ما هي. حتى الأفكار الشريرة التي تهاجمنا بها، لا تعرف الشياطين متى وحتى أية درجة نقبلها. ولكنها تستطيع أن تستخلص هذا فقط متتبعاً بانتباه بعض التعابير الخارجية أو الحركات الجسدية التي نقوم بها. بالإضافة إلى هذا، هناك أناس أذكاء ويتمتعون بالخبرة يستتجون مرات كثيرة الحالة الداخلية لرفاقهم ومزاجهم من خلال شكلهم الخارجي أو سلوكهم أو طريقتهم في العيش".

### سابق المعرفة

بما أنّ المعرفة التي تتمتع بها الأرواح الشريرة، كما قلنا، هي ناقصة إلى هذه الدرجة ومحدودة، فليس من

الواجب أن يتم الحديث لديها عن مقدرة نبوية أو سابق المعرفة. القديس يوحنا السلمي واضح جداً في كلامه: "لا تعرف الشياطين أي شيء مستقبلي بسبب قدرة خاصة تتمتع بها. وإلا لكان السحرة حينها يستطيعون أن يخبرونا مسبقاً عن موعد موتنا". إنها تستنتج فقط ما الذي سيحصل ملاحظة المبادئ والأسباب لأحداث محددة وتعالجها من خلال خبرتها المعدودة بألاف السنين. أما المستقبل العام فتعرفه فقط في الحالات التي، الله ذاته يُظهرها لها، لكونها بمعرفتها هذه ستخدم مخططاً خاصاً من مخططاته (٣ملوك ٢٢: ٢١-٢٢).

يقول القديس يوحنا الدمشقي بأن: "الأمر المستقبلي لا تعرفها ملائكة الله ولا الشياطين، مهما تفوهت بها. أما الملائكة، بما أن الله يكشفها لها ويأمرها بأن تبوح بها، فهذا السبب تتحقق كل الأمور التي تتفوه بها. ولكن حتى الشياطين تُخبر بالمستقبل حيناً لكونها ترى تلك الأمور التي تحصل من مسافة بعيدة، وحيناً آخر لأنها تحاول استنتاج ما سيحصل. ولهذا السبب تكون كاذبة في معظم الحالات. ينبغي علينا ألا يصدقها أحد حتى وإن

تفوّهت بالحقيقة عدة مرات".

مميّزٌ جداً موقف القديس بولس الرسول من أمة الفيليبين التي كان بها "روحُ عِرافةٍ" أي روحُ سِحْرِ رِغم أنها كانت تقول الحقيقة بخصوص الرسولين وبشارتهما، لم يحتمل بولس الرسول هذه "الدعاية" الشيطانية، ولكنه طردَ الروحَ الشرير من تلك الممسوسة بالشياطين (أع ١٦: ١٦-١٨).

يعلّمنا القديس أنطونيوس الكبير: "أنه حتى ولو تظاهرت الشياطين بأنها تمتلك القدرة بأن تُخبر بالأمر المستقبلي فيجب ألاّ يصدّقها أحدٌ". ويتابع الحديث: "أنها تذكر لنا فعلاً قبل عدة أيام أسماء بعض الإخوة الذين سنقابلهم بعد عدة أيام. فيأتي هؤلاء. ولكنّ الشياطين تفعل هذا ليس بسبب اهتمامها بأمر الذين يصفون إليها، بل لتقنعهم بأن يتقوا بها، وحينها، بعد أن تكون الشياطين قد قبضت عليهم وصاروا في قبضتها، تُلقِي بهم في النَّهْلكة. لأنه أين مكنم العجب أن الشياطين إذ تمتلك أجساداً أكثر خفةً من أجساد البشر، تعبر بالطريق بهؤلاء الذي رأتهم ينطلقون في مسيرتهم وتسبقُ فتُخبرُ بأمرٍ

وصولهم؟ هذا ما يُخبرُ به مسبقاً أيضاً خيالاً لأنه يصل قبل أن يصل الشخصُ الذي يسير على قدميه."

ويتابع القديس أنطونيوس حديثه فيقول بأنها كذلك "تثرثر بعض الأوقات فيما يختص بمياه الأنهار. أي حالما ترى أن أمطاراً غزيرة قد انهمرت في مناطق إثيوبيا، بما أنها تعرف بأن فيضان النيل ينجم عن الأمطار في تلك النواحي، فقبل أن يصل الماء إلى مصر، تسبق مسرعة وتخبر بحدوث ذلك ولكن إذا ارتأت العناية الإلهية شيئاً آخر في هذه الأثناء بشأن تلك المياه أو بخصوص هؤلاء المسافرين وغيّرت مسير المياه - لأنّ للعناية الإلهية القدرة على ذلك - تظهرُ الشياطينُ كاذبةً، وهي فعلاً تُضِلُّ جميع الذين يصدّقونها".

"هكذا تأسسَ تتجيمُ اليونانيين عابدي الأوثان، وبهذه الطريقة أضلّتهم الشياطين في الماضي، الشياطين لا تعرف شيئاً (مستقبلياً) من تلقاء ذاتها، ولكنها كمثّل اللصوص، ما تراه عند الآخرين تُسرّع فتُخبر به. إنها بالأكثر تُمعن تفكيرها جيداً وليست تمتلك موهبة المعرفة المسبقة. تالياً، إن روت حيناً ما أشياءً صحيحة، فلا يُعجبنّ



بها أحدٌ حتى في ذلك الحين. فالأطباء أيضاً بخبرتهم التي يمتلكونها في مجال الأمراض، حين يشاهدون لدى أحد الأشخاص عوارضَ مرضٍ معين، يستنتجون من خبرتهم ويخبرون بتطور المرض. وحتى البحّارة أيضاً والفلاحون يقومون بالشيء ذاته أيضاً. إنهم يرون الظروف الجوية ويسبقون فيقولون من خبرتهم بأنه سيحصل طقس رديء أو جيد. ولهذا السبب لا يستطيع أحدٌ أن يقول بأنّ الشياطين تمتلك معرفة الأشياء قبل حصولها بسبب إichاء إلهي عندها، ولكنها تفعل هذا من تلقاء خبرتها وحكم العادة. تالياً، إن حدث مرةً وفكرت الشياطين في تطور الأمور وقالت مسبقاً إلى ماذا ستؤول الأشياء وحصل ما قالته، فلا يعجبنّ بها أحدٌ لأجل هذا الأمر ولا يعيرها أحدٌ انتباهاً.

## شكل الجسد

بالمقارنة معنا، الشياطين أرواحٌ لا جسدية، ولهذا السبب لا نعي وجودها بحواسنا الجسدية. ولكن بالمقارنة مع الله، الذي هو اللاهولي بالمطلق، تمتلك جسداً وشكلاً. إنها تالياً، عادمة الجسد نسبياً وتشبه الملائكة،

مع وجود اختلاف هو أن أجسادها "الرقيقة، الأثرية الطاهرة" التي كانت تمتلكها قبل سقوطها، اكتسبت فيما بعد سقوطها كثافة معينة. صارت "مادية وأهوائية". يقول القديس غريغوريوس السينائي: "كانت الشياطين حيناً ما عقلية وسقطت من تلك اللاهولوية والشفافية، ولهذا السبب كل واحد منها اكتسب كثافة مادية معينة، متخذاً بحسب طغمته أو عمله، شكلاً جسدياً معاكساً لخواصه". ولكن كل جسد "مادي" هو "أهوائي". بناء على هذا، فأجساد الشياطين مادية. ولهذا السبب نرى الشياطين في الإنجيل ترتعد في قبولها عذاباً قبل وقته فتتضرع إلى الرب "كي لا يأمرها بأن تذهب إلى الهاوية" (لوقا: ٨: ٣١). وفي سير القديسين أيضاً نرى حالات، حيث تتحجب الشياطين، تتألم، تحترق وتُشكّل حركتها بسبب الخوف، حين يتم عقابها لمنفعة الناظرين على يد قديسين كبار، حين يتم جلدُها بلا شفقة على يد ملائكة أو حين يُحكّم عليها بأن تقوم بأعمال مناقضة لرغبتها الشريرة.

أما من جهة شكلها الخارجي، فالشياطين بشعة المنظر وكريهة لأنها قد تعرّت كلياً من النور الإلهي. يقول

القديس يوحنا الذهبي الفم في تفسيره المزمور الحادي والأربعين أنه: "لو سمح الله للشياطين أن تُظهر لنا شكلها الحقيقي لكننا فقدنا عقولنا جميعاً".

ولكنها تظهر بأشكالٍ مختلفة، وفقاً للحاجة التي استدعيها عملها الماقتُ الإنسان في كل حالة. كثيرةٌ هي الحالات المذكورة في الكتب وسير القديسين التي تتحدث عن الأرواح الشريرة، التي تظهر فيها للبشر بأكثر الأشكال غرابةً وتناقضاً، من هيئة ملاك النور إلى شكل الحيوان الأكثر رُعباً. وهي في العادة تظهر على هيئة ملائكة، قديسين، بشر، أفاعي، تنانين، أسود، عقارب، نمور، ثيران، طيور جارحة، حيوانات عملاقة، ونهايةً بهيئة عناصر وأشكال مادية غير منظورة. من سفر التكوين، النص الكتابي الأول، حيث الشيطان يظهر بهيئة حية لكي يغش حواء، إلى سفر الرؤيا، النص الكتابي الأخير، حيث يظهر الشيطان كتنينٍ مربوطٍ على يد ملاك الله، توجد حالات لا عدّها لظهورات الشياطين بأشكالٍ وصورٍ مختلفة. ونحن نجد أشكالاً مشابهة لتلك في سير القديسين وأقوال الآباء الشيوخ.

## العدد - ترتيبها

بما أنّ الشياطين التي سقطت كانت تؤلف طغمة كاملة فهي كثيرة الأعداد ويتم تصنيفها إلى مجموعات وترتيبات، إلى رؤساء ومرؤوسين. ولئن كان بحسب القديس يوحنا السلمي "لا يوجد نظام ولا حيلة لدى المرضى، بل تشويش وفوضى"، ولكن سائر الأرواح الشريرة تتعاون من أجل هلاكنا. بناء على هذا، حين تقوم بمهاجمتنا "كل واحد منها يتخذُ موقعه مثلما يحصل عادة في الحرب الحسيّة وتقاومه بعملٍ معين".

بموجب الوقت الذي تعمل فيه الأرواح الشريرة فهي تُقسَمُ إلى ليلية ونهارية. في تقسيم أكثر تخصيصاً لها نصادفها كشياطين صباحية، ظهريّة، مسائيّة وليالية (تهاجم في نصف الليل). في كتاب السلم إلى الله هناك حديث عن نفسٍ كانت في الصباح تتعرض لحربٍ من شياطين المجد الباطل والرغبة الشريرة، وعند الظهيرة تهاجمها شياطينُ التهاون، الحزن والغضب، أما بعد الظهر فتعرض لهجوم الشياطين المعدّبة المُحبّبة النجاسة، المسؤولة

عن أهواء حبّ البطن الشقية. أي إننا نرى أنّ الأرواح  
الشريرة تمارسُ نشاطها في سائر ساعات النهار الأربع  
والعشرين.

وراء كل هوى من الأهواء توجد رتبةٌ شيطانية معينة  
تقوم بدعمه، وخلف كل خطيئة يوجدُ شيطانٌ يعمل على  
ممارستها.

لا تمتلك الشياطين كلها مستوىً واحداً من الشرّ أو  
القوة. جميعها شريرة، ولكن توجد "شياطين نجسة أكثر  
شراً من الشياطين الشريرة الأخرى" (القديس يوحنا  
السينائي). أي توجد بينها درجاتٌ للشر. يقول القديس  
مكسيموس المعترف: "كل واحد من الشياطين، توافقاً  
مع مقدرته الخاصة، يسبّب توالي تجرية أو أخرى. لأنّ كلَّ  
واحدٍ من الشياطين يتسبّبُ بشرّ معين يختلفُ عن الآخر،  
والواحد فيها هو بوضوح أكثرُ نجاسة من آخر وأكثر  
قدرةً في نوع معين من أنواع الشرور". يُعلّمُ ربنا بأنه إذا خرج  
روحٌ نجسٌ من الإنسان، وسقط هذا الإنسان مرةً أخرى في  
التهاون والكسل، فعندئذٍ ذاك الروحُ النجسُ الذي خرج  
يعود إليه آخذاً معه "سبعة أرواحٍ أشرّ منه" (مت ١٢: ٤٥).

يحصي القديس كاسيانوس في أحد أهم أعماله  
ثمانية أرواح شريرة رئيسية:

- روح الشراهة - لذة الحلق،
- روح الزنى - الشهوة الجسدية،
- روح حب الفضة - حب القنية،
- روح الغضب - الرّجز،
- روح الحزن - القنوط،
- روح الكسل - الشلل النفسي،
- روح المجد الباطل - التباهي
- وروح الكبرياء - العجرفة.

العمل الرئيسي لهذه الأرواح الشريرة وشغلها الشاغل  
هو أن تُلقي بنفسنا في هذه الأهواء الرئيسية الثمانية  
المميتة، بحيث تُبعدنا كلياً عن الله، مسببةً لنا الموت  
الأبدي.

يكشف القديس يوحنا السلمي بطريقةٍ حكيمة  
جداً للمجاهدين الروحيين الشبكة الشريرة المعقدة  
للشياطين واصفاً لنا هيكلية نظامها وواصفاً أيّ الأهواء  
هي رئيسية (يدعوها أمّهات) وأيّ الأهواء يوُلد منها

(يسمىها بنات). ولهذا فهو يحضُّنا كي نحاربها بذكاء ولا نبذِّد قوانا الروحية، محاربين آلاف الأعداء في الوقت ذاته، إذ ليس من المزمع بالنسبة إلينا أن نتعلم صنوف شرورها كافة. ويختم حينها حديثه بالقول: "فلنتسلَّح بمعونة الثالوث القدوس ضدَّ الأهواء الثلاثة (حبُّ اللذة، حبُّ الفضة وحبُّ المجد الباطل) وذلك بواسطة الفضائل الثلاث (التقشف، المحبة والتواضع). وإلا فسوف نُكابِد أتعاباً كثيرة.

القديس ذيادوخُس أسقف فوتيق يقسم الشياطين إلى قسمين رئيسيين:

تنطوي تحت القسم الأول تلك التي ندعوها الشياطين "الشفافة" التي تحارب النفس، وفي القسم الثاني تندرج تلك المسماة "الأكثر مادية" التي تحارب الجسد باللذات الجسدية. فنَّتا الشياطين تلك، حتى وإن كان هدفها واحداً وهو أن تؤذي البشر، إلا أنها تتحارب فيما بينها. يشير القديس يوحنا السينائي في سلِّمه إلى هذا التناحر بقوله: "اعلم أنَّ شيطان المجد الباطل يغلب شيطان حبِّ البطن عند الشباب مرات كثيرة".

لكلِّ واحدٍ من الشياطين طريقته الخاصة في العمل والنشاط بما يتناسب مع الهوى الذي يخدمه. ولكنها في العادة تتعاون مع بعضها في سبيل إغراق الإنسان في أكثر عدد ممكن من الأهواء. على سبيل المثال يقوم شيطان حب البطن بتسليم ضحيته إلى شيطان الزنى، وهذا بدوره يسلمه إلى شيطان اليأس. يقول القديس كاسيانوس في هذا الخصوص:

"علينا أن نعرف بأنه ليس كل شيطان يقوم بتحفيز الأهواء كلها في الإنسان، إذ لكلِّ هوى شياطينه التي تقوم بتتميته. ولكنَّ بعض الأرواح الشريرة تفرح بالشهوات الجسدية الشريرة، بعضها الآخر يُسرُّ بالتجديف والأقوال الرديئة، بعضها يستريح بالغضب والعنف، بعضها الآخر بالحزن واليأس، في حين يستريح بعضها بالمجد الباطل والكبرياء. كل واحد منها يعمل على تنمية ذلك الهوى بعينه في قلب الإنسان، أي ينمِّي ذلك الهوى الذي يحبُّه هو. إنها لا تقوم ببذر شرورها كلها دفعةً واحدة بل على التوالي بالترتيب، بما يتناسب مع الوقت والمكان وقبول الإنسان".



تالياً، جميع الأهواء، تفعل في نفسنا بواسطة الشياطين. أي مثلما نمو الفضائل هو من ثمر الروح القدس، كذلك تفعيل الأهواء هو من عمل الأرواح الشريرة. تعالج هذه الحقيقة صلاة القديس أفرام السرياني: "أيها الربُّ إلهي وسيد حياتي، أعتقني من روح البطالة والفضول وحب الرئاسة والكلام البطال، وأنعم عليّ أنا عبدك الخاطئ بروح العفة واتضاع الفكر والصبر والمحبة". ولهذا فالخبرة الآبائية تعلّمنا بأنّ الحرب على الأهواء هي في جوهرها حربٌ على أرواح الشرّ: "أي هوى يغلبه المرء، فهو يطرد شيطانه" (يقول الأنا بيتيريون).

## أسماء

يتّضح عمل الشياطين المتشعب المفسد النفس من كثرة الأسماء التي قد أطلقها عليها التقليد الكتابي. تردُّ هذه الأسماء بصيغة المفرد أو الجمع وتعبّر إمّا عن رئيس الشياطين أو عن مجموعة منها أو عن رتبها كلها. أكثر الأسماء اعتياداً هي التالية: إيوسفوروس (من كلمة إيوس اليونانية أي فجر أو صبح، وكلمة فيرو أي أجلب). أي

ذاك الذي يجلب الصبح. "الصباحي" هذا الاسم وإن كان يحمل معنى إيجابياً من الناحية الأدبية ويشير إلى حالة رئيس الشياطين قبل سقوطه، إلا أن الاسم اليوم يحمل معنى سلبياً جداً. الشيطان لأنه يفترى على الله عند البشر، كما ويفترى على البشر عند الله. إبليس، أي المقاوم، أي أنه يقاوم الله. الشيطان من كلمة ثانية تعني المهلك. بعليزول (من الكلمة العبرية بعل زبوب) التي تعني ربُّ الأرواح المؤذية. بليعال (من الكلمة العبرية بيلي ياعال) التي تعني "العدم النفع"، "المعاند"، "الشرير" و"العاصي". المجرَّب والمغوي بسبب العمل الرئيسي الذي يقوم به. ويُدعى أيضاً الشرير وروح الشرِّ، من تلقاء الطريقة التي يقوم بها بعمله.

وكذلك في سفر الرؤيا نرى أنَّ الشيطان يُدعى "التين العظيم، الحية القديمة" (رؤ١٢:٩). بطرس الرسول يسميه "الخصم" و"أسد زائر" (١بط٥:٨). المسيح ذاته يسميه "الكذاب" و"أبو الكذب"، وأيضاً "قاتل الإنسان" (يو٨:٤٤) لأنه منذ البدء يشوّه الحقيقة ويشتهي إفساد الإنسان نفسياً وجسدياً. في مكان آخر يسميه "رئيس

العالم" (يو ١٤: ٣٠، ١٦: ١١). بولس الرسول يدعو: "رئيس سلطان الهواء" و"رئيس ظلمة هذا الدهر" (أف ٢: ٢، ٦: ١٢). تسمية "رئيس العالم" أو "سيد العالم" هنا لا تعني أن الشيطان هو رئيس الخليقة كلها، إذا يكفي أن نتذكر كيف أنه لم يمتلك سلطاناً حتى على الخنازير ليدخلها لو لم يُعطه المسيح الإذن بذلك، المسيح الذي يسود طبيعياً على كل الأشياء بما أنه الخالق. كلمة "العالم" أعلاه بالإضافة إلى مقاطع أخرى في العهد الجديد تعبّر عن التفكير الجسداني، عن الرغبة الشريرة وسلوك البشر المتكبر الذين يخضعون للشيطان (أيوب ٢: ١٦). تالياً، فالشيطان يسود على هذا العالم، هذا العالم الموجود أسفل "ملكوت الله" الذي هو "ليس من هذا العالم" (يو ١٨: ٣٦).

بالإضافة إلى تلك المواصفات التي ذكرناها آنفاً، تُعطى أيضاً للأرواح الشريرة أسماء أخرى لحيوانات ضارية، طيور أو زواحف سامة. فهي على سبيل المثال تدعى قنطور، نعومات، قنفذ، بوم، مدرعات، وعقارب... إلخ. يشرح القديس كاسيانوس هذا الأمر فيقول: "إنّ أسماء

هذه الوحوش الضارية، التي تشكل لنا خطراً متفاوتاً، لم تُطلقَ اعتباطياً على الشياطين، بل من أجل أن تشدّد على صفةٍ محدّدة من صفاتها المتوحشة الجنونية، لكي يتم التشديد على شرورها السامة أو من أجل أن يُشار إلى القوة التي تحوزها بسبب حجم شرها".

### أين تسكن؟

طالما كان الشيطان مطيعاً لله كان يسكن في السماء، أي في موضعٍ يفوق الحسن، حيث كان يشارك مع سائر الطغمات الملائكية في الغبطة الإلهية. ولكن بعد سقوطه، صار "الهواء"، أي ما حول الأرض، موضع سكناه ومقرّ نشاطه. وهذا يظهر جلياً من سفر أيوب، حيث يشهد الشيطان ذاته بأنه طاف العالم كله في الهواء (أيوا: ٧، ٢:٢). حسبما ذكرنا مسبقاً، بولس الرسول يطلق على الشيطان اسم "رئيس سلطة الهواء" ويدعو الأرواح الشريرة "أرواح الشرّ التي في السماوات" (أف: ٢:٢، ١٢:٦) محدّداً بهذه الطريقة المكان الذي تسكنه وتعمل فيه. وعبارة "التي في السماوات" هنا تشير إلى الهواء، لأن الكتاب المقدّس في العادة يسمي الهواء سماءً، كمثّل

قوله: "طيور السماء" أي الطيور التي تحلّق في الهواء (متى ٦: ٢٦). يعطي القديس ثيوفانيس الحبيس التفسير التالي لهذه الأمور: "الشكل المعتاد لترجمة كلمة "سما" وفهما تشير إلى أنّ الأرواح تطير في الهواء. وكما أنّ الهواء يحيط بنا من كل جهة، هكذا تقترب منا أرواح الشر مثل البعوض في مكانٍ رطبٍ".

طبعاً ليس الهواء المسكن الدائم أبداً للشياطين. يقول القديس نيقوديموس الأثوسي: "الشياطين، بسمح من الله، تسكن الهواء ليس كمكان مقرّر من أجل عقابها، بل من أجل جهاد المختارين وتأديب الخطأة لأنّ الجحيم هي مكان سكنها المقررة لها عقاباً وحيث دركات الجحيم المليئة بالعذاب، بحسب ما يتكلم الكتاب عن إيوسفوروس حيث يقول: "لكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب" (أش ١٤: ١٥). ويهوذا الرسول قال عنها: والملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيودٍ أبدية تحت الظلام" (يه: ٦).

بالإضافة إلى "الهواء" أو "ما حول الأرض" كمكانٍ

لسكنى الشياطين تُذكر مرّات كثيرة في الكتاب المقدّس، في سير القديسين وأقوال الآباء الشيوخ، بعض الأماكن "الأرضية" المحددة مثل: مواقع مقفرة مختلفة، مدن أو بيوت مهجورة، هياكل أوثان، قبور أموات، ينابيع، موائئ وأنهار... إلخ.

بالرغم من أنّ البرية تُوصَفُ، بشكل عام، كمسكنٍ للشياطين، ينبغي ألاّ تُعتَبَر بأنها تشكّل مسكناً طبيعياً للشيطان وبأنها موجودة تحت سلطانه القانوني. الله، بمحبته التي لا تحدّ للبشر، حدّد سكنى الشياطين في أماكن لا يسكنها البشر. وهذا ما يؤكّده القديس يوحنا السيناّي حين يقول بأنّ الشياطين ترتاد أماكن مقفرة، لأنّ الرب نفاها إلى هناك من أجلنا نحن.

وأما موضع ارتياد الشياطين للأماكن المقفرة والقبور فنرى هذا الأمر في حالة الممسوس بالشيطان في كورة الجديين الذي كان يسكن في القبور "كان مسكنه ليلاً ونهاراً في الجبال والقبور" (مر ٥: ٣، ٥). وأمّا أنها ترتاد الينابيع والمياه فهذا ما تُظهِره صلوات تبريك المياه وطروباريات عيد الظهور الإلهي التي تتحدث عن "تنانين،

أي عن الشياطين، التي تُعشّشُ في المياه ويتم طردها بنعمة المسيح.

جديرة جداً بالاهتمام تلك الإشارة التي يذكرها العهد القديم والتي تقول بأنّ المدن التي يدينها الله تستحيل قفراً وتصبح مسكناً للشياطين (أش ١٣: ٢٠-٢١، ٣٤: ١٣-١٤).

جاهد قديسون كثيرون بقسوة من أجل أن يبنوا كنائس وأديرة أو ليسكنوا ببساطة في منطقة ما حيث كان الشياطين يعتبرون تلك المنطقة ملكاً لهم. في سيرة حياة القديس سابا على سبيل المثال هناك حديث عن جبل كاستيليو "جبل مخيف غير مطروق من البشر بسبب كثرة الشياطين التي تظهر هناك"، وعلى ذلك الجبل قام القديس سابا بتشييد دير، بعدما نظّفه من ساكنيه الأشرار بتعبٍ وصلاةٍ كثيرة. ونصادف حوادث مشابهة أيضاً في حياة القديس أنطونيوس، القديس مكاريوس وغيرهم.

وكذلك في التقاليد الشعبية ولدى المجانين هناك ذكر كثيف للبيوت المسكونة والخيالات، التي تعمل في

أماكن حصلت فيها جرائم، قتل أبرياء، طقوس سحرية  
يتم فيها استدعاء شياطين إلى غير ما هنالك.

وبهذا المعنى من الممكن أن تكون مدنٌ عظيمة  
مجيدة تحتوي على جموع غفيرة من الناس مسكناً للأرواح  
الشريرة. إنَّ سفر الرؤيا المقدس يشير إلى مدينة برغاموس  
وهي إحدى المدن القديمة الواقعة في آسيا الصغرى على  
أنها مسكن وعرش للشيطان: "حيث أقام الشيطان عرشه.  
حيث يسكن الشيطان" (رؤ ٢: ١٣). وكذلك المدينة  
العظيمة التي يُسمِّيها رمزياً بابل، يصفها بأنها "مسكنٌ  
للسياطين وملجأٌ لكلِّ روح نجسٍ" (رؤ ١٨: ٢).

توصَّف هذه المدن بأنها مسكنٌ للشياطين، لأنها  
بسبب حياة ساكنيها المفعمة بالخطيئة، قد صارت تحت  
سلطة الشياطين. وهكذا ساكنوها أنفسهم قد صاروا  
"مساكني" الشياطين ومسكناً لها.

من الممكن طبعاً أن يصبح الإنسان، إذا شاء،  
مسكناً للأرواح الشريرة، كما يستطيع بالمقابل أن يصير  
مسكناً للروح القدس (١ كور ٣: ١٦، ٦: ١٩). الرب نفسه  
يصف الإنسان الذي يُهمل خلاصه بأنه "مسكنٌ"



للشياطين فتستريح الأرواح الشريرة في داخله بأية طريقة من الطرق (مت ١٢: ٤٣-٤٥).

حين نضع في أذهاننا موضوع مسكن الشياطين من المفيد لنا أن نأخذ بعين الاعتبار الحقائق التالية:

أ- رغم أن الشياطين، ككائنات مخلوقة، يمكن أن توجد في أي مكان، إلا أنها لا تمتلك مكاناً حصرياً مُلكاً لها، لأن كلّ الأمكنة مُلكٌ لخالق الكون: "لرب الأرض وكلّ ما فيها، المسكونة وجميع ساكنيها" (مز ٢٣: ١) وحضورهم يكون سلطوياً فقط في اقتراف الخطيئة وعمل الشرّ. في هذا السياق تُعبّر هامة جداً ملاحظة القديس يوحنا الذهبي الفم القائل: "ليس من مسكنٍ آخر للشيطان سوى الخطيئة".

ب- الله وحده هو "الحاضر في كلّ مكان". الشياطين، رغم أنها أرواح وبالتالي تكون أسرع في تنقلاتها، إلا أنها لا تستطيع أن تظهر في عدة أمكنة في وقتٍ واحد. ونتيجة هذا الشيء أنها تجهل كلما يحصل بعيداً عن الحيز الذي تتواجد في نطاقه. على سبيل المثال، فلنتذكر الحادثة الشهيرة التي ترد في كتاب أقوال الآباء

الشيخوخ: حين ذهب القديس مكاروريوس المصري إلى أحد الأساقيط وبارشاداته قام بتقويم الراهب ثيوبيمبتوس، الذي كان قد سُبِي من الأفكار الشيطانية، إذ لم يفهم الشيطانُ حينها حركة القديس تلك، ولهذا السبب كان يتساءل عن التغير الذي طرأ على الراهب الذي كان "صديقه" قبلاً.

## القوة - التأثير

قوة الشياطين هي بدون شك أكبر من قوة البشر، لأنَّ الله لم يجردها من الخواص الطبيعية التي كانت تتميز بها حين كانت ملائكة "لأنَّ هيات الله بلا ندامة" (روا ١١: ٢٩). ولكنَّ الشياطين "أظلمتها" وحولتها بسبب عصيانها. قوتها التي تفوق قوة البشر تظهر من خلال اليأس الذي به هدمت بيت أيوب وقتلت أولاده وبددت غناه، حيواناته، عبيده وأملاكه. وتظهر أيضاً في حالات الأشخاص المسوسين بالشيطان، إذ تقوم بتعذيبهم بقسوة وتجعلهم يقطعون حبلاً سميكة كمثل الإسفنجة، ويعيشون عُراة في وسط الصقيع بدون أن يشعروا بالبرد وغير ذلك. دليل قوة أيضاً ما تقوم به بواسطة السحرة،

الذين تقوم باستخدامهم كأدوات لها ، مضلةً أناساً  
كثيرين "بعلامات وآيات" تفوق الطبيعة.

إنها تعرف مقدار قوتها جيداً ويروق لها أن تظهر على  
أنها "رئيسة العالم" تسود "على كل مملكة من ممالك  
العالم" (مت ٤: ٨).

في سفر الرؤيا تظهر قوة الشياطين كبيرة ، بحيث  
تجرؤ أن تتحارب مع رئيس الملائكة ميخائيل ، وحيث  
رئيسها ، الشيطان ، يظهر كتنين مرعب ، بذيله فقط  
يسحب إلى الأرض ثلث كواكب السماء ومن فمه يجري  
نهر ماء. بالإضافة إلى ذلك ينقل قوته وسلطانه إلى ضدّ  
المسيح ، وهذا بدوره يُضللُّ البشر ، يُحدرُ ناراً من السماء ،  
يُعطي صوتاً إلى صورة الوحش الميتة إلى غير ما هنالك  
(رؤ ١١: ١٣).

وفقاً للرسول يهوذا ، كذلك يجرؤ أن يتقاتل مع  
رئيس الملائكة ميخائيل مطالباً بجسد موسى النبي (يه ٩).  
ولكن دوماً ، يؤكد لنا الكتاب المقدس وخبرة  
كنيستنا أيضاً ، بأن قوة الشياطين ليست قوة لا ضابط  
لها. إنها تتحرك دوماً ضمن الحدود التي حددها الله. ولهذا

السبب يشدُّ الأنبا عمّون على أن التجارب الشيطانية لا تحصل لأنّ الشيطان يقوم بفرضها فرضاً، بل لأنّ الله يسمح بها: "الإنسان يُسلم إلى الشيطان لكي يُجرَّب. من يسلّمه؟ روح الله. من المستحيل بالنسبة للشيطان أن يجرَّب مسيحياً ما لم يسمح له الله بذلك". يظهر هذا الأمر بوضوح جليّ في تجربة الرسل وتجربة أيوب.

قبل برهةٍ من آلامه، أُنذر الربُّ بطرس الرسول بموضوع التجربة التي تزعم أن تحلّ بهم: "سمعان، سمعان، هوذا الشيطان قد طلب أن يغريكم كالحنطة، ولكنني طلبتُ لأجلك كيلا يفنى إيمانك" (لوقا ٢٢: ٣١-٣٢). أي أنّ الشيطان طلب إلى الله أن يقوم بتجربة الرسل تجربة قوية، ولكن تم وضعُ حدود له.

الأمر ذاته يحصل مع أيوب. لم يكن بمقدور الشيطان بمشيئته الخاصة أن يجربه. طلب الإذن من الله. وهو حدّد له حجمَ التجربة وحدودها. أعطاه سلطةً أن يدمرَ كل شيءٍ من ممتلكاته، ولكن لم يسمح له بأذيته شخصياً: "ها كل شيءٍ مما له قد دفعته إلى يديك، أمّا إليه فلا تدنو" (أيوا ١٢: ١). وفيما بعد، حين لم يقدر

الشیطان بعد الضربة الأولى أن یُحرقَ صبرَ آیوب، طلب إلى الله بأن يعطيه عليه سلطة أكبر. وفعلاً سمح له الله أن یلقى بأیوب البار في مرضٍ جسدي ولكنه وضع له حداً أيضاً. منعه عن مسّ حياته: "ها هو في يدك ولكن احترز على نفسه" (آیوب: ٢: ٦). لا تمتلك الشياطين سلطةً على الناس الفاضلين ولا حتى على الحيوانات إذا لم يسمح لها الله بذلك. وهكذا، لا دواب آیوب ولا خنازير كورة الجدریین لم یكن باستطاعة الشياطين أن تُمیتها بدون إذنٍ من الرب. في الحالة الثانية، طبعاً، تضرعت إلى الرب قائلةً: "اسمح لنا أن ندخل في قطع الخنازير" (مت ٨: ٣١).

معلومٌ طبعاً بأن الإنسان، بسقوطه وارتداده عن الله، صار عبداً للشیطان. ومعه جرّ سائر الخلیقة المادية التي "تئنُّ وتتمخّض إلى الآن" (رو ٨: ٢٢). ولكن بعمل التدبير الإلهي، فقد الشيطان قوته. ولهذا السبب لا نتحدث الآن كثيراً عن قوة الأرواح الشريرة بقدر ما نتكلم عن تأثيرها. أي أن قوتها تكمن في مقدرتها على غشّ الإنسان. إنها أكبر وأخطر مُضِلّ.

يقول القديس یوحنا الذهبي الفم بأن الشيطان يأخذ

قوته منّا نحن أنفسنا. أي حين نريد فهو يصير قوياً، وحين نريد يصير ضعيفاً. وكيف هذا؟ "إذا انتبهنا إلى ذواتنا وكنا بالقرب من ملكنا، فهو (الشیطان) يتجمع على نفسه خشيةً وفي الحرب يصبح أقلّ قدرة من صبي صغير. ولكن، إذا ابتعدنا عن ملكنا فحينئذٍ إذ وجدنا الشيطان بدون معونةٍ إلهية تقف لجانبنا وتؤازرنا في الحرب، حينها ينتصب بعجرفةٍ ضدنا ويتهددنا كاشفاً عن أنيابه وصارفاً بها".

علاوة على ما سبق، ينبغي أن نعلم بأنّ الحرب التي تشنها الشياطين علينا ليست سهلة حتى بالنسبة إليها أبداً، أو تخلو من المشقة والخطر. وإلاّ لما كنا تحدّثنا عن معركة أو صراع بيننا وبينها، بل لكان الحديث عن طردنا أو هزيمتنا. ولكن ليس هناك شيء من هذا القبيل. فهي أيضاً تتكبّد مثلنا نتائج حربٍ ضروسٍ. وهي حين تهزم تسقط في اضطراب كبير وحزن (حسبما يقول القديس كاسيانوس).

ولهذا السبب يشير علينا القديس أنطونيوس الكبير بالأخافها، بل أن نكون ساهرين ونحفظ قلبنا من شرّها

لأنها جسورة ووقحة. ويضيف قائلاً: "جعل الربُّ الشياطين تزحف زحفاً وهي تحارب كمثَل الحيات والعقارب، بحيث يمكن أن تُوطأً من المسيحيين ولا نعيّرُنْ أهميّةً لأقوالها لأنها تكذب. ولا تخيفنا رؤاها لأنها ضلال، بنعمة المسيح تصير كل حباثلها باطلّةً عديمة الجدوى، منذ البدء كان الشيطان قتالاً للناس وكاذباً. ونحن علينا طالما بقينا على قيد الحياة أن نحاربه بكل ما نملك من قوة أكثر فأكثر. من الواضح أنّ الشياطين ضعيفة. لأن المكان لا يشكل عائقاً لحباثلها، وهي لا ترانا كأصدقاء لها بحيث تشفق علينا ولا تحب الخير بحيث تتصلح بالعكس، إنها شريرة ولا تسعى وراء أيّ شيء مقدار سعيها كي تفعل الشرّ بهؤلاء الذين يحبّون الفضيلة ويحترمون الله. ولكن بما أنها لا تمتلك قوة جوهرية، فهي لا تقوم بشيء ما خلا التهديد والوعيد ولكنها لا تستطيع أن تعمل شيئاً مخيفاً مما تصوّره ولو كان الأمر في طاقة يدها لما تركت واحداً منّا نحن المسيحيين على قيد الحياة، تالياً فلنخشى الله فقط. وأما الشياطين فلنتجاهلها ولا نخشاها".

وفي سبيل أن يؤكّد لنا القديس أنطونيوس كلامه

يروى لنا خبرةً شخصية له: "ذات مرّة طرق أحدهم بابي. وحين خرجت خارجاً رأيتُ شخصاً نحيلاً وطويلاً. سألتُه: "من أنت؟" فأجابني: "أنا الشيطان". فسألته ثانية: "ولماذا أتيت إلى هنا؟". فشكى لي ذلك قائلاً: "لأن الرهبان وجميع المسيحيين يتهمونني ظلماً؟ يلعنونني كل لحظة". فقلتُ له: "ولماذا تزعجهم أنت؟"، فأجاب: "لستُ أزعجهم. إنني أضايقهم فقط. إنني ضعيف الآن. ألم يقرؤوا بأنّ سيوف العدو تحطمت بالكلية وتدمرت مدنه؟ (مز: ٩: ٧) لستُ أملك فيما بعد لا مدينة ولا مكاناً ولا سهماً. صار الناس مسيحيين في كل مكان. والبرية امتلأت بالرهبان. فلينتبها إلى أنفسهم ولا يلعنونني ظلماً". وحينها تعجبت أنا لنعمة الله وقلتُ له: "ولئن كنتَ كاذباً ولا تقول الصدق أبداً، إلاّ أنّك في هذه الحالة، رُغمًا عنك، قلتَ الأمور كما هي لأنّ المسيح بقدمه إلى الأرض جرّدك من قوتك وبعدها انتصر عليك عمّاك من قوتك". وأمّا ذلك فلما سمع اسم المسيح ولم يُطق أن يسمعه اختفى للوقت.

كخلاصة لما سبق أعلاه، بمقدورنا أن نقول بأنّ الشياطين لا تمتلك أية سلطةٍ علينا، ما لم يعطها الله أو



نفسح نحن لها المجال بمشيئتنا. وهو غلطنا نحن بأن نلقي كامل المسؤولية في سقطاتنا عليها حصراً. سمح الله لها بأن تجربنا ولكن لم يسمح لها بأن تُجبرنا. في طاقة يدنا نحن أن نقبل أو نرفض الهجوم الذي تشنه علينا. هي لا تمتلك الإذن بأن تغتصب حرّيتنا بالإكراه. قوتها التي تمتلكها هي قوة تحريرية وليست إجبارية. وهذا يعني أننا نستطيع أن نقاوم حرّيتها ولا نُطعها.

وإذا تكاسلنا وأهملنا، فحينئذ نعطيها علينا حقوقاً كثيرة. حينها يصير عدم انتباهنا وبطالتنا هما قوتها. وكذلك، الأمرُ الأسوأ جداً هو أن نُخضع إرادتنا عن وعي لمشيئتها، بحيث تستحوذ تلك على قوة أكبر وسلطة علينا. هكذا تصرّفَ يهوذا الذي ترك الشيطان يدخل إلى داخله (لوقا ٢٢: ٣) وطبعاً تركه يسود عليه جداً بحيث بعدما اعترف بخطيئته وحزن لأنه أسلم المسيح لم يثب بل مضى وشنق نفسه. الأمر ذاته حصل مع حنانيا الذي وقع ميتاً أمام بطرس الرسول سامعاً من فم الرسول الأقوال المخيفة التالية: "لماذا تركت الشيطان يستحوذ على قلبك؟" (أع ٥: ٣).

قوة الضلال والغش هذه هي كبيرة جداً. إنّ تأثير الشيطان يمكن أن يهلك الإنسان وقد يسوقنا إلى الانتحار.

## العمل

العمل الرئيسي للشيطان، بعد سقوطه، هو أن يقاوم المشيئة الإلهية باستمرار. إنه يكره خليقة الله إلى درجة الموت وعلى الأخص يكره البشر المخلوقين على "صورة ومثال" الخالق. إنه عاصٍ، بعدما جرّ الإنسان إلى العصيان، يكافح باستمرار منذ ذلك الحين كي يبقيه بعيداً عن الله.

المسيح، بتجسّده، منح البشر القدرة ليس فقط على العودة إلى "الجمال القديم" بل وإلى التألّه. لكنّ الشيطان، رغم أنه ضعيف الآن، يستمر في جرّ مخلوقات الله بغشٍ إلى الخطيئة، محاولاً بهذه الطريقة أن يجعل عمل المسيح الفدائي بلا جدوى. لقد أعلن حرباً شعواء لا هوادة فيها ضدّ البشر، ليس فقط بداعي الكره، بل والحقد أيضاً. إنه لا يستطيع أن يحتمل المجد والغبطة الإلهية اللذين ينتظران المجاهدين. ولهذا السبب فهو يبذر الشرّ بينهم، ويحضّهم إلى الخطيئة وينفحهم عدم إيمان بالحقيقة ومحبة

الله. طبعاً وفقاً لأحد أمثال الإنجيل، الشيطان هو العدو الذي زرع الزؤان في الحقل، حيث زرع الرب قمحاً نقياً (مت ١٣: ٢٤-٢٥).

الشر هو طعام الشيطان اليومي. إنه لا يفكر في شيء آخر ولا يرضيه شيء آخر ما عدا الشر. وبالنتيجة كل شر في العالم هو من فعله. جرائم القتل، الحروب، خطايا الزنى، خطايا الفسق وكل نوع من أنواع الخطيئة ينطلق منه. يقول القديس يوحنا اللاهوتي: "من يخطئ هو من الشيطان، لأن الشيطان من البدء يخطئ" (١ يوحنا ٣: ٨).

إنسان ما بعد السقوط موجود في تفكير الشيطان. لهج الشرير الدائم هو أن يُبقي الإنسان في الضلال بعيداً عن الله. ولهذا، حسبما يشرح القديس يوستينوس، هو في القديم علم البشر كثرة الآلهة، بينما الآن فهو يتكرر آلاف الوسائل كي يجعل المؤمنين عادمي الإيمان ويُبقي عديمي الاستتارة بعيداً عن حقيقة الإنجيل. وهذا ما يؤكده بولس الرسول حين يقول: "إله هذا الدهر أعمى فكر عديمي الإيمان كيلا يشرق فيهم نور إنجيل مجد المسيح" (٢ كور ٤: ٤). جميع الذين لم يقبلوا الإنجيل، قد

وقعوا في الفخ وأعماهم الشيطان، الذي يضطّرهم أيضاً أن يعملوا مشيئته.

إحدى أهم نشاطات الأرواح الشريرة هي مقاومتها لعمل الكنيسة، المكروه عندهم، لأنه يُبطل عملها. هكذا تُفسّر الصعوبات التي لا يمكن تخيلها، العوائق والمشاكل التي تخلقها للشخص الذي يريد أن يخدم في الكنيسة. يقول سيراخ الحكيم منذراً: "يا بنيّ إذا أتيت لتبأشر العمل للرب الإله فهبّئ نفسك للتجربة" (١:٢). كذلك، بولس الرسول يشير إلى الحالات التي قام فيها الشيطان بمحاولة إعاقة زيارته الرعائية إلى مدينة تسالونيك ولهذا السبب يقول: "أردت أن أجيء إليكم أنا بولس مرة واثنين. إلا أن الشيطان أعاقنا" (١٨:٢).

## محطات التعشير

الشيطان بحسب ما يُفصِح اسمه ذاته لا يتوقف عن شكائنا عند الله. إنه "المشتكي على إخوتنا الذين يشتكى عليهم نهائراً وليلاً" (رؤ١٢:١٠). وعمله هذا المحبوب بالنسبة إليه - نتيجة كرهه الجهنمي الذي يُكنّه للبشر - يزاوله أكثر وقت عند موتنا لأنّ هذه الساعة هي

الفرصة الأخيرة التي يمتلكها كي يريحنا إليه. تالياً "حين تخرج النفس من الجسد، يهجم عليها الشيطان العدو بوقاحة ويحاربها ويهزأ بها ويصير متهماً مخيفاً وقاسياً لخطاياها" (القديس يوحنا كارباتيوس).

حقاً "مخيفٌ هو سرُّ الموت" ولهذا فكنيسةنا في كل يوم سبتٍ، في خدمة نصف الليل، قد حددت أن نتضرع إلى الله قائلين: "كن متعطفاً عليّ أيها السيد، ولا تدع نفسي تبصر منظر الشياطين الشريرة المخيف المظلم، بل فلتستلمها ملائكتك المنيرة المبهجة". وأيضاً من أجل ساعة "خروجنا" المخيفة هذه نتوسل يومياً إلى سيدتنا الفاتحة القداسة "لكي تقف في وقت خروج نفسنا الشقية وتتداركنا من حولنا وتُقصي عنا قناتمنا الشياطين الأشرار بعيداً" (خدمة صلاة النوم الصغرى).

إذاً حينما تخرج النفس من الجسد تستلمها ملائكةٌ وتقودها إلى السماء، ولكن الشياطين التي في الجو، رؤساء "سلطة الهواء" (أف ٢: ٢) تعيقها، وتحاول أن تعيق صعود النفس، مظهرَةً خطاياها التي اقترفتها على الأرض. تُسمى هذه الشياطين بشياطين التعشير، لأنه "مثلما يجلس

حراس التعشير في الطرق الضيقة ويقبضون على كل من يعبر من هناك ويقومون بتفتيشه بشدة، هكذا أيضاً هذه الشياطين تُفتش الأنفس وتتسلط عليها حين تخرج من الجسد. فإذا لم تكن تلك الأنفس قبلاً قد تنقّت من خطاياها، لا تسمح لها بالصعود إلى المساكن السماوية ومقابلة سيدها (يسوع)" (القديس مكاريوس المصري). الملائكة، بالمقابل، تُظهر أعمال الأنفس الصالحة التي فعلتها في حياتها الأرضية وتقوم بتسهيل عبور الأنفس إلى العالم السماوي. كل نفس تحبّ الله وتؤمن به، ليست عرضة للخطر في محطات التعشير. بل تقوم بتجاوزها بدون أن تعيقها تلك، متقويةً بالنعمة الإلهية. "حينئذٍ يأخذها جوق الملائكة ويذهب بها إلى موضعه، إلى العالم النقي". بالمقابل "إذا كانت النفس ساقطةً في خطايا، تقوم أجواق من الشياطين والأرواح الشريرة والقوات المظلمة بأخذها مسيئةً إلى موضعهم" (القديس مكاريوس المصري).

هذه العملية، التي تعبر فيها النفس دينونةً أولى، تسمى بالتعشير. وفي هذا التعشير، لا الملائكة ولا الشياطين هم الذين يدينون النفس ولئن كانوا يظهرون

كذلك بدءاً. الربُّ هو الديان، الشياطينُ متهمة (مشتكية) والملائكة تحامي عن النفس، إضافة إلى أنه بحسب ما يقول القديس كيرلس الإسكندري: "لا ينظر ذاك القاضي مشتكياً، ولا شهوداً، ولا أدلةً ولا مؤدباً. طبعاً، بعد تلك الدينونة الجزئية، إمّا أن يريح الملائكةُ النفسَ وإمّا الشياطينَ فيؤول بها المطاف إلى ما يُسمّى "الحالة الوسطى للأنفس" والتي تذوقُ النفسُ مُسبقاً خلالها، وفقاً لأعمالها، الخيرات الأبدية أو العذابات الأبدية منتظرةً دينونة الله الأخيرة".

## من تحاربُ الشياطينُ ؟

الشياطين تكره البشرَ جميعاً بدون استثناء، لكنها تحارب جميع الذين لا يعملون مشيئتها. طبعاً تحارب بالأكثر ذلك الذي بالمعمودية المقدسة رفضها وصار عضواً واعياً في كنيسة المسيح.

يفسّر القديس كيرلس الأورشليمي في عظاته التعليمية المعنى الذي يحمله رفضُ الموعوظ للشيطان، حين يتجه نحو الغرب ويعترف قائلاً: "أرفضك أيها الشيطان، وأرفض كلَّ أعمالك وكلَّ مشوراتك وكلَّ عبادتك".

ويشرح أيضاً ما هي القوة النفسية والاستتارة التي ينالها المؤمن من خلال المعمودية، وكم هي الأسلحة الروحية مؤهلة بالنسبة للشياطين، تلك الأسلحة التي يمنحها الروح القدس للمعتمد.

طبعاً بما أن المؤمن بعد دخوله إلى الكنيسة يواجه بكل تأكيد الحرب التي سيشتتها الشيطان عليه، يحضه القديس بولس الرسول بأن يتسربل بكل تضحية "سلاح الله الكامل" (أف ٦: ١١) وبأن يتسلح أيضاً "بأسلحة" الفضائل، التي يحصل عليها المرء بتعبه الشخصي ومعونة النعمة الإلهية.

تالياً، تحارب الأرواح الشريرة جميع الذين يمتون الفضائل ويتقدمون في الحياة الروحية. يقول القديس يوحنا كارباتيوس: "إن الشياطين تهاجم بالأكثر هؤلاء الذين يمتلكون تقوى أكبر وورع الله، وبحروب لا هوادة فيها تدفعهم إلى اقتراف الخطيئة، عساها تتمكن من إبعاد الذين قبلوا حريها عن الإيمان بالمسيح وعن الصلاة والرجاء الصالح".

إنها تحارب بالأكثر جميع الذين يصلون، بما أن



سلاح الصلاة يدمر جميع فنونها. ولهذا، في كل مرةً نتهياً للصلاة، يحضر الشيطان نفسه للحرب. يقول القديس يوحنا السلمي: "أنه في الساعة التي يُدقُّ فيها الناقوس للصلاة نستطيع أن نرى بشكلٍ منظور الإخوة المجتمعين من جهة يحاربون الأعداء بحالٍ غير منظور".

على وجه العموم، الشخص الذي يجاهد ليقطع أهواءه، يأتي بشكلٍ حتمي إلى الصراع مع الأرواح الشريرة، حسيماً أشرنا مسبقاً. وكلما كانت مقاومته أكبر كلما كان الهجوم عليه أشدّ. ولهذا السبب فالقديسون، الذين بلغوا إلى مراتب عالية من الفضيلة وتزيّنوا من الله بمواهب استثنائية، واجهوا حقد الشياطين كلّهم وجنونها. ولكنّ نعمة الله كانت تظلّهم وجهاداتهم تكلّمهم بالغلبة. ينصحنا القديس نيكيتاس ستيثاتوس بهذا الخصوص قائلاً: "انتبه بتدقيق لهجمات الشياطين الغاشة. لأنه كلما ارتقيت أكثر في الفضائل السامية بهذا القدر هي أيضاً، إذ تراك تصعد إلى السماء، تصرف بأسنانها وتبسطُ باجتهادٍ في الهواء شباك شرورها المتشابكة". فإذن يكون الانخراط في الحرب الشيطانية

متناسباً مع نوعية الحياة الروحية ونضوجها.

بالمقابل، جميع الذين لا يعارضون مشيئاتها الشريرة فهي لا تحاربه لأنها تعتبره من جماعتها. أناس من هذا النوع قد اعتادوا على الأهواء وتماهوا معها. قد صاروا "محاربين وغادرين لأنفسهم" (حسبما يقول القديس يوحنا السينائي). تهتم الشياطين فقط بأن تبقئهم في حالة من اللامبالاة بالخلاص، خافيةً حضورها باجتهاد. وبهذه الطريقة تجعلهم إما أن يُهملوا وجودها أو أن يشكوا بوجودها الشيطاني.

هناك حالة مشابهة تصيب جميع الذين يتكاسلون ويتهاونون فيتركون الجهاد الروحي. يصيرون هم أنفسهم شياطين لأنفسهم. يقول القديس يوحنا السينائي بأن الراهب الكسول، الذي بلغ مرحلة ترك قلايته ونُسبكه يكون قد صار "بنفسه شيطاناً لنفسه". والإنسان المتكبر أيضاً "لا يحتاج شيطاناً يحاربه لأنه هو صار لنفسه بمثابة شيطانٍ يحارب نفسه بنفسه". ولكن كيف يتعدّب من تلقاء أنفسهم أولئك الذين لا يقاومون أهواءهم؟ يحدث هذا لكونهم يحترقون من تلقاء الرغبة بأن يتمموا مشيئاتهم.

"فمشيئاتهم تصير شياطينَ بالنسبة لهم ، وهي التي تُحزنهم من أجل أن يرضوها" (حسبما يقول القديس بيمين).

بالنتيجة حين نكون نحن مصدرَ التجربة لأنفسنا فالشيطانُ لا يحملُ ذاته مشقَّةَ إزعاجنا. "لا يحتاج الشيطان لإزعاج هؤلاء الذين يحاربون أنفسهم بأنفسهم وينساقون دوماً باتجاه الأرض بالأمور المعيشية.... الجوائز والمكافآت مهيأة لسائرِ الذين يحاربون أنفسهم من تلقاء ذاتهم (من الشيطان) وليس لأولئك الذين يهتمُّون فيما لله" (يقول القديس كارياثيوس).

ولكن حين يريد الكسالى أن يهتموا في خلاصهم ، ملقين عن أنفسهم النيرَ الشيطاني ، فحينئذٍ سوف يواجهون جنون الأرواح الشريرة كَلِّه. يشابه القديس دوروثيوسُ الشيطانَ بفرعون فيقول: كما أنَّ الملك المصري صار أكثر فسوة تجاه الإسرائيليين حين طلبوا منه ، بوصية من الله ، أن يخرجوا من تحت سلطانه ، بالطريقة ذاتها يتشوش الشيطان حين يعي أن رحمة الله حطَّت على نفسٍ ما من أجل أن تشفيها. وحينها يقيم عليها سائرَ الأهواء ويحاربها بوحشية لا تُصدَّق.

## لماذا تحاربنا الشياطين ؟

لماذا يا ترى أعطى الله الشياطين القوة والسلطة بأن تزعج البشر، حين ينجرُّ كثيرون من تلقاء تجاربها إلى الخطيئة فيخسرون نفوسهم؟ ألم يكن من الأفضل أن يحرّمها الوجود، أن يبيدها؟ ألم يكن آدم ليتجنّب بهذا الشكل السقوطَ والمأساةَ الإنسانية بعدها؟ ليس من السهل الإجابة على هذه الأسئلة. ولكننا سوف نحاول الحصول على بعض الأجوبة من آباء الكنيسة.

يشكّل الشيطان وجوداً متميزاً. الله الصالح لم يُبده بعد عصيانه، لأنه كان سيظهر بأنه ارتكب خطأً بخلقه إياه، الأمر غير اللائق بالإله الفائق الحكمة والكمال. الآن، لماذا خلقه رغم أنه كان يعرف مسبقاً بسقوطه العتيد، فهذا أمر يرجع إلى مشيئات الله الخفية. "لأنه من عرف فكر الرب؟ أو من صار مشيراً له؟" (روا ١١: ٣٤). على كل حال، يُقاربُ القديس يوحنا الدمشقي هذا الموضوع بالشكل التالي: "خلق الله الشيطان بسبب صلاحه الفائق. افتكر قائلاً: بما أنه عتيد أن يصير شريراً ويفقد كل

الصالحات التي سأعطيها إياها ، أفأحرمه أنا أيضاً الصلاح وأبطل وجوده؟ إطلاقاً. بل وعلى الرغم من أنه سيصير شريراً ، فلن أحرمه القدرة من أن يكون مشاركاً لي. سوف أمنحه أمراً واحداً صالحاً ، أي أن يكون شريكاً لي في "الوجود" (أي أن يكون موجوداً) ، بحيث ومن دون أن يريد هو أن يشارك في صلاحي الخاص بموضوع "الوجود". لأن "الوجود" يشكّل صلاحاً وعطيّة من عطايا الله".

تالياً ، فالشيطان من بعد عصيانه لم يُحرّم من وجوده ولا من كونه من عداد الكائنات العقلية. وبالنتيجة ، فهو كـشخصٍ محدد ، احتفظ بحريته الشخصية. الله ، بسبب احترامه لحريته الشخصية ، يحتمله بأن يفعل الشر ليس طبعاً بداعي ضعفٍ عند الله وإنما بسبب طول أناته. بالإضافة إلى ذلك فإن الله جعل نشاط الشيطان ينخرط في مخطط تديره لأجل خلاص الإنسان.

"لأنّ كثيرين ينالون الأكاليل بسببه" يقول القديس يوحنا الدمشقي. ويتابع كلامه فيقول: "وإذا قلت بأن كثيرين أيضاً يهلكون ، فأجيبك بأنه ، كما أن الشيطان

من دون أن يؤثر أحدٌ عليه، استطاع أن يصير شريراً،  
فكذلك الإنسان كان يمكن له من تلقاء ذاته، من دون  
أن يؤثر أحدٌ عليه، أن يصير شريراً، بحيث كانت  
خطيئته ستصبح أسوأ وأسوأ ولهذا فالشيطان، الذي  
أخطئ من تلقاء ذاته، بقي غير تائب، بينما الإنسان، الذي  
سقط في الخطيئة ليست من تلقاء ذاته وإنما بسبب هجوم  
الشيطان عليه، اقتيد إلى التوبة واستأهل التجديد وغفران  
خطاياها".

هذا المقطع الذي أوردناه استشهداً من أعمال  
القديس يوحنا الدمشقي، لاهوتي الكنيسة العقائدي  
العظيم، يكشف لنا حقائق ثلاث رئيسية تشكل بالنسبة  
إلينا في الوقت ذاته الأجوبة على الأسئلة التي طرحناها في  
البداية:

أ) سبب سقوط الإنسان كان حرية مشيئته وليس  
الشيطان. أي كان من الممكن للإنسان أن يسقط بدون  
الهجوم الشيطاني.

ب) كان ذلك حادثاً من حسن حظّه بأنه لم يسقط  
من تلقاء ذاته، بل تم استدراجه من قبَل الشيطان، إذ بهذه

الطريقة أُعطيت له القدرة على التوبة.

(ج) وجود الشيطان وعمله يشكّلان بالنتيجة أمراً مفيداً بالنسبة للإنسان.

يقول القديس كيرلس الأورشليمي بأن الله سمح للشيطان أن يعيش ويحارب البشر لسببين: أولاً لكي يُهان أكثر إذ ينتصرُ عليه من هم أدنى منه، وبعد ذلك يتمجّدُ بشكل عظيم جميع الذين انتصروا على من كان قبلاً رئيساً للملائكة وبنالون الأكاليل.

بالإضافة إلى ذلك، التجارب ضرورية حتى يتدرب الإنسان وتُختَبَر نِيَّتُهُ، بحيث تكون الفضيلةُ ثمرةً حرّيته وليس نتيجةً للضرورة. "الفضيلة من الرغبة الحرّة تصيرُ وليس بداعي الإكراه". (القديس باسيليوس الكبير).

يُحصي القديس مكسيموس المعترف خمسَ أسبابٍ يسمحُ اللهُ لأجلها بأن يحاربنا الشيطان هي:

السبب الأول: هو لكي نتعلم، بخبرة الحرب، أن نميّزَ الفضيلةَ عن الرذيلة.

السبب الثاني: لكي نحفظ الفضيلةَ ثابتة، تلك التي نقتنيها بالتعب.

السبب الثالث: حتى لا نُصابَ بالكبرياء.  
السبب الرابع: لكي نكرةَ الشرَّ بكل قلبنا.  
السبب الخامس: لكي لا ننسى حين نصل إلى  
اللاهوى، ضُعُفنا نحن وقوَّة الله التي أعانتنا.

بمعزلٍ عن الأسباب المذكورة أعلاه، والتي لأجلها  
يسمح الله بالحرب الروحية، توجد أسباب أخرى، الإنسان  
هو المسؤول عنها.

يقول القديس يوحنا السينائي: "كلُّ حرب شيطانية  
ترجع بصورة عامة إلى ثلاثة أسباب: إمَّا إلى كسلنا أو إلى  
كبريائنا أو إلى حسد الشياطين. السبب الأول يثير  
الشفقة، والثاني بالغ الشقاوة وأمَّا الثالث فمغبوط".

نستنتج مما سبق ونقول بأنَّ الشيطان، طبعاً بدون أن  
يريد، يصير عاملاً مفيداً بين يدي الله ويخدم مشيئاته  
المقدَّسة. بالتالي، فالتجارب الشيطانية تعمل دائماً تربوياً  
وشفائياً بالنسبة للإنسان، لأنها تساعد بأن يعرف ضعفه  
الشخصي، بأن يتوب، ويعرف أيضاً بالخبرة محبة الله  
وكُره الشيطان.



## كيف تحاربنا ؟

تحاربنا الأرواح الشريرة بطرق مختلفة. لديها خبرة آلاف السنين ولهذا السبب تستطيع أن تميّز موطنَ ضعفنا بسهولة بحيث يكون هجومها علينا مثمراً. يقول القديس بطرس الرسول: "لأنّ الشيطان خصمكم كأسدٍ زائرٍ يجول ملتماً من يبتلعه". (ابطه ٥: ٨). أي أنه يتتبع نفوسنا بلا توقّف وكأسدٍ متعطّشٍ للدماء يريد أن يجد الفرصة الملائمة كي يمزّقها.

على وجه العموم، تحاربنا الشياطين وفقاً لحالتنا الروحية. إنها تحارب المبتدئ في الحياة الروحية بطريقة مختلفة عن محاربتها شخصاً متمرساً. ولكن في كلّ الحالات لا تفوق هجمات الشياطين قدرة الشخص المحارب عن الاحتمال والمواجهة. يشجّعنا القديس بولس الرسول فيقول بهذا الصدد: "أمينٌ هو الله الذي لا يدعُكم تجرّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعلُ مع التجربة أيضاً المخرجَ لكي تستطيعوا أن تحتملوا" (١ كور ١٠: ١٣).

القديس اسحق السرياني يتكلم عن أربعة أنواع من

الحروب الشيطانية، يعقبُ واحداها الآخر ويتبع كلُّ واحدٍ لأحد أربع درجات الحياة الروحية التي تتضح لدى الإنسان:

أ- بالنسبة للمبتدئين، الذين يكونون متكاسلين ومتهاونين في إرادتهم، يهاجم الشيطان بحدّة منذ البداية، بحيث يجعلهم يجبنون ويستسلمون للهرب. على الأغلب الله يسمح بأن يضعفوا بسبب التجربة ولا يساعدهم، وذلك لأنهم بدؤوا جهادهم بتردد وبفتور، بما أنهم يحبّون ذواتهم وذوي رأيين. قد قيل فيما يختصّ بهؤلاء: "ملعونٌ من يعمل أعمال الرب بتهاون" (إر ٣١: ١٠). ولكن لا يحصل الشيء ذاته مع المبتدئين الذين يكونون بسطاء وعديمي الشرّ لأن نعمة الله تظلمهم فيصيرون مجتهدين وشجعاناً بمرور الوقت.

ب- بالنسبة إلى جميع الذين عبروا إلى المرتبة الثانية، لا يهاجمهم الشيطان مباشرةً، لأنه يراهم يتحلون بغيرة ويمتلكون فكراً جهادياً عالياً. ينتظر بأن تفتّر غيرتهم ويسقطوا في التهاون. حينها تحتجبُ النعمة الإلهية في النفس ويُسمحُ بفعل التجارب. السبب الأساسي لهذه التجارب هو تعليق الأفكار في الهواء، الأمر الذي يعود إلى التراخي. وكذلك حبُّ اللذة ومحبة الراحة. في هذا المستوى

يُجَرَّبُ المجاهدون بهجران الله التأديبي، بحيث يتعلمون بأن يلمسوه مثلما يلمس الطفل والدته. وحين يُقتادون بواسطة تلك التجارب إلى لوم الذات وتذبُّ الحرارة في غيرتهم، فحينئذٍ يُرسل الله لهم معيناً سماوياً، في حين أنّ الشيطان لدى رؤيته إياهم أقوياء في الحرب الروحية، يشرع في استعمال تقنية جديدة في محاربتهم.

ج- يحاول أن يبعد ملاكهم الحارس بعيداً عنهم، باذراً فيهم أفكار الكبرياء، أي يوحى لهم بفكرة أنهم بقوتهم الخاصة ينتصرون على العدو، أو يحاول أن يضلّهم عن طريق أحلام ورؤى كاذبة. ولكنهم إذا مكثوا شجعاناً متعلّقين، محافظين على ذكر الله، فلن يصيبهم الضلال. وحينها يضع العدو خطته الأخيرة موضع التنفيذ.

د- يبثُّ التشويش في ذهن المجاهدين بواسطة خيالات الأمور الحسية والمعاني الأهوائية التي تتجمّع عنها، وذلك في سبيل أن يجرّهم إلى الوقوع في الخطيئة بالفكر. لأنّ الشرير يعرف جيداً بأنّ النصر في الحرب الروحية أو الهزيمة يعتمد على الفكر. بطريقة الحرب هذه يتم اختبار تكريس المجاهدين أنفسهم لله، أي إذا كانوا لأجل

محبته يتجاهلون الخيالات ، يطرحون اللذات الجسدية  
ويحفظون فكرهم بتواضع. جميع الذين يصيرون  
مجاهدين مزيفين، تغادرهم النعمة الإلهية كممثل القمامة  
فيسقطون بين يدي العدو، بحيث تذهب جهاداتهم السابقة  
وتضيع هباءً منثوراً.

هذه هي التقنيات والإستراتيجية التي تصير فيها  
حربُ العدو، بحسب ما يصفها لنا القديس اسحق  
السرياني. ولكن ما هي الوسائل الخاصة التي تستعملها  
الشياطين في حربها ضدنا في المراحل الأربعة المذكورة  
آنفاً؟ بأيّة طرقٍ تحاربنا؟

١- تحاربنا بالأفكار. هذه هي الطريقة الأكثر  
شيوعاً للحرب الشيطانية. يشير كتاب أقوال الآباء الشيوخ  
إلى أنّ الأفكار هي "بذار الشياطين". طبعاً حين نتكلم  
عن أفكار فإنما نقصد الأفكار الأهوائية، أي تلك التي  
تعطي في ذهننا معنىً لشيءٍ ماديٍّ أو لشخصٍ ما بشكلٍ  
أهوائي. لأنه يوجد أفكار إنسانية بسيطة، كما وتوجد  
أفكار ملائكية بسيطة أيضاً. تالياً إذ تبتذرُ الشياطينُ  
الأفكار الأهوائية فهي تحاول أن تسبي ذهننا لأنه "إذا لم

يغمض ذهننا عينيه فلن يُسرق الكنز" (حسبما يقول القديس يوحنا السينائي). يقول القديس كاسيانوس "ليس من الممكن للأرواح النجسة أن تدخل في الإنسان إلا من بعد أن تتسلط على ذهنه في البداية. وبعد ذلك تقوم بتعريفه من غطاء الذهن الوقائي، الذي هو خوف الله وذكره، وعندها تقوم بمهاجمته، فتجده عادم السلاح ومحروماً من المعونة الإلهية. وهكذا تنتصر عليه بسهولة وتسكن داخله كأنه مقتناها الخاص". الأفكار مثل اللصوص، إذ تسبي في البداية الذهن، حارس النفس، وتقوم بسلب الكنوز الروحية. يقدم القديس نيلس سورسكي مثلاً عن كيفية حدوث هذا فيقول: "إن فكر المجد الباطل على سبيل المثال، كخائنٍ شرير يقوم بتسليم مدينة جميلة، يفتح أبواب النفس لسائر الشياطين. وبالفعل، فلتفكر بسرور في داخلك بأن فضائلك هي ثمار لأتعايبك وقواك الخاصة وسترى بأية سرعة سوف يهجم الشرُّ ويهيج داخل نفسك".

٢- تحاربنا بالأهواء التي توجد داخلنا مشوشة أقسام النفس الثلاثة. يقول القديس مكسيموس المعترف: "تقوم الشياطين إمّا بيبث الحرارة في القسم الشهواني للنفس أو

تلقى الاضطراب في القسم الغضبي أو تشوش القسم العقلي". ويتابع حديثه فيقول: "من الأهواء، الموجودة داخل النفس، تأخذ الشياطين الحجج وتُحرِّك الأفكار الأهوائية داخلنا. وتحاربُ الذهنَ بها وتحاول إجباره على الاستسلام للخطيئة. وعندما يُغلب الذهن، تقاده إلى الخطيئة بالفكر، وحين تتم هذه بدورها تقوده مسبيًا إلى الخطيئة بالعمل".

٣- تحاربنا بالحواس الجسدية، وخاصة عبر النظر. المسيح ذاته إذ يريد أن يحمينا من النظر بفسق يقول: "كل من نظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥: ٢٨). يصف القديس نيقوديموس الأثوسي الحواس بأنها "مداخل الخطيئة" و"نوافذ يدخل منها الموت إلى نفسنا". يحصل هذا الأمر حين نتركها بدون مراقبة "تتذوق اللذات المميته والمؤذية للنفس". يشرح لنا القديس يوحنا السلمي فيقول: "من الحواس تولد الأفكار الشريرة أحياناً كثيرة من منظرٍ جميل، من مقارنة يدٍ، من رائحة طيبٍ أو من سماع نغمٍ جميل تتخذُ الأفكار حجّةً (أفكارُ الزنى) للدخول إلى القلب". ولكن من الممكن أن يحصل

العكس: "من أفكار الزنى يمكن أن يستعر الجسد باتجاه الهوى". وهكذا يحدث أن أهواءً معينة تتطلق منّا نحن ويتم التعبير عنها في الجسد، في حين توجد أهواء أخرى تتطلق من الحواس الجسديّة وتثير اللذة وبالنتيجة تسبب اللذة ذهنيّاً.

٤- إن كانت الشياطين تحاربنا بالأفكار، بالأهواء والحواس، فهي تحاربنا أكثر بالمخيّلة. المخيّلة أكثر رهافة من الحواس وأكثر كثافة من الذهن، ولهذا السبب توجد بين الاثنين. إنها ظاهرة جاءت بعد السقوط، فآدم لم يكن يمتلك مخيّلة قبل سقوطه. لا يمتلك الله ولا الملائكة مخيّلة، بل فقط البشر والشياطين. ولهذا السبب فالمخيّلة بمثابة معلم ماهر للعمل الشيطاني.

٥- هي أيضاً تحاربنا عن طريق أخوتنا البشر. أي أنها تستعمل أناساً آخرين كأدوات لها، يُلقون بنا في مصائب أو في الخطيئة. يقول القديس مكسيموس المعتبر بأنه كما كان الشيطان يحاول مضايقة المسيح بواسطة الفريسيين، كذلك يحاربنا باستمرار مقيماً ضدنا أشخاصاً آخرين، وعلى الأخص هؤلاء الذين لا يخافون

الرب، يعلمُ القديس يوحنا كارباتيوس بهذا الخصوص فيقول: "كما أن الرب يريد أن يخلص الإنسان بواسطة الإنسان، كذلك يسعى الشيطان بأن يقوم إنسان بالعمل على إلقاء إنسان آخر في الهلاك. ولهذا السبب فالشخص الذي يرافقه رجلاً شريراً عادماً الانتباه سوف يكون جاهزاً للهزيمة، كما لو كان يرافقه رجلاً أبرص".

٦- للشياطين المقدرة أن تتسبب بأذيتنا من خلال ما يسميه الشعب "ضربة العين" أو "العين الشريرة". في هذه الحالة، إذ تعتمد على شر الناس، الذين يحسدوننا على بعض خيراتنا (صحة، جمال، غنى، مراتب عالية، حياة عائلية سعيدة... إلخ). إذا لم نشارك في أسرار كنيستنا المقدسة، تستطيع الشياطين أن تحرمنا هذه الخيرات عن طريق العين الشريرة، التي يتسبب بها هؤلاء الناس الحاسدون. قد دُبجت الكنيسة في كتاب الأفخولوجي الكبير صلاة خاصة من أجل "العين الشريرة"، يقوم الكهنة بقراءتها على الذين أصابتهم عين شريرة، متضرعين إلى الله كي ينقذهم "من كل فعل شيطاني، من كل خاصية شيطانية... ومن ضرر وضربة عين فاعلي



الشّر والناس الأشرار". أجاب الشيخ باييسوس المغبوط  
الدّكر مرّةً على سؤال بهذا الصدد فقال:

"الناس الذين لديهم غيرة وشرّ - قلة هم الأشخاص  
الذين من هذه النوعية - هم من يصيب بالعين الشريرة. على  
سبيل المثال، ترى امرأة ما صبيّاً سعيداً مع أمه فتقول بنيةً  
شريرة: "لماذا لم أمتلك أنا هذا الصبي؟" لماذا منحهُ اللهُ  
لهذه المرأة؟". عندها من الممكن أن يتضربَ الصبيُّ، أن لا  
يقدر أن ينام، أن يبكي، أن يتألّم، وذلك لأن تلك المرأة  
تقوهت بذاك الكلام عن شرِّ. وإذا مرض الصبي ومات  
فحينئذٍ تشعر تلك المرأة بفرح داخلها. شخص آخر أيضاً  
ربما يرى عِجلاً صغيراً، فيتلهف للحصول عليه، وللحال  
يموت ذاك العجل".

٧- هناك أسلوب آخر للحرب الشيطانية أيضاً وهو  
عِبْر الأمراض والضيقات الجسديّة بصورة عامة. يتسبّب  
الشيطان لنا بأمراض، ويحاول أن يجعلنا نفقد صبرنا  
ويجعلنا نتذمّر على الله. وأمّا أنّ الشيطان يتسبب لنا  
بكثير من الأمراض، بسمح من الله طبعاً، فهذا نراه في  
شفاء المرأة التي عانت من نزف دمٍ حسبما يروي لنا

الإنجيل. عندما يقول المسيح بأن تلك المرأة "كان الشيطان قد قيدها منذ ثمانية عشر عاماً" (لوقا: ١٦: ١٦)، فهذا يُظهر لنا بأن داءها كان بسبب فعل شيطاني. كانت علة مرض القديس بولس الرسول أيضاً تعود لهذا السبب ذاته حسبما يعترف الرسول بولس نفسه: "أُعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليضايقني" (٢كو ١٢: ٧).

القديسة سينكليتيكي، التي عانت لسنين طويلة من أمراض مؤلمة، تقول بخصوص موضوعنا هذا: "يتسبب الشيطان بأمراض ثقيلة ومؤلمة، مريداً أن يشوّش محبة الله لدى الأشخاص الذين يتألمون. وهو يجعل الجسد أيضاً يتقطع بسبب حمى شديدة ويتعذب بسبب العطش الشديد".

٨- هناك أيضاً أسلوب آخر لحرب الشيطان ألا وهو

الترهيب. يحاول الشيطان إخافتنا بضجيج خارجي، بالطرق على شيء ما أو بإصدار أصوات، بحيث يجعلنا نتراجع عن أي عمل روحي - وعلى الأخص عن الصلاة - ويريد بهذه الطريقة أن يُلقينا في الضلال. أصوات الضجيج تلك لا تنتج عن أسباب طبيعية معتادة ولهذا السبب تُسبب الخوف لدى سامعها. يقول القديس نيلس الناسك بأن

"الشخص الذي يجتهد في مزاوله الصلاة النقية غير المشوّشة، سوف يسمع ضجيجاً وطرقاً وأصوات وسيتكبّد بعض التعذيبات الجسدية من الشياطين".  
بالنسبة للأشخاص المتقدمين في الحياة الروحية، تظهر الشياطين شخصياً بأشكال مختلفة في كل مرة. القديس أنطونيوس الكبير، المجاهد الخبير ضد الشياطين يخبرنا بأنها تظهر بشكلٍ وحوشٍ متعطّشة للدماء، بهيئة زواحف سامة، بهيئة تنانين مخيفة، بهيئة عمالقة وحشدٍ من الجنود.

## الفنون

الشیطان ليس عدواً خطيراً جداً في الحرب الظاهرة والهجمات المواجهة مباشرة. ولكنه في حربه الخفية يهلك نفوساً كثيرة. إنه مبتكرٌ جداً في الفنون وخبيرٌ جداً في نصب الأشرار. ولهذا السبب قد منحوه اسمي شرير ومُضِلّ.

يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "قد اخترع الشيطان الخبيث آلاف الصناعات المميتة، التي تكون عادةً مخبأة تحت شكلٍ خيرٍ وهو بواسطتها يهيئ النهاية

الشقية للبشر، تماماً مثلما تجلب صنارة واحدة في الماء الموت لسمكة".

شاهد القديس أنطونيوس الكبير جميع فخاخ العدو مبسوطة في كل الأرض، ومنصوبةً بشكل مُتقَن بحيث تحيّر القديس إذا كانت هناك طريقة يستطيع المرء بواسطتها أن ينجو منها بدون أن يسقط في أحدها.

أيضاً، القديس مكاريوس المصري رأى الشيطان بهيئة إنسان يلبس رداءً مثقوباً، وكان هناك وعاءٌ صغير في كل ثقب فيه. كان كل وعاءٍ يحتوي على نوعٍ معين من التجارب، يقدمه الشيطان للرهبان، على رجاء أن الراهب سيقبل بأحد هذه الأنواع. ولهذا السبب ينصح القديسُ مكاريوسُ قائلاً: "ينبغي علينا أن نفحص بحدّةٍ كبيرة فنون العدو وأضاليه ومخططاته الرديئة. إذ حسبما يقول الروح القدس بضم بولس بأنه صار كلاً لكلٍ ليربح الكلّ، كذلك الشرُّ يهتم بأن يصير الكلّ بحيث يقود الجميع إلى الهلاك".

تصف لنا القديسة سنكليتيكي بعضاً من أحابيل الشيطان فتقول: "حين لا يستطيع الشيطان أن يسبب النفس

بواسطة الفقر، يقدم لها الغنى كنوعٍ من التضليل. إذا لم يقدر أن يضلّها بواسطة الغضب والإهانات، يستجلب لها المدائح والمجد. حين تغلبه وهي معافاة يجلب لها مرض الجسد. وحين، على وجه العموم، لا يقدر أن يضلّلنا بواسطة اللذات، يحاول أن يتدبّر أمرنا بواسطة الضيقات الكرهية.

بما أن بولس الرسول كان يعرف جيداً مخططات الشيطان الشريرة وحبائله، كان يقول: "فإننا لسنا نجعل أفكاره" (٢كو٢: ١١). ولهذا السبب كان يحثّ المسيحيين قائلاً: "البسوا سلاح الله الكامل لتقدروا أن تثبتوا ضدّ مكائد إبليس" (أف٦: ١١). أي كان يقول البسوا السلاح الروحي الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا فنون الشيطان الكليّة الشرّ. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في شرحه لهذه الآية: "لم يقل بولس الرسول لكي تقاوموا المعارك ولا الحروب، بل مكائد. لأنّ العدو لا يحاربنا علانيةً بل خفيةً. لا يظهر مباشرة ما يريد أن يعمل، حتى لا يظهر علانيةً، بل يتخذ شكلاً آخر، يتصرف بضايية، كعدوٍ ماكر جداً يحفر تحت أسوار مدينةٍ في الخفية في سبيل أن

يحتلها".

استعمل الشيطان أكبر مكائده وأولها في خداع حواء في الفردوس. ففي البداية اتَّخَذَ هيئةَ الحيَّة، التي كانت "أكثر حكمة من سائر البهائم". بعد ذلك استدرج حواءَ إلى حوار، وبحيلته استطاع أن يجعلها تشكُّ بالرب الإله وحقيقة وصيِّته. وفي النهاية أوقد لديها الرغبة في الثمرة المحرَّمة وأقنعها بأن تتذوَّقها، ففصلها عن الله تحت شكل الموت (تك ٣: ١-٦).

هذه الحيلة التي استعملها الشيطان لكي يُخْرِجَ الجديين الأولين من الفردوس، لا يزال يستعملها حتى أيامنا هذه، لكي يبقينا بعيداً عن الله. إنه يهمس لنا بافتراءً بأنَّ وصايا الله ثقيلة ولا يمكن تطبيقها، بأنها ليست ملائمة لنا ولعصرنا. طبعاً في سبيل أن يضحك علينا يُظهر لنا هذا الفكر على أنه فكرنا نحن النابع من عقلنا وليس كنتيجة لهجومه هو علينا. وفي الوقت ذاته يوقظ فينا شهوات اللذات ويضبط نفسنا في شبكات الخطيئة والموت الروحي.

تتنوع مكائد الشيطان وفقاً للسنِّ، الموقع

الاجتماعي، الرتبة، الحالة الروحية، وبشكلٍ عام تتنوع وفقاً لطريقة حياتنا. أي أن الشرير يُحارب الشاب بطريقةٍ مختلفة عن المسنّ، يُحارب الإكليركيّ بطريقةٍ تختلف عن العلماني، ويُحارب المتزوج بأسلوبٍ يختلف عن الراهب، ويُحارب المبتدئ في الحياة الروحية بشكلٍ يختلف عن المتقدم في الحياة الروحية.

فيما يلي من حديث سوف نلقي الضوء على بعض هذه المكائد حسبما يصفها القديسُ يوحنا السينائي في كتاب "السلم إلى الله"، فإنّ هناك حقيقةً تقول بأنّ كشف مكيدة معينة يجعل قوتها وفعاليتها تبطل. حين ينال المبتدئ في الجهاد الروحي معلومات من شخصٍ خبير في الحرب الروحية بشأن الفخاخ المنصوبة أمامه، يكون من السهل عليه أن يحترس. يقول لنا القديس يوحنا السلمي:

• إحدى الحبائل الأساسية، التي تستعملها الشياطين دوماً، حين ترانا نتطلق في عملٍ روحي هي الحيلة التالية: تحضر أمامنا خفيةً ثلاث حفرٍ تكافح في إسقاطنا فيها الواحدة تلو الأخرى. في البداية تُحاول أن تجعلنا نمتنع عن

المباشرة بالعمل (الحفرة الأولى). ولكن إذا لم تتمكن من هذا تشقى في سبيل أن تجعلنا نقوم بها بشكل لا يتوافق مع مشيئة الله (الحفرة الثانية). وفي النهاية إذا فشلت في الخطوة السابقة، تقرب منّا بدون ضجة وتأخذ في تقريظنا قائلة إننا نتصرف في كل شيء وفقاً لمشيئة الله. وهذا لكي تلقى بنا في الكبرياء (الحفرة الثالثة).

• تبتكر كثيراً من الحيل كي تجعل جهادنا الروحيّ زغلاً عبر وسائل متعددة. توجد على سبيل المثال حالات، حين لا تستطيع أن تلقينا في الخطيئة، تدفعنا فيها لكي ندين أولئك الذين سقطوا في الخطيئة، بحيث عبر إدانتنا للآخرين تلوث مقاومتنا للخطيئة.

• أيضاً، حين تحصل لنا ضيقات وتجارب، تدفعنا لنقول أو نقوم بعملٍ ما لا طائل منه. إذا فشلت في ذلك، تدنو إلينا خفيةً وتدفعنا كي نقدم لله شكراً مفعماً بالكبرياء.

• الحيلة التالية تحتاج انتباهاً كبيراً منّا: قبل أن نسقط في الخطيئة، تهمس لنا الشياطين قائلة بأن الله محب للبشر وسوف يغفر لنا بكل تأكيد. ولكن بعد



السقوط في الخطيئة تُظهره لنا على أنه قاضٍ عادل، قاسٍ  
وشديد. انتبهوا لمكرها: في البداية تصرفت هكذا لكي  
تلقى بنا في الخطيئة. ولكن بعد الوقوع في الخطيئة  
تصرفت بشكل آخر مختلف تماماً وذلك كي تلقي بنا في  
اليأس.

• في حالات أخرى، حين تتمكن من الزجُّ بنا في  
خطايا ما، تجاهد كي تُقنعنا بعدم ممارسة سرِّ التوبة  
والاعتراف أمام الأب الروحي. وهذا الشيء إن حصل  
يكون نجاحاً مميزاً بالنسبة إليها، إذ ليس من شيء يبعثُ  
السعادة في الشياطين بقدر إخفائنا الخطايا في قلوبنا. وإذا  
بالرغم من ذلك ذهبنا للاعتراف بخطايانا تجعلنا نعتز  
خطايانا وكأنَّ شخصاً آخر اقتترفها أو تلقى اللوم  
والمسؤولية على شخص آخر.

• تقنية خطيرة جداً هي الإيقاف المؤقت للحرب  
العقلية. لبعض الوقت تقوم الشياطين بالتوقف عن  
مهاجمتنا بحيث لا نهتمُّ نحن ونسقط في الكسل.  
وبالنتيجة يصير وعيُنا غليظاً وقاسياً، بحيث نصل إلى  
درجة نعتبر فيها أهواءً كبيرة جداً على أنها لا شيء. أي

نصل إلى درجة مخيفة من عدم الحسّ، وهو مرض روحي لا شفاء له.

• أحياناً، تختبئ الشياطين لكي تهاجمنا على حين غرة وثمّسك بنا. على سبيل المثال توجد أطعمة حين يأكلها المرء تظهر أعراضها في الجسم في اليوم التالي أو بعد وقتٍ معين، الأمر ذاته أيضاً يحصل مرات كثيرة مع الأسباب التي تلوث النفس. يأكل أحدهم، على سبيل المثال، متلذّذاً حتى الشبع، ولا يشعر بأعراض حرب. يختلط بالنساء بارتياح، ولا يكون لديه في تلك الساعة أيّة أفكار شريرة. وبالنتيجة يتشجع ويصير انتباهه رخواً، بحيث تهاجمه الشياطين بغتةً فيقع في مصيبة كبيرة.

• إحدى وسائلها الأخرى أيضاً، ألاّ تتخفّى فقط بل وتخلق عندنا حالات روحية كاذبة. على سبيل المثال، نشبع من أطعمة طيبة متنوعة، تجعلنا نحس بنوع من البهاء، الخشوع، الذهن النقي في الصلاة. على العكس، حين نصوم تتسبب لنا بالنعاس، عدم الخشوع والقسوة. هدفها هو أن يتكوّن داخلنا الانطباع الأكيد بأننا نستطيع أن نتمتع بالخيرات المادية بشغف ونحيا في الوقت ذاته حياة

روحية صارمة، بخشوع ودموع. ولكن هذه الدموع، أو أية حالة روحية "جيدة" أخرى مماثلة هي حالات كاذبة.

• يلجأ شيطان المجد الباطل إلى الحيلة التالية التي لا تُصدّق: يزرع أفكاراً لدى أحد الإخوة ويبثها في أخٍ آخر في الوقت ذاته. ثم يعمد إلى جعل الأخ الثاني يكشف للأول خفايا قلبه، بحيث يغبّطه الأخير على أنه يرى الخفايا.

• بالنسبة للناس المحبّين للمجد الباطل، الذين يكونون مثقفين بالعلوم الدنيوية عادة، تطبّق الحيلة التالية: حالما يبدؤون قراءة الكتاب المقدّس، يكشف لهم تفسيرها على الفور. وهكذا شيئاً فشيئاً يضحك عليهم ويلقي بهم في التجديف والهرطقة. هذا اللاهوت الشيطاني، أو فلنسمّه الثرثرة، يمكن لهم أن يفهموه من خلال الاضطراب والسرور غير المنتظم الذي يشعرون به في ساعة تفسير المقاطع الكتابية.

• خطيرة أيضاً تلك الفخاخ التي تنصبها الشياطين من "اليمين". مرات كثيرة، تعيقنا الشياطين عن أكثر الأعمال خفةً وسهولة وتدفعنا كي نقوم بالأعمال المتعبة. وهكذا تحثنا على تسليم أنفسنا لجهادات روحية تفوق

قياسنا ، بحيث بعدما نتعب نفسياً ونبددُ قوانا ، لا يكون لدينا الرغبة بعد ذلك ولا حتى بالنسبة للجهدات البسيطة التي نستطيع القيام بها بكل سهولة.

• كذلك جديرة بالاهتمام تلك الحبائل المتنوعة التي تستعملها الأرواح الشريرة في وقت الصلاة. على سبيل المثال ، حين يُدقُّ الجرس كي نذهب إلى الكنيسة ، يأتي بعض الشياطين إلى الفراش وبينما نحن في طريقنا للنهوض نُقنعنا بأن نبقى في الفراش قليلاً. بعضها ، حين نقف في الصلاة ، تتسبب لنا بالتشاؤب أو تُفِرِّقنا في النوم. بعضها يتسبب لنا باضطرابٍ مزعج غير متوقَّع في البطن كي تُخرجنا من الكنيسة. بعضها تتسبب لنا بالتعب بحيث لا نقدر على الوقوف على أقدامنا. بعضها يحثُّنا أن نفتح أحاديثَ داخل الكنيسة وبعضها الآخر يدفعنا لنضحك. بعضها يدفعنا للترتيل ببطء كحيلةٍ من حيلِ حبِّ اللذة.

• إذا لم نسقط في إحدى الحبائل تلك ، تأتي مباشرة بعد الصلاة فتهاجمنا بخيالات غير لائقة لكي تختطف منا الثمار الروحية ، تلك التي جمعناها بتعبٍ منذ قليل.

هذه بعض المكائد الشيطانية الكثيرة التي تكلم

عنها الآباء القديسون في كتاباتهم من أجل منفعتنا  
الروحية.

## أحلام - رؤى

الفخ الشيطاني الأكثر خطورة، الذي أهلك نفوساً  
كثيرة، هو الأحلام والرؤى. يظهر الشيطان إمّا حسيّاً  
أمامنا أو في رؤى أو في أحلامنا ويتّخذُ شكل ملاكٍ أو  
قديسٍ أو شكل المسيح ذاته أو يظهرُ كنورٍ وذلك من أجل  
أن يُضلّنا.

يحدّرنا القديس بولس الرسول قائلاً "لأنّ الشيطان  
يحوّل شكله إلى ملاك نور" (٢كو ١١: ١٤). يقول القديس  
كيرللس الأورشليمي في تفسيره لهذه الآية: "يغيّر الشيطانُ  
هيئته متّخذاً شكل ملاك نور، ليس كي يعود إلى حالته  
الأولى بل لكي يُغري جميع الذين يحيون حياة ملائكية في  
ظلام الضلالة الروحي فلننتبه إذاً بأن لا يُضحك علينا  
ونعتبر الشيطان ملاكاً صالحاً، ذلك الذي يسكب  
الهلاك ويجول كأسدٍ ملتمساً أن يلتهمنا". تعرف الخبرة  
النسكية حالات كثيرة لضلالات شيطانية من هذا  
القبيل.

الشياطين، حسبما يكشف لنا القديس أنطونيوس الكبير، "تتظاهر بأنها ترتل تسابيح ولو لم تكن بادية للعيان، تروي مقاطع من الكتاب المقدس أو تكرر القراءات التي نطالعها نحن. حين ننام تقوم بإيقاظنا للصلاة وتقوم بهذا بشكل مستمر حتى لا تتركنا ننام أبداً. تشير علينا بأن نصوم بشكل يفوق الحد الطبيعي لكي نصاب بالمرض. تظهر بشكل رهبان وتتظاهر بأنها تتكلم بتقوى".

يقول القديس مكاريوس المصري متابعاً الخبرة السابقة: "إبليس، بالنسبة لأولئك الذين يصلون، يتظاهر بأنه يصلي معهم، بغرض أن يضلهم بعذر الصلاة ويتسبب لهم بالعجرفة. بالنسبة لأولئك الذين يصومون، يتظاهر بأنه يصوم معهم مريداً أن يستدرجهم إلى كبرياء الصوم. بالنسبة لأولئك الذين يمتلكون معرفة الكتاب المقدس يقوم بالشيء ذاته راغباً أن يُخرجهم، بغطاء المعرفة، عن الطريق القويم. بالنسبة لأولئك الذين استأهلوا أن يعتن لهم نور إلهي، يتصرف على المنوال ذاته أي يغيّر شكله إلى هيئة ملاك نور لكي يلقبهم في الضلالة، مُظهراً لهم نوره

الشخصي الكاذب مريداً اجتذابهم إليه. وعلى وجه العموم، يظهر الشيطان بأشكالٍ مختلفة لكل واحدٍ، متّخذاً الشكل المناسب بحيث عن طرق التشابه يجعل كلَّ واحدٍ العوبة بيده ويقوده إلى الهلاك بحجةٍ حسنةٍ ظاهرياً.

توجد بكل تأكيد رؤى من الله، والشيطان يتّخذ هيئةً مشابهة لكي يجرّ الحسني العباداة إلى الضلال. ولكن كيف نقدر أن نفرّق بين الرؤى التي من الله وتلك الرؤى الشيطانية؟ كيف نميّز الملائكة الحقيقيين عن الكاذبين، أو نورَ الله عن النور الذي تظهره الشياطين؟ هذا التمييز صعب جداً حتى أنّ رهباناً متقدّمين في الحياة الروحية قد سقطوا ضحيةً للخداع الشيطاني، حين كانوا يرون على سبيل المثال ملاكاً نورانياً يصليّ معهم، يضرب سجّادات، يتكلم عن الله، واعتقدوا بأنه ليس من الممكن أن يكون شيطاناً. ولكنه كان شيطاناً بالحقيقة.

يملك مقاييس لا تخطئ أبداً هؤلاء الذين فقط، بنعمة الله وبعد ذلك بجهاداتٍ روحية قاسية، استطاعوا أن يقتتوا فضيلة التمييز النادرة العظيمة. هؤلاء يستطيعون أن

يميّزوا أصلَ الرؤيا أو الحلم من خلال الفعل الذي تولّده في النفس.

يقول القديس غريغوريوس السينائي بأنه حين تظللُ النعمةُ الإلهية النفسَ، تجلب لها الوداعة، المحبة، التواضع وإخضاع الأهواء. بالمقابل تملأ الشياطينُ النفسَ بالكبرياء، الغرور، ويختتم القديس يوحنا قوله: "بالتالي من الفعل تستطيع أن تتعلم إذا كان النور الذي أثار نفسك هو نور من الله أو من الشيطان. يشبه الخسّ الإفرنجي في مظهره الهندباء البرية، والخلّ مشابه في شكله للنبيد، ولكنّ الحلق يفهم ويميّز الفرق بينها من الطعم. هكذا النفس أيضاً، إذا كانت تمتلك التمييز، تفرّق بحاستها العقلية مواهبَ الروح القدس عن تخيلاتِ الشيطان".

أما فيما يختصّ بالنور، على وجه الخصوص، فوفقاً للتعليم الأبائي، حين يأتي من الله يكون أبيض، لا يمتلك شكلاً ويجلبُ السلامَ إلى النفس، في حين أنه حين يأتي من الشيطان فهو ملوّن، يمتلك شكلاً ويسبّبُ الاضطراب. ولكن بشكلٍ عام ينصحُ الآباء القديسون من أجل منفعتنا، بأننا إذا شاهدنا حلمًا أو رؤيا ما، بأن لا نحاول



من تلقاء أنفسنا أن نستفحص ما هو مصدرها، بل أن نلجأ إلى أبينا الروحي أو إلى شيوخ روحيين آخرين يتحلّون بالتمييز أو بأن نرفضها مباشرة معتبرين أنفسنا غير مستحقين لمعاينة وشرف كهذا. إذا لم نتصرف بهذا الشكل، بل قبلنا الحلم أو الرؤيا بسهولة على أنه كشف إلهي، فحينها بكل تأكيد سوف يسببنا هوى الكبرياء. ومن المعلوم، طبعاً، بأن الشيطان يُضِلُّ الإنسان دوماً بواسطة الكبرياء. وهو في نفوس هؤلاء القوم يكتسب حقوقاً كثيرة لأجل هذا، حسبما يقول القديس يوحنا السينائي: "يظهر لهم حين يكونون نياماً أو مستيقظين على هيئة ملاكٍ أو شهيد، ويعطيهم مواهب روحية أو يكشف لهم أسراراً عديدة، بهدف أن يُضللهم بحيث يخسرون حتى عقلهم".

أمّا كم هي كبيرة هذه الضلالة فهذا يظهر من أن البشر في العادة يحاولون أن يبرروا إيمانهم عبر أحلامهم أو رؤاهم، مقارنين أنفسهم بالأنبياء، بالرسل وغيرهم من القديسين، الذين قبلوا إعلانات من الله. موقف من هذا النوع يشكّل بالتأكيد، بوضوح شديد دليلاً على

## الكبرياء.

يقول القديس يوحنا السينائي الذي يتفوه بالتعليم الآبائي: "تظهرُ الشياطين في نومنا على أنها أنبياء، هي تظهر للذين يصدقونها كأنبياء حقيقيين. أمّا للذين يتجاهلونها فهي أنبياء كذبة دوماً. إذ بما أنها كائنات روحية، فهي ترى كل ما يحصل في الهواء. وحالما ترى أحداً ما يموت تركض مسرعة إلى هؤلاء الذين يكونون قليلي العقل وتعلنه لهم مسبقاً في الأحلام، إذا بدأنا نقبلُ الشياطين في نومنا، فحينئذٍ حتى ونحن مستيقظين سوف نكون ألعوبةً بيدها. الذي يصدق الأحلام هو أحمق بالكلية، أما الذي لا يصدقها فهو حكيم، ذاك الذي يصدق الحلم يشبه من يصطاد ظلّه ويحاول أن يمسكه".

يحاول القديس ذيادوخوس أسقف فوتيق أن يحمينا من ضلالة الشيطان الخطيرة هذه، فيبلغ إلى مرحلة يقول فيها بأننا ولو صرنا أهلاً لإعلان إلهي، فمن الأفضل أن لا نقبل ذلك الإعلان. والله لن يقف عند حدّ عدم الغضب منّا بسبب موقفنا السلبي بل وسيمتدحنا بالحريّ على حرصنا وتعقلنا بسبب مخافتنا من الوقوع في الضلال. يقول القديس

ذياذوخوس: "نحن نتابع عيشتنا في حياتنا بإيمان وليس بالعيان، بحسب ما يقول القديس بولس الرسول. فإذا ظهر نورٌ مجهولٌ لأحد المجاهدين أو شكلٌ نوراني ما فلا يقبلن هذه الرؤيا. حالات مشابهة هي الأعيب ظاهرة للشرير. كثيرون قبلوها بسبب الجهل وخرجوا عن طريق الحق. وأما نحن فنعرف بأنه ما دمنا في جسدنا الفاسد، فنحن بعيدين عن الله، أي ليس من الممكن أن نرى بأعيننا الله ولا أيّاً من عجائبه".

بالاستنتاج مما سبق نعرض هنا نصيحة القديس إغناطيوس بريانشانينوف المميزة: "لا نعيّن انتباهنا للرؤى ولا نشرعن بعلاقات أو أحاديث معها، معتبرين بأنه ليس من المناسب لنفسنا أن تتشغل مع أرواح شيطانية معادية وبأنها غير مستحقة للتحدث مع أرواح ملائكية مقدّسة".

## هرطقات - ضلالات

يستعمل الشيطان بمهارة كبيرة فخّين توأمين: الكبرياء والكذب. بالكبرياء يُظلم ذهن الإنسان وبعد ذلك يجرّه بسهولة إلى الكذب، الشيء الذي من أسوأ تعابيره الهرطقة والضلال. في البداية، طبعاً، يستعمل فتات

الحقائق، ولكن شيئاً فشيئاً، يصل إلى مرحلة يُظهرُ فيها الكذبَ على أنه حقيقة. لأنَّ الكذب يتشابه مرات كثيرة مع الحقيقة، ولئن كان مختلفاً عنها كلياً، كما هو الحال على سبيل المثال في اختلاف الليرة المزيفة عن الحقيقية أو الجوهرة المزيفة عن الحقيقية.

الهرطقة والمعلمون الكذبة جميعاً يسقطون في الضلالة بعدما يكونون مسبقاً سقطوا في فخ ترفُّع أساسي. يستندون في كلامهم عن الله على خيالهم ومنطقهم الخاص، بنتيجة أن يعلموا "لاهوتاً" شيطانياً سفسطائياً. هؤلاء، طبعاً، يُظهرون في سلوكهم بأنهم أتقياء جداً ويستجلبون التكريم والاحترام من الآخرين، لأنَّ الشيطان، بما أنه شرير، لا يدفعهم إلى اقتراف الشرور خارجياً. إنه يحاول عبر خدامه أصحاب التقوى الخارجية أن يخلق هرطقات ويعلم التعاليم الضالة، بحيث ينقاد حشدٌ من البشر بعيداً عن المسيح وكنيسته المقدسة.

بما أنَّ الشيطان كاذبٌ وأبو الكذب (يو: ٨: ٤٤)

فجميع الهرطقة الذين يقودون غيرهم من الناس إلى الضلال، حتى ولو لم يقبلوا بهذا، هم "أبناء الشيطان"

(١يو٢: ١٠). يتوجّه إليهم الربُّ بكلامه عبر الزمن حين يقول: "أنتم أبناء أبيكم الشيطان، ومشية أبيكم تريدون أن تعملوا" (يو٨: ٤٤).

هؤلاء هم "المسحاء الدجالون والأنبياء الكذبة" حسبما قال المسيح مسبقاً بأنهم يتحركون بيننا "بثياب الحملان ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة" (مت٢٤: ٢٤، ١٥: ٧). هؤلاء هم "الأخوة الكذبة" و "الرسل الكذبة، فعلةٌ مراؤون، يغيرون شكلهم إلى شكلِ رُسُلِ المسيح" (٢كور١١: ٢٦، ١٣)، الذين كان بولس الرسول يبكي على هلاكهم (فيل٣: ١٨-١٩).

## السَّحْرُ - العبادة الشيطانية

الشكل الأكثر ثقلًا للارتداد عن الله والخضوع الطوعي لمشيئة الشيطان هو السَّحْرُ مع سائر ملحقاته، إنه جرح اجتماعي مدمر، "دين" شيطاني بأشكال متعددة وأسماء متعددة، قد قاد آلافاً من ضحاياه إلى هلاك جسدي ونفسي.

منذ العصور القديمة وحتى اليوم، إبليس "الذي يُضِلُّ المسكونة كلها". يحاول أن يظهر لنا على أنه إله في موقع

الإله الحقيقي. إنه يمتلك أتباعاً في كل عصرٍ، وهم إمّا بداعي الحاجة أو الخوف، يعترفون به محامياً عنهم وينفذون مشيئاته بكل استعداد. ومن بين هؤلاء قد اختار الشيطان "كهنته" الذين يعبدونه بخدم سرية دموية، مقدمين له أشياءً ابتداءً بالبخور وانتهاءً بالذبايح البشرية!

يوجد لسوء الحظ أناسٌ فاسدو الأذهان يرغبون أن يخدموا الشيطان. يستدعونه، يدعونه كي يدخل فيهم، يتوسّلون إليه كي يُسيطر على روحهم. لماذا؟ يريدون بهذه الطريقة أن يقتنوا قوةً تفوق الطبيعة ويحوزوا على إعجاب البشر. أي أنهم يشقّون إلى درجة كبيرة جداً من هوى حبّ السيطرة، المجد الباطل والعجرفة. يرغبون في الحصول على خيرات مادية وجسدية. وهكذا، يستعملهم الشيطان كأدوات له. وهو يفعل بواسطتهم "آيات وعجائب" بالقوة التي يمتلكها بطبيعته بما أنه روح.

هؤلاء هم السّحرة، عبدة الشيطان، الروحانيون، المؤمنون، الوسطاء الروحانيون وغيرهم كثيرون من أمثالهم، ممّن يكتسبون قوى جسديّة وروحيّة تفوق الطبيعة. يفتتّون صخوراً، يقطعون أشجاراً ثخينةً كمثلي أغصان هشة،

يرتفعون عالياً في الهواء أو يُحركون أشياء بدون أن يقتربوا منها أو يلمسوها. يُظهرون لأقارب محزونين يائسين "أرواح" أمواتهم، الذين يتحادثون معهم أو يبعثون لهم برسائل عبر ما يُعرف بطريقة "الكتابة الآلية". يجعلون السّاحرَ "نبياً" أو يُظهرون خطايا لم يتم الاعتراف بها بحيث يُدهشون ضحاياهم أو يخيفونهم. تجعل الشياطين المتعبّد لها "معالجا" لأمراضٍ قد تسببت هي بها قبلاً. تُخيفُ الشياطينُ الناسَ البسطاءَ مخلتقةً لهم مشاكلَ عائلية واجتماعية أو تقوم باستهدافِ صحتهم النفسجسدانية وتضطرّهم هكذا أن يلتمسوا بأنفسهم "حلولاً" أو "علاجات" شيطانية.

يُقسَمُ السّحرُ إلى نوعين: أبيض وأسود. السّحرُ الأبيض، حسبما يدّعي من يزاولونه، يجلبُ الصحة والسعادة بدون أن يتسبب بالضرر والهلاك. بالمقابل السّحرُ الأسود مؤذٍ ومدمرٌ. وفي كلتا الحالتين طبعاً هناك استدعاء للشيطان ويتم القيام بأعمال يقشعُرُ لها كلُّ إنسان عاقل.

من الخطر جداً أن يزاول المرء أياً من أنواع السحر، حتى ولو كان ما يقوم به من جرّاء الفضول البسيط. على

سبيل المثال متابعاً بثّ تلفزيوني لممثلي الحركات السريّة وهم يقومون بعرض قدراتهم، أو قراءة كتب تُدخل إلى حقل السّحر، أو سماع موسيقى شيطانية المحتوى، مهما بدت بريئة ظاهرياً، يمكن أن تجرّ الإنسان غير المنتبه إلى الوقوع في شباك الشيطان. وذلك لأن استعمال اسم الشيطان أو بعض رموزه فقط يفعل ويؤثر بشكل غير مباشر في جميع الذين ينشغلون بهذه الأمور، بغضّ النظر عمّا إذا كانوا يقبلون القوات الشيطانية أو يرفضونها.

طبعاً، وإن بدا اللجوء للسّحر أو استعماله بالنسبة للبعض بلا خطر أو حتى مفيداً، فليضعوا في ذهنهم أنّ الشيطان يتصرف كمثل محتالٍ، يقدم بعض الهدايا والوعود بهدف أن يمسك ضحيّته بصنارته: أي أنه يعطي جوائز قصيرة الأمد، ولكنه على المدى البعيد يجعل الإنسان أداةً بين يديه.

اليوم لسوء الحظ هناك إعادة إحياء للسّحر والعبادة الشيطانية. والأمر الأسوأ من هذا هو أنّ أذرعه قد دخلت في نطاق التربية وعناصر التربية واللعب. بالتالي، ينشأ الولد على أشكال شيطانية مرعبة، على العنف والسادية،



في حين يتعلم أن مشاكل الحياة ومصاعبها تُحلُّ بأساليب السُّحر. يتولَّد لديه الانطباعُ بأن السُّحر مفيد ونافع، وأنه بالقيام بعدة عمليات بسيطة يقدر أن ينجح في كل شيء، يكفي أن ينمِّي القوى الموجودة داخله ويصير إليها صغيراً.

في نطاق السُّحر الأكثر اتساعاً توجد العرافة، التي بمساعدة الأرواح الشريرة، تُحاول أن تكسر حيز المستقبل الغامض أو المخفي وأن تعرف أحداثاً مستقبلية وتعرثر على أشياء مفقودة. توجد طرق كثيرة للعرافة، كمثل، العرافة بواسطة الأحلام، العرافة بواسطة الأموات، التجيم، قراءة الماء، قراءة الكف، قراءة النار وغير ذلك. فيما عدا تلك الأنواع هناك أيضاً سُّاحرات (مفسِّرات الأحلام، قارئات أوراق اللعب، قارئات الفنجان) وذلك لأنه لسوء الحظ لا يغيب المستهلكون لهذه الأنواع من المنتجات الثانوية "الخارقة".

ينبغي أن يُعطى انتباه خاص للسحرة السريين، أي الرقاة. هؤلاء، يستعملون مقدسات مختلفة (الشموع، البخور، الأيقونات وغير ذلك) ويضحكون على المسيحيين البسطاء بتقواهم الظاهرية. إنهم يذهبون إلى الكنيسة،

يرسمون علامة الصليب الكريم، وهم حتى يتلون بعض  
مزامير داود وأسماء بعض القديسين واسم والدة الإله وحتى  
اسم الثالوث القدوس في أدعيتهم الشيطانية. دعاءاتهم تلك  
هي التعاويذ المعروفة التي تترافق عادةً بممارسات سحرية  
أو يدوية. يؤمن كثيرون بأن هذه "التعاويذ" هي شيء يشبه  
الاستقسامات التي يتلوها الكهنة من أجل طرد الأرواح  
الشريرة. ولكن هذا خطأ كبير جداً. ليس هناك علاقة  
للتعاويذ مع الكنيسة وإنما هي فخاخ الشيطان. ليس من  
الممكن للمرء أن يستدعي في الوقت ذاته نعمة المسيح وقوة  
الشيطان؟ أي علاقة للبرم مع الإنم؟ أم أية شركة بين النور  
والظلمة؟ أي اتفاق يمكن أن يتم بين المسيح والشيطان؟  
(كور ٦: ١٤-١٥).

كل "تعويذة" إذن تمتلك أصلاً شيطانياً. وهذا يصير  
واضحاً ليس فقط من خلال الأقوال السحرية التي  
يدبجونها، بل ومن المواد السحرية التي تراققها: سكين  
بقبضة سوداء، قطن أحمر، قطرات زيت، جمرات  
مشتعلة، قماش أحمر وغير ذلك. أيضاً هناك البصاق  
المعتاد من أجل منع إبطال المفعول، وهذا الشيء يمتلك

أصلاً سحرياً.

هناك كثيرون ممن يبصقون على أحد الأشخاص أو على غرضٍ ما حتى لا يصاب بالعين الشريرة. ولكن هذه الممارسة يستعملها السحرة. إنها ممارسة تفيد في إهانة الإنسان، الأمر الذي يعكس التجديفَ على الله ذاته بما أن الإنسان هو صورة الله.

### الجمعيات السرية - الديانات الباطلة

في السنين الأخيرة، ضمن المضمار التقليدي للسحر والديانات الشرقية، نمت جماعات دينية باطلة أو شيع دينية، وازدهرت على الأخص في البلدان المتطورة ذات المستوى المعيشي الذي يتّصف بالرفاهية. تظهر هذه الجماعات برداءٍ فلسفي وتقترح بعض التمارين، بعض التقنيات، بعض الخدم والممارسات، مدّعية أن الإنسان يستطيع بمحاولاته الخاصة أن ينجو من عدم الأمان والقلق ويصير إلهاً، يكفيه فقط أن يعي القوى التي يمتلكها في داخله ويعمل على تمتيتها. يقترحون تأليه الذات، أي بالضبط ما اقترحه الشيطان على الجدّين الأولين. وهذا الفخ مُغرٍ جداً، لأنّ الإنسان، حسبما يقول القديس

باسيلوس الكبير، بما أنه خليفة الله فقد أخذ الوصية من الله بأن يصير إلهاً. إذن، يواجه الشيطان، هذا التوق المبارك لدى الإنسان من أجل التأله، عبر تلك الجماعات مقدماً للإنسان تأليه الذات. وكذبتة مقنعة لأنها تضرب على وتر حقيقي في داخل الإنسان.

إن عصرنا هذا ينوح على ضحايا كثيرة لهذا الضلال الشيطاني. الإنسان المعاصر يعطش للحق ولكنه لا يمتلك لا صبراً ولا تواضعاً لاكتسابه بنعمة الله. ولهذا السبب بسهولة يسقط في الضلال الذي يقرط له الأنانية ويعده بدون تعبي أن يصل بسرعة إلى خبرات مؤثرة. وهذه "الخبرات" تفعل فعل المخدرات، وتقوده إلى الهلاك.

## حركة العصر الجديد

هي أكبر تكاثرٍ سرّي عبر جميع العصور. حركة العصر الجديد أو العصر المائي انطلقت خلال العقد السابع من القرن العشرين ١٩٧٠م. ونمت بإيقاعات سريعة جداً واستطاعت أن تدخل جميع مجالات الحياة الإنسانية. نستطيع اليوم أن نتحدث عن "شبكة هائلة"، توحد داخلها مباشرة أو بشكل غير مباشر، برابط متين جداً مئات

الجماعات، غير متجانسين فيما بين بعضهم البعض وآلاف الأفراد.

هدف العصر الجديد أن يفرض نظاماً عالمياً (العولمة) وديناً عالمياً جديداً (ديناً مسكونياً). ولئن كان يدّعي بأنه يحتوي الحقائق كلها في سائر الأديان، إلا أن إيديولوجيته الأساسية هي الألوهية الكليّة. إنه يماهي بين الله والعالم، أو بالأحرى يقوم بجعل العالم المادي إلهاً، أي أنه يؤمن بأنّ الكون يمتلك نفساً وأنّ الإنسان كاملٌ و "إله". هو لا يقبل التمييز بين الخير والشر، وبالتالي يرفض وجود كل من الشيطان والخطيئة على أنها معاني تتعارض مع الحركة. وبالتالي، فالإنسان ليس بحاجة للخلاص، وليس هناك دينونة لأن كل واحد منّا، مثل إله، وهو مخلص نفسه وديانها.

على وجه العموم تُرفض المسيحية على أنها موروثٌ بدائيٌ ضيقُ العقلِ ونهايةُ لعصرٍ قديم، قد تمّ تجاوزه بواسطة العصر الجديد. يُعبّر المسيحيون "رجعيين" و"أطفالاً روحياً" ببُعدِ نظرٍ قصيرٍ وجهلٍ بليدٍ، لا يقدرّون أن يفهموا "النهضة المتطوّرة" العالمية المعاصرة الجديدة.

حركة العصر الجديد تستعمل التقنيات السريّة لكلّ من السّحر، الشعوذة، عبادة الشيطان، التجيم، الروحانية الكاذبة، التطبيب الكلي، القوة الكريستالية، اليوغا والتأمل وغير ذلك بصورة مفرطة. في معظم الأحيان، هذه التقنيات، كمثّل طرقٍ علمية، ترمي إلى اكتشاف "قوى خفية" داخل الإنسان أو خارجه، تُشكّل "وصفات" من أجل حلّ جميع مشاكل الحياة. إنها أشراك شيطانية، لسوء الحظ، يتم الوثوق بها وتبنيها بكل ثقة لدى ضحاياها.

ليس هناك أدنى شكّ أنّ جميع الجماعات الجديدة يتم إرشادها من الأرواح الشريرة وأنّ تعاليمها ليست إلهامات بشرية بل مفاهيم لتلك الأرواح الشريرة، التي تبدو للعيان بأنها "متنوّرة"، لأنها ترتكز على مبادئ نفسانية، تستعمل لغةً روحية، تتحدث عن الله والمحبة، وبهذه الطريقة تشبع رغبات أصيلة كثيرة لدى الإنسان الساقط.

## عبادة الأوثان الجديدة

أحد فروع الجماعات السريّة المعاصرة والعصر الجديد هي عبادة الأوثان الجديدة أو الوثنية الجديدة. هي

أحد الأشكال الدينية الكثيرة التي تُحاول أن تُعيد إحياء "الديانات الطبيعية" في كل بلدٍ من البلدان، أي العبادات القديمة في كل بلد. هدفها الوصول إلى "تحرير" الإنسان من جميع "الديانات الروحية القائمة" (وعلى الأخص من المسيحية) التي برأيها تمارس القسر على الإنسان، فتعيده هي إلى "الآلهة الطبيعة" وجذوره الروحية التي كان أجداده يعيشونها. ولدت هذه العبادة في الغرب.

أتباع هذه الديانة يغضبون لدى رؤيتهم أي شيء له علاقة بالمسيحية ولهذا السبب يتهجمون بألفاظ بذئئة على المسيح والكنيسة ويحبكون الافتراءات ضدها. يحاربون الكتاب المقدس وعلى الأخص العهد القديم ويلقبون المسيحيين بـ "عبيد اليهود" و "المتحدثين بالأساطير" و "عبدة أجساد الأموات". يهاجمون بيزنطية ويصفونها بأنها "الحقبة الأكثر قتامة في التاريخ البشري".

مبادئهم، أخلاقهم ونظرتهم للعالم تُردد بشكل تام "لاهوت" العصر الجديد ذات الألوهية الكلية. لا يقبلون بأية كينونة خارجية (إله، أرواح، نفس). يرفضون التمييز بين الخير والشر ولا يوجد بالنسبة إليهم "روابط أخلاقية"،

ويؤمنون بالقدَر، بالتقمُّص، بالروحانية، بالسُّحر وتقنيات  
العرافة المعاصرة.

معظم جماعات العبادة الوثنية الجديدة في اليونان قد  
أنشأوا "كنيستهم" المسماة "كنيسة اليونانيين الوطنية  
الكبيرة". يروِّجون لأفكارهم من خلال عشرات المجالات  
بالإضافة إلى البث الإذاعي والتلفز بشكل رئيسي من  
خلال الإذاعات التي تفتح لهم أبوابها وتشرِّعها أمامهم.  
يقومون بزيارة الأماكن الأثرية حيث يؤدُّون خدمهم  
العبادية وصلواتهم التي يرفعونها للآلهة الكاذبة.

ليس هناك من شك بأنَّ الأرواح الشريرة هي التي  
تقف وراء هذه الظواهر العبادية الوثنية، مثلما كان  
يحصل في الماضي في سائر الديانات الوثنية القديمة.  
يكفي أن يعود المرء بالذاكرة إلى فترة بداية المسيحية  
لنرى الشهداء القديسين الذين لا عدَّ لهم ممَّن كانوا  
ضحية الوحشية الوثنية وهم يظهرون لنا بتضحيتهم  
وعجائبهم أنَّ الأوثان كانت مساكن للأرواح الشريرة وأنَّ  
عبادة الآلهة الأولمبية الكاذبة كانت في جوهرها عبادة  
للشياطين. يقول القديس كبريانوس بهذا الخصوص:



"الأوثان هي شياطين وتقديم الذبائح للآلهة ملعونة وذنسة، ومذابح عبدة الأوثان هي مذابح للشيطان".

## المسّ الشيطاني

يتسلّط الشيطانُ على الإنسان في حالتين: إمّا أن يسمح له الإنسان بهذا طوعياً، أو إذا سمح الله بهذا للشيطان.

في الحالة الأولى، يتمُّ دخولُ الروح الشرير في الإنسان عادةً بشكل تدريجي ومنهجي. إمّا أن تكون الضحية على علم بحالتها (سَحْرَة، عرّافون وغير ذلك) أو لا تعرف (مضللون، عادمو التوبة وغير ذلك). طبّق الشيطانُ طريقةَ السيطرة الشيطانية التدريجية في حالة يهوذا. فتح يهوذا من تلقاء ذاته المدخل للشيطان بسبب هوى حبّ الفضة (يو ١٢: ٦). ويدخول الشيطان فيه، سبى فكره ودفعه نحو تسليم المسيح (يو ١٣: ٢). وفي النهاية سيطرَ عليه كلياً (يو ١٣: ٢٧). وهكذا، فهو وإن ندم إلاّ أنه لم يُتّب بل انتحر، لأنّ العدو قتل عقله بحزنٍ مشبّع باليأس.

بموجب التعليم الأبائي، الأشخاص الذين يُستعبدون طوعياً لأحد الأهواء، مهما بدا هذا الهوى صغيراً، هم

موجودون تحت سلطة الشيطان وسيادته. حالة هؤلاء الناس  
محزنة لأنهم بينما يظهرون خارجياً بأنهم أحرار إلا أن  
نفسهم تقبَعُ تحت سيطرة شيطانية محزنة. يقول بطرس  
الرسول: "لأن ما يُغلب المرء له فله يكون عبداً"  
(٢بط٢: ١٩). هؤلاء هم من سكنتهم الشياطين في الحياة  
الاجتماعية اليومية حسبما يقول القديس يوحنا الذهبي  
الفم. ومصيبتهم تبعث على اليأس، بالضبط لأنهم،  
لكونهم ألعوبة بيد الشياطين، لا يفهمون الهجمات التي  
يُسَلَّمون إليها ولا الاستبداد الذي يحملونه.

في الحالة الثانية، الاستحواذ الشيطاني، الذي  
يحصل بسماح من الله يقضي دوماً إلى خلاص الإنسان  
النفسي أو محيطه المباشر. تم استعمال هذا النوع من  
التسليم إلى الاستحواذ الشيطاني من قِبَل الكنيسة  
كوسيلة تربية. يكفي أن نتذكر حالة الرجل المذكور  
في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: دعا القديس بولس  
الرسول الكنيسة المحليّة أن تسلّمه إلى الشيطان "لهلاك  
الجسد حتى تخلصَ نفسه في يوم ربنا يسوع" (كور٥: ٥).  
الرسول ذاته، في حالة أخرى، سلّم إلى سلطة الشيطان

كلاً من هيمينياس وألكسندروس "لكي يتعلما أن لا يجدفاً" (تيموا ٢٠).

ينتمي إلى هذه الفئة الأشخاصُ المسوسين بالشیطان من تلقاء أنفسهم كمثّل أولئك الذين أشرنا إليهم في الحوادث الإنجيلية. تسلطُ الشياطين في هؤلاء الأشخاص ظاهرٌ: يتقلبون على الأرض، يخرجون زبدًا من فمهم، يصرفون بأسنانهم، يتفوهون بأقوال قبيحة وتجديفية، من دون أن يعوا ماذا يقولون أو يفعلون. قد تغيرت حالتهم الطبيعية إلى درجةٍ حيث باتت الأقوال، الحركات والمشیئات التي يعبرون عنها لا تعود إليهم بل للأرواح الشريرة التي تُسيطر عليهم.

ولكن كيف تحصل هذه السيطرة؟ هل تفتدُّ الأرواح

النجسة في نفس الإنسان؟

يتحدث القديس ذياذوخوس أسقف فوتيق بشكل عام عن علاقة الشيطان والنفس فيقول بأنه "منذ ساعة المعمودية يُطرَد الشيطان خارج النفس فتدخل النعمة إلى داخلها. ولهذا السبب، كما كان الحال قبل المعمودية حيث كانت الضلالة تسود على النفس، بعد المعمودية تعمُّ

الحقيقة. ولكن بعد الموت أيضاً يهاجم الشيطان النفس كما في السابق أو بالأحرى على نحو أسوأ. يحصل هذا لأن معمودية التقديس تطرح نجاسة الخطيئة، وأمّا الصفة المزدوجة لمسيئتنا فلا تغيّره منذ الآن، ولا تمنع الشياطين عن محاربتنا. هؤلاء يعيشون خارجاً، في حواس الجسم، ويفعلون عبر ضعف الجسد. لكي يبعدوا الذهن عن ذكر الله وبهذه الطريقة يفصلونه عن اتحاده بالنعمة".

يحدّد القديس كاسيانوس بشكل أكثر تفصيلاً هذه العلاقة فيقول: يستطيع روحٌ شرير واحد أن يمتلك على نفسنا قوة إقناعٍ سري، ولكن من المستحيل بالنسبة إليه أن يدخل إلى جوهر النفس ذاته - رغم كونها روحاً هي أيضاً - وأن يتحد بها "ويفسّر في معرض كلامه الباقي الطريقة التي تستعملها الأرواح الشريرة للفعل في الأشخاص المسوسين بالشیطان، بحيث لا يستطيع هؤلاء التعساء التحكّم بأقوالهم ولا أفعالهم. يقول: "يحصل هذا ليس لأنّ أنفسهم تفقد خاصية من خواصها بل لأنّ الجسد سقط مريضاً. الروح النجس، بدخوله في أعضاء الجسد حيث تتركز قوة النفس يرهقها تحت وطأة ثقلٍ لا يُحتمل،

ويُغرق القوى العقلية في ظلمة عميقة. نرى، علاوة على ذلك، أنّ الخمر، الحمّى، إصابة شديدة بنزلة برد وأمراض أخرى مستعصية، تتسبّب بأعراض متشابهة. هذا الإضلام للذهن هو بالضبط ما منع الله الشيطان عن القيام به ضدّ أيوب الصديق حين أمره بعد أن أعطاه السلطة على جسد أيوب قائلاً: "ها هو في يدك وأما نفسه فلا تقترب إليها" (أيو٢: ٦). أي إنني أمنعك من الإلقاء به في خلل عقلي، متسبباً بمرض العضو الذي يشكّل مركز النفس. وحين يقاومك لا تظلمنّ فيه الفهم والمحكمة العقلية، مغرقاً بثقلك القسم الرئيسي من قلبه.

يقول القديس غريغوريوس بالاماس في تفسيره للمقطع الإنجيلي الذي يتحدث عن الممسوس بالشيطان الذي كان يتدحرج على الأرض ويصرف بأسنانه ومكث ميتاً: إنّ الشيطان يسود على القسم العقلي، الذي هو قلعة الجسد، ومن هناك يبثُّ الضعف في سائر أرجاء الجسد. حين يصاب العقل تنتجُ أمراضٌ مستعصية في الأعصاب والعضلات وتكون النتيجة حصول انكماشات وحركات لا إرادية في أعضاء جسد المسكونين بالشيطان (وعلى

الأخصّ في الأنياب). طبعاً بسبب اضطراب الأعضاء الداخلية، يصير التنفس صعباً، ويخرج اللعاب من الفم على شكل زبد، الجسد يجفّ ويتصلّب. ويختتم القديس غريغوريوس حديثه مقترحاً طريقتين للعلاج: إذا كان المريض موجوداً ببساطة تحت "تأثير" شيطاني، ففندها، بما أنه يمتلك حرية الإرادة يستطيع أن يعود إلى ذاته عبر جهاده الروحي الشخصي، وعلى الأخصّ عبر الصلاة والصوم. ولكن في حال "سكن" الشيطان ذاته داخله وصارَ هو أداة بيده فالمريض لا يستطيع أن يفعل شيئاً لوحده. حينئذٍ ينبغي أن يجاهد إخوة آخرون "بالصوم والصلاة" (مت ١٧: ٢١) لأجله، وطبعاً يكون هؤلاء إخوة يمتلكون الروح القدس داخلهم. بهذه الطريقة فقط يستطيع أن ينجو من الشيطان.

الصورة التي يُظهرها المسوسون بالشيطان هي صورة مروّعة، ولهذا ينصح آباؤنا أن لا تنبذهم ولا ندينهم بل أن نصلي لأجلهم. ويعلّل لنا هذا الأمر القديس كاسيانوس إذ يقول: "ينبغي أن نؤمن بأمرين من دون شكّ: الأول، أن لا أحد يُجرب من الشياطين بدون سماح من الله.

والثاني، أن أي شيء يأتي من الله، مهما بدا لنا غير مرضي أو مرضي بالنسبة إلينا في ذلك الوقت، إنما هو مرسل إلينا من أب حنون، من الطبيب المنعطف من أجل منفعتنا. تالياً، جميع الذين يُجربون، هم كمثل أولاد يُسلمون إلى مؤدّب. ينمون في التواضع بهذه الطريقة، بحيث يمضون إلى الحياة الثانية أنقياء كلياً. إنهم يتألمون في هذه الحياة فقط من لقاء تجربة صغيرة: يُسلمون، بحسب ما يقول القديس بولس الرسول، إلى الشيطان "من أجل هلاك الجسد، لكي يخلص الروح في يوم ربنا يسوع" (١كو٥:٥).

وفي نهاية حديثه يعطي القديس كاسيانوس بُعداً كنسياً إلى الموضوع فيقول: "لا نزدريّ المسوسين بالشيطان بل فلنصلّي من أجلهم بلا انقطاع، كصلواتنا لأجل جسدنا ذاته، ولنتقاسمّن معهم حالتهم تلك بكل قلبنا ولهفتنا - لأنه "حين يتألم أحد أعضاء الجسد تتألم معه سائر الأعضاء" (١كو١٢:٢٦) - عالمين بما أنهم أعضاء لنا بأننا لن نستطيع أن نصل إلى الكمال من دونهم، حسبما نقرأ عن القديسين الذين عاشوا قبلنا ولم

يستطيعوا من دوننا أن يبلغوا إلى كل ما وعدهم به الله  
(عب ١١: ٣٩-٤٠)."

## مواجهة للأمر

جاء المسيح إلى الأرض حسبما يقول الإنجيلي يوحنا  
"لينقض أعمال الشيطان" (١يو ٣: ٨)، ولكي يبيد الشيطان  
ذاته بموته على الصليب "لكي بالموت يبيد ذاك الذي له  
سلطان الموت أي إبليس" (عب ٢: ١٤).

المسيح قبل صليبه "نقض" أبطل أعمال الشيطان،  
مقتاداً البشر إلى التوبة وشافياً المرضى والممسوسين  
بالشيطان. كانت تلك الأشفية تعبيراً عن الإلغاء  
الإسخاتولوجي (الآتي) للأعمال الشيطانية. وبموته على  
الصليب وانحداره إلى الجحيم، أباد قوة الشيطان وسلطانه  
على الموت.

لم يبدد المسيح مرةً واحدةً تأثير الشيطان علينا  
كلياً، ولكنه أذل قوته وأعطانا وسائل لكي نتجو من  
فخاخ الشيطان. أي لسنا ناجين كلياً من هجمات الشرير،  
ولكننا قد أعطينا الأسلحة كي نستعملها وننتصر عليه.  
المسيح هو الشخص الأول الذي، بتجربته المثلثة التي تعرّض



لها في البرية (مت ٤: ١-١١)، أظهر لنا الطريقة التي يشنُّ فيها الشيطان حربَه علينا، ولكن أظهر لنا أيضاً القدرة التي وهبنا إياها لكي نتغلب عليه. وذلك لأن تجربة الرب تلك تتضمن كل التجارب التي من الممكن أن يتعرض لها أيُّ إنسان.

أعطى المسيح السلطة لتلاميذه أن يدوسوا الشيطان: "هأنذا أعطيتكم سلطاناً وقوة لكي تطأوا على الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو ١٠: ١٩). عمل الرسل، وبعامةٍ، عملُ جميع رعاة الكنيسة هو أن يقودوا البشر من عبودية الشيطان إلى حرية أبناء الله. كان بولس الرسول أيضاً يمتلك هذا الاهتمام الرعائي حين صلّى من أجل مسيحيي رومية قائلاً: "واله السلام فليسحق الشيطان تحت أقدامكم سريعاً" (رو ١٦: ٢٠).

بقوة الله سحقَ القديسون الشيطانَ ومراراً كثيرةً أدلّوا عجرفته، مثلما حصل مثلاً مع القديس ثيودوروس حين قيّدَ بصلاته ثلاثة شياطين خارج قلايته وبعد ذلك أطلقها بعدما توسّلت إليه كثيراً.

إنَّ خبرة القديسين الغنية قد سلّمتنا نحن أيضاً الطرق

كي نتصر على الشيطان ونتجنب الوقوع في شركه وأحابيله. نصائحهم وإرشاداتهم ثمينة جداً. وسوف نأتي على ذكر أهم هذه النصائح باختصار قدر المستطاع فيما يلي:

١- من الضروري أن نحافظ على نعمة الروح القدس التي أخذناها بمعموديتنا المقدسة. يهدف جهادنا الروحي كله إلى الحفاظ على هذه النعمة. إنها هي التي تسلحنا بأسلحة "جنديتنا" الروحية. أسلحة "ليست عالمية بل تمتلك قوة الله وتسحق الحصون الشيطانية والأفكار الشريرة وكل شيء يتشامخ ضد معرفة الله" (٢كو ١٠: ٤-٥). وفعلاً "طالما يسكن الروح القدس داخلنا لا يستطيع الشيطان أن يبقى في أعماق النفس" (القديس ذياذوخوس أسقف فوتيق). لأن "الأرواح الشريرة تخاف جداً من نعمة الروح الإلهي، وطبعاً حين تكون النعمة مفروسة بغنى" (القديس نيكيتاس ستيثاتوس). حضور النعمة الإلهية في الإنسان هي نارٌ تحرق الأرواح الشريرة وتبديد جميع فنونها.

٢- هناك حاجة إلى الشجاعة والإيمان بأن الله سيساعدنا. يحثنا القديس يعقوب الرسول قائلاً: "قاوموا

إبليس فيهرب منكم" (يع: ٤: ٧). المقاومة الشجاعة تهزمه. ولكن ينبغي أن تترافق المقاومة بالإيمان: "قاوموه راسخين في الإيمان" (ابط: ٩: ٥). الإيمان هو الترس الذي عليه نقدر أن نطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة (أف: ٦: ١٦). إنه اليقين الثابت الوطيد بأن الله يقف إلى جانبنا "إذا كان الله معنا فمن علينا؟" (رو: ٨: ٣١). تالياً، حين تكون النفس ممتلئة شجاعة ورجولة روحية "ترى الشياطين تهرب كممثل سجين هارب من سجنه" (القديس نيكيتاس ستيثاتوس).

٣- يحضُّنا القديس بولس الرسول أن "نلبس المحبة كممثل الدرع" (اتس: ٥: ٨) وذلك أنها تحيط بأجزاء قلبنا الحيوية وتحميها، تقاوم الضربات المميتة التي تتسببها لنا الأهواء، تُبعد الضربات الشيطانية وتعيق سهام الشيطان عن الدخول إلى إنساننا الداخلي.

٤- بولس الرسول ذاته يقترح علينا سلاحاً آخر أيضاً فيقول: "البسوا خوذة رجاء الخلاص" (اتس: ٥: ٨). بالفعل، الرجاء سلاح خلاصيٍّ خلال التجارب. "إنه الخوذة التي تحمي الرأس. رأسنا هو المسيح. وينبغي، كما في زمن الاضطهادات والأحزان، أن نغطيه دوماً داخلنا بخوذة رجاء

الخيرات العتيدة، حافظين، فوق كل شيء، إيماننا به غير منتلم وبدون مضرة. لأنه إذا أعوزتنا أعضاء أخرى من الجسم نستطيع أن نعيش. ولكن إذا غاب عنا الرأس، "المسيح"، فحينئذٍ لا نقدر أن نبقى أحياء ولا دقيقة واحدة" (القديس كاسيانوس).

٥- استعدادنا النفسي، بيقظة مستمرة (السهر) والصلاة غير المنقطعة، تُبطل سلاحاً قوياً من أسلحة العدو ألا وهو عنصر المباغته. بما أننا لا نعرف متى ستهاجمنا الشياطين ولا بأية طريقة، علينا أن نكون مستعدين دوماً. يوصي القديس بطرس الرسول قائلاً: "انتبهوا واسهروا فإن إبليس خصمكم كأسدٍ زائرٍ يجول ملتمساً من يبتعله" (بط ٥: ٨). ويحثنا المسيح نفسه على هذا الاستعداد الروحي قائلاً: "اسهروا وصلُّوا لئلا تدخلوا في تجربة" (مت ٢٦: ٤١). الصلاة حين تترافق باليقظة تصير سلاحاً ماضياً ضدَّ الشيطان، ليس دفاعياً فحسب بل وهجومياً أيضاً. يسميها الآباء "سوط" الشياطين. طبعاً تظهر في هذا المضمار صلاة يسوع السهلة الاستعمال والدعاء لوالدة الإله الفائقة القداسة والقدسين الذين نالوا من الله موهبة ضدَّ

## الشياطين.

٦- بالإضافة إلى الصلاة يساعدنا في طرد الأرواح الشريرة الصوم وجميع الأتعاب النسكية بشكلٍ عام، لأنها تضبط الأهواء، تُتَلَفُ اللذات وتجعل الذهن رجولياً. قال ربُّنا: "هذا الجنس (الشياطين) لا يخرج إلا بالصلاة والصوم" (مت ١٧: ٢١). بالنسك، أي بالجهد من أجل حفظ وصايا المسيح، نكتسب الفضائل، وبدون تعب لا تبلغ أية فضيلة إلى كمالها. الفضائل أسلحةٌ روحية. هي كلها تؤلّف عتاداً حريباً قوياً ينصحنا بولس الرسول بارتدائه قبل أن نبدأ بمواجهة فنون الشيطان: "البسوا سلاح الله الكامل لتقدروا أن تقاوموا" (أف ٦: ١١).

٧- الاحتمال والصبر خلال التجارب تحفظ خلقنا عالياً بحيث نواجه الهجمات الشيطانية. يحضُّنا بولس الرسول قائلاً: "نسابق بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا" (عب ١٢: ١).

٨- التواضع، أيضاً، هو الفضيلة التي بادئ ذي بدء تجتذب نعمة الله وتجعل النفس حارساً لا يُغلب في هجمات الشرير المتواصلة. بالتواضع يتم إبطال كلِّ شراك العدوِّ

حسبما يقول الآباء القديسون. لأنه ليس من الممكن أن يُغلب إنسان لا يثق بأفكاره وتمييزه، بل يحيا بحسب إرشادات آباءه الروحيين.

٩- هناك سلاح آخر ضروري في المعركة ضد الأرواح الشريرة ألا وهو التمييز. يقول القديس يوحنا السيناوي بأنه "ينبغي أن نتسلح بتمييز جزيل، لكي نعرف متى ينبغي أن نحارب أسباب الأهواء وإلى أيّ درجة، وكذلك متى ينبغي علينا أن نتسحب. إذ هناك حالات ينبغي علينا فيها أن نفضل الانسحاب بسبب ضعفنا لكي لا نُقتل".

١٠- مطالعة كلمة الله أيضاً تعيق الشيطان عن الدنو إلينا. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "إذا كان الشيطان لا يجسر أن يدخل بيتاً يوجد فيه الإنجيل، فهو بالأحرى لن يقترب إلى نفسٍ تطالع بذهنها أقوال الإنجيل". ويؤكد لنا القديس ذاته بأنه "حين يرى الشيطان ناموس الله مكتوباً في نفسنا فلن يقترب إلينا، بل سوف يدير لنا ظهره من بعيد لأنه لا شيء يخيف ذلك والأفكار الشريرة التي تهاجمنا كمثّل الذهن الذي يلهجُ بالإنبيات".

بالإضافة إلى ذلك، ينبغي ألا يفوتنا بأن بولس

الرسول يصف كلمة الله حيناً بأنها "سيف الروح" (أف ٦: ١٧)، حين يحصيها مع سلاح الله الكامل، وحيناً آخر يصفها بأنها "حية وفعالة وماضية أكثر من سيف ذي حدّين" (عب ٤: ١٢) تستطيع أن تشقّ وتقطع كل شيء جسديّ وماديّ موجود في داخلنا.

١١- المشاركة في الاجتماعات الليتورجية وسائر الخدم يشكلّ منابع رئيسية تُزودنا بقوة جديدة في الحرب ضدّ الشياطين. إنها موارد لأسلحتنا الروحية. ينصحنا القديس إغناطيوس الحامل الإله قائلاً: "اهتموا بأن تجتمعوا دوماً من أجل شكر الله وتمجيده. لأنكم حين تجتمعون بصورة متواترة في المكان ذاته، عندها تتسحق قوات الشيطان وتحلُّ قوّته المهلكة بانسجام إيمانكم".

١٢- تُبطلّ القوة الشيطانية ليس فقط بالصلاة المشتركة، بل وبشكل رئيسي بالأسرار التقديسية التي تقام في مجالات العبادة المشتركة. فعلى سبيل المثال، بالمعمودية المقدّسة يتحرّر الإنسان من عبودية الشيطان، بالميرون المقدّس يُختم بنعمة الروح القدس، في حين أنه باشتراكه عن استحقاق في المناولة الإلهية يصير "جسداً

واحدًا" و "دماً واحداً" مع المسيح. يكتسب رجولة روحية تجعله مخيفاً وغير منغلبٍ أمام الشيطان حسبما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم.

١٣- الشيطانُ يخاف كثيراً من التوبة والاعتراف المُخلص بالخطايا، الذي يحصل بانسحاقٍ، كما ويخشى رغبتنا المتواضعة للتلمذة. باعترافنا بخطايانا للأب الروحي "تقطع" حقوق الشيطان ونستعيد شركتنا مع المسيح. على الأخصّ في حالات الحرب الشيطانية القاسية غير الاعتيادية، التي تتأتى من جهلنا أو عدم انتباهنا، ينبغي أن نهرع إلى بطرشيّل الأب الروحي ونطلب رحمة الله بتواضع وتوبةٍ عملية. يمتلك سرُّ التوبة والاعتراف قوةً إلهيةً كي يشفي الجروح النفسية، التي يسببها المكرُّ الشيطاني، ويعيد الإنسان إلى تناغمه النفسجسداني.

١٤- "أدوات" هامة وفعّالة، تمتلك القوة على دكّ "الحصون" الشيطانية هما سرا الزيت المقدّس وتقديس الماء.

المسحُ بالزيت المقدّس يُستعمل منذ أيام الرسل حتى اليوم من أجل شفاء الأمراض الجسدية والنفسية



(يع: ٥: ١٤-١٥). الرسل القديسون في تطوافاتهم "كانوا يُخرجون شياطينَ كثيرة، ويمسحون بالزيت مرضى كثيرين ويشفونهم" (مر: ٦: ١٣). طبعاً بما أن الكثير من الأمراض هي نتيجة لعملِ شيطاني، فالمسحُ بالزيت المقدس ينقذ المريض ليس فقط من المرض، بل ومن الأرواح الشريرة التي تتسبب بالمرض. ولهذا السبب في صلوات خدمة تقديس الزيت يوصف الزيت المقدس بأنه "سيفٌ ضدّ الشياطين" و "حافظٌ من كلِّ فعلٍ شيطاني".

الماء المبارك في خدمة تقديس الماء، هو أيضاً شافي للنفوس والأجساد وحافظ من كلِّ فعلٍ مضادٍّ "لأنه يُقدّس باستدعاء الروح القدس، برسم إشارة الصليب المقدس عليه بيد الكاهن وتغطيس الصليب الكريم فيه. وهو يُستعمل في حاجات كثيرة من احتياجات الحياة اليومية، كما ومن أجل الاحتفاظ ببركة الله وشفاء الأمراض أو طرد الأرواح الشريرة.

١٥- "سلاحٌ آخر لا يُحارب" هو الصليب الكريم، الذي يرتعد الشيطان أمامه جداً حين يُستعمل ضده، وليس طبعاً، بشكل اعتباطي من كل شخص، وإنما حين

يستعمله المؤمنون الذين يشاركون بوعي في حياة الكنيسة الأسرارية. ينصح القديس نيقوديموس الأثوسي فيقول: "في سبيل أن تُحفظوا من السُّحر والأعمال الشيطانية، فلتمتلكوا جميعاً - صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً - الصليب الكريم معلقاً في رقابكم. ترتعد الشياطين لمراها شكل الصليب وتفرُّ بعيداً حين تراه. بالإضافة إلى ذلك، حسبما اعترفت الشياطين ذاتها بفمها هي للقديس يوحنا بوسترينوس، الذي كان يمتلك سلطة ضدّ الأرواح الشريرة، فقالت بأنها تخاف ثلاثة أشياء أكثر من أي شيء آخر: الصليب الكريم، المعمودية المقدّسة والمناولة الإلهية".

١٦- من أجل مواجهة "العين الشريرة" والأذى النفسي أو الجسدي الذي يتأتى من فعلٍ شيطاني، يوجد كما أشرنا "صلاة خاصة تتلى من أجل "التوبة"، يتلوها الكهنة للأشخاص الذين يتألمون منها. كما وتوجد صلوات خاصة من أجل "إبطال كل عملٍ سُّحري وفعلٍ شيطاني"، من أجل الشفاء من الأمراض التي يسببها حقد الشيطان.

من أجل تجنّب العين الشريرة هناك كثيرون من

إخوتنا ، بداعي تأثرهم بالخرافات يقومون بتعليق بعض الأشياء التي برأيهم تحمي من الحسد والعين الشريرة كمثل: العين الزرقاء ، الخرزة الزرقاء وغير ذلك. تقوم الأمهات والجَدَّات بتعليقها في ثياب الأطفال الرضّع أو وساداتهم كي لا تصيبهم العين الشريرة. ولكن هذه الأشياء كلها ، هي اختراعات الشيطان وتفضي إلى نتيجة معاكسة ، لأنها لا تمنع الشرّ عن أحد أبداً وإنما تأتي بمن يتسبّب به أي بالشياطين. ينبغي فقط استعمال الصليب الكريم الذي يسحق القوات الشيطانية.

هناك أيضاً بعض الأشخاص ممن يذهبون إلى الكنيسة ويشاركون في حياتها ، فهؤلاء بنية حسنة في سبيل إيقاف الأحيال الشيطانية ، من أجل أن يُبطلوا العين الشريرة ، يقومون بتمتة صلوات سرية مختلفة مستعملين إما فحمًا مشتعلًا أو أزهاراً يابسة أو ملحاً وزيتاً وماءً. ولكن هذه العادات لا تتماشى مع روح الكنيسة وهي شيطانية بوضوح تام. وقد يحصل في بعض الأحيان أن يبتعد الشيطان من الأشخاص المصابين بالعين الشريرة وذلك لكي يجعل الناس يؤمنوا بهذا النوع من إبطال العين وليس

بصلوات كنيستنا. وهكذا، فحياتنا اليومية تتسم  
"بتحكّم شيطاني" منتشر بخرافات وقلق، الأشياء التي  
تُبعد نعمة الله وسلامه وبركته.

١٧- إذا حصل وسمح الله أن يقع أحدهم في تسلّط  
روح شيطاني عليه فينبغي أن يلجأ إلى الكهنة من أجل أن  
يقوموا بقراءة الاستقسامات عليه. هذه الاستقسامات هي  
صلوات خاصة من بين صلوات الكنيسة وفيها يتضرع  
الكاهن إلى الله بأن يطرد الشياطين من الإنسان الذي  
تسلّط عليه. ليس للاستقسامات أية علاقة بالألفاظ  
السحرية التي تشكّل تلفظاً بعبارات سحرية ذات هدف  
معين حسبما أشرنا في الفصل السابق.

العنصر الأساسي في الاستقسامات هو الدعاء باسم  
المسيح، هذا الاسم الفائق القوة "يفوق كل اسم"  
(فيل ٢: ٩). يتم استدعاء الرسل القديسين لكي يطردوا  
الشياطين ويشفوا كل مرض وكل ضعف. المسيح ذاته  
كان قد وعد قائلاً: "وتُخرجون شياطين باسمي"  
(مر ١٦: ١٧). كان المسيحيون الأوائل يستعملون الأسلوب  
ذاته حسبما يؤكّد لنا القديس يوستينوس الشهيد: "كل

شيطان يتم تلاوة استقسامات عليه باسم يسوع يُغلبُ ويخضع". صلوات الاستقسامات، الموجودة في كتاب الأفلولوجي الكبير ويتم استعمالها حتى اليوم، مكتوبة بالروح ذاته.

العنصر الثاني الموجود في الاستقسامات هو معاقبة الروح الشرير: يأمره الكاهن أن يخرج للحال من جبلة الله محرراً نفس الشخص المسبي بالشیطان وجسده من الرباطات الشيطانية.

كان الشيخ بايسيوس المغبوط يقول بأنه في سبيل أن تكون الاستقسامات فعّالة ينبغي أن تترافق بالتوبة والاعتراف ويوضح هذا بقوله: "حين يكون الشيطان قد اكتسب حقوقاً في الإنسان وسيطر عليه فحينئذٍ ينبغي أن يتم العثور على السبب من أجل أن يحصل قطعٌ لتلك الحقوق. وإلاّ فمهما تُلّيت صلوات وفعل الآخرون لا يخرج الشيطان، ينبغي تقديم المساعدة للشخص المسوس بالشيطان أولاً بحيث يتم العثور على السبب الكائن وراء ذلك، بأن يتوب ويعترف بخطاياها. فإنه من الممكن أن يكون غفران الخطايا وحده كافياً لإخراج الشيطان".

وكان الشيخ باييسيوس يقول أيضاً بأنه إلى جانب الاستقسامات "تمّ مساعدة الأشخاص المسوسين بالشیطان مساعدة كبيرة حين يقرأ الكهنة أسماءهم بألم عند تحضير التقدمة المقدسة".

١٨- سنذكرُ كأسلوبٍ أخير لمواجهة الأرواح الشريرة طريقة الازدراء. توجد طبعاً حالات، حسبما ذكرنا، تنبغي فيها مواجهة الشيطان بحسب ما يحضننا القديس يعقوب الرسول: "قاوموا إبليس فيهرب منكم" (يع: ٤: ٧). ولكن يوجد أيضاً حالات أخرى يكون فيها من مصلحتنا أن نتجنّب مقاومته المباشرة. من الأفضل أن نلجأ للمسيح متجاهلين الشيطان وفخاخه. كان الشيخ بورفيریوس المغبوط يقول: "تجاهلوا الأهواء، لا تشغلوا بالشيطان، استديروا نحو المسيح! باللهفة لأجل المسيح تتجو قوة النفس من الفخاخ وتذهب إلى المسيح، إذا جاهدنا وعشقنا المسيح فسنتكسب النعمة الإلهية حينها. وإذا نكون متسلّحين بالنعمة الإلهية فلن نقع في مكروه وسيرانا الشيطان فيهرب، إن مواجهة الشرّ بنعمة الله تصير بلا تعب ولا إهراق دماء، هل أنتم موجودون في

الظلمة وتريدون النجاة؟ لا تحاولوا طرد الظلمة بضرئها. لن تتنفعوا شيئاً. أتريدون نوراً؟ افتحوا ثقباً واحداً وسيدخل شعاع نورٍ شمسيٍّ، سيأتي النور. بدل من أن تطردوا العدو كيلا يدخل داخلكم، افتحوا أيديكم إلى حضن المسيح. هذا هو الأسلوب الأكثر كمالاً: لا تحاربوا الشرّ بشكلٍ مباشر بل أحبوا المسيح ونوره، وسوف يرحل الشرُّ.

## عقاب - الجحيم

حين ابتعدت الأرواح الشريرة طوعياً عن الغبطة الإلهية وفقدت خاصيتها الملائكية، صارت أكثر المخلوقات تعاسةً على الإطلاق. وطبعاً، بعد سقوط الإنسان بسببها، صار للشقاء، للشرّ والاضطراب أبعاداً كونية. كلُّ الخليقة "تئنُّ وتمخّض" (روا: ٢٢) مع مخلوقات الله العاقلة. دخلت الخطيئةُ والموت، مع كل نتائجهما بقوة في حياة العالم المتغيّر المظلم الفاسد، الذي صار هكذا بسبب معصية المخلوقات وتمردّها على الخالق. صار للشيطان دورٌ مُسيطرٌ في هذا العالم لأنه كان أول مخلوق يقع في الخطيئة (ايوا: ٣: ٨). وهو يستمر في الوقوع في الخطيئة باستمرار، يجرُّ معه البشر إلى الخطيئة التي

تفضي إلى الموت (رو ٥: ١٢).

اتخذ الشيطان لقب "سيد العالم" وهو يتباهى بأنه يُسيطر "على كل مملكة من ممالك المسكونة" (لو ٤: ٥). ولكن هذا الأمر لا يقلل من تعاسته. في حقيقة الأمر، إبليس وجميع الشياطين يبقون مخلوقات مأساوية، فهم يتذوقون مسبقاً خوف الجحيم وألمها. إنهم يعيشون دوماً تحت وطأة القلق من العقوبة العتيدة ويخافون من العذاب قبل أوانه. فهم يعلمون بأنه تبقى لهم "وقت قصير" (رؤ ١٢: ١٢) ويأن "النار الأبدية" قد أُعدت لهم (مت ٢٥: ٤١).

بالإضافة إلى ذلك فمجيء المسيح إلى الأرض يذل قوة الشياطين ويجعل حياتها أكثر بأساً. يقول القديس يوحنا الإنجيلي: "لهذا ظهر ابن الله ليحل أعمال الشيطان" (يو ٣: ٨). أي أن المجيء الإلهي نقض القوة الشيطانية التي كان الجنس البشري مستعبداً لها. فالمسيح "جاء يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس" (ع ١٠: ٣٨). ولم يكتفِ الرب بتدمير أعمال الشيطان، بل والشيطان نفسه، بموت المسيح الطوعي على الصليب: "حتى بالموت يُبطل من له سلطان الموت أي إبليس". وبالفعل "محا الصك"



الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدنا لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب" (كول ٢: ١٥). قبل بُرْهَةً وجيزة من آلامه، كان المسيح قد أعلن بأن الساعة قد أتت حين رئيس هذا العالم "يُطْرَحُ خارجاً" (يو ١٢: ٣١).

بعد صلب المسيح، تلقى الشيطانُ جرحاً مؤلماً عظيماً ثانٍ بنزول المسيح إلى الجحيم. هناك فقدَ الشيطانُ قوته التي كان يتمتع بها على نفوس الأموات، بادء سلطانه وتدوَّق عربون محاكمته الأخيرة وعقابه.

طبعاً، تلقى أيضاً جروحاً أخرى بقيامة المسيح وصعوده إلى السماوات وانحدار الروح القدس في يوم الخمسين المقدس. فيما يلي ذلك صارت الكنيسة هي خصمه الرئيسي، الكنيسة التي هي جسد المسيح و"مدبر" أسرارها، سيكون خصماً له أيضاً أعضاء الكنيسة المجدة الظاهرة، أي الرسل وتلاميذهم، القديسون ومؤمنو سائر العصور، الذين "رفضوا" الشيطان و"قبلوا" المسيح، هؤلاء الذين نالوا من المسيح القوة والسلطة "على كل الأرواح النجسة".

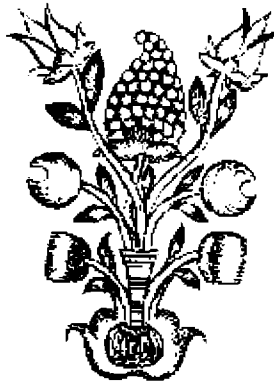
ولكن الإبادة النهائية للشيطان وسائر الأرواح

الشريرة ومحاكمتهم ستتم في المجيء الثاني للمسيح والدينونة الأخيرة. في سفر الرؤيا الشريف، هناك حيث يتم وصف نهاية العالم بصورة نبوية، نرى ملاكاً ينزل من السماء حاملاً بيده مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة، فيسبى "التنين الحيّة القديمة، التي هي الشيطان وإبليس المضلّ المسكونة كلها ويربطه ألف سنة ويلقيه في الهاوية" (رؤ ٢: ١-٣). المشهد ذاته يصفه بطرس الرسول حين يقول بأنّ "الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلّمهم محروسين للقضاء" (٢بط ٢: ٤). حينئذٍ في الدينونة الأخيرة، حسبما يخبرنا سفر الرؤيا، سوف يُلقى الشيطانُ "في بحيرة النار والكبريت، حيث النبي الكذاب والوحش وسيُعدّون نهاراً وليلاً إلى أبد الأبد" (رؤ ٢٠: ١٠). وليس الشيطان والشياطين وضدّ المسيح، بل "الموت والهاوية" سيطرحون في "بحيرة النار" (رؤ ١٠: ١٤).

يقول القديس بولس الرسول في إحدى إشاراتِه المدهشة إلى اكتمال عمل المسيح الفدائي بأنه في نهاية الدهور "ستجثو باسم يسوع كلُّ ركلة ممّن في السماء

ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كلُّ لسانٍ أن يسوع المسيح هو ربُّ لمجدِ الله الآب" (فيل ٢: ١٠-١١).

المسيح كان ويكون وسيكون "الكل" (كول ٣: ١١). الشياطين وأعمالها ستُباد ومعها الموت أيضاً. وهكذا، كلُّ مؤمن مجاهد، يخضع بثقة وطاعة لمشيئة الله، عليه ألا يخاف شيئاً من جهة الأرواح الشريرة لأنه "انتقل من الموت إلى الحياة" (يوه ٥: ٢٤) وهو يتذوق مُسبقاً خيرات الملكوت السماوي.



الجزء الثاني

مقتطفات

روايات

عن أفعال

الأرواح الشريرة







---

## القسم الأول

---

### ظهورات وأفعال

---

#### سقوط أول الجيلة

في اليوم السادس من أيام خلق العالم، جَبَلَ اللهُ الإنسانين الأولين آدم وحواء، ووضعهما في جنة جميلة، في جنة عدن من أجل أن يهتما بها ويحرسانها. في تلك الجنة، في الفردوس، كانت توجد أشجاراً جميلة تحمل ثماراً كثيرة. وكانت هناك شجرتان في الوسط، شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشجر.

قال الله لأدم: من جميع أشجار الجنة تقدران أن تأكلا بحريّة. وأمّا من شجرة معرفة الخير والشجر فينبغي ألا تأكلا، وإذا أكلتما ستموتان وتنفصلان عني.

وكانت الحيّة أكثر الحيوانات التي صنعها الله ووضعها في الجنة حكمةً. ذات يوم اتّخذ الشيطان هيئة الحية وظهر لحواء وسألها بمكر قائلاً: هل منعكما الله من أن تأكلا من جميع أشجار الجنة؟

أجابته حواء: كلا. نستطيع أن نأكل من ثمار جميع أشجار الجنة ما عدا الشجرة الموجودة في وسط الجنة لأنّ الله قال لنا: "لا تأكلا من ثمرها ولا تدنوا إليها لأنكما إذا فعلتما ستموتان".

فحّت الحية قائلة: لن تموتا. الله يعلم بأنكما حين تأكلان منها فسوف تنفتح أعينكما وتصيران مثل الآلهة فتميّزان الخير عن الشرّ. لهذا السبب منعكما الله عن أكل ثمرها.

فالمراة، لشقائها، نظرت بانتباه إلى الشجرة فأعجبتها. وفكرت أنّ ثمارها ستكون لذيذة. فقطفت واحدةً وجربتها. وبعد ذلك أعطت لزوجها أيضاً ليأكل.

وعندها حصل فجأة شيء غريب. ظهر لهما وكأن أعينهما  
انفتحت ووجدوا بأنهما كانا عريانين. وللحال اقتطفوا أوراق  
تين وسكراً عريهما.

وعند هبوب ربح النهار، سمعا صوت الرب الذي  
كان يمشي في الجنة، ومن خوفهما وخجلهما، اختبأ بين  
الأشجار.

ونادى الله قائلاً: آدم أين أنت؟

أجابه آدم: سمعتُ صوتك فخفتُ فأنا كما ترى  
عريان. لهذا أسرعْتُ لأختبئ.

فسأله الرب: ومن قال لك بأنك عريان؟ هل أكلت  
من الشجرة التي أمرتُك ألا تأكل منها أو تدنو إليها؟  
فبرّر آدمُ نفسه قائلاً: المرأة التي أعطيتني هي التي  
أعطتني من ثمر الشجرة فأكلتُ.

ثم توجه الله بالسؤال نحو حواء قائلاً: لماذا فعلتِ  
هذا؟

- الحيّة هي التي غررتني فأكلتُ.

فقال الله للحيّة: "لأنك فعلتِ هذا ملعونة أنت بين  
جميع حيوانات الأرض! على بطنك تسعين وتراباً تأكلين



كل أيام حياتك. وأضع عداوةً بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو (يسوع المسيح) يسحقُ رأسك وأنت ترصدين عقبه".

وقال لحواء: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسودُ عليك. وقال للرجل: لأنك سمعتَ لقولِ امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتُك قائلاً لا تأكلُ منها، ملعونةُ الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. شوكاً وحسكاً تُثبِت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي منها أُخذتَ لأنك ترابٌ وإلى الترابِ تعود.

ثم، بعدما صنعَ اللهُ أقمصةً جلديةً وألبسَ آدمَ وحواءَ بها، قال: ها الإنسان قد صار كواحدٍ منّا يعرف الخير والشر. فلكي لا يبسط يده ويأكل من شجرة الحياة فيصير غير مائتٍ، ولكنْ عدَمَ موتٍ رديءٍ، فلأطرده خارج الجنة.

وبالفعل، أخرج اللهُ الجدَّين أولَ الجيلة من جنة عدن وأمرَ الشيروييم بأن تحرسَ الطريقَ الذي يقود إلى شجرة

## أيوب الكثير الآلام

من بين الشخصيات الكبيرة في العهد القديم يميّزُ أيوبُ الذي كان يسكن هو وزوجته وأولاده العشرة في منطقة العربية. وكان يعبدُ الإلهَ الحقيقي وليس الأصنام بحسب ما كان يفعل أهلُ عصره. وهو رغم كونه غنياً، فقد كان يحيا وفقاً لمشيئة الله ومزبناً بكل فضيلة. ولكونه باراً، مُحباً لإخوته البشر، مضيافاً، طاهراً وحكيماً فقد حازَ على احترامِ الناسِ كباراً وصغاراً.

ولكنَّ الشيطان حسدَه بسبب هذه الأشياء كلها.

وذات يومٍ مثل أمام الربِّ، فسأله الربُّ: من أين أتيتَ؟

- من الجولان في الأرضِ كلها، أجابَ الشيطان.

- وهل وجدتَ إنساناً أفضلَ من أيوب وأكثر تقوى؟

- كلا. ولكن هل مجاناً يتقي الله؟ أليس أنك

سيجتَ حوله وحول بيته وكل ماله من كل ناحية

وباركتَ أعمال يديه. ولكن ابسط يدك الآن ومُسِّ ما له

فإنه في وجهك يحدِّف عليك.

- هكذا تعتقد؟ هوذا كل ما له في يدك. وإنما إليه

لا تمدّ يدك.

وللوقت خرج الشيطان لكي يشرع في تنفيذ مخطّطه الشرير. ولم يتأخّر عن وضعه في حيز التنفيذ.  
وذات يوم بينما كان أيوب يجلس هادئاً بدون همّ،  
جاء أحد خدامه وقال له:

- البقرُ كانت ترعى والأتنُ ترعى بجانبها. فسقط  
عليها اللصوص وأخذوها وضربوا الفلّمان بحدّ السيف  
ونجوتُ أنا وحدي فأتيتُ لأخبرك بالمصيبة.  
وبالكاد أنهى الخادم حديثه حين جاء خادم آخر  
راكضاً وقال لأيوب:

- سقطت نارٌ من السماء فأحرقت غنمك ورعاتك.  
ونجوتُ أنا وحدي فأتيتُ لأخبرك.  
في هذا الوقت ذاته أيضاً جاء أحدُ رعاةِ إبل أيوب  
وقال:

- هاجمنا الكلدانيون فسرقوا الجمال وقتلوا جميع  
رفاقي ونجوتُ أنا وحدي فأتيتُ لأخبرك.  
وكأنّ تلك الأخبار كلها لم تكن كافية، إذ وصل  
شخصٌ آخر لكي يذيع لأيوب المصيبة الكبرى:

- بنوك وبناتك كانوا يأكلون في بيت أخيهم الأكبر  
وإذا ربح شديدة جاءت من القفر وصدمت زوايا البيت  
الأربع فسقط على الغلمان فماتوا ونجوت أنا وحدي فأتيتُ  
لأخبرك.

فنهض حينها أيوب ومزق ثوبه وقص شعر رأسه  
- كان الناس في ذلك الزمان هكذا يتصرفون حين  
يحزنون - وسقط بوجهه على الأرض ساجداً لله وقال:

- عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى القبر.  
الرب أعطاني خيراته والرب أخذها. حسبما بدا له هكذا  
فعل. فليكن اسمه مباركاً إلى دهر الدهارين.  
وهكذا فبالرغم من جميع المصائب التي حلت به،  
لم يتدمر ولم يخطئ أبداً.

ولكن لم يهدأ للشيطان بال. فمثل قدام الله مرة  
ثانية. وقال له الله: رأيت أي إنسان هو عبدي أيوب؟ ليس  
هناك نظير له في الأرض كلها. تركتك فأخذت كل ما  
له. ولكن كلمة سيئة لم تخرج من فمه. فبرر الشيطان  
الأمر بقوله: إن المرء يضحي بكل شيء في سبيل صحته  
وحياته. اضربه بمرضٍ ثقيلٍ وسترى كيف يجدف عليك.

أجابه الله: ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه. انتبه  
الآن ثميته.

بعد ذلك ضرب الشيطان أيوب بقروح رديئة من رأسه  
وحتى قدميه، فأخذ لنفسه شقفة حتى يحك بها جروحَه.  
مضى زمانٌ ولكن لم تخرج من فم أيوب كلمةٌ تدمرُ  
أو قولٌ تمررُ ضدَّ الله، رُغمَ أنَّ زوجته أيضاً كانت تدفعُه  
ليجدفَ فيضعُ حداً لمعاناته.

وهكذا، إذ كافأ اللهُ صبرَه وإيمانه، أنقذه من  
مرضه ومنحه خيرات أكثر مما كان له في السابق.

(أيوب ١: ٢-١٠، ١٠: ٤٢).

## تجارب المسيح

اقتيد يسوع من الروح من بعد معموديته إلى البرية  
لكي يواجه تجاربَ الشيطان. ومكثَ صائماً أربعين يوماً  
ولكنه بعدها جاع. وعندها ظهرَ له الشيطان وقال له: إن  
كنت أنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارةُ خبزاً.

أجابه المسيح: يقول الكتاب "ليس بالخبزِ وحده يحيا  
الإنسان بل بكلِّ كلمةٍ تخرج من فم الله".

ثم أخذَه الشَّيرُ إلى أورشليم وأوقفَه على جناح

الهيكل وقال له: "إن كنت ابن الله فألقِ بنفسك من فوق لأنّ الكتاب يقول: "لأنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم رجلك بحجر".

فأجابه المسيح: ويقول الكتاب في موضع آخر "لا تجرّب الربّ إلهك".

ثم في النهاية أصدده الشيطان على جبل عالٍ جداً وأراه جميع ممالك الدنيا وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررتَ وسجدتَ لي.

فأجابه يسوع: اذهب عني يا شيطان لأنه مكتوب "للربّ إلهك تسجد وإياه وحده تعبد".

وهكذا تركه إبليس ومضى، فجاءت ملائكة وصارت تخدمه. (مت ٤: ١-١١، لوقا ٤: ١-١٣).

## قيامه المنتحر

كان القديس مرتينوس رومياً وضابطاً في أيام الإمبراطور تراجانوس (٩٨-١١٧ م). ولكنه رذل المناصب الدنيوية والمجد والغنى وتوحد. وبسبب فضيلته الكبيرة استؤهل لرتبة رئاسة الكهنوت وصار راعياً لمدينة قسطندية، التي تُدعى حالياً تورز في فرنسا.

ذات يوم كان القديس يمشي في المدينة. ولما وصل إلى السوق شاهدَ جمعاً هائجاً. رجالاً ونساءً وأطفالاً مجتمعين حول شابٍ كان يبدو ميتاً على الأرض. وأخبره الجمع بأنَّ الشاب انتحر قبل قليل. كان قد شتق نفسه.

بعدما وقف رئيس الكهنة بجانب جسد الشاب العادم الروح ونظرَ إليه صامتاً لبعض الوقت، قال بلهجة اليقين: سببُ هذا الشر هو فعلٌ شيطاني. ثم استدار نحو الشرق وسجد واستسلم لصلاةٍ طويلة. وحين نهض تطلَّع ثانية نحو الميت وقال بلهجة الأمر: أيها الروح الشرير النجس الذي دفعتَ هذا الشاب ليشنق نفسه، باسم ربِّنا يسوع المسيح أظهر لنا نفسك أمامنا لكي نراك.

وبالفعل، في اللحظة ذاتها، ظهر الشيطان أمام عيون الجمع المندهِش. كانت عيناه حمراء اللون كالنار وشفته سوداء تماماً. وكان لسانه يتدلَّى من فمه مثل الكلب العطشان ويمسك بيديه الطويلتين حبلاً. فسأله القديس:

- قل لنا أيها الروح النجس ما هو عملك؟

- إنني أدفع الناس إلى الانتحار. أجابه الشيطان. هذا

هو العمل الذي أوكله إليَّ رئيسي إبليس.

- ولماذا دفعتَ هذا الشاب إلى الانتحار؟

لقد كان في السابق من عبدة الأوثان ومن ثم صار مسيحياً. ولكنه لم يكن يحفظ وصايا المسيح ولا يفكر في الحياة الأبدية. كان يعمل مشيئاته الرديئة ويسقط طوعياً في خطايا ثقيلة. وفي نهاية الأمر فقد رجاءه بالخلاص نهائياً. ولما وجدته على هذا الحال لم أخسر الفرصة فدفعتُه للتفكير بالانتحار شنقاً كي يكون لي رفيقاً في النار الأبدية.

فصرخ رئيس الكهنة قائلاً: يا فاعل الشر. ألا يكفي بأنك دفعتَ هذا الشقي إلى الهلاك وأنت تتجرأً باتهامه أيضاً بأنه هو الملام؟ أمرك باسم يسوع المسيح: اذهب لتسكن في البراري، وحين تأتي نهايةُ الأزمنة اشنق نفسك أنت ورفاقك في الجحيم، في النار التي لا تطفأ المعدة لكم.

وللحين اختفى الشيطان. حينئذٍ صلى القديس مارتينوس بحرارة فوق الميت وقال بعدها: يا ربّي وإلهي إنّ تحنّك لا حدّ له ومحبتك للبشر لا يمكن للمرء أن يُخبر عن مقدارها. فلا تُعرض عن جبلتك. تطلّع إلى عبدك



بناظرك الشفوق وأقمه لكي يتمجد اسمك الفائقُ  
القداسة.

وبكلمات صلاة القديس هذه فتح الميتُ عينيه  
وانتصب واقفاً. وبعدهما تطلع حوله سقطاً على قدمي رئيس  
الكهنة باكياً وقائلاً بامتنان: أشكرك يا قديس الله  
لأنك لم تتركني في موضع الجحيم المرّ المليء بالعذاب.  
أرجوك أرشدني الآن إلى طريق الخلاص.

أجابه القديس: اليوم يا ولدي أنت اختبرت عذابات  
الجحيم. ورأيت أيَّ شرٍّ عظيمٍ تُسبَّبُ الخطايا للإنسان. فثب  
وامتُتِ الخطيئة.

وقدم الأسقفُ المحبُّ لله للشباب نصائحَ أخرى غيرها  
قبل أن يُطلقه ليذهب بسلام.

## تجارب القديسة مافرا

حاصرت تجاربُ شيطانية الشهيدة مافرا المجيدة  
(٢٨٣م) بينما كانت تنازع سكرات الموت على الصليب  
من أجل إيمانها بالمسيح.

بقيت على الصليب مدة تسعة أيام لبلياليها قبل أن  
تودع نفسها بين يدي الرب، حسبما حصل مع زوجها

القديس تيموثاوس. في الليلة الأولى شاهدت رؤيا. ورأت إنساناً يبتسمُ لها ويقترّب منها وشكله طفولي، وكان يمسك بيده كأساً مليئاً عسلاً وحليباً. دنا بالكأس إلى شفيتها وقال لها بطريقة حلوة: خذي واستمتعي بهذا الكأس. أحضرته لأجلك. سوف يشدّدك.

ولكن القديسة، التي كانت تصلي بلا انقطاع، لم تسرع بقبول عرضة. أرادت أن تختبره فسألته:

- من أنت؟

- أنا ملاك الرب.

- إذا كنت ملاك الرب كما تقول فهل نبكي معاً

ونصلي للمصلوب.

- أتعلمين. لما رأيته على الصليب بدون طعام،

أشفقتُ عليك. هل ستتمكنين يا ثرى من الاستمرار؟

- من الذي أرسلك لتقول لي هذه الأقوال؟ سألته

القديسة بصوتٍ ضعيف. ألا تعلم أنني بالصبر، بالإمساك

والصلاة أرتفعُ إلى العلى؟

ومن دون أن تضيف أيّ شيء استسلمت للصلاة

وصرخت في لحظةٍ قائلةً: يا صليب المسيح خلّصني بقوتك.

فشاهدت وقتها ذاك الزائرَ المجهول يُدير وجهه باتجاه الغرب ويستحيلُ دخاناً. ففهمت بأنّ "الملاك" لم يكن إلاّ الشيطان الخبيث الذي كان قد أتى في أحوالٍ أوقات حياتها لكي يُضِلّها.

وبعد قليل زارها واحدٌ آخر. أمسكها هذا بيديه بسرعة وأنهضها ومضى بها إلى نهرٍ واسع. وكان يجري بين ضفتيه عسلٌ وحليب. وهمس لها هذا "المحسن" الجديد قائلاً: اغتري في واشربي قدرَ لهفتك. فأجابت على عرضه المفري قائلةً: لن أشربَ ماءً أو أي مشروبٍ آخر إذا لم تلاصق شفّتي كاسَ المسيح المصلوب. فهذا الكأس يمنح خلاصاً وحياةً أبدية.

فاغترف ذلك المجهول من النهر وبسط يديه وشرب. وللحال اختفى العسل والحليب. واستحال النهر طيناً، طيناً أحمر اللون، دماً وتراباً. وفي اللحظة ذاتها اختفى الشيطان ووُجدت القديسة مرةً أخرى معلقةً على الصليب.

## الشجرة الشيطانية

في بلدة بلاكوميّا من مقاطعة ليكيا كانت توجد شجرة هائلة الحجم في أيام القديس نيقولاوس (٣٢٠م).

سكنَ في أعلى تلك الشجرة شيطانٌ مرسلٌ من إبليس من أجل أن يعدّب البشر. جميع الذين كانوا يقتربون من الشجرة كانوا يباشرون التكلم بكلام غير مفهوم ويثرثرون. وكانت الحيوانات تنفق بسبب الفعل الشيطاني حين تقترب من الشجرة.

لم تفض صلوات القرويين وابتهالاتهم إلى نتيجة. أراد بعضُ القوم أن يقطعوا الشجرة ولكنهم لم يستطيعوا. ففي كلِّ مرّة كانوا يحاولون فيها ذلك كانت تسقط الفؤوسُ على رؤوسهم فتجرحهم أو تقتلهم. فلم يعد أحدٌ يجرؤ على الدنو من الشجرة. وفي نهاية الأمر أصاب اليأسُ الناس وأخذوا يرحلون من ذلك المكان تاركين ورائهم أملاكهم وبيوتهم.

وفي هذه الأثناء سمعوا بالعجائب التي كان نيقولاوس رئيس أساقفة ميرا يجترحها. فمضى إليه بعض سكان البلدة وسجدوا أمامه ورووا له عذاباتهم وتوسّلوا إليه وهم يذرفون الدموع قائلين: أشفق علينا يا عبد الله نيقولاوس. ارث لحالنا. تغاض عن خطايانا وساعدنا لأننا نضيع.

فسألهم رئيس الكهنة: هل تؤمنون بأنني أستطيع أن  
أنجيكم من الشيطان بقوة الرب؟

أجابوه جميعاً بضم واحد: نعم يا رئيس الكهنة  
القديس. أنت تستطيع أن تعمل كل شيء بنعمة الإله القادر  
على كل شيء.

وفي صباح اليوم التالي، بعد سهرانية استمرت الليل  
كله، انطلق القديس برفقة الشعب. حين انتبه الشيطان  
إلى أن القديس الصانع العجائب قادمٌ طلب المساعدة من  
شياطين أخرى.

أخذ القديس يصلي وهو يقترب من المكان الحامل  
لعنة الشيطان قائلاً: ليقم الله وليتبدد جميع أعدائه ويهرب  
مبغضوه من أمام وجهه". وحين اقترب إلى الشجرة أمر  
الشبان قائلاً: خذوا فؤوساً واقطعوا الشجرة. ولكن أياً من  
الشبان لم يجرؤ أن ينفذ الأمر. كانوا كلهم خائفين.  
وعندها أخذ القديس فأساً وضرب الشجرة ثلاث مرات  
قائلاً: "على اسم الآب والابن والروح القدس" هلموا الآن ولا  
تخافوا.

تشجع ستة رجال فجاءوا إلى قريه وشرعوا يضربون

الشجرة بفؤوسهم. وما هي إلا برهة من الزمان حتى تمّ قطع الشجرة.

ولكن الشياطين لم تدع الشجرة تسقط. قامت بحملها عالياً وهجمت بها على المسيحيين. ولما رأى الناس الشجرة آتيةً باتجاههم صرخوا برعدةٍ قائلين: أيها السيّد القديس أعنّا. فبسطَ القديس يده، بقوة الله، وأمسك الشجرة وألقاها أرضاً. وحين رأى الشعبُ العجيبةَ الغريبة مجّد الرب وجثا أمام رئيس كهنته العظيم.

وأما الشياطين فلعجزها أمام قوة القديس الإلهية هربت. ولكن القديس نيقولاوس أمسك الشيطان وجعله يجمدُ في مكانه وطرحه أرضاً وهو يرسمُ إشارة الصليب المقدس عليه قائلاً: قف أيها النجسُ. فأصدر الشيطانُ صرخةً عاليةً جداً حتى أنّ المكان اهتزَّ برمته، وأخذ الشيطانُ يتوسل إلى القديس قائلاً: أستحلفك بالذي منحك قوةً وسلطاناً كهاتين ألا تفعل بي شراً. اتركني أرحل، وأنا أعدك بأنني لن أعود إلى هذا المكان مرةً ثانية.

فقال له القديس: لن أتركك حتى تخبرنا من الذي

أرسلك إلى هنا وما هو عملك؟

فأجابه: لقد كنتُ عظيماً ومهماً في السماء قبل أن  
أسقط، كنتُ موجوداً هناك حين صنع الله السماء،  
كنتُ أمسِكُ حُكْمَ البرق والرعد وكنتُ أضبطُ جماح  
الأمطار، الرياح والغيوم. أنا الذي تراني الآن كانت قوا تُ  
السموات تحترمني. ولكنني سقطتُ برفقة رئيس  
طغمتي، وهو الذي أرسلني إلى هنا كي أعدبَ البشر، إلى  
أن أتيتَ أنتَ وسببتني. فقال القديس مبتسماً: لقد سُيِّتَ  
للخير أيُّها الكلِّي الشرُّ.

وكانت في ذلك المكان صخرة كبيرة. قام القديس  
برسم إشارة الصليب الكريم عليها. وللحال انشطرت  
الصخرة إلى شطرين وتولدت من الانشطار نارٌ. أمرَ  
القديسُ الشيطان أن يدخل في فتحة النار. وبعد ذلك رسم  
إشارة الصليب ثانيةً على الصخرة فرجعت إلى وضعها  
الأول. ثم استدار القديس نحو الشعب وقال له: قوموا ببناء  
كنيسة في هذا المكان الذي كانت الشجرة فيه. وخذوا  
من الشجرة قدر ما تشاؤون من الأخشاب من أجل البناء.

قطعَ المسيحيون وعداً بأن يفعلوا ما أمرهم به  
القديس. وبعدها بارك القديسُ المكانَ والشعبَ عادَ

أدرجه إلى ميرا.

## القديسة مارينا

عاشت القديسة مارينا العظيمة في الشهيدات في مدينة أنطاكية من أعمال بيسيدية واستشهدت هناك في القرن الرابع الميلادي لأجل المسيح.

تيمت القديسة من أمها وهي في سن صغيرة. وحينها أودعها والدها إيديسيوس، وكان كاهناً مهماً من كهنة الأوثان، إلى امرأة لتعتني بها، وكانت تلك المرأة مسيحية في السر. وهكذا نالت مارينا تربيةً مسيحيةً. تأصلت في نفسها بذرة الإيمان ولم يتأخر الوقت حتى أئبعت ثمار الفضيلة والاستشهاد.

عندما كانت فتيةً فقدت والدها، وكانت حينها في عمر خمسة عشر سنة. وحين صادفها أوليمفريوس حاكم بيسيدية ذات يوم في المدينة. أصابه الذهول من جمالها الملائكي وأراد أن يتخذها زوجة له.

وللحال أمر بأن يتم إحضارها للمثول أمامه ولكن وجهه تبدلت هيئته وكأنه عرف بشأن إيمانها بالإله الحقيقي. فبدأ يتملقها، يحاول إغراءها، ويعدها بمغريات



كثيرة من أجل أن تتكر المسيح وتقدم الذبيحة لألهته الكاذبة، ولكن بدون جدوى. مكثت مارينا ثابتة العزم مستعدة بأن تواجه كل شيء من أجل عريس نفسها غير المأثت.

ألقى بها الحاكم في السجن وقام بتعذيبها بقسوة. ولكن تلك إذ تشدّدت بالنعمة الإلهية واجهت كلّ التعذيبات بثباتٍ مدهش وشجاعة. وحين رأى الشيطان أنه لم يتمكن بواسطة خادمه أوليمفريوس أن يقهر فتاةً غضةً العود، جنّ جنونه بسبب شرّه وقرر أن يحاربها هو بنفسه.

تسبّب بزلزالٍ كبيرٍ في السجن حيث كانت مارينا محفوظة، واتخذ هيئة وحشٍ مخيف وظهر أمامها. كانت شرارات من النار تخرج من عينيه وفمه وأحاطت بالقديسة. كانت أسنانه بيضاء ولسانه أحمر كالدم.

اهتزت مارينا للحظة ثم لجأت بإيمانٍ إلى سلاح الصلاة القوي. هجم الوحش عليها وفتح فمه بأكمله مريداً أن يلتهمها. وعندئذٍ استدعت القديسة اسم الرب ورسمت بيدها إشارة الصليب المقدس. بهذا العمل، للحال اختفى ذلك الوحش المخيف.

مجدت الشهيدةُ الله وهيات نفسها لهجومٍ جديدٍ من الشرير، الذي فعلاً لم يتأخر عن شنِّ هجومه الثاني. هجم الشيطان عليها هذه المرة بشكلٍ آخر، كإنسان بهيئة كلبٍ أسود له قرنان وذيل. ولكن إذ تشجعت القديسة بنصرها السابق، أمسكته من قرنيه وقذفته وضربته على رأسه وظهره بمطرقةٍ كانت بالقرب منها. فخزي الشيطان للمرة الثانية واختفى. وبعدها لم يجسر أن يدنو إلى القديسة ثانيةً.

بعد مغادرته، أخذ يخرج من صليبٍ كبيرٍ نورٌ عظيم وملاً السجن. وفوق الصليب ظهرت حمامةٌ بيضاء وتردد في المكان صوتٌ عذبٌ يقول: افرحي يا مارينا أمة الرب الأمينة، لأنك انتصرت على العدو الشرير. افرحي لأن الساعة التي ستتالين فيها إكليل المجد الأبدي قد أتت وستسكنين مع العذارى العاقلات في الخدر السماوي.

## تجارب القديس أنطونيوس الكبير

منذ بداية حياته الرهبانية، اختبر القديس أنطونيوس (٣٥٦م) تجارب مخيفة. كان الشيطان يهمس له قائلاً: يا أنطونيوس، ماذا تعني الحياة النسكية؟ هل نسيت

أملالك التي ورثتها عن أبيك، الأقرباء، الفنى، المجد،  
الراحة؟ ألا تعلم بأنك لك حقوقاً في الحياة؟ ألا تعلم بأن  
طريق الفضيلة صعبٌ وهو غير ممكن تقريباً؟ ألا تعلم بأن  
جسدك ضعيف جداً ولن يستطيع احتمال المشقات؟



مرّات أخرى كان يضايق فكره في ساعات نومه  
بأفكار رديئة. كانت يتّخذ أيضاً هيئة نساء غير  
محتشّمات لكي يلقي به في الزنى، أو يتّخذ شكل  
وحوش ضارية ليسبّب له الهلع.

ولكنّ البارّ كان يحارب تلك الأمور كلها  
بالصلاة، بالصوم، بلوم الذات والأفكار المقدسة، التي  
كانت ترفع ذهنه إلى المسيح، أفكار عدم موت النفس،  
الدينونة الأخيرة، غبطة القديسين الأبدية وجحيم الخطأة  
الأبدي، فتطفئ لهيب التجارب وتحرّره من فخاخ الشيطان.



ذات ليلة، اجتمع عدد كبير من الشياطين بالقرب  
من منسك القديس أنطونيوس الكبير وأحدثوا ضجة  
كبيرة جداً بحيث كان المرء يخال بأن الكون كله قد

تساقط. وبدأ للقديس وكأنّ قلايته تهدّمت والوحوش الضارية تُحيط به من كل جانب.

امتلاً المكان بالأُسود، الدبية، النمور، الثيران، الذئاب، الحيات والعقارب. وكان كلُّ وحشٍ يتصرف بحسب طريقته الخاصة. تهيأ الأسد للانقضاض على فريسته. الثور أخذ يلوح بقرنيه مهدداً. الذئب تحضّر كي يهجم عليه. الأفعى كانت تزحف بقربه. وكانت كلها تُصدر ضجيجاً مرعباً.

بعد قليل بدأت الضربات واللطمات. كان جسد القديس يتألم جداً. ولكنّ نفسه لم تحر. وبينما كان يئنُّ من الألم توجه بحديثه نحو الأعداء قائلاً: لو كنتم تمتلكون سلطةً عليّ لكان يكفي أن يقتلني وحشٌ واحد فقط. ولكن بما أنّ إلهي قد سحّكم فأنتم تحاولون أن تخيفوني بكثرة عددكم.

فصرّف الأعداء بأسنانهم واختفوا.



ذات مرّة أيضاً ظهرت له الشياطينُ بهيئة نورانية وقالت له: أتينا لكي نمنحك نوراً. فأغلق القديس عينيه

وأسلم ذاته للصلاة إلى أن رحلت الشياطين خازية.



ذات مرةً أيضاً جاءه الشيطان بهيئة عملاق مهيبٍ  
وقال له: أنا قدرة الله. ماذا تريدني أن أمنحك؟  
فبعدما استتجد القديس بالله نفخَ على العملاق في  
وجهه. وللحال اختفى ذلك.



أيضاً في وقت الصوم اقترب إليه الشيطان مرةً  
بشكلٍ راهبٍ يحمل خبزاً وقال له: يا أخي، كُلْ الآن ودع  
عنك المزاولات. سوف تمرض فماذا سيحصل لك؟  
بدأ القديس يصلي. فخرج الشيطان من الباب بشكلٍ  
دخانٍ واختفى.

## تشكي الشيطان

ذات يومٍ سمع القديس أنطونيوس صوتَ طرقٍ على  
باب قلايته. ولما فتح الباب رأى أمامه إنساناً بشعاً طویل  
القامة فسأله:

- من أنت؟

- أنا الشيطان.

- وماذا جئتَ تطلبَ هنا؟

حينئذٍ أخذَ الشيطانُ يتشكَّى للقديسِ قائلاً:

- لماذا يتَّهمني الرهبانُ وجميعُ المسيحيينَ ظلماً. لماذا

يلعنونني في كل ساعة؟

- ولماذا تضايقهم أنت؟

- لستُ أضايقهم أنا، إنهم يضايقون أنفسهم

بأنفسهم. أنا الآن ضعيفٌ بالكلية. ألم يقرؤوا قول المزمور

"نفذت سيوفُ العدو إلى النهاية" ليس لي موضعُ الآن، ليس

لي مكانٌ ولا مدينة. المسيحيون موجودون في كل مكان.

في حين امتلأت البرية بالرهبان. فليحفظوا هم إذن أنفسهم

ولا يلعنوني بغير وجهٍ حق.

فقال له البار وهو متعجبٌ من سماعه لتلك الأقوال:

أنت كاذبٌ دوماً. ولكنك الآن ورغماً عن إرادتك تفوَّهتَ

بالحقيقة. لأنَّ المسيح بالفعل، بقدمه على الأرض، جرَّدك

من قوتك وأخزأك.

وحالما سمعَ الشيطانُ اسمَ المسيح اختفى كالدخان.

## ندمُ الراهب

ذهبَ الأنبا بولس البسيط تلميذ القديس أنطونيوس

الكبير (القرن الرابع الميلادي) مرّةً إلى أحد الأديرة. وفي وقت الصلاة لم يدخل إلى الكنيسة بل جلس قرب الباب وأخذ يلاحظ كلّ واحد من الإخوة كان يأتي إلى الكنيسة. كان القديس بولس البسيط قد نال من الله موهبة الرؤية وكان باستطاعته أن يميّز حالة الشخص النفسية مثلما نستطيع نحن أن نراه بشكله الخارجي.

كان يرى الإخوة يدخلون الكنيسة بهيئةً منيرة ووجه مشرق يرافقهم ملاكٌ. ولكن ظهر واحدٌ من الإخوة كان برفقته حشدٌ من الشياطين وكان قد وضع له لجاماً في رأسه وبدأ حشدُ الشياطين يسحبه إلى جهته، في حين أن ملاكه الحارس كان يقف حزيناً بعيداً عنه.

دمعت عينا القديس بولس وهو يُبصر هذه الحالة، وبسبب حزنه الشديد أخذ يقرع بيده على صدره. تعجّب الرهبان من تصرفه هذا وأخذوا يتوسّلون إليه بأن يدخل إلى الكنيسة. ولكنه بقي خارجاً ينتحب على سقوط الأخر. وحين انتهت الخدمة، أخذ القديس يتابع بنظره الإخوة الخارجين من الكنيسة. فشاهد ذلك الآخر يخرج الآن بوجهٍ منيرٍ. وكان ملاكه الحارس قد اقترب إليه في

حين أن الشياطين ابتعدت عنه. ولدى مشاهدة البار لهذا الأمر صرخ من شدة فرحه قائلاً: يا لصالح الله ومحبته للبشر التي لا حد لها!

وللوقت جمعَ رهبان الدير جميعاً حوله وروى لهم ما كان قد أبصر قبل أن تبدأ الخدمة الليتورجية وما رآه بعد انتهائها. ثم طلب إلى ذلك الأخ أن يقول لهم ما الذي يحصل وكيف وهبهُ اللهُ هذا التغيير العجيب. فبدأ ذلك الأخ يعترف أمام الجميع قائلاً: أنا إنسان خاطئ قضيتُ حياتي في الفسق. ولكن اليوم وبينما كنتُ أدخل إلى الكنيسة، سمعتُ أشعيا النبي، أو الله ذاته بالأحرى يقول بضم النبي: "اغتسلوا وتقوّا، ارموا الخطيئة بعيداً عن قلوبكم وأنا كالثلج أبيضُكم". ولدى سماعي هذه الأقوال، أصابني الخشوع وتهدتُ وقلتُ لله: "أنت يا من أتيت إلى العالم لتخلص الخطاة، هذا الذي وعدته بضم نبيك أنجزه في أنا الشقي غير المستحق. وأنا أعدك بأنني لن أقترف شراً بعد الآن. إنني أترك كلَّ تعدُّ. سوف أخدمك من الآن فصاعداً بقلبي نقي. اقبل يا ربُّ توبتي هذه، اقبل قراري بأن أبتعد عن كل خطيئة".

ولما سمع الإخوة هذه الأقوال أصابهم الخشوع



ومجدوا الله.

## حمامة أم غراب

كان الأب نيكيتاس يتكلم عن راهبين كانا قد عزمنا على أن يزاولا النسك سويةً. فقال الأول في نفسه: "سأفعل كلما يريده أخي". وبعد ذلك فكر الأخ الثاني بالشيء ذاته قائلاً لنفسه: "سأخضع إلى أخي". وعاش الاثنان في مودة هكذا سنين عديدة.

ولكن الشيطان حسدهما وصمّم أن يفرّقهما عن بعض. وبعدما وقف خارج باب قلّابتهما بدا للأول بشكل حمامة وللثاني بهيئة غراب. فسأل الأول الثاني قائلاً: أترى هذه الحمامة؟ إنه غراب، قال الثاني. أجابه الأول لا بل هي حمامة. وتتالت الكلمات من هنا واحدة ومن هناك واحدة وبدأ الاثنان يتخاصمان. ولم يتأخرا حتى شرعا بضرب بعضهما البعض. وبالنتيجة افترقا عن بعضهما، وفرح الشيطان فرحاً كبيراً جداً.

وبعد ثلاثة أيام، انتبها إلى ذاتهما وفهما بأن الشيطان ضحك عليهما. وبعدما ضرب كل واحد منهما مطانية للأخر عاشا إلى نهاية حياتهما بدون أن يفترقا البتة.

## قوة التواضع

ذات مرّة حسدَ إبليسُ راهبينَ كانا أشقاء بالجسد  
وبعثَ شيطاناً لكي يفرّقهما عن بعض.

وذات مساءً، بينما كان الأخ الأصغر يُشعل المصباح،  
استدار الشخصُ المسؤول عن إشعال المصابيح إلى الورا  
بفعلِ الشيطان. سقط المصباح على الأرض وانكسر.  
وحينها غضب الأخُ الأكبر وضرب الأخ الأصغر. ولكن  
هذا الأخير ضرب له مطانية قاتلاً: لا تتضايق يا أخي  
فسوف أصلحه.

وفي اللحظة ذاتها قيّدت قوةُ إلهية الشيطانَ فبدأ  
يتعذّب. وعندما انحلت رُبُطه في الصباح مضى إلى رئيسه  
وذكر له ما حصل.

وحدّث أن سمعَ الحديث الدائر بينهما أحدُ كهنة  
الأوثان. فتأثر كثيراً بسبب هذا الحديث حتى أنه نال  
العمودية وصار مسيحياً وبعد ذلك ترك العالمَ وصار راهباً.  
ومنذ البداية وضعَ التواضعَ أساساً لحياته الرهبانية. وكان  
يقول ويكرّر القول بأنه هو نفسه سمعَ الشيطان يقول بأنَّ  
التواضع يشلُّ قوته. أي حالما يتخاصم الرهبان ويُسرّع

أحدهم بضرب مطانية أمام الآخر فللوقت تبطل قوته  
الشيطانية.

## شيطان الشراهة

كان لأحد الرهبان مبدأً في حياته وهو أن لا يأكل  
سوى مرة واحدة في اليوم عند الساعة الثالثة بعد الظهر.  
ولكنه ذات يوم شعر بالجوع منذ الصباح. فتصارع مع  
فكره بأن لا يأكل حتى الساعة التاسعة. وصارت الساعة  
التاسعة ولكنه غصب ذاته بأن ينتظر حتى الساعة الثانية  
عشرة. وحين صارت الساعة الثانية عشرة وضع خبزه  
ليأكل. ولكنه أيضاً نهض قائلاً لفكره: "فلأنتظر حتى  
الساعة الثالثة". وفي النهاية عند الساعة الثالثة، حالما صلى  
رأى عياناً قوة الشيطان، التي كانت تحاربه طوال النهار،  
وهي تخرج مثل الدخان من عمله اليدوي وتصعد باتجاه  
السماء. وبعد ذلك لم يعد الراهب يشعر بالجوع.

## الأب ماركيلوس

نقرأ في حياة الآباء الشيوخ عن الأب ماركيلوس  
الذي نسك في مغارة تقع أسفل جبال لبنان، بالقرب من  
مدينة صغيرة. كان إنساناً وديعاً وطيباً جداً ولهذا السبب

كسب ثقة جميع سكان المنطقة.

مكث الأب ماركيللوس في هذا المكان ستة أعوام وقاسى تجارب كثيرة من الشياطين التي كانت تحاول بكل الوسائل أن تبعده من المغارة وحياة الهدوء. ولكن الناسك الشجاع كان يصبر على كل شيء بشجاعةٍ مدهشة.

وفي نهاية الأمر جرّب الشيطان الحيلة التالية. اتخذ شكل الشيخ وبدأ يطوف في شوارع المدينة. وحين كان يشاهد امرأة تمشي لوحدها في الطريق كان يدنو إليها ويخاطبها بأقوال غير لائقة ويحثّها لتسقط في الخطيئة قائلاً بأنه ليس من الشرّ بشيء أن يزني المرء سرّاً.

قام الشرير بهذا الأمر مرات عديدة. أخبرت النسوة رجالهنّ بالأمر فشاع الخبر في المدينة كلها.

وذات يوم اجتمع الرجال في الكنيسة الرئيسية، وهناك وقفَ المسؤولُ الإكليريكي، الذي جاء لينظر في الموضوع، واستدعى النسوة وسألهنّ: هل صحيح بأنّ الأمور هي هكذا وهكذا؟ فأجابته النسوة، وكنّ يتجاوزن العشرين امرأةً، بتأكيدٍ قائلات: ليس مرّةً واحدةً واشتاتن

بل مراتٍ كثيرة أخذ يحاول إقناعنا لكي نقع في الخطيئة معه.

ولسوء الطالع لم يتخيل أحدٌ بأنّ تلك الأمور كلها كانت عبارة عن مكيدة شيطانية محبوبكة جيداً. وتقرّرَ في نهاية الاجتماع أن يذهب بعض الشبان الأشداء ويطردوا الشيخ بالقوة. فذهبوا وضربوه بالعصي بوحشية، قصّوا له لحيته، وسحبوه خارج المغارة وتركوه مرمياً على قارعة الطريق.

وبعد ذلك عبّرَ به بعض عابري السبيل من بيروت. فرجاهم أن يعيدوه إلى مغارته. وهناك استعاد صحته شيئاً فشيئاً. ولكنّ رجال المدينة كانوا يذهبون بين الفترة والأخرى ويضايقونه، يشتمونه ويهينونه. استمرت هذه الحالة ثمانية عشر شهراً بطولها. ولم يتذمّر الشيخ ولا تشكّى. بل كان يشكر الله ويرجوه من أجل خلاص الذين يؤذونه.

وفي النهاية، أُعلن للمسؤول الإكليريكي بأن كل ما تُسبّب للشيخ كان تخيلات شيطانية بوضوح. وحينئذ، هؤلاء الشبان الذين ضربوا الشيخ والنسوة اللواتي اتّهمنه

بدأ يصيبهنّ مسُّ شيطاني ويُخرجون زبداً من أفواههم.  
وحين علمَ سكانُ المنطقة بالأمر ركضوا تائبين ليلتمسوا  
المغفرة من الأب ماركيلوس ويأخذوا بركته. ولكنَّ الأب  
كان قد رحل خفيةً إلى جبل نتريا.

## ماذا يهزم الشياطين

كانت الأم ثيودورة تقول بأنه كان هناك ناسكٌ  
يمتلك موهبة طرد الشياطين من البشر. وقد سأل هذا  
الناسك الشياطين قائلاً:

- ما هو الشيء الذي يجعلكم تخرجون وتهربون؟ هل

هو الصوم؟

- ولكننا لا نأكل ولا نشرب. أجابته الشياطين.

- هل هو السهر؟

- ولكننا لا ننام.

- إذن، هل هي الحياة في البرية؟

- نحن نسكن في البراري دوماً.

- إذن ما هو الشيء الذي يطردكم؟

- هناك شيء واحد فقط ينتصر علينا: التواضع!!

## تجارب القديس باخوميوس

حاربت الشياطينُ القديسَ باخوميوسَ رئيسَ الحياة  
الرهبانية المشتركة (٣٥٨م) حرياً شعواء.

مرّةً اختلقت لديه انطباعاً بوقوع زلزال مخيف. فبدأ  
القديس يتلو الآية المزمورية: "الله ملجأ لنا وقوةٌ ولذلك لا  
نخشى ولو تزلزلت الأرض."

مرّةً أيضاً في سبيل أن تدفعه ليضحك اجتمعت  
بأعداد كبيرة وانقسمت إلى مجموعتين، وقامت بربط  
ورقة شجرة بحبال ثخينة وأخذ الواحد منها يساعد الثاني  
كي يجرّ الورقة كما لو كانت صخرة كبيرة. فتهدّد  
القديس ونقل بصره إلى اتجاهٍ آخر.

ذات مرّةً أحاطت به الشياطين بتوقيرٍ من جهتين كما  
لو كان حاكماً وكانت تقول لبعضها البعض: افتحوا  
الطريق ليعبرَ رجلُ الله. ولكن القديس وضع رجاءه في الله  
وتجاهلها.

وذات مرّةً دنا إليه شيطانٌ وقال له: افرح يا  
باخوميوس. أنا المسيح. لقد أفرحتني وجئتُ كي أزورك.  
وحين أبصر القديس في ذاته تشويشاً بدأ يفكّر

قائلاً: "حضور المسيح يملأ النفس بالفرح وليس بالخوف والمجد الباطل. ولكنني الآن مضطربٌ ومليءٌ بأفكار الكبرياء. فالذي يقف أمامي إذن هو الشيطان". ثم نهض للحال وهجم على الشيطان قائلاً: "لمعونٌ أنت وكل أعمالك". وللحال استحالَ الشيطانُ دخاناً مخلّفاً رائحةً كريهةً جداً ورائته في القلاية.

## "دكان حدادة" الراهب

كان ثمة راهب يسقط بشكل متكرّر، بسبب فعلٍ شيطاني، في خطيئة الزنى. ولكنه كان يجاهد حتى لا يطرح الإسكيم الرهباني وكان يصلي لله بتهدّات قائلاً: يا رب، سواء أردتُ أنا أم لم أرد، خلّصني. إنني ترابيٌّ وأشتهي الخطيئة، وأمّا أنت، فإنه قدير أعقني عنها. ليس من العجيب أن ترحم البارّ والنقيّ، بل أن تخلّص الخاطئ. فأظهر لي رحمتك يا رب لأنني بين يديك أودع ذاتي أنا الفقير.

كان الأخ يتلو هذه الصلاة كل يوم. وذات ليلة، بعدما كان قد سقط في الخطيئة قبلاً، نهض أيضاً ليصلي. وحينئذٍ اندهش الشيطانُ من رجاء الراهب بالله



ودألتِه، ظهرَ أمامَه وقال له: كيف لا تحمرُّ خجلاً وأنت  
تقفُ أمامَ الله وتلفُظُ اسمَه؟

فأجابَه الراهبُ: إنَّ قلايتي هذه دكانٌ حدادة.  
تضرب مطرقةً وترفعُ أخرى. سوف أصبر هنا حتى الموت  
محارباً ضدَّك إلى أن يحين يومي الأخير. وليكن في علمك  
بأنني لن أتوقَّفَ عن الصلاة ضدَّك إذا لم تتوقَّفَ عن  
محاربتِي وسنرى في النهاية من سينتصر، أنت أم الله!  
حين سمع الشيطانُ هذه الأقوالَ أجاب بخوفٍ قائلاً:  
في الحقيقة سوف أتوقَّفَ عن محاربتك حتى لا أصير أنا  
سبباً في حصولك على الإكليل بسبب صبرك.  
وفي اليوم ذاته، تركه الشيطانُ ورحل. فتخشع  
الراهب وبدأ يبكي خطاياَه. وهكذا بصبره وجدَّ طريق  
الخلاص.

### "المجد.....الآن وكل أوان.."

روى الأنبا إفسيفيوس كاهنُ لافرا رايتو بأنَّ شيطاناً  
ذهب إلى قلاية أحد الشيوخ بشكلٍ راهبٍ وطرقَ الباب.  
فتح الشيخُ الباب وقال له:  
- أهلاً وسهلاً. صلّ.

اكتفى الشيطان بقوله: "الآن وكل أوان وإلى دهر  
الداهرين آمين".

فقال له الشيخ ثانيةً: صلُّ.

"الآن وكل أوان وإلى دهر الدهرين. آمين".

قُل: "المجد للأب والابن والروح القدس"

وحالما سمع الشيطانُ هذه الأسماء المقدَّسة اختفى

وكانَّ النار أحرقتَه.

### سجنُ الشياطين الثلاثة

كان القديس ثيودوروس الفرميّ ينسك في الإسقيط

في نهايات القرن الرابع الميلادي. وذات يوم جاء شيطانٌ

مريداً أن يدخل إلى قلايته. ولكنَّ القديس، بقوة الله،

أمسك به وقيده خارجاً. وبعد قليل حاول شيطانٌ آخر

الدخول إلى قلايته، فقام الشيخ بتقييده أيضاً. وفي النهاية

جاء شيطانٌ ثالث. ولما رأى الشيطانين المقيدين سألهما:

لماذا أنتما واقفين هنا خارجاً؟

فأجاباه: الناسك الذي يجلس في الداخل لم يتركنا

ندخل.

فأراد الشيطان الثالث أن يدخل بالقوة إلى الداخل

ولكن أصابه ما أصاب رفيقيه. ولما كانت الشياطين  
الثلاثة مقيّدة خارجاً وخائفةً من صلوات القديس أخذت  
تتوسّل إليه قائلةً: فكّ قيدنا ودعنا نرحل. أجابه الشيخ:  
ارحلوا. فانصرفت الشياطينُ مخزّيةً.

## الراهب بوبليوس

إبان فترة تملك يولييانوس الجاحد (٣٦١-٣٦٣م) وبعد  
أن كان قد باشر عملياته الحربية ضدّ فارس، أمرَ  
شيطاناً بأن يذهب مسرعاً إلى الغرب ويجلب له من هناك  
جواباً عن الوضع.

وخلال سفر الشيطان، عبّرَ بأحد الأمكنة حيث  
كان ينسك راهبٌ اسمه بوبليوس. بقي الشيطان هناك مدة  
عشرة أيام لم يستطع أن يتحرك من مكانه فيتابع  
مسيرته. والسبب في ذلك صلواتُ الراهب الفاضل النارية،  
الذي لم يكن يتوقف عن التضرع لله ليلاً ونهاراً. وبعدما  
رأى الشيطان ما يحصل قفلَ راجعاً إلى يولييانوس. فسأله  
هذا الأخير قائلاً: لما تأخرت؟ فأجابه الشيطان: لقد عدتُ

---

١- كان يولييانوس منذ سني مراهقته مدرّياً في السحر واستدعاء الأرواح.

فارغ اليدين ولم أتأخر فقط في عودتي. مدة عشرة أيام متواصلة كنت أتابع الراهب بوليوس لعله يتوقف عن الصلاة فأستطيع متابعة طريقي. ولكن ذلك لم يتوقف عن صلواته، وبالنتيجة لم أستطع أن أتجاوزه فأعجز مهمتي. فأجابه يوليانوس حانقاً: حسناً سوف أتدبر أمره حين عودتي.

ولكن يوليانوس لم يستطع عملاً شيء لأنه أصيب برمح معادي إصابة مميتة.

### أطعمة الشيطان

كان القديس مكاريوس المصري يعيش بهدوء (٣٩٠م) في أعماق البرية. وإلى الأسفل من مكان سكناه قليلاً كان يوجد إسقيطٌ رهبانيٌّ مكتظٌّ بالرهبان. وذات مرة، بينما كان القديس يتطلع نحو الطريق شاهد الشيطان. كان بهيئة إنسان ويرتدي رداءً مثقوباً ثقوباً كثيرة. ومن كل ثقب كان يتدلى إناءٌ صغير. فسأل القديسُ الشيطان:

- أين أنت ذاهبٌ؟

- إنني ذاهبٌ كي أزعج الإخوة في الإسقيط، أجابه

## الشيطان:

- وهذه الأواني التي تعلقها عليك ما هي؟
- إني آخذ بها أطعمةً إلى الإخوة.
- بهذه الكثرة؟
- نعم. إذا لم يُعجب أحدهم نوعٌ ما أقدم له نوعاً آخر.
- ويكل تأكيد سينال أحدها إعجابَه.
- تفوّه الشيطان بهذه الكلمات وابتعد.
- وبعد حينٍ شاهده القديسُ يعود أدراجه فقال له:
- آمل بأنك نجوت.
- كيف أنجوت؟ طالما عاملني الجميع في الإسقيط
- بطريقة بشعة.

- حتى أنه لا يوجد صديق لك هناك؟
- هناك واحد، وهو على الأقل يستمع لي.
- وما هو اسم صديقك؟
- ثيوبيمبتوس. قال الشيطان هذا ورجل مبتعداً.
- فقام القديس مكاروريوس من ساعته وانطلق باتجاه
- الإسقيط. ولما علم الإخوة بقدمه خرجوا بأوراق البردى
- ليستقبلوه. وهناك التمس القديسُ أن يتعرّف على الراهب
- ثيوبيمبتوس وذهب إلى قلايته. قبله الأخُ بفرح. وحالما غادر

بأقي الإخوة المكان، قال له القديس:

- كيف حالك أيها الأخ؟

- بخير بصلواتك أيها الشيخ.

- هل لديك حربٌ مع أفكارك؟

- إنني بخير.

- ماذا عساي أقول لك أنا؟ لسنواتٍ طويلة أنسكُ

والجميع يكرّمونني. ولكن بالرغم من شيخوختي لا  
تتركني الأفكار الشريرة مرتاحاً.

وتابع القديس مكاروس حديثه وتظاهر بأنه  
يتعرّض لحربٍ من أفكار كثيرة، إلى أن كشفَ له  
الراهب ثيوبيمبتوس كلَّ مصاعبه. وبعد ذلك قام القديس  
مكاروس بتسديد النصّح له وباركه.

حين عاد إلى برّيته، رأى الشيطانَ مرّةً ثانية فقال له:  
أين أنت ذاهب؟ إنني ماضٍ لأزعج الإخوة في الإسقيط،  
أجابه الشيطانُ وابتعد.

وحين عودة الشيطانِ سأله القديسُ مكاروس:

- كيف قضيتَ وقتك مع الإخوة؟

- بصورةٍ بشعة، أجاب الشيطان. والأسوأ من ذلك

كله هو أن صديقي ثيوبيمبتوس، الذي كان يستمع لي حتى الآن، لا أعرف كيف اختلفت أموره وهو لا يستمع لي الآن. إنه يحاربني أكثر من الآخرين، حتى أنني أقسمت بأن لا أرجع إلى الإسقيط قبل فترة طويلة.

## حيلةُ القديس مكاريوس

قيل عن القديس مكاريوس المصري بأنه كان مرةً ذاهباً إلى الكنيسة من أجل المشاركة في الخدمة الليتورجية الاعتيادية، فرأى بعينه الرؤيويتين حشداً من الشياطين تقفُ أمام باب أحد الرهبان. بعض الشياطين كان قد اتخذ شكل نساء يتكلمن كلاماً غير لائق، وبعضها الآخر كان بشكل شبانٍ غاضبين وبعضها الآخر على هيئة شبانٍ يرقصون.

تهدأ القديسُ عندها وقال: ينبغي أن يكون الراهب المقيم هنا عائشاً بدون حيطةٍ، حتى تجتمع أمام بابهِ أرواحُ شريرة بهذا القدر وتتصرف بشاعة بهذا الشكل.

وبعد انتهاء الخدمة الليتورجية، عبر الأبُ مكاريوس ثانيةً من هناك وقرع الباب. قبله الأخُ بفرح كبير. وضع الشيخُ الخطة التالية في سبيل المحبة قيد التطبيق. فقال له:

- إنني متضايقٌ جداً يا أخي لأنني أعيش بكسلٍ كبير. ولكنني أعلم بأنك إذا صليتَ من أجلي أنت فسوف ينجيني الله من الأفكار الشريرة.

- ماذا تقول أيها الشيخ! أنا لستُ مستحقاً أن أصلي من أجلك.

- لن أرحل من هنا حتى تعِدني بأنك سوف تصلي من أجلي في كلِّ ليلة.

تقوّه الشيخ بهذا، من أجل أن يعطي حجّةً للأخ كي يصلي في الليل. فأطاع الأخ. نهض في الليلة ذاتها وعمل صلاة من أجل الشيخ. وبينما هو ينهي صلاته، تخشّع وأخذ يُفكر في نفسه: "يا نفسي البائسة، صليت لأجل شخصٍ قديسٍ وأنت لا تصلي لأجل قذارتك؟". فجلس حالاً وصلى من أجل نفسه وقتاً طويلاً. حافظ على هذا الأمر كلَّ ليلةٍ طوال أسبوعٍ كامل، أي كان يعمل صلاةً لأجل الشيخ وأخرى من أجل ذاته.

وفي يوم الأحد، كان الأب مكاريوس ذاهباً إلى الكنيسة فعبرَ ثانيةً بجانب قلاية الأخ. ولكن هذه المرة رأى الشياطين تقف خارجاً بعيداً منزعةً جداً. فسُرَّ الشيخ



لأنه فهم بأنَّ الأمر يعود لصلاة الأخ. وبينما كان راجعاً من الكنيسة، عبّر بقلاية الأخ وقال له:

- اعمل معروفًا يا أخي وأضيف صلاةً أخرى من أجلي. وفي الليلة ذاتها عمل الراهب صلاتين لأجل الشيخ وشعرَ أيضاً هذه المرة بخشوع كبير. وقال لنفسه: آخ أيُّها الشقيُّ ألا تضيف لنفسك أنت أيضاً صلاة، أنت يا من تحتاج الصلاة كثيراً؟. ثم صلَّى من أجل نفسه.

ولم يتأخر يوم الأحد التالي عن المجيء، حيث كان الشيخ يقترّب إلى قلاية الراهب، رأى الشياطين متمرمة وصامتة. ففرح الشيخ وشكرَ الله. وقابل الراهبَ مرةً ثانية وطلب منه أن يضيف صلاةً ثالثةً من أجله. فأطاع الآخر وأضاف صلاةً لأجل الشيخ وأخرى لأجل نفسه. وهكذا كان يعمل ستَّ صلواتٍ كلَّ ليلة.

وفي الأحد التالي، عبّر القديس مكاروريوس مرةً أخرى بجانب قلاية الراهب فرأى الشياطين غاضبةً منه وأخذت تتسبَّب له بالغضب. وعندها مجدَّ القديسُ اللهُ على تقدُّم الأخ الآخر. وبعدما طلب من الراهب أن يصلِّي بلا انقطاع تركه ورحل إلى قلايته.

الأمر ذاته فعلته الشياطين، لأنها حين شاهدت  
الراهبَ يجاهدَ بهمةً في الصلاة رحلت من قربه رحيلاً تاماً.

## الناسك الشجاع

كان هناك شيخٌ ناسكٌ ذهبَ وأقامَ في أحد هياكل  
الأوثان. وحالما أتت الشياطين ورأته اندهشت من جسارته  
وقالت له: ارحل من هنا لأنَّ هذا المكان لنا. فأجابها  
الشيخ: أنتم لا تمتلكون موضعاً خاصاً بكم.

فأخذت الشياطين تُبعثر له أوراق البردى التي كان  
يُحيكُ بها السلال. وكان الشيخُ يعود فيجمعها بصبرٍ.

وفي نهاية الأمر أمسكه الشيطانُ بيده وأخذ يجره  
إلى الخارج. ولكنَّ الشيخَ لما وصل إلى الباب أمسك بيده  
الأخرى بإطار الباب وصرخ قائلاً: يا يسوع أعنِّي.

ولدى سماع إبليس الاسمَ الإلهي تركه ورحل. وللحال  
بدأ الشيخ يبكي. فسمع صوتاً ينادي من فوق قائلاً:

- لماذا تبكي؟

- لأنَّ الشياطين تتجاسر بأن تمسك الإنسان وتفعل به  
أشياء كهذه.

- أنت الذي تهاملت، سمع الشيخُ الصوتَ يجيبه.

انظر حالما طلبتني وجدتني بقربك.  
بعد هذه الأقوال الإعلانية، شكر الشيخ الله وتابع  
عمله الروحي بغيرة أكبر.

## توبة الشاب

روى القديس يوحنا، الذي كان ينسك في القرن  
الرابع في منطقة بالقرب من مدينة ليكوبوليس في مصر،  
بأن كان هناك في منطقتة شابٌ معروفٌ بسبب شروره  
وأثامه.

ذات مرة، أناره الله، فتاب وقرّر أن يحبس نفسه في  
قبرٍ كي يبكي على خطاياها. كان يبكي بخشوعٍ ويقرع  
جبهته بالأرض، مُعرضاً عن الطعام ولا يتجاسر أن يذكر  
اسم الله. قضى أسبوعاً على هذا الحال. فالشياطين لما  
كانت منزعة لأجل تبدُّله، ظهرت له ذات يومٍ صارخة  
وقائلة:

- ماذا تفعل هنا أيها العادم الخجل؟ الآن وقد شبعت  
من كل نجاسةٍ، تُريد مزاولة الخير والفضيلة؟ باطلاً  
تتعب. الدينونة الأبدية تنتظرك. أسرع كي تفرح هنا قليلاً  
على الأقل فيما بقي لك من حياة. الزانيات ينتظرنك. لماذا

تقعده هنا؟ تعال معنا. أنت ملك لنا. تعال.

كانت الشياطين تقول له هذه الأشياء وما يشبهها. ولكنّ ذلك بقي غير متزعزع، من دون أن يجاوبها. فهجمت عليه من شرّها بكل جنون. اختطفته عنوةً وأخذت تقطع له لحمه. وتركته في نهاية الأمر نصف ميتٍ ورحلت. وفي اليوم التالي عثر عليه بعض أقاربه، الذين لما رأوا حالته أشفقوا عليه. وأرادوا أن يأخذوه معهم لكي يطبّبوا له جروحَه، ولكنه رفضَ الذهاب معهم. وكان هؤلاء يصرّون على أخذه معهم وهو يصرُّ على الرفض.

وفي الليلة التالية هاجمته الشياطين مرّةً أخرى. ضربته بقوة أكبر هذه المرة. ولكنّ ذلك صبرَ على كل ذلك وهو يشكر الله. وكان يقول لاحقاً لأقاربه الذين عادوا ليأخذوه مجدداً: الأفضل لي أن أموت على أن أعود إلى حياتي السابقة.

وفي الليلة التالية شارفت نفس الشاب على الخروج منه لأنّ الشياطين قامت بهجومها الأخير ضده. هجمت عليه بسلسلة وعذبته بدون رحمة. ولكن حين شاهده ثابتاً على عزمه، تركته نصف ميتٍ وهي تعترف خازيةً: غلبتنا،

غلبتاً!

ومنذ ذاك اليوم لم يقترب ذلك الشابُ شراً. عاش حياةً نقيّةً جداً يرمى توبته وبلغ إلى قمةٍ عاليةٍ في الفضيلة.

## الخيالة

يُروى أنّ راهباً عجوزاً ذهب مرةً إلى المدينة لبيع عمله اليدوي. وجاء جلوسه أمام بيت رجلٍ غني يُحتضر. هناك حيث كان الراهب العجوز جالساً، رأى فجأةً فرساناً أحباشاً مخيفي الشكل قادمين، وكانوا يُمسكون بأيديهم عصياً. وحالما وصلوا إلى البوابة، ترحّلوا عن خيولهم السوداء ودخلوا إلى غرفة المريض. فلما أبصرهم أخذ يصرخ وهو خائف: يا ربُّ ترأف عليّ وساعدني.

وحينئذٍ قال له الرسل الأحباش: الآن تذكرت الله؟ لماذا لم تلتمسه حين كان لا زال هناك نهاراً وأما بعد الآن فليس لك رجاءٌ ولا تعزية. ثم أخذوا نفسه ورحلوا.

## العدل الإلهي

كان أحد الرهبان يخدم حاجات الرهبان في أحد

---

٢- كلمة حبشي هنا تشير إلى الإنسان الذي تكون بشرته سوداء اللون (للمترجم).

الأديرة. ولكنه حين ذهب مرةً إلى إحدى المدن من أجل القيام بأعمالٍ للدير، سقط في الزنى.

وبعد فترة قصيرة مات الراهب. وحالما خرجت روحه، استحال وجهه أسود اللون تماماً. وحين شاهد رئيسُ الدير الأمر الحاصل، أرسل فاستدعى الرهبان وقال لهم:

- لقد انتهت حياة أخينا. ولكنكم تعلمون بأنه كان يذهب بنشاطٍ إلى كل الخدمات التي كنا نرسله للقيام بها من أجل راحتنا نحن. ولكن حصل في إحدى المرات وبينما كان يخدم إحدى احتياجات الدير أنه سقط في فخاخ الشيطان واحترق بالخطيئة. فهلّموا إذاً نركع ونطلب إلى الإله المحبّ البشر أن يرحمه.

- وللحال بدأ الرهبانُ جهاداً في الصوم والصلاة. مكثوا يصلّون ثلاثة أيام بلياليها صائمين ينتحبون ويبكون لأجل خلاص أخيه.

- وحينها شاهد رئيسُ الدير رؤيا ورأى وجهَ المسيح يتطلع بإشفاقٍ إلى تعب الرهبان وتألّمهم وسهرهم. ولكنه شاهد أيضاً وجه الشيطان المظلم الذي بدأ يتّهم الميت، واستدار نحو المسيح وقال له: أنا بنفسى ساعدته كي

يسقط في الخطيئة. وبما أنك ديانٌ عادل، فاحكمم بعدلٍ وأدرنه.

- فأجابه المخلصُ: أنا ديانٌ عادل ولكنني رحيم. ونهاية عدلي هي رحمتي ومحبتي للبشر ولهذا السبب لن أُعرض عن تضرُّع أناسٍ قديسين هذا عددهم، الذين يصومون ويصلُّون منذ ثلاثة أيام من أجل خلاص أخيهم. هُزِمَ هذا الراهب وسقط في الخطيئة ليس بسبب تخطيطٍ مسبق بل بسبب هجوم فجائي. وكان بمقدوره أن يظلَّ ناجياً من سهامك، ببقائه في هدوء الدير على غرار باقي الرهبان. ولكنه كان يخدم الإخوة في أعمالٍ خارجية، وهو سقط كإنسان. حين يلتمسُ شعبٌ بكامله من الملك أن يحرِّرَ شخصاً مداناً فهو يقوم بإطلاق سراحه. فكم بالأحرى عليّ ألا أتفاضى عن التضرُّعات التي يرفعها جنودي المختارون لأجل أخيهم.

وحين سمع الشيطانُ هذه الأقوال الإلهية، أخفى وجهه بسبب خجله واختفى. وعندها عاد رئيس الدير إلى ذاته وروى للإخوة ما رآه وسمعه. وفي الساعة ذاتها بدأ وجه الميت يستير شيئاً فشيئاً. استتار شيئاً فشيئاً علامةً على أنَّ

الرب قد غفر له.

بعد ذلك أخذ الرهبان رفات أخيهم ودفنوها بإكرام مرتلين: "قريبٌ هو الربُّ من جميع الذين يدعونهُ بالحق".

## الراهب الذي أقسم

كان ثمة راهبٌ عجوزٌ مجاهدٌ جداً، عاش مغلقاً على نفسه في جبل الزيتون، كان شيطانُ الزنى يحاربه. وذات يوم، بينما كان الشيطانُ يشنُّ عليه هجوماً حاداً، بدأ الشيخ يفقد صبره فصرخ: حتى متى ستعدّني. لقد شِخْتُ معي!

فظهر له الشيطان حياً أمامه وقال له: أقسم لي بأنك لن تقولَ لأحد ما سأخبرك به ولن أعود إلى محاربتك مجدداً. فأجابه الشيخ: باسمِ ذاك الذي يسكن في السماء لن أخبر أحداً شيئاً. وعندها أشار له الشيطان إلى أيقونة لوالدة الإله كانت تحمل ربنا يسوع المسيح في حضنها وقال له: لا تسجد لهذه الأيقونة ولن أحاربك بعد الآن. فأجابه الراهب: اتركني أفكر بالأمر قليلاً.

وفي اليوم التالي قام الراهب بإخبار شيخٍ يتحلى بفضيلة التمييز، وهو الأب ثيودوروس إيليوطيس، الذي



كان يسكن حينها في لافرا فاران، وطلب إليه أن يأتي إلى جبل الزيتون ليزوره. وحين جاء ذاك، روى له كل شيء.

قال له الأب ثيودوروس: لقد ضحك عليك الشيطان أيها الأب فأقسمت. ولكن حسناً فعلت بأنك أخبرتني بالأمر. من مصلحتك أن لا تقسح مجالاً للزنى في مكان كهذا بحيث لا يدخل هنا، من أن ترفض السجود لربنا يسوع المسيح وأمه الفاتكة القداسة. وبعدهما أسدى له بعض النصائح غادر إلى مكانه.

فظهر الشيطان للشيخ مرةً ثانية وقال له: ماذا فعلت أيها العجوز الرديء؟ ألم تقسم بأنك لن تخبر أحداً؟ الآن سوف تُدان في يوم الدينونة بأنك أقسمت. فأجابه الشيخ: أعلمُ بأنني خالفتُ قسَمي ولكنني خالفتُهُ من أجل جابلي وسيدي. وأما أنت فلن أُصغي إليك بعد الآن. ولتعلمنَ بأنك أنت ستعاقب من أجل مشورتك الرديئة ومن أجل القسم أيضاً.

## الصلاة غير المشتتة

العمل الشهير الذي وضعه القديس نيلس الناسك

(القرن الخامس الميلادي) بعنوان "الفصول الـ ١٥٣ حول الصلاة" والموجود في الفيلوكاليا يروي الأمور التالية المستحقة التعجب:

حالما رفع أحد القديسين النساك يديه ليصلي، انتفض الشيطانُ انتفاضاً كبيراً جداً بحيث أنه اتخذ هيئة أسدٍ، وارتكز على قدميه الخلفيتين وخرز مغالبه في جسد الناسك لكي يمنعه بواسطة الخوف والألم عن الصلاة. ولكنَّ مجاهد المسيح لم يُنزل يديه أبداً قبل أن ينتهي من صلاته المحددة.



حصل شيءٌ مشابه أيضاً للأب يوحنا كولوفو (٤٠٩م). هجمَ الشيطان عليه بهيئة أفعى هائلة الحجم وقطع لحمه وأخذ يفحُّ في فمه بينما كان البارُّ يصلي. ولكنَّ المجاهد الشجاع لم ينفصل عن اتحاده الحلو بالله.



أيضاً ظهرت شياطين كثيرة لأحد النساك وهو يصلي. فاختطفته وقذفته في الهواء كممثل الكرة وتلقته شياطين أخرى على حصيرة مفروشة.

استمرت هذه الحالة المخيفة مدة أسبوعين ولكن الشياطين لم تستطع أن تفصل ذهنه عن الله، الذي كان يتحد به بصلاة حارة.

## تَنْبِيْهُ غَارِيْدَا

وُلِدَ القديس داود كاريدزيلي، الذي تُقَامُ ذكراه كل عام في الخميس الأول بعد عيد الصعود، في القرن الخامس في سوريا وكان تلميذاً للقديس يوحنا زيدانزيلي (عاش في القرن السادس). ذهب القديس يوحنا في بدايات القرن السادس برفقة ١٢ من الرهبان، من بينهم القديس داود، إلى إيفيريا (جيورجيا) لكي يدعم الإيمان المسيحي هناك. الآباء السوريون، بوصية من الفاتحة القداسة، انتشروا في كل المنطقة لكي يكرزوا بكلمة الله للشعب ويؤسسوا أديرة.

نسك القديس داود وتلميذه المُخلص لوكيانوس في بداية الأمر في جبل تاتسميندا في منطقة كارتليس وبعد ذلك في برية غاريدزا، في مغارة، معيلين نفسيهما بالصلاة المستمرة وجسديهما بجذور النباتات البرية. وحين جفت كل نباتات غاريدزا بسبب الحرّ

الشديد، دبّر الله بشكل عجائبي طريقةً كي يعيل عبديه: كان يرسل لهما كل يوم ثلاثة ظباء، مسالمة كالخراف ترافقها صغارها. وكان لوكيانوس بوصية من شيخه داود يقوم بحلبها ويجمع الحليب في وعاء. وبعد ذلك يرسم القديس داود إشارة الصليب على الإناء فيستحيل الحليب جناً. وبهذه الطريقة أمّن الناسكان طعامهما. كانت الظباء تأتي كل يوم ما عدا الأربعاء والجمعة.

ولكن في إحدى المغاور أسفل مغارتهما كان يعيش تين أي حيّة هائلة الحجم وعيناها تقدحان لهيب نار، ولها قرنٌ كبير في رأسها وعرفٌ في عنقها. وكان يسكن شيطانٌ في هذا الوحش المخيف.

وذات يومٍ كانت الظباء في طريقها إلى الآباء، فاقتربت من جحر التين. فهجم ذلك عليها واختطف واحدة منها.

وحين علم القديس داود بالأمر، أخذ عكّازه، الذي كانت إشارة الصليب منقوشة عليه، وذهب إلى مغارة الوحش. ووقف بلا خوف أمامه ورفع عكّازه وصرخ بصوت عالٍ: يا فاعل الشرِّ! لماذا هاجمت غزلاني وأخذت صغيرها؟ غادر هذا المكان حالاً وامض إلى أماكن غير مسكونة.

هذا المكان محددٌ للنسك. وإذا لم تُطعني، فبهذا العكاز  
وبصليب المسيح سوف أشقّ بطنك وسأجعلك مأكلاً للدود.  
وحينها قال الشيطان الساكن في التنين بصوتٍ  
بشري: لا تفعل بي شراً يا عبد الله إذا أردت أن أرحل من  
هنا اصعد إلى قمة الجبل وتطلع إليّ. لا ترفع عينيك عني  
إلى أن أسقط في مياه نهر كور. سأجد هناك ملجأً لأنني  
أخشى غضبك.

وبهذه الأقوال خرج التنين من المغارة. تسبّب انسحابه  
القسري باهتزاز المكان من حوله. وكان المنظر مخيفاً  
جداً حتى أن لوكيانوس، الذي كان قد وصل إلى المكان  
في هذه الآونة حين رآه خار عزمه وفقد وعيه.

صعد القديس داود إلى قمة الجبل بينما كان التنين  
يتجه نحو الأسفل. كان قد اقترب من النهر حين سمع  
القديس داود صوتاً ملائكياً يدعوه ثلاث مرات قائلاً:  
داود! داود! داود!

وفي اللحظة ذاتها رأى ناراً تسقط من السماء وتُحرق  
التنين كمثل القش. فصرخ داود البار قائلاً بحزنٍ  
وشكوى: إلهي، إلهي، ماذا عملتَ لقد وثق التنين بي ورحل

على أمل أن لا يصيبه مكروه. ولكن انظر الآن، لقد جعلته أنت رماداً.

أجابه ملاك الرب قائلاً: أيها الأب داود، لماذا أنت حزين هكذا من أجل هذا الوحش؟ لو بقي على قيد الحياة كان سيتسبب بأضرار كثيرة. من أجل خير الناس أراد الله أن يبيده. فامض أنت لكي تهتم بلوكيانوس.

وحين نزل القديس داود من قمة الجبل رأى تلميذه لوكيانوس فاقد الوعي ساقطاً على الأرض. فأيقظه وأنهضه بمشقة. وقال له: تشجع يا بني. لا تخف شيئاً طالما معنا قوة المسيح.

تشجع لوكيانوس شاكراً الله الذي أعطى عبده الأمين داود سلطة على الوحوش والشياطين.

## تجارب القديس بينيدكتوس وانتصاراته

إن بينيدكتوس البار (القرن السادس الميلادي) هو أعظم معلم للحياة الرهبانية في الغرب. في حياته المليئة بالقلق عانى الكثير بسبب الشيطان الذي كان يشن عليه حرباً مفتوحة.

ما بين مدينة روما ونيابوليس، في سفح أحد الجبال،

كان يوجد حصنٌ يدعى كاسينو. وكان يوجد هناك في الأعلى هيكلٌ قديم، حيث كان الناس المقيمون في تلك المنطقة يعبدون فيه أبولون.

ذات مرة قام القديس بينيدكتوس بزيارة تلك البقاع وبعضاته المتكررة دعا جميع السكان في القرى المحيطة إلى الإيمان القويم.

قام القديس وتلاميذه بتشيد دير في كاسينو في حدود العام ٥٢٩م. وذات يوم، بينما كان الإخوة يبنون حُجرات الدير شاهدوا صخرةً مميزة في الوسط. ذهب راهبان - ثلاثة كي يرفعوها ويستعملوها في البناء ولكنهم لم يقدرُوا على تحريكها. جاء بعض الإخوة الآخرين كي يساعدهم ولكنهم لم يستطيعوا تحريكها وكأنها كانت تضرب جذورها في الأرض.

فبات من الواضح بالنسبة إليهم أنه بعدما تعاونت أيادي كثيرة ولم تقدر أن تحركها أن الأمر يرجع إلى عملٍ شيطاني. فأخبروا القديس بينيدكتوس بالأمر كي يأتي ويطردهم العدو بصلاته.

وفعلاً، أتى البار كي يصلّي فارتفعت الصخرة

بسهولة كبيرة وكان لا وزن لها. فقال البار للإخوة:  
احضروا في هذا المكان. فحفر الآباء حتى عمقٍ كافٍ  
فوجدوا وثناً نحاسياً. فحملوه ووضعوه مؤقتاً في المطبخ.  
ولكن فجأة شاهدوا شعلاتٍ ناريةً تصدر منه وبدأ وكان  
المطبخ بأكمله قد اشتعل. فأخذوا يرشون الماء كي  
يطفئوه.

سمع القديسُ الضجةَ فجاء مستغرباً. فتيقن أن  
المبتدئين وحدهم كانوا يشاهدون النار، أي كانت النار  
وهمية. فأحى رأسه وبدأ يصلي. وما هي إلا برهة وبدأ  
الرهبان يرون المطبخ خالياً من النيران.



ذات يوم، بينما كان الرهبان يبنون حائطاً، كان  
رجُل الله يصلي في قلايته الصغيرة. وفجأة ظهر أمامه  
شيطانٌ وقاله له بسخرية: أنا ذاهبٌ لرؤية الرهبان الذين  
يعملون. وعلى الفور قام البار بإرسال أحد الرهبان ليُنذر  
تلاميذه قائلاً: انتبهوا أيها الإخوة. هناك روحٌ شريرٌ قادمٌ  
نحوكم.

ولم يكد الراهب المرسل من الشيخ ينهي كلامه،



وإذا بالروح الشرير يهدم الجدار الذي كانوا يشيّدونه فسقط على أحد الرهبان وقتله. تضايق الجميع بسبب الحادث وهرعوا ليُخبروا البارّ بالأمر. والقديسُ بعد صلاةٍ ملحاحيةٍ، أقام الراهبَ وأرسله ليتابع عمله. وهكذا أخزى العدو الذي أراد بموتِ الراهب أن يضايقه.

## منزل الشيطان

في أيام الإمبراطور يوستينيانوس الأول (٥٢٧-٥٦٥م) كان ذاتيوس أسقف مديولان (٥٥٢م) مسافراً إلى المدينة المتملكة فتوقف في كورنثوس.

وبينما هو يطلب نزلاً واسعاً ليقيم فيه هو وصحبهُ، رأى من بعيد بيتاً بدا له مناسباً فبعث يوصي بتحضيره كي يقيم فيه. فقال له سكان المنطقة: يا سيدنا لا تقدر أن تسكن في هذا البيت. منذ سنين طويلة هذا البيت مسكنٌ للشيطان ولهذا فقد بات مُقفرًا. فأجابهم الأسقف الورع: إيه، عندها هناك سبب آخر يدفعنا للإقامة فيه.

وسريعاً تمّ تجهيزُ البيت فدخل إليه ذاتيوس ورفقته مصمّماً أن يصبر على تجارب العدو.

أرخى المساء ستاره بحالٍ جيدة، وكان رجلُ الله

يجلس بهدوء. فجأةً، في صمت الليل بدأ الشيطانُ يصدر أصواتَ حيواناتٍ كثيرةٍ معاً. كان يزأر كالأسد، ويشهق كالحمار، ويفحُّ كالأفعى ويخرخر كالخنزير.

هَبَّ ذاتيوس من فراشه وصرخ نحو الشرير قائلاً: حسناً ما أصابك يا جديراً بالرتاء! أنت يا من قلتَ مرةً: "أضع عرشي فوق كواكب السماء وأصير مشابهاً للعليّ" فالآن بسبب كبريائك صرت مشابهاً للخنزير. حينذاك رغبتَ عن غير استحقاق أن تُقلد الله، ولهذا الآن تستحق أن تقلدَ الحيوانات.

خزي الشيطان بسماعه هذه الأقوال، ورحل ولم يرجع إلى هناك ثانيةً. وهكذا صار ذلك البيتُ بعد فترةٍ قصيرة مسكناً للمؤمنين.

## حوارات عند الموت

نسك البار استفانوس الناسك في جبل حوريب، بالقرب من قمة جبل سيناء المقدسة في القرن السادس الميلادي. عاش أربعين عاماً بالأصوام، الدموع وإنجازات أخرى روحية. وكان لديه نعمةٌ بشكل كبير جداً حتى أنه وصل إلى درجة إطعام النمر بيده.

هذا الراهب المغبوط مرضَ عند نهاية حياته. وقبل ليلةٍ واحدة من رقادهِ، شاهدَ رؤيا. وبينما كانت عيناه مفتوحتين كان يتطلع نحو طريقِ السريرِ يُمنى ويسرةً ويقدمُ أجوبةً لمستجوبين قساة. كان هؤلاء الشياطين الذين تجتمعوا حوله وجاهدوا بكافة السبل كي يسحبوا نفسه باتجاههم إلى الجحيم الأبدي. أخذت الشياطين الماكرة تتهمه على جميع الخطايا التي اقترفتها كإنسان. وكانت أيضا تتهمه بخطايا لم تخطر قط في ذهنه. ولم يكن أحدٌ من الواقفين بجانب الشيخ يرى الشياطين لكن الجميع كانوا يسمعون أجوبة الشيخ. كان الواقفون حول الشيخ يسمعون تلك المحاكمة الرهيبة غير المنظورة ويتابعونها. قال الشيخ:

- نعم، هكذا هو الأمر فعلاً ولكنني صُمتُ سنين طويلة لأجل ذلك.
- كلا أنتم تتفوهون بالكاذيب.
- نعم لقد فعلتُ ذلك، ولكنني تُبْتُ، بكيثُ وعمِلْتُ أعمال محبة.
- أنتم تتهمونني بحق.

في بعض الأحيان كان الشيخ يقول:

- نعم في الحقيقة. ليس لدي ما أقوله لأجل هذه. إنني  
أضع رجائي على رحمة الله.

وبينما تلك المحاكمة القاسية مستمرة خرجت نفسه  
من جسده من دون أن يعطي البار للذين كانوا يقفون  
بجانبه أية إشارة عن انقضاء المحاكمة أو عن القرار  
الصادر عن المحكمة المخيفة.

وبعد عدة سنوات، كان ثمة ناسك آخر يحمل اسم  
استفانوس ينسك في سيناء يُحتضر. كان يدعى استفانوس  
البيزنطي. عند احتضاره كان حاضراً كلُّ من أبرامايوس  
المتقدِّم في كهنة دير سيناء وثيودوسيوس أسقف بابل  
المصرية. وبينما كان هذان يتلوان المزمور المائة والثامن  
عشر، حسبما هي العادة عند احتضار الرهبان، فجأةً  
صارت نظرة الشيخ المحتَضِر وحشيّة الشكل. بدأ يتطلع  
بثباتٍ أمامه ويقول لشخصٍ كان هو وحده يراه: ماذا تريد  
هنا، امضِ إلى الظلمة البرّانية. أنت لا تمتلك أدنى سلطة  
عليّ. نصيبي وقسمتي هو المسيح.

وبعد دقيقتين وبينما كان الآباء يتلوان المزمور بلغا

الآية التي تقول: "أنت يا رب نصيبي" وعندها انتفض الأب  
استفانوس وأسلمَ روحه بين يديّ الرب.

## "الأسود" و "عادمو الرأس"

كان القديس سمعان المتباليه لأجل المسيح (٥٩٠م)  
يعمل في دكان يصنع مشروباً خاصاً في مدينة حمص  
السورية. وكان صاحب الدكان وزوجته "عادمو الرأس"  
هرطوقيين أي من أتباع الطبيعة الواحدة.

وذات يوم أخذ البارُ آلة عودٍ وخرج خارج الدكان إلى  
الزقاق وبدأ يعزف على العود. كان هناك روحٌ نجسٌ وأراد  
أن يطرده لأنه تسبب بأذيةٍ كثيرين. وبينما كان البار  
يعزف على العود ويصليّ ضدّ الشيطان أجبره على الفرار  
من المكان. ولكن بينما كان الشيطان يرحل من  
المكان، وفي سبيل أن ينتقم من القديس دخل إلى الدكان  
بصورة حبشيٍّ وهجم على أغراض الدكان وكسّر جميع  
الأدوات الزجاجية والفخارية.

وحين عاد القديس إلى الدكان رأى جميع الأدوات

---

٣- أي أهما ينتميان إلى هرطقة وليس إلى الإيمان المستقيم الرأي.

محطمة وصاحبة الدكان مضطربةً فسألها: من كسرَ  
هذه الآنية؟ فأجابته تلك وهي ترتجفُ بسبب اضطرابها:  
جاء شخصٌ أسود البشرة وكسرَها كلها. فقال لها  
القديس مبتسماً:

- قصير القامة؟ قصير القامة؟

- نعم بالفعل كان قصير القامة يا مجنون. من أين

تعرف هذا؟

- نعم أنا أرسلته كي يكسرها كلها.

ولما سمعت المرأة هذا الكلام، هجمت عليه تريد أن  
تضربه. ولكنه انحنى وأخذ بيده تراباً ورماه باتجاه عينيها  
بينما كان يركض صارخاً: لا تقدرين أن تمسكي بي.  
إمّا أن تتناولوا الأسرار في كنيسةتي أو أن حبشياً سيكسر  
الأواني كل يوم. قال البار هذه الكلمات لأنه حسبما  
أشرنا كانت تلك المرأة وزوجها هرطوقيين.

وفي اليوم التالي، في الساعة ذاتها جاء ذاك "الأسود  
اللون" وكسرَ جميع الأواني. من بعد هذا الدرس الثاني،  
صار الزوجان أرثوذكسين لأنهما فهما بأنه بسبب  
إيمانها الرديء كان الشيطان قد اكتسب حقوقاً

عليهما.

## الشاب المحبّ الخدمة

كان الأنبا اسحق الذي من طيبيا (القرن السادس الميلادي) يحاول مرة أن يصنع شبكة كبيرة للوقاية من البعوض. ولكنه أدرك بأنه ارتكب خطأ في أحد المواضع وأخذ يفكر كيف يصلحه. وبينما هو يتساءل دخل شاب من النافذة وقال له:

- ارتكبت خطأ، أعطني عمل يديك كي أصلحه.
- أخرج أنت من هنا وليبق كما هو.
- نعم ولكنك ستتضرر باحتفاظك به وهو رديء الصنع.

- وماذا يعنيك أنت في الأمر؟
- إنني أشفق عليك لأنّ تعبك قد ضاع سدى. ومن جهة أخرى فأنت مُلكٌ لي.
- وكيف تنفوه بهذا؟
- لأنك تناولت المقدسات ثلاث مرات وهناك ضعيفة في قلبك ضدّ جارك.
- أنت تكذب.

- كلاً لست أكذب. ألم تتاصب جارك العداوة لأجل بعض العدس؟ أنا وكيل الضغينة. ولهذا أنت خاصتي. وحالما سمع الأنبا اسحق هذه الأقوال قام من ساعته وذهب إلى جاره وضرب أمامه سجدةً. وحين عاد إلى قلايته، ماذا رأى؟ كان الشيطان قد خرّب له عمله اليدوي والقاعدة الخشبية التي كان يعمل سجداته فوقها. كان ندمُ الأنبا قد أهاجه.

### صرخات من القبر

في أيام تملك الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) حصلت في إفريقيا الأعجوبة التالية:  
كان هناك ضابطٌ في الجيش الملكي موجود في مدينة كارتاجينيس، ولكن بما أن وباءً ضرب المدينة أخذ الضابطُ زوجته والتجأ إلى إحدى الضواحي كي ينجوا من الموت.

ولكن في حقيقة الأمر كان الشيطان هو الذي دفعه إلى الرحيل بما أنه حضه على الوقوع في الخطيئة ملقياً في قلبه أفكاراً جسدية، واستطاع أن يجعله يسقط في الزنى مع زوجة العامل في حديقته.



ولم يمضِ وقت طويل حتى مرضَ الضابطُ وثقلَ مرضه بسببِ فتاقٍ أفضى به إلى الموتِ في نهاية المطاف. وبعد ثلاث ساعاتٍ من موته سُمِعَ صوتُ صراخٍ صادرٍ عن قبره قائلاً: ارحموني! ارحموني!

وركض القوم ففتحوا القبر فوراً فماذا شاهدوا؟ إذا بهم يرون الضابط حياً ولكنه كان أبكم. لم يكن باستطاعته أن يتكلم.

علمَ الأنبا ثالاسيوس بالأمر العجيب فأسرع لمساعدة الضابط. انقضتْ على الأمر أربعة أيام، وحينها انحلتْ عقدةُ لسان الضابط وأخذ يتكلم ويروي ما حصل معه:

قبل برهةٍ من خروج نفسي من جسدي، كنتُ أرى بعض الأشخاص السود يحيطون بي من كل جهة، وكانوا مخيفي الشكل. ثم رأيت شبابين جميلين يقتربان مني. كانا ملاكين. وحالما رأيتهما امتلأت نفسي فرحاً. فأخذاني معهما وبدأنا نصعد إلى السماء.

وبين الفينة والأخرى كنا نعبّر بمحطة تعشيرٍ، حيث كانت الأرواح الشريرة تفحص كل خطيئة من خطاياي. كان هناك محطة للكذب، أخرى للحقد، أخرى للطمع

...إلخ. وكان الملاك ان يُبطلان ادعاءات الأرواح الشريرة  
مظهرين الأعمال الحسنة التي عملتها.

ولكن حين وصلنا إلى باب السماء، رأينا طفمة  
كاملة من العشرين، وهي طفمة شياطين الزنى. فأظهرت  
الزنى الذي كنتُ قد اقترفته منذ وقت قليل، وبهذه  
الطريقة تغلبت عليّ. ثم اختطفني وسحبني إلى أعماق  
الأرض.

هناك نفوس الخطاة تتمذب كثيراً بحيث أنه لا  
يوجد لسان بشريٌّ يقدر أن يصف العذاب الكائن هناك.  
وحين بدأتُ أبكي وأنتحب ظهر أمامي ثانيةً ذاك الشابان  
اللامعان فتوسّلتُ إليهما قائلاً: ارحماني وامنحاني وقتاً  
للتوبة. فقال أحدهما للآخر:

- هل تتعهد هذا الشخص؟ هل نمنحه وقتاً للتوبة؟

- فلنمنحه. أجاب الثاني.

فأخذاني وأحضراني إلى القبر. ولكنّ جسدي كان  
قد صار كالطين ولهذا لم أشأ أن أدخل فيه. ولكنّ  
الملاك كان كانا ثابتي الرأي فقالا: "ليس من الممكن أن  
تتوب بطريقة أخرى إلاّ بواسطة جسدك بما أنك فيه وقعت

في الخطيئة". فدخلت في جسدي الذي عاد حياً وبدأتُ  
أصرخ.

هنا انتهت رواية الضابط. وبعدها عاش أربعين يوماً  
بتوبة حقيقية رقدَ ثانيةً.

## محطات التعشير

في فترة حُكم الإمبراطور لاون الحكيم  
(٨٨٦-٩١٢م) كان القديس باسيلوس الجديد يعيش  
بالقرب من مدينة القسطنطينية، وكان شيخاً فاضلاً  
ومتعلماً.

وكان من بين الكثيرين الذين اعتادوا على القدوم  
إليه تلميذه الراهب غريغوريوس. وكانت هناك أيضاً امرأة  
مسنّة متعلّقة تدعى ثيودورة، وكانت تخدم الشيخ بنكران  
ذاتٍ وتضحّي لأجل محبة المسيح.

ولكن هذه العجوز المباركة سرعان ما ماتت.  
وتسبّب موته بحزنٍ لجميع تلاميذ القديس وبخاصة  
لغريغوريوس، فكان يواصل سؤال القديس باسيلوس  
عنها قائلاً: هل خلّصت ثيودورة يا ترى؟  
وذات يوم قال القديس باسيلوس له:

- هل تريد يا بني أن ترى ثيوذورة؟  
- وكيف أراها بعدما ماتت؟ أجاوب ذاك متحيراً.  
- اليوم مساءً سوف تراها.  
وفعلاً، في تلك الليلة رأى غريغوريوس في نومه شاباً  
يقول له: انهض واذهب، بمعونة شيخك، كي تقابل  
ثيوذورة.

شعر غريغوريوس بأنه نهض وبدأ يركض نحو  
كنيسة الفاتحة القداسة. وبينما هو يبحث عن شيخه،  
وجده يصعد على درجة ضيقة. وفجأة وصل إلى باب مغلق  
في سور مغلق. ونظر من فتحة فوجد في العمق امرأتين.  
فنادى إحداهما قائلاً: يا سيدتي لمن هذا القصر الجميل؟  
- إنه لأبي البار باسيليوس، أجاوبت تلك. وهو قبل  
برهة قصيرة منحه لتلميذته ثيوذورة.

وبعد قليل رأى ثيوذورة قادمة تركض كي تفتح  
الباب وعانقته فرحةً وسألته:

- أيها الأخ غريغوريوس كيف أتيت إلى هنا؟ هل  
متت؟

- كلا لم أمت. ولكنني وصلت إلى هنا بصلاة أبنينا

الروحي ومساعدته. كنتُ مشتاقاً كثيراً أن أراك وأعرف  
في أية حالة أنتِ، وكيف صابرتِ على اغتصاب الموت  
وعبرتِ شياطينَ الهواء الشريرة.

- يا ولدي الحبيب لقد تأملتُ كثيراً إلى أن انفصلتُ  
نفسي عن جسدي. تأملتُ كمثلي الحي الذي يسقط في النار  
وهو عريان. كان الموت مرّاً جداً بالنسبة لي أنا الخاطئة.  
أمّا موتُ الصديقين فلست أعرفُ وضعه. في الفترة التي  
كانت نفسي تنازع فيها سكراتِ الموت كنتُ أشاهد  
حول سريري كثيراً من السود البشعين الذين كانوا  
يصرفون بأسنانهم عليّ ويخيفونني بنظرتهم المتوحشة  
ووجوههم المظلمة. تأملتُ كثيراً من رؤيتهم، وإذا بي أرى  
فجأةً شابين بهيجين يرتديان لباسين لامعين. وقفنا إلى  
يمينني بوجهين طلقين وأخافا هؤلاء السود الطلعة. وحينها  
أظهر هؤلاء السود جميع خطاياي، وكان هناك واحد من  
بينهم، سمينٌ وغازبٌ، يمسك بيديه أدوات حديدية أخذ  
يستعدُّ كي يميّتي. فسيطر عليّ خوف ورعدة. فقال له  
ذاك الشابان اللامعان: لماذا أنت واقف هكذا. حلّ رباطات  
الجسد ولا تؤلها كثيراً لأنها لم تقترف خطايا كثيرة  
وكبيرة. وعندئذٍ ملأ ذلك المتوحش كأساً بشراب مرّاً جداً

وأعطاني إياه. وحالما شربته خرجت نفسي عنوةً. وللحال استلمها ذلك الشابان ولفأها بردائيهما. ولكن بينما كان ذلك الملاكان يمسكانني التفّ حولهما حشدٌ من الشياطين صارخٌ بأني كنتُ قد اقترفتُ خطايا كثيرة في حياتي. وكان الملاكان يُظهران أعمالِي الصالحة ويضعانها في الميزان. وبينما كان الميزان يتقبّل أعمالِي الصالحة والطالحة، إذا بي أرى فجأةً شيخي باسيلْيوس يقترب من الملائكة ويقول لهما:

"يا سيدي إنَّ هذه النفس قد أراحتني كثيراً في شيخوختي ولهذا تضرعتُ إلى الله كي يهبني إياها. فاقبلا مني إذاً هذا الإحسان الروحي كي تدفعا ما يتوجب عليها وتفتدياها من محطات التعشير التي في الهواء". ويتفوهه بهذه الأقوال قدّم للملائكة سلة مليئةً فلورياً<sup>٤</sup>. وبعدها فتح الملاكان أجنحتهما وطارا بي عالياً باتجاه الشرق. في البداية قابلنا محطة تعشير النميمة والإدانة. كانت عبارة عن مجموعة من الشياطين مع رئيسها الجالس على

---

٤- هنا ترمز الفلوريا إلى المعونة والفائدة الكثيرة التي تنالها نفوس الراقدين مسن الصلوات، الذكريات، أعمال الرحمة وبخاصة القدايس الإلهية، التي يقدمها الآباء والإخوة الروحجون، وبشكل عام التي تقدمها الكنيسة المحاهدة من أجل راحتهم.

كرسي في الوسط. أظهرت لي هذه الشياطين جميع أولئك الذين أدنّتهم في حياتي. فدفع الملاكان ما يتوجّب عليّ من الرصيد الروحي الخاص بشيخنا وهكذا غادرنا تلك المحطة. وبينما نحن نصعد، قابلنا محطة تعشير الذمّ. أعطى الملاكان شيئاً من السلة لهذه المحطة أيضاً كما فعلنا مع المحطة السابقة وتابِعنا طريقنا. قدّم الملاكان شيئاً مشابهاً لكل محطة نعبر بها كان لها حقوقاً على نفسي. وبهذه الطريقة عبرنا محطات الحسد، الكذب، الغضب، الكبرياء، التجديف، الثرثرة، التهاون، الشراهة، السُّكر والحقد. وبينما كنا نصعد قال لي رفيقاي: أتريين كم تتعرّض النفس للخطر إلى أن تعبر المحطات النجسة؟ فقلتُ لهما: نعم يا سيّدي، وأظنُّ أن أحداً لا يعرف عن هذا شيئاً. فأخذ الملاكان يشرحان لي قائلين:

"الكتاب المقدّس يذكر كلّ تلك الأشياء ولكنّ الشهوات وإشباع الرغبات تُعمي البشر فلا يرون هذه الأشياء ولا يفكّرون بها. يعيشون وكأنهم لن يموتوا ولا يباليون بالأعمال الصالحة، وعلى الأخصّ المحبة وأعمال الرحمة. هاتان وحدهما تقدران أن تساعدوا النفس أكثر

من سائر الأمور الأخرى فتمتكن من عبور سائر محطات التعشير بدون أن يعوقها شيء. ولكن الموت يأتي فجأةً وبينما النفوس تعبر المحطات تختطفها الشياطين وتتحدر بها إلى الجحيم وتمكث هناك حتى المجيء الثاني. كان الأمر ذاته سيحصل معك لولا أن تحزن الله وأعمال الرحمة الخاصة بعبده باسيليوس حفظاك". وفي هذه الأثناء تشجعتُ أنا قليلاً فسألتُ الملاكين: وكيف تعرف الشياطينُ خطايا كلِّ إنسان؟ فأجابني أحد الملاكين:

- ألا تعلمين أنه من بعد المعمودية ينال كل مسيحيٍّ ملاكاً كحارسٍ له؟ قد لا يراه ولكن الملاك الحارس هو الذي يقوده للخير ويكتب أعماله الصالحة. وفي الوقت ذاته يتبعه شيطانٌ يقوم بتدوين أعماله السيئة، فحالما يسرق على سبيل المثال، يقوم هذا الشيطان بإعلام محطة تعشير السرقة، وحين يموت هذا الإنسان ويعبر من هناك، تُعاق نفسه وتتحدر إلى الجحيم حتى يوم الدينونة المرهبة. ولكن إذا كانت الأعمال الصالحة التي سيُظهرها الملاك الحارسُ أكثر من الأعمال السيئة فحينها تعبر النفس بحرية من محطة التعشير تلك. هذه الأمور كلها تحصل للمسيحيين الأرثوذكسيين. وأما فيما يختصُ بغيرهم



فالشياطين لا تكتب خطاياهم ولا حتى تدفعهم إلى الخطيئة.

- وبأية طريقة تتم مغفرة خطايا البشر الموجودين على قيد الحياة وتُمحى من كتب الشياطين التي في الهواء؟ سألتُ الملاكين.

- هذا يحصل حين يتوب الإنسان، يعترف بخطاياهم ويطبّق القانون الذي يضعه له الأب الروحي. حينئذٍ تُمحى الخطايا من كتب الشياطين. ولكن إذا كان هناك أحدٌ مثلك يخجل من الاعتراف بخطاياهم للأب الروحي ويعتقد بأنّ الابتعاد عن الخطيئة والاعتراف لله وحده يكفيان، فعندها لا تحصل مغفرة خطاياهم. وذلك لأنّ الرب أعطى للرُّسل سلطانَ حلِّ الخطايا وربطها على الأرض، والرُّسل أعطوا هذه السُلطة للأساقفة والآباء الروحيين.

وفي صعودنا عبرتاً بعدة محطات ثم وصلنا إلى محطة تعشير الزنى. كان الرئيس هناك يرتدي لباساً مخاطاً بدماء وزَبَدٍ. وحسبما شرح لي الملاك مرافقيّ، صار كذلك بسبب نجاسات البشر الكثيرة وفسقهم.

وحالما شاهدتني الشياطين، هجمت عليّ وأخذت

تتَّهمني مظهره أسماء عشاقِي. وكانت تحاول أن تختطفني من أيدي الملاكين وتُلقي بي في الجحيم. فأخذ الملاكان يبرران وضعي فقالا للشياطين: كل تلك الأمور التي تذكرونها قد تركتها منذ زمن بعيد. فأجابت الشياطين: نعلم ذلك ولكنها كانت تحبنا جداً ولم تُكرنا أبداً. كانت تخفي تلك الأمور كلها في قلبها ولم تعترف بها البتة إلى أبي رُوحِي ولا طبَّقت قانوناً ولا نالت غفراناً. فكيف إذا تآلَّ نعمةً بهذا المقدار وتضَيء كمثل الشمس؟. تفوَّهت الشياطين بهذه الكلمات متحيرة وأرادت أن تمسك بي. ولكن الملاكين دفعا لها ما يستحق من السلة وهكذا تحررت. وقال لي: اعلمي أن نفوساً قليلة تعبُر من هذه المحطة من دون أن تتضرر كثيراً. العلمانيون والناس غير المبالون الذين لا يعرفون الكتاب المقدس ولا ثقل خطاياهم ينجرون من هوى حبِّ كثرة الأكل وساقون إلى الزنى. وهكذا معظم البشر حين يصلون إلى هذه المحطة يسقطون في الجحيم الواسعة المظلمة.

كانت محطة التعشير الأخيرة التي صادفناها هي محطة القسوة. ولكن بما أنني كنت رحيمة وأُعطي

الفقراء قدرَ طاقتي فقد صمَّتَ الشياطينَ مخزِيَةً.  
وقال لي الملاكان ونحن نغادر: هناك أناسٌ كثيرون  
حفظوا الأوامر الإلهية الأخرى وعبروا بحرِيَّةٍ من جميع  
المحطات. ولكن بما أنهم لم يمتلكوا تحنُّناً ولا رحموا  
الفقراء فقد أُعيقوا هنا وانحدروا إلى الجحيم.  
وبينما نحن نصعد فرحين. شاهدتُ من بعيدٍ بوابة  
السماء التي كانت تضيء كمثل الكريستال البهّيّ. عبَرَ  
الملاكان اللذان كانا يقودانني من البوابة ووصلا إلى أمام  
عرش الله. وسجدا هناك بعدما رتَّلا ثلاثة تمجيدات.  
وعندها سُمع صوت عذبٌ يقول للملاكين المرشدين:  
خذاها إلى مساكن الفردوس ومسراته، حسبما فعلتما مع  
سائر الأنفس وبعد ذلك امنحها الراحة في مسكن عبدي  
باسيليوس. وحينما عُدنا من هذه الجولة سألني أحد  
الملاكين: أتعلمين يا ثيوذورة بأن الشيخ الطيب باسيليوس  
يقيم اليوم ذكرى الأربعين لك؟  
وبعدما تفوَّها بهذا تركني الملاكان في هذا  
المسكن الفائق الجمال ورحلا.

## البار أثناسيوس الآتوسي

في أطراف منطقة ميلانا كان أثناسيوس البار (رقد

بالرب سنة ١٠٠٠م) رئيس المتوحّدين في آثوس قد حضر  
قلايته النسكية عام ٩٥٩م. لكنّ الشيطان الحقود شنّ  
عليه حرباً شعواء من التقصير، رامياً إياه بسهام جعبته  
العقلية: الكسل والتهاون، الحزن والتقصير، اليأس  
والدوار. وكأنّ هذه الأشياء كلها لم تكن كافية،  
فأغرقه نهايةً بسحابةٍ ممتّ المكان المغرقة، أي جعله  
يكره الموقع الجميل في منطقة ميلانا ويلتمس الابتعاد عنه.  
ولكنّ أثاسيوس الخبير في محاربة الشيطان تسلّح  
ضدّه بالصوم، السهر، عمل اليد، التواضع والرجولية.  
وبينما كانت الحرب الشيطانية تستمر، أخذ القديس  
أثاسيوس على نفسه وعداً شجاعاً بأن يصبر ويبقى في  
قلايته مجاهداً مدة عامٍ. فإذا رفع الربُّ عنه تلك الحرب في  
هذه الأثناء فسوف يبقى في مكانه. ولكن إذا استمرت  
الحرب فكان سيمضي إلى منطقة كاريس وسيقول  
أفكاره للشيوخ الساكنين في ذلك المكان وببركةٍ منهم  
سوف يرحل من ذلك المكان.

استمرت الحرب حتى اليوم الأخير من الموعد المقرّر.  
وكان البار قد أخذ يفكّر بالرحيل. وفجأة في الساعة

الثالثة من النهار، وبينما كان يصلي، سطع في المكان نورٌ إلهي ووضع نهايةً لتلك الحرب. تبددت ظلمة مغارته. غمره فرحٌ لا يمكن وصفه، مترافقٌ بدموع حلوّة وسماتٍ أخرى من سمات الحضور الإلهي. أمّا بالنسبة إلى المكان، فأحبه فجأةً بشكلٍ كبير بحيث لم يقم باستبداله أبداً بمكانٍ آخر.

ولكنّ الشيطان لم يستسلم. تالياً، حين ابتدأ البار أثناسيوس في تشييد كنيسة اللافرا، إذ لم يقدر الشيطان أن ينتصر على القديس ذاته، استدار صوبَ العمال والبنّائين. قيّد أيديهم وشلّها بحيث لم يعودوا يستطيعون بأن يحملوا شيئاً ويرفعوه حتى أفواههم.

ولكن أثناسيوس البار لم يستسلم للأمر فقال للعمال أن يصلّوا، وفي الوقت ذاته كان هو يرثل التسبيح المثلث التقديس. وللحال انحلّ الفخ الشيطاني وابتدأت الأيدي المشلولة تتحرك ثانيةً وتعمل.

ولكنّ الشيء الأكثر مثارةً للدهشة هو التالي: هرع عمالُ الكنيسة ليُفصِحوا عن امتنانهم للمحسن إليهم ويعبّروا عن خضوعهم الطّوعي له. وهكذا قام القديس

بتصوير البتّائين والمعماريين رهباناً أوائل في دير اللافرا الكبير.

ورغم أن خزي الشيطان كان كاملاً مما حصل إلا أنه لم ييأس بل ابتكر طريقة هجوم جديدة، لا يزال تقليد الدير يحتفظ بها حية إلى الآن.

حين تم البدء بتشييد اللافرا، كلما كان البتّائون يشيدونه في النهار كانت الشياطين تُهدمه في الليل. وحينها ظهرت السيدة والدة الإله الفاتحة القداسة للقدّيس أتاسيوس وقالت له:

- في سبيل أن يتقدّم العمل ينبغي أن تقوم بتشييد كنيسة صغيرة في غضون يوم واحدٍ وتُقيم فيها القدّاس الإلهي.

وهذا ما حصل. تمّ تشييد كنيسة صغيرة على اسم القدّيسين العادمي الفضة في يوم واحد وأُقيم فيها القدّاس الإلهي. ومنذ ذلك الحين لم تستطع الشياطين أن تهدم بناءً واحداً في الدير.

## المحرر

البارمتي الرائي، الذي نسك في مغاور كييف،

كان يرى بعيني نفسه المستيرتين الشياطين وهي تنصب  
الفخاخ، تبذر الأفكار الشريرة، تتمي الأهواء وتلقي  
البشر في الخطيئة. كان يرى جميع أعمالها الشريرة  
الخفية مساعداً في خلاص الإخوة.

ذات يوم، خلال الصلاة الصباحية بينما كان يقف  
في مكانه المعتاد في الكنيسة، شاهد شيطاناً يرتدي حلة  
عسكرية ويطوف حول الرهبان. كان يمسك بيده زهوراً  
من الرماد وبعدهما كان يغمرها في مادة غريبة، كمثل  
الصمغ، كان يلقيها على الإخوة. إذا لصقت الزهرة بالأخ  
كان يسيطر عليه النعاسُ والتهاونُ للحال. وبهذه الطريقة  
كان يفقد كل رغبة في الصلاة، وبحجة ما كان يخرج  
من الكنيسة ويمضي إلى قلايته حيث يستسلم للنوم. أما  
إذا لم تلتصق الزهرة بالأخ فكان يمكث في الكنيسة  
حتى نهاية الخدمة الليتورجية.

أذاع القديس متى هذه الأمور كلها للإخوة في اليوم  
ذاته ومنذ ذلك اليوم صار الإخوة أكثر انتباهاً ومجتهدين  
في الاجتماعات الليتورجية.

كانت للقديس متى الرائي عادة وهي أن يكون آخر

شخصٍ يغادر الكنيسة. كان يبقى مدةً طويلةً وسط  
الظلمة كي يصلّي وحده وبعد ذلك ينسحب إلى قلايته.

وذات يوم، بعد انتهاء الخدمة الصباحية، جلس قليلاً  
ليستريح على المقعد. فبدأ له وكأنَّ النوم استحوذ عليه  
قليلاً فماذا رأى؟ شاهدَ حشداً كبيراً من الشياطين يدخل  
إلى ساحة الدير من البوابة المفتوحة. أحدُ الشياطين كان  
يجلس بكبرياءٍ فوق أحد الخنازير في حين كانت بقيةُ  
الشياطين تدور حوله كأنها أتباعه. فسألها القديس متى:

- أين تمضون؟

- إلى ميخائيل تومبولكوفيتش. أجب ذاك الجالس

على الخنزير.

وللحال استيقظ القديس. رسمَ على ذاته إشارة  
الصليب وانسحب إلى قلايته. وقال لأحد الإخوة: أرجوك  
اذهب لترى هل الأب ميخائيل في قلايته. ولم يتأخر الراهب  
في العودة وقال للقديس: اليوم رآه أحدهم بعد الخدمة  
الصباحية يخرج من الدير ولكنَّ أحداً لا يعرف إلى أين  
مضى.

وفي اليوم ذاته كشف القديس متى ما رآه لرئيس



الدير وللإخوة القدامى في الأخوية. فاستدعى رئيس الدير الأب ميخائيل وعلم منه بأنه قد سقط في إحدى الخطايا الثقيلة في ذلك اليوم. فساعدته ببعض النصائح كي يستشعر بسقطته وحثه على التوبة كي ينجو من التأثير الشيطاني.

## يوحنا الكثير الآلام

يوحنا البار مجاهدٌ مغاورٌ كيف الكثير الآلام، يبدو أنه حُورب من شيطان الزنى كما لم يُحارب إلا قلة قليلة من البشر. بما أنه كان يتوقُّ جداً إلى فضيلة الطهارة، فقد صبرَ برجولةٍ مستحقةٍ الغيرة على أحزان كثيرةٍ وتجاربٍ منذ أولى خطواته في السيرة الرهبانية. ولكن صلواته غير المنقطعة، أصوامه المنهكة وسهرانياته الليل بطوله لم تؤمن له الراحة المُشتهاة من التجارب الجسدية.

ببركةٍ من رئيس الدير أخذ قراراً كبيراً بأن يقيم في مغارةٍ ضيقةٍ ويحيا كحبسٍ بالصمت والصلاة. وهنا في هذا المكان ضاعفَ يوحنا أصوامه، دموعه وتهداته ولكن لم تكن شعلةُ الأهواء الجسدية عازمةً على

الخمود.

ذات مرة، في سبيل أن يقاوم روح الزنى، خلع ثيابه  
وعلق في يديه ورجليه سلاسل حديدية ثقيلة. ولكن شهادة  
الصقيع وثقل السلاسل الحديدية لم تكن قادرة على  
إخضاع التجربة.

كاد البار يوحنا أن يكمل ثلاثين عاماً في المغارة من  
دون أن يتحرر إلى هذه الدرجة من أفكار الزنى. وعندها  
وضع قيد التطبيق عملاً نسكياً لم يعمله أحد قبله: حفر  
في أرض المغارة الرملية حفرة عميقة. دخل فيها وغطى ذاته  
بالرمل كلياً ما عدا يديه ووجهه.

كانت تلك الفترة التي قام خلالها بهذا العمل هي  
بداية الصوم الفصحى المقدس، ومكث عبد الله في هذه  
الحالة بلا حراك نصف دفين، طيلة فترة الصوم صابراً  
على الأمرين من الشيطان الذي كان يحاول بكافة  
الطرق أن يخرجَه من الحفرة.

في بداية الأمر عذبه الشيطان بمرض مؤلم في  
أطرافه السفلية. لُوِيَت قدماه، مفاصله ارتخت وأعصابه  
شلت، في حين أن لهيباً مؤلماً كان يحلُّ أعضاء جسده.

كان جسده كله يتألم إلا أن نفسه كانت تفرح وتنعم  
بالراحة لأنه بهذه الطريقة النسكية القاسية نجا من  
الأفكار القبيحة. كان القديس يُفضّل الموت داخل الحفرة  
وربح المسيح من أن يخرج منها فيريحه الشيطان.

اقترب الأسبوع العظيم. في يوم الاثنين العظيم المقدس  
ظهر أمامه تين متوحش مخيف كان يُخرج ناراً من فمه  
الواسع. اقترب من القديس مهدداً مستعداً ليبتلعه. ولكن  
البار سرعان ما استجد بالرب ورسم على ذاته علامة  
الصليب المقدس فاستحال الوحش الضاري دخاناً.

تتابعت تهديدات التين طيلة الأسبوع العظيم. في ليلة  
القيامة قام التين بهجومه الأخير. هجم على يوحنا وأمسك  
به بسرعة البرق وابتلع رأسه ويديه بفمه أي كلما كان  
موجوداً خارج الحفرة. شعر القديس ولحيته احترقا وبقياً  
هكذا لاحقاً ولكن الله لم يسمح للتين أن يؤذيه أكثر  
من ذلك. وبينما كان رأس القديس موجوداً داخل فم التين  
صرخ من أعماق قلبه: خلصني يا إلهي! لماذا تركتني؟  
نجني من نجاستي ومن الشيطان الذي يريد أن يبتلعني.

وفي اللحظة ذاتها أضاء نور سماوي في المكان

واختفى الوحشُ المخيف. وتردَّدَ صوتٌ في المكان يقول:  
يوحنا، لقد ساعدتُك كما طلبتني. انتبه الآن لنفسك  
كيلا يصيبك أشرٌ من ذلك في الحياة الأخرى.

- يا ربُّ لماذا سمحتَ بأن أتعذبَ إلى هذه الدرجة؟  
- لقد اختبرْتُكَ بحسبِ قدرتك. إنني لا أسمحُ أبداً أن  
يُجربَ إنسانٌ فوق طاقته كيلا ينتصر عليه الشيطانُ.  
الآن، في سبيل أن تنجو كلياً من شيطان الزنى، صلِّ  
للقدّيس موسى الهنغاري. فهو قد ظهرَ أسمى من يوسف  
الكلّي الحُسن في العفّة، ولهذا السبب يستطيعُ أن يساعدَ  
جميعَ الذين تحاربُهُم الأهواءُ الجسدية.

- يا ربُّ ارحمني بصلوات القدّيس موسى البار، صرِّحْ  
يوحنا الكثير الآلام.

فإذا بنورِ سماويٍّ حلّو جداً يلفُّ القدّيسَ يوحنا  
ويُضيءُ مغارته. حرّره ذلك النورُ من حرب الزنى الشيطانية  
في ليلة القيامة تلك.

## القدّيس ثيودوسيوس الكييفي

اعتاد القدّيسُ ثيودوسيوس، رئيسُ لافرا مغاور  
كييف (رقد عام ١٠٧٤م)، في الصوم الأربعيني المقدّس

من كلِّ سنة أن ينسحب إلى مغارة بعيدة وخفية عن العيون  
من أجل أن ينسك لوحده.

وهناك، إذ كانت الأرواحُ الشريرة تحسده على  
غيرته الإلهية، كانت تُحاربه بشرُّ منقطع النّظير. كانت  
تُحاربه على الأخصّ حين كان يجلس بعد صلاة النوم  
ليستريح قليلاً. فكان بعضها يصرخُ بأصوات عالية،  
بعضها يعبرُ من أمامه بعرباتٍ مسرعة، بعضها الآخر كان  
يقرعُ الطبول وبعضها الآخر يعزفُ بالبوق. وكانت المغارةُ  
تهتزُّ بأكملها بسبب الصرخات والضجيج.

ولكنَّ القديس ثيودوسيوس لم يكن يخاف من هذه  
الأشياء كلها، وإنما يرسم على ذاته علامة الصليب  
المقدّس وينهض من مقعده ويبدأ بترتيل المزامير. وبهذه  
الطريقة تتبدّد الصرخاتُ والضجيجُ الشيطانيان.

ولكن حالما يعود البارُ ويجلس من جديد ليستريح،  
كانت تلك الضجّة الشيطانية تعود مرّةً أخرى. فيقوم البارُ  
ثانيةً ويبدأ بتلاوة المزامير وهكذا تختفي الصرخاتُ  
الشيطانية. تكرّرت هذه القصةُ مرّاتٍ كثيرةً وبالنّتيجة لم  
يعد بمقدور البار أن يستريح ولو لبرهةٍ قصيرة. وبما أنّ

الربّ كان يرى عزمَ عبده الجهادي فقد منحهُ موهبةً ضدّ الشياطين، ولم تُعدّ الأرواحُ الشريرة فيما بعد تجرؤُ حتى على الاقتراب إلى مغارته. وبعد ذلك أخذت عجائبُ القديس تتوالى واحدةً تلو الأخرى. وسنأتي على ذكر بعضها فيما يلي:

حين كانت تتم تهيئةُ الخبز في الدير، كانت الشياطينُ تقلبُ الأشياءَ رأساً على عقب. كانت تنثر الطحينَ وتقلبُ العجينَ أرضاً وتتسبّبُ بأضرارٍ مختلفة. وصف الراهبُ المسؤول عن الخبز الأمرَ للقديس، فمضى ذات مساءً وأغلق على ذاته في المخبز وبقي هناك يصلي حتى الصباح. ومنذ ذلك الحين لم تظهر الشياطينُ ثانيةً في ذلك المكان.

ذات مرةً قال الأخ الراهب المسؤول عن الاهتمام بحيوانات الدير للقديس مضطرباً بأنّ الشياطين قد سكنت في الإسطبل وهي تتسبب بتشويش كبير. وبالقلقلة التي كانت تتسبب بها لم يكن بمقدور الحيوانات أن تأكل بهدوء. صلى الرهبانُ كثيراً وقاموا برشّ الإسطبل بالماء المقدّس ولكن من دون جدوى. فتسلّح

القديسُ بالصوم وانطلق ذات مساءً إلى الإسطبل. أغلقَ الباب وأقام هناك الليل كله مصلياً. ومنذ ذلك الحين لم تعد تظهر الشياطين في تلك المنطقة كلها وليس في الإسطبل وحده ولم تُعد تتسبب بأي أذى.

الأب إيلاريون هو أحد الإخوة المتميزين في الدير وقد عانى كثيراً في قلايته بسبب الشياطين. ذات ليلة حالما استلقى على فراشه هجمت عليه مجموعةٌ كاملة من الشياطين. شدته من شعره وسحبته ثم ضربته وبعضها رفعت الحائط وأخذت تُهدده قائلة:

- سوف نلقيه عليك فنقتلك.

استمرت هذه الحالة عدة ليال. لم يعد باستطاعة الراهب أن يحتمل المزيد فلجأ إلى القديس ثيودوسيوس وقال له:

- إنني أفكر بأن أغير قلايتي.

- كلا يا أخي لا تهرب وتجعل الأرواح الشريرة تفرح. بهذه الطريقة ستؤذيك أكثر لأنها ستمتلك عليك سُلطة. اجلس في قلايتك وزاول الصلاة. والله سيمنحك النصر لمشاهدته صبرك.

- من المستحيل أن أقيم في قلّاتي. هناك مجموعة من الشياطين.

وعندها رسم القديس عليه إشارة الصليب وقال له: من الآن فصاعداً لن تراها ثانيةً ولن تؤذيك ثانيةً. وفعلاً، لم تظهر الشياطين مرةً أخرى في قلّاتيه.

## فنون لا تُصدّق

حبُّ الفضة هو أصل الشرور كلها. هذه الكلمات الملهم بها من الله تبرهنّت بالقديس ثيودوروس الكييفي الذي أضله شيطانٌ حبُّ الفضة وعدّبه بمرارة.

كان ثيودوروس المغبوط في العالم رئيساً ممجّداً يمتلك ثروة كبيرة. ولكن ذات يوم قرأ في الإنجيل أقوال الربّ "إن كان أحد منكم لا ينكر كل ماله لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً" (لوقا: ١٤: ٣٣). وللحال وزّع ثروته على الفقراء، وترك العالم ومضى إلى دير المغاور حيث صار راهباً بعد أن خضع للتجربة القانونية. وبوصية رئيس الدير أقام في مغارة ونسك فيها بغيره زمناً طويلاً.

ولكن ذات يوم أراد الشيطان أن يجربه فزرع في



ذهنه أفكاراً من القلق عن مستقبله وشيخوخته. وأخذ يهمسُ له بمَكْرٍ: "ماذا ستفعل حين تشيخ؟ من سيعتني بك؟ الطعام قليل في الدير وسرعان ما ستتهك قواك. لماذا استعجلت أيها الغبيُّ وبددتَ ثروتك؟ كيف ستواجه أمراضك الآن؟".

لم يفهم ثيودوسيوس بأنَّ هذه كانت تجربة فسقط في اليأس. عبثاً كان باقي الرهبان يعزّونه ويفبّطونه على استبداله الكنزِ الأرضي بأخر سماوي. كان الراهب باسيليوس يقف إلى جانبه أكثر من الجميع، وكان ينصحه ويسوق له أمثلة كثيرة واستطاع في نهاية الأمر أن يُهدئ من روعه. فتوطّدت بينهما منذ ذاك الحين محبةً روحية عميقة أكثر من الجميع.

بعد توبة ثيودوسيوس وعودته، وضع الشيطانُ مخططات شريرة أخرى حيّز التنفيذ. ذات مرة غاب باسيليوس عن الدير مدة ثلاثة أشهر. فظهر الشيطان لثيودوسيوس بشكل باسيليوس وسأله بتودد:

- كيف حالك يا أخي؟

- بصلواتك ونصائحك أيها الأب باسيليوس نجوتُ من

حرب الشيطان. أعدك بأنني سأنفذ كل إرشاداتك في المستقبل.

- إيه، الآن وقد حُزتَ على عدم حب المال ونفسك لا تتعرض للخطر بسببه فأنت تستطيع بلا خوف أن تطلب إلى الرب أن يعطيك ذهباً من أجل أن توزّعه على الفقراء فتتال أجره الإحسان في الحياة الأخرى. اطلب مالاً من الله. وحين تتاله فم ياخفائه في مفارئك ولا تدع أحداً يدخل إلى مفارئك وأنت لا تخرج من هنا إطلاقاً حتى أقول لك أنا.

وبعد ذلك تظاهر الشيطان بأنه غادر المكان ولكنه اختبأ على منوال غير منظور في المغارة وأخذ يلقي أفكاراً في عقل البار بلا انقطاع من أجل اقتناء الغنى حاضراً إياه أن يصلّي فقط لأجل هذا الغرض. فالبار وهو مخدوع أخذ يبتهل ليلاً ونهاراً إلى الله كي يمنحه ذهباً ليعطيه للفقراء. وفي أحد الأوقات نام القديس. فظهر له الشيطان في حلمه بهيئة ملاك وأشار له على علامة في موضع طيني في المغارة وقال له:

- احفر هنا وسوف تجد كنزاً كبيراً.

لم يفعل ثيوذوروس ذلك. فظهر له الشيطان عدة

مرات إلى أن أقنعه بالحفر. وفعلاً حَفَرَ الأرضَ وعلى عمق صغير وجد صندوقاً مليئاً بالذهب، الفضة والأحجار الكريمة. فقبله كأنه عطية إلهية من أجل "إحسانه".

ولكن الشيطان الحقود كان قد عقد العزم على أن يصيبه بالجنون كلياً. فأخذ شكل باسيلوس مرة أخرى وزاره. وقال له: أرايت يا أخي أيِّ كنزٍ أرسل لك الله؟ لقد أخبرني بهذا الملاك ذاته الذي زارك. أنت تمتلك الثروة الآن بين يديك فافعل ما يحلو لك.

تحرك قلبُ ثيوذوروس بشكلٍ غريب حين سمع قول الشيطان فاعترض قائلاً: أنا التمسْتُ من الله أن يعطيني المال من أجل أن أقدمه للفقراء. أعتقد بأنه أرسله لهذا الهدف فقط.

فأصرَّ عليه الشرير عدوُّ الخير قائلاً: انتبه ألا يلقىك الشرير في الحزن واليأس كالسابق. ولهذا السبب خُذ الكنز وارحل إلى بلدٍ آخر. أهلك تخلصُ هنا فقط؟ هناك ستشتري أرضاً وخيرات كثيرة وستتجو من تجارب الشياطين التي تعذبك في هذه المغارة. وحين تشيخ وتأتي ساعتك ستعطي مقتنياتك إلى من تشاء وهكذا تبقى

ذكراك إلى الأبد.

فأجاب ثيوذوروس: أليست خطيئة أنا الذي تركتُ العالم ووعدتُ أن أحيا كراهب في هذه المغارة أن أصير الآن ناكثاً لعهدي وعلمانياً؟ اطلب مني ما تشاء ولكن لا تطلب مني أن أترك هذه المغارة.

امتعض الشيطان بسبب مقاومة البار. ولكنه تابع مرأاته قائلاً: هنا لن تكون قادراً أن تخفي كنزك. ثم لو لم يُرد الله أن تقتني الغنى لما كان أرسله لك. ولا كان أيضاً أرسل لي ملاكه كي يؤكد الفكر الجيد الذي تظهره. ألا تكفي هذه الإعلانات الإلهية لتقنعك؟

بالأقوال الكثيرة استطاع الشيطان أن يثني مقاومة البار الذي كان يعتقد بأنه يرى أمامه الأخ باسيليوس الحكيم. فبدأ خفيةً يُجهز نفسه للرحيل. ولكن تدخل الله أنقذه في اللحظة الأخيرة. وهاكم كيف حدث هذا:

في اليوم ذاته الذي قرر فيه الرحيل عاد الأخ باسيليوس إلى الدير وذهب مباشرة إلى مغارة أخيه الروحي الحبيب. وبينما هو يدخل المغارة حيّاه قائلاً: افرح بالرب يا أخي. مضى وقتٌ طويل على آخر مرة رأينا فيها بعضنا

البعض. اشتاقت إليك نفسي كثيراً.

- ماذا تقول أيها الأب باسيليوس؟ ألم نكن البارحة وما قبله سوية؟ والآن ألسنتُ أرحل من هنا حسب وصيتك؟  
- أنا للتو عدتُ من سفري ولا أعرف شيئاً عما تقول.

ألعل في الموضوع حيلة شيطانية؟

لماذا تزعجني يا أخي؟ قال ثيودوروس مستكراً. لا أعرف فيم عساي أصدّقك. حيناً تقول لي شيئاً وحيناً تقول شيئاً آخر. اذهب ببركة الله.

مضى الأخ باسيليوس إلى الدير حزيناً مليئاً بالأفكار والتساؤلات. فانتهر الشيطانُ الفرصة وظهر لثيودوروس ثانيةً بهيئة باسيليوس وقال له: سامحني يا أخي لقد أزعجتك بدون سبب لأن عقلي أظلم. فالآن أجدد لك القول: اذهب بعيداً. الآن خذ كنزك وارحل قبل أن يفوت الأوان.

قال الشيطان هذا ثم اختفى. وفي هذه الأثناء أخذ باسيليوس بعض الإخوة من الدير ثم عاد برفقتهم إلى مغارة ثيودوروس وقال له: تفضل يا ثيودوروس ها هم الشهود الذين سيؤكّدون لك بأنه قد انقضى ثلاثة أشهر منذ آخر مرة رأيته فيها. كان رئيس الدير قد أرسلني للقيام

بخدمة في مكان بعيد. ولكنتك تدعي بأنني كنتُ معك  
أعلمك وأسدي لك النصيح. أعتقد بأن الشيطان كان يهزأ  
بك متخذاً هيئتي. ولكي تعلم الحقيقة بالضبط لا تترك  
أحداً أياً يكن يتفوه معك بأية كلمة قبل أن يقول صلاة  
يسوع، وإذا رفض القيام بهذا يكون شيطاناً بشكل  
واضح.

قبلَ ثيودوروس الاقتراح. بعد ذلك قرأ أحدُ شيوخ  
الدير صلوات الاستقسام وابتهل إلى أنطونيوس  
وثيودوسيوس مؤسسي الدير أن يبطلا الحيلة الشيطانية.  
وفعلاً منذ تلك اللحظة لم يجرؤ الشيطان على الظهور له  
مرةً أخرى.

كانت المفاجأة بالنسبة إلى ثيودوروس كبيرة وارتعد  
كثيراً حين فهم بأنه كان في خطر الوقوع في الضلالة مرة  
أخرى. ومنذ ذلك الوقت لم يكن ثيودوروس يقبل التحدث  
مع أحد ما لم يقل صلاة يسوع بوضوح. وجاهد كذلك  
بقسوة كي يخزي الشيطان بعدما سبق فدفن الكنز في  
بئرٍ وابتهل إلى الله كي يمحو من ذاكرته الكنز  
ومكان دفنه.

ومن أجل أن يتجنّب هجوماً جديداً للشرير استسلم  
إلى الأتعاب الجسدية ووضع عنده رحىً وكان يطحن  
القمح للإخوة في الدير.

مضت عدة سنوات وذات يوم بينما كان يدير الرحى  
شعر بأنه تعب جداً فتوقف ليستريح قليلاً. وعندها سمع  
صوت رعدٍ مرعب جعل الأرض تهتز وبدأت الرحى تدور من  
تلقاء ذاتها. لم يسقط البارُّ في الفخ هذه المرة، وفهم بأنّ ما  
يجري إنما هو حيلة شيطانية أراد الشيطان أن يُضِلّه من  
خلالها جامعاً إياه يعتقد بأنّ الرحى تدور بفعلٍ إلهي.  
فصرخ: أيها الشيطان الكلي الشرِّ فليُخزك الربُّ.

ولكنّ الشيطان استمر في تدوير الرحى. وعندها  
صار البارُّ أكثر حزماً وقال: باسم الإله الثالوثي الذي  
ألقاك من السماء بسبب كبريائك أمرك أن لا تتوقف حتى  
تطحن القمح كله. وبهذه الطريقة ستخدم الإخوة رغماً  
عنه.

تقيّد الشيطانُ بقوة الاسم الإلهي فاستمر في الطحن  
طيلة تلك الليلة رغماً عنه. والشيء الأكثر إثارة للدهشة  
هو أنّ كلّ حِمْلٍ من ذاك القمح أخرج خمسة أحمال من

الطحين. ولدى حدوث ذلك للشيطان اضطراً أن يختفي مخزياً وهو يصرخ: الويل لي. إنني أرحل لأن ثيودوروس الملعون لا يسقط بعد الآن في شراكي.

وبعد فترة وجيزة غادر ثيودوروس مغارته. في تلك الآونة كان الدير قد احترق منذ فترة لأن حريقاً شَبَّ فيه وكان الآباء قد جمعوا أخشاباً لإعادة ترميمه وجمعوها على ضفاف نهر الدينير. وبدأ ثيودوروس المغيوط بالرغم من شيخوخته يقطعُ أخشاباً في الجبل من أجل صنْع قلايةٍ لنفسه. ولكن على ما يبدو كانت الشياطينُ قد نسيت سريعاً ما حصل لها على يد القديس ولهذا أرادت الانتقام منه بالطريقة التالية: كل الأخشاب التي كان البار يقطعها في الجبل نهاراً كانت الشياطين تلقيها ليلاً بجنون إلى أسفل حتى تبلغ ضفاف النهر. فهمَ القديسُ من الذين كانوا وراء هذا الضرر ولهذا حين سمع دحرجة الأخشاب في إحدى الليالي قال: إنني أمركم باسم الرب يسوع المسيح أن ترفعوا جميع الأخشاب من ضفة النهر إلى قمة الجبل وهكذا ستريحون الرهبان من نفقات النقل لتشييد كنيسة والدة الإله. وستفهمون بطريقة مؤلمة بأن الله



يسكن هنا ولا موضع لكم في هذا المكان.

وللحال ابتدأت الشياطين العمل وحين طلع الصبح كانت قد قامت بنقل كمية كبيرة من الأخشاب تكفي لبناء دير بأكمله وليس كنيسةً فحسب. وللمرة الثانية أُخزيت الأرواح الشريرة. ولكنها رغم ذلك لم تستسلم، وبينما هي في قمة غضبها أخذت تلعن القديس وتهدده وهي تغادر المكان قائلة: أحرقتنا ولكننا نحن أيضاً سنُحرقك.

وفي اليوم التالي جاء بعض العمال المرسلين من الدير كي ينقلوا الأخشاب. ولكنهم لم يجدوا حتى خشبةً واحدة في الأسفل بجانب النهر بل وجدوا الأخشاب كلها في الجبل موضوعة بترتيب: بعضها من أجل السقوف، بعضها من أجل الأرضيات، وأخشاب السلالم في مكان آخر على حدة. انتهزت الشياطين الفرصة وحرّضت العمال ضدّ البار فقالوا له: أيها الراهب نحن اتفقنا مع الدير على نقل الأخشاب. نريد تالياً الأجرة المتفق عليها. أنت نقلت الأخشاب بالأعيبك فإمّا أن تدفع لنا أجرتنا أو ستحلّ بك أمورٌ رديئة.

طبعاً لم يكن القديس يمتلك مالاً ولهذا السبب لجأ  
الفعلّة إلى القاضي ورشوه فأقنعوه أن يقف في صفهم.  
والقاضي الذي اعتبر تفسيرات القديس حماقات حكم  
عليه قائلاً له بتهكّم: فلتساعدك الشياطين الآن كي  
تدفع للأجّراء مثماً ساعدتك في نقل الأخشاب. قبل  
ثيوذوروس الحكم عليه بتواضع وبدأ يعمل بكد إلى أن  
تمكّن شيئاً فشيئاً من إيفاء العمال المال المطلوب.

حين وجد الشيطان بأنه لم يستطع توجيه ضربة قوية  
للبار، اخترع حيلةً أخرى. اتّخذ شكل باسيلوس وظهر  
لأحد الأعيان من أتباع الملك مستسلاًف. وكان يعرف  
باسيلوس جيداً ولكن أنى له أن يعرف بأن من يقف أمامه  
هو شيطان قد اتّخذ شكل باسيلوس. وهنا قال له  
الشيطان: هناك شيء هام أريد إطلاعك عليه. إنني أقيم  
الآن في المغارة التي كان يسكن فيها ذاك المدعو  
ثيوذوروس. وهو قد وجد كنزاً كبيراً مدفوناً في داخلها  
على يد الفرنج: ذهباً، فضة وحجارة كريمة، وقد أراد أن  
يأخذ ذلك الكنز ويمضي به إلى بلد آخر. ولكنني جعلته  
يبقى. والآن يمثل دور الأبله. إنه يجعل الشياطين تعمل

عنده، حيناً تطحن له القمح وحيناً تتقل له الأخشاب،  
وبهذه الطريقة يضحك على البشر. وقد أخفى الكنز في  
أحد الأماكن فإذا أخذه ورحل لن ينال منه حاكماً  
نصيماً.

حين سمع الرجل هذه الأقوال، اقتاد الشيطان المتخذ  
شكل باسيلوس إلى الوالي وهناك أعاد الشيطان قص  
روايته ووشايته. في صباح اليوم التالي انطلق مستسلف  
برفقة جيش ليقبض على ثيوذوروس. قام بتقييده واقتاده  
إلى البلاط وسأله:

- هل صحيح أنك وجدت كنزاً يا أبانا؟

- نعم ولكنه مدفون الآن في مكان ما من المغاور.

- ولماذا لم تسلمني إياه بما أنه يجب أن يكون ملكاً

لي لأنني سيّد هذا المكان؟

- يا سيدي. أنا لا أريد هذا الكنز. إنه عادم النفع

بالنسبة لي ولكنني لسوء الحظ لا أستطيع أن أرضيك لأن

الله بعدما تضرعتُ إليه محاً من ذاكرتي المكان المخفي

فيه الكنز.

اهتاج الوالي وغضب وأمر بأن يلقوا البار في السجن

مدة ثلاثة أيام ويتركوه بدون طعام. وبعد ذلك عاد فسأله  
من جديد: أعلّك تذكّرت أيّها الراهب أين هو الكنز؟  
أجابه القديس: قلتُ لك بأنني لا أعرف أين هو.  
فصرخ الوالي المتعطّش للدماء غاضباً: عدّبوه.

بعد قليل كان رداء القديس الشعري قد صار أحمر  
اللون بسبب الدم. ثم ربطوه وعلّقوه وأشعلوا ناراً تحت  
رجليه. ولكن بتدخّل من الله تحولت النار إلى هالة ندية  
أحاطت بجسد القديس المجروح وأراحته.

خاف الوالي من الأعجوبة التي رآها فأمر بأن ينزلوا  
القديس ويضمّدوا جراحاته ويحضروا باسيليوس من  
المغارة. ولدى مشاهدته له قال له: كل ما قلت لي أن أفعله  
بهذا الراهب قد قمتُ به ولكن من دون جدوى. وهكذا  
طلبتُك لتكون أنت شاهداً.

أدرك ذهنُ باسيليوس المستتير بالله الحيلة الشيطانية

فقال:

- وماذا قلتُ لك أن تفعل يا سيدي؟
- قلتُ لي بأنه يمتلك كنزاً مخفياً. وبما أنه رفض  
إخباري عن مكانه قمتُ بتعذيبه.

- لقد نصب لك الشيطان فخاً يا سيدي أنت  
وثيودوروس. أنت لم تشاهدني أبداً لأنني لم أخرج من  
مغارتي منذ خمسة عشر سنة.

- ولكننا رأيناك تتكلم مع سيّدنا ، قال الخدّام.  
- لم أكن أنا. بل كان ذلك الشيطانُ وقد اتّخذ  
هيئتي واستهزأ بكم.

ولكن أئى للحاكم أن يفهم تفسيراً غير قابل  
للتصديق كهذا؟ وبسبب غضبه أمر بأن يعدّبوا باسيليوس  
لأنه كما يعتقد كان يستهزئ به. تبع ذلك تعذيبات  
قاسية. لم يوقف المعدّبون القساة عمكهم حتى تحوّل جسدا  
القديسين إلى جريحين. قبل الله دمهما كـ "ذبيحة مقبولة  
أمامه" ونقلهما سريعاً إلى القرب منه ليهبهما إكليل  
استشادهما.

## القديس لاونديوس

في جزيرة بطمس ، في دير القديس يوحنا اللاهوتي  
الشهير ، عاش ونسك القديس لاونديوس (ق ١٢م) الذي  
صار فيما بعد بطريركاً لأورشليم (١١٧٠-١١٩٠م).  
وبسبب سيرته الفاضلة كرّمه الله بمواهب الروح القدس

وكرّمته أخوية الدير البطريركي برتبة رئيس الدير رغماً  
عن إرادته.

لم يقف تميّز البار كراعٍ عند حصافته، تميّزه،  
محبه وخُلُقِه بل وبقوته العجائبية التي كان بها يطرد  
الشياطين ويقوم بأشياء أخرى أيضاً. سنأتي على إيراد  
بعض الحوادث المميزة من سيرة حياته:

إلى الشرق من بطمس هناك جزيرة صغيرة تدعى  
ليبسوس. وكان الرهبان يملكون فيها دواباً. وفي كل  
صيف كانوا يذبحون بعضها ويجففونه في الشمس  
ويبيعونه. قام الرهبان ذات يوم بانتداب الراهب بروخوروس  
للقيام بهذه المهمة.

كان بروخوروس قاسي الخلق وأخذ يضغطُ على  
البار لاونديوس كي يعطيه حذاءً جديداً. فأجابه ذلك:  
اذهب الآن إلى ليبسوس وسأعطيك حين تعود لأنّ اسكافّة  
الدير لا يملك حذاءً جاهزاً الآن.

ابتدأ بروخوروس يصرخ ويتنمّر بغضب، فأشار عليه  
القديس قائلاً: يا بنيّ امضِ إلى خدمتك بسلام حتى لا  
يحصل لك أيُّ مكروه.

ولكنّ الراهب كان عنيداً. وحين رأى القديس أنّ هناك حاجة لعقابٍ تربويٍّ بادره بعقابٍ بأقوال صاحب المزامير فقال: "لتكن طريقك ظلمة وليطاردك ملاك الربّ"، تفوّه القديس بهذه الأقوال ثم ابتعد.

دخل بروخوروس إلى القارب ليذهب إلى ليبسوس. وفي حدود منتصف النهار إذا بالحجارة تتساقط فجأة على القارب كممثل انهمار البرد، والشيء العجيب هو أنّ الحجارة لم تكن تصيب سوى الراهب بروخوروس فقط وتجرحه من دون أن تدنو إلى أحدٍ من المسافرين معه. وترددت أصواتٌ كانت تقول: العناد، العناد.

عندها فهم الراهبُ الشقيُّ بأنّ القوات الشيطانية تضربه على منوال غير منظورٍ بسمحٍ من الله بسبب ازدرائه بأبيه الروحي. وحين وصل إلى غايته خرج من القارب مضطرباً، وعندها توقف رجمُ الحجارة قليلاً. ولكن بينما كان يستعد ليتناول طعامه بدأ الأعداء غير المنظورين يقذفونه بالحجارة من جديد، فاستحال صحته قطعاً منشورة وانسكب الطعامُ وانكسر كوبُ النبيذ في حين كانت الشياطين تصرخ وتقول: يا بروخوروس! العناد،

العناد.

تأثر بروخوروسُ التبعيس من الشرِّ الذي وقع له فَنَسِيَ  
الطعام والشراب. ولَمَّا كان عاجزاً عن فعل أيِّ شيء،  
استقلَّ القارب وعاد مدمىً من الضربات، وأظهرَ للقديس  
جروحه وروى له ما أصابه.

لدى سماع أحد الرهبان الرواية قال للآخرين بتباهٍ:  
حصل هذا الشرُّ لبروخوروس لأنه أُميٌّ. لو كان يعرف  
القراءة لكان طردَ الشياطين. ولكنني بقوة الله ونعمة  
الكتاب المقدس أؤمن بأنني لن ألقى إزعاجاً أبداً من  
الشياطين. وبعدما تفوّه بهذا الكلام أخذ كتاب المزامير  
وضرب سجدةً أمام القديس ثم غادر باتجاه ليبسوس.  
ولكن حصل له ما حصل لبروخوروس وبدأت حجارةٌ  
كثيرة تتساقط عليه من مصدر غير منظور. ولم تنقذه  
معرفةُ ولا شجاعته، وبالنتيجة عاد إلى الدير مهاناً.

وبعدما رأى القديسُ أنّ العقوبة كانت كافية  
للاثنين، أخذ معه بعض الإخوة الأتقياء من الدير وذهب إلى  
ليبسوس وطرد الشياطينَ من هناك بصلاته.





حوربَ مرةً أحد تلاميذ القديس لاونديوس، وكان يدعى أنطونيوس، من شيطان التجديف، وكانت الحرب موجّهةً ضدّ السيدة والدة الإله. فأسرع الراهب والتجأ إلى القديس ورجاه باكياً:

- أيها الشيخ ساعدني كي أنتصر على هذه الخطيئة المرعبة.

- تشجّع يا ولدي ولا تخف. دع الكلب ينبح لأنه من غير الممكن أن تُغضبَ البتول وأنت قد ألقيت رجاء خلاصك عليها. وليس صحيحاً ألاّ تمجّد سيدتنا والدة الإله وتكرّمها.

سألَ القديسُ أنطونيوسُ بهذه الأقوال ضدّ شيطان التجديف. ولكن بالمقابل لم يوقف عدو الخير إزعاجه للأخ. وحين كان الراهب يذهب إلى الخدمة المشتركة كان يتركه بهدوء ولكن حالما كان يرجع إلى قلايته كان يهاجمه بوحشية ويعذّبه.

في نهاية الأمر انهزم الراهب أنطونيوس وسقط في الخوف. وذات يوم بينما كان يخرج من الكنيسة هرع إلى قلاية القديس لاونديوس وقال له وهو يرتعد: لن أغادر من

هنا ما لم تحرّرني من هذه التجربة. صارت قلّايّتي عشّاً للشيطان.

وللحال نهض القديس من كرسيه المنخفض واقترب إلى موضع السجود للأيقونات. وبعدها تضرّع إلى الرب ووالدة الإله الدائمة البتولية الفائقة القداسة ليساعدا أنطونيوس، أمسك بيمين الأخ ووضعها على عنقه وقال له: يا بنيّ إنني آخذ خطيئتك هذه على عنقي وإذا جرّيك الشيطانُ ثانيةً فقل له: "يا عدوّ الحقّ، بصلاة لاونديوس الخاطئ أنا أحسبُك كلباً نجساً".

تسلّح أنطونيوس بهذه الإرشادات فسجد للقديس ثم غادر المكان. وبينما كان خارجاً سمع أصواتاً دون أن يرى أحداً وكانت الأصوات تصرخ وتتهدده إلى أن انتهت بالقول: "نجوت لأنك لجأت إلى لاونديوس. لو لم تلجأ إليه طالباً المعونة لما كنت ستخيّل ما الذي كان سيحصل لك". ومنذ تلك اللحظة اضمحلّت أفكاره التجديفية كلها. وهكذا انسحب أنطونيوس إلى قلّايّته هادئاً غير خائفٍ متحرّراً من التجربة الطويلة الأمد.

## طبّاخ غريب

اعتاد القديس كوزما الإيتولي (١٧٧٩م) أن يروي

القصة التالية:

أحد المسيحيين واسمه يوحنا تغلّبت عليه أهواؤه  
وتحريضات الشرير فصار لصاً وقام بجمع عصابة خاصة  
به. ولكنه على منوال غريب لم ينسَ إحدى عاداته  
الحميدة وهي أنه كان يتلو مدائح العذراء كلَّ صباح  
ومساءً.

ولما أراد الله الفائق الصلاح أن ينقذه بسبب تقواه  
تجاه الفائقة القداسة أرسل ناسكاً قديساً إلى مكان  
العصابة. وحالما وقعت أعينُ رجال يوحنا عليه قاموا  
بالقبض عليه. فقال لهم: رجاءً خذوني إلى رئيسكم. إنني  
أريد هذا لخيركم.

وبعد قليل وقف الناسك في حضرة رئيس اللصوص  
وقال له: نادِ رجالك كلهم كي يأتوا إلى هنا. هناك شيء  
هام جداً أريد قوله لكم.

فعلَّ الرئيسُ كما قال له الناسك. ثم سأله هذا

الأخيرُ:

- أليس هناك غيرهم؟

- هناك طبّاح، ولكنه إنسان.

- نادِ عليه أيضاً.

جاء الطباخ وحين وقف أمام الناسك، لم يكن بمقدوره أن ينظر إليه في وجهه فأخذ يتطلع إلى جهةٍ أخرى.  
فقال له الناسكُ:

- أمرك باسم الرب يسوع المسيح أن تقول لي من أنت

ومن أرسلك وماذا تفعل هنا حيث أنت جالسٌ؟

- أنا كذابٌ، أجابه ذاك، ودوماً أتفوّه بالأكاذيب.

والآن بما أنك قيّدتنني باسم المسيح فأنا لا أستطيع إلاّ التفوّه بالحقيقة. أنا شيطان. أبي إبليس أرسلني إلى هنا لكي أنصب الشركاء للرئيس وأجعله يغيّر تفكيره بالهدف التالي: إذا نجحتُ ذات يوم وجعلته لا يصلّي مدائح الفائقة القداسة فعندها أقتله وآخذ نفسه إلى الجحيم. ولكن لي اليوم ١٤ سنة أتابعه ولم ينقض يوماً واحداً من دون أن يتلو المدائح للبتول.

- أمرك باسم الثالوث القدوس أن تختفي من هنا ولا

تزعج المسيحيين مرّةً أخرى.

وللحال استحال الشيطان دخاناً. مكث اللصوص  
مذهولين بكل الغرائب التي سمعوها وشاهدوها. فأخذ  
الناسك ينصحهم بأقوال أبوية فتابوا وتركوا حياة الخطيئة  
وبعضهم تزوج وبعضهم الآخر صاروا رهباناً.

### الميت غير المنحل

في حدود العام ١٧٨٥م كان يعيش في رومانيا في  
أسقفية خوسي راهبٌ فاضل اسمه رافائيل، فخاري،  
وناسك كبير. كان يأكل قليلاً جداً كل مساء ويلهج في  
الكتاب المقدس وبعد ذلك كان يذهب لقضاء الليل في  
المقبرة. وكان يرتدي ثوباً من الجلد وصوف خروفي صيفاً  
شتاءً. وبهذه الثياب كان ينام بين القبور. وكان الرهبان  
الآخرون يقولون عنه بأنه مجنون ولكنه كان قديساً.

وذات ليلة بينما كان نائماً بجانب صليب حجري  
سمع الشياطين وهي تضرب ميتاً داخل القبر. تكرر الأمر  
ذاته في الليالي التالية وذلك من الساعة الحادية عشرة  
وحتى الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل. وطالما كانت  
الشياطين تضرب الميت كانت الأرض تهتز في حين أن

الميت كان يصرخ في يأسه قائلاً: ارحموني! ساعدوني ولا تدعوا الشياطين تضربني.

وبعد أسبوعين مضى الأب رافائيل إلى الأب الروحي وكان هذا شيخاً في التسعين من عمره وقال له:

- أيها الأب دانيال تعال إلى المقبرة كي تحلّ بصلواتك ميتاً لأنّ الشياطين تضربه.

- يبدو لي أنك ممسوس بشيطان لأنك تنام مع الأموات وترى شياطين أمامك. اتركني الآن أنام فأنا مُتعب.

- كلا يا أبتِ هلمّ لنذهب إلى قبر الميت. إنه يصرخ طالباً المساعدة وأنت كأبٍ روحيّ تملك القدرة على حلّه من خطاياہ. إذا لم تأتِ سوف تقدّم جواباً عن نفسك بهذا الشأن في يوم الدينونة.

جعلت هذه الأقوال الشيخ ينثني عن رأيه فأجابه: انتظر قليلاً أنا قادم. ثم نهض وانتعل حذاءه وأخذ كتاب الصلوات والبطرشيلى وصليباً وانطلق. وحين وصل إلى المقبرة شعر الأرض تهتزّ.

- أيها الأب رافائيل كم من الوقت انقضى منذ بدأت

## الشياطينُ تضره٩

- منذ أربعة عشر يوماً. وأنا سألتُ الميتَ لماذا تضره  
الشياطين فقال لأنه لم يعترف بخطاياها.

وفي اللحظة ذاتها سمع الأبُ دانيال بأذنيه ضربات  
الشياطين وأصوات الميت وهو ينادي: ارحموني يا إخوة.  
النجدة، لا تتركوني.

قال الأبُ دانيال لرافائيل: اذهب حالاً وأخبرِ الأسقفَ  
بالأمر. قل له بأنني أقترح أن نُخرج الميت من القبر وبهذه  
الطريقة سنفهم ما الذي يجري.

وبعد الاستفسار بخصوص الأمر في دار المطرانية،  
وجد رافائيل أن الميت كان بلغاريّ الجنس وكان قد خدمَ  
قبل سنين كثيرة في أسقفية خوسي كموظف إداري والآن  
تقوم الشياطينُ بضره بسماعِ إلهيٍّ لكي تستعلن حالةُ  
نفسه.

وفي اليوم التالي فتح الآباءُ القبرَ وشاهدوا برعدةً أن  
الميت لم يكن قد انحلَّ وحتى لسانه بقي على حاله.  
فأخرجوه تماماً كما وضعوه. كانت أظافره قد طالت  
جداً ولحيته نمت حتى وصلت إلى قدميه. وكان وجهه

أسود اللون وجسده منتفخاً وثيابه ونعشه في وضع جيد.  
استدعى الأسقفُ سبعةَ آباءِ روحيين متميزين وبدأ  
الجميع وهم ساجدين قراءة صلوات المغفرة. نقلوا الجثة إلى  
الكنيسة وتلوا عليها خدمة الجناز مع صلوات حلّ الجسد  
ومن ثم دفنوها. ثم بعد فترة سألوا الأب رافائيل إن كان لا  
يزال يسمع الشياطين وهي تضرب الميت فأجابهم بأنه لم  
يعد يسمع شيئاً.

وبعد انقضاء عام على هذا الأمر فتحوا القبر ثانيةً  
ووجدوا جسده وقد استحال رماداً. طالما بقي جسده غير  
منحلّ كانت نفسه في عذاب الجحيم غير القابل للوصف.  
وكان الشقيّ يطلب مساعدة كي ينحل جسده. ولكن  
بصلوات الأسقف والآباء الروحيين أراحه الربُّ المحبُّ  
البشر.

## الشيخ يواكيم

إلى الشمال الغربي من إسقيط القديسة حنة، كان  
ينسك الشيخ يواكيم (١٨٨٨م) في مفارة.  
قبل أن يصير راهباً كان لصاً في كريت. ولكنه  
سلم ذاته طوعاً إلى الباشا فجعله الباشا في خدمته. ولاحقاً



تبع الباشا إلى تسالونيك ثم في نهاية الأمر إلى الجبل المقدّس. أحب الجبل المقدّس والحياة الرهبانية كثيراً بحيث أنه بعد عدة سنوات صار راهباً.

وذات مرّة سمحَ اللهُ بأن يتعرّضَ لتجربة كبيرة شبيهة بتجربة القديس أنطونيوس الكبير. كان الوقت بارامون أحد الأعياد وكان الشيخ قد انطلق من مغارته الباردة الرطبة ليذهب إلى كنيسة الإسقيط الرئيسية حيث كان من العتيد أن تقام سهرانية طوال الليل.

وفجأة ظهر أمامه حشدٌ من الشياطين. فاختطفته وألقت به في وادٍ شديد الانحدار ينتهي في البحر. تدحرج الشيخُ على حافة الوادي حتى وقف فوق منطقةٍ مستوية قليلاً. ولكنّ الشياطين اختطفته ثانيةً وألقت به في ممرٍ ضيقٍ فسقط على الصخور الحادة وتدحرج هكذا حتى وصل إلى حافة البحر في نهاية الأمر.

قلّق آباء الإسقيط عليه حين لم يروه في الكنيسة لأنهم كانوا يعرفون بأنه قادم إلى السهرانية وكان أوّل القادمين في العادة إلى الكنيسة. فخرجوا وفتشوا عنه ولكنهم لم يجدوه في مغارته. وفي نهاية الأمر سمعوا صوته

ووجدوه ملقى على شاطئ البحر. ولكن بنعمة الله لم  
يصبه مكروه.

## أنكروا الله!

في نهايات القرن التاسع عشر بعدما مات السيد  
الروسي إيكسكول بسبب داء ذات الرئة وبقي ميتاً مدة  
خمس وثلاثين ساعة، عاد إلى الحياة، ومن ثم إذ تأثر  
بخبرته صار راهباً. ذاع انتشارُ حدثِ انفصال نفسه عن  
جسده مؤقتاً، المدهش ولكن الحقيقي، والذي خلاله  
قابل محطات التعشير، في بدايات القرن العشرين.

حين أسلم إيكسكول نفسه الأخير في المستشفى  
شعر بأنه يخرج من جسده، الذي بقي عادم النفس  
والحركة على الفراش. وعندها شاهد بوضوح ملاكين  
يقتربان منه ويأخذانه معهما. شعر بأنهما أمسكا بيده  
وأخرجاه إلى الدرب مباشرة من جدار غرفته.

كان المساء يحلُّ والثلج يتساقط في الخارج، ويتابع  
إيكسكول كلامه، كنتُ أراه ولكنني لم أكن أشعر  
بالبرد. بدأتُ بسرعة نصعد عالياً. وكلما كنّا نصعد إلى  
الأعلى كان الفضاء يفتح أمام عيني. وفي نهاية الأمر صار

للمكان أبعاداً هائلة جداً بحيث شعرتُ بعدميتي أمام هذه  
البرية اللامحدودة الماثلة أمامي.

انظفاً حسُّ الزمن بالكلية في ذهني. لم أعرف كم  
من الوقت استمرينا في الصعود عالياً. وفجأة سمعتُ ضجةً.  
وبدأ يقترب مني حشدٌ من الكائنات البشعة وهي تُصدر  
صوت ضحكٍ وصراخ.

فكرتُ في داخلي قائلاً: إنها شياطين. أدركتُ الأمرَ  
بسرعة وسيطر عليَّ خوفٌ لم أكن قد شعرتُ به من قبل  
أبداً. لو قال أحدهم أمامي قبل أيام من ذلك اليوم أو حتى  
قبل عدة ساعات بأنه يؤمن بوجود الشياطين أو حتى  
شاهدها لكنتُ ضحكتُ عليه وسخرتُ منه. فأنا  
كإنسان مثقف كنتُ أقول كلمة شيطان سابقاً وأقصد  
أهواء الإنسان وعاداته الرديئة. ولهذا كلمة شيطان لم  
تكن تعني بالنسبة لي سوى مصطلحٍ يعبر عن معنى مجرّبٍ.  
وفجأةً ظهر أمامي هذا المعنى المجرد شخصاً حياً.

وبعدما أحاطت بنا الشياطينُ من كافة الجهات  
كانت تصرخُ وتطالبُ الملاكين بأن يسلماني لها. وكانت  
تحاول بكافة الطرق أن تختطفني من يدي الملاكين

ولكنها لم تجسر أن تفعل ذلك. ومن بين صرخاتها القوية وزمجرتها التي كانت تصدر عنها استطعت أن أفهم بعض الكلمات وأحياناً عبارات كاملة. وكانت تصرخ بصوتٍ واحدٍ كلها قائلةً: أنه مُلْكنا. لقد أنكرَ الله. ثم هجَمَت عليّ. وأنا تسمَّرتُ من خويفي. "هذا الكلام كذب، ليس صحيحاً" أردتُ أن أجيِّبها ولكن كأنَّ لساني كان مريوطاً.

تجمَّدتُ من الخوف. "هذا كذب. كلا هذا ليس صحيحاً" أردتُ أن أجيِّبها، ولكن وكأنَّ لساني قد رُبط. وفجأةً بطريقة غير مفهومة بالنسبة لي تذكرتُ حدثاً غير هام كان قد حصل قبل وقتٍ طويلٍ جداً وكنتُ قد نسيتهُ. تذكرتُ بأنني في الفترة التي كنتُ أذهبُ خلالها إلى المدرسة، اجتمعنا نحن التلاميذ في بيت أحد رفاقنا وأخذنا نتحدث عن مشاكلنا المدرسية المختلفة، ومن ثم تطرَّقنا في حديثنا إلى بعض المسائل الهامة. كنَّا نقوم بهذا النوع من اللقاءات بشكلٍ متواتر.

قال أحد أصدقائي ذات مرّة: بالنسبة لي لا تعجبني الأفكار المعلقة وعلى الخصوص في هذه الحالة. أستطيع

أن أؤمن بقوة معينة ليست معروفة بعد من جهة العلم. أي  
أستطيع أن أقبل وجودها حتى وإن لم أكن أرى تعبيرات  
محددة عن وجودها، إذ من الممكن أن تكون هذه القوة  
رقية جداً أو أن تعمل وفق قوى مختلفة ولهذا السبب  
يكون من الصعب أن تُدرَك. ولكن في سبيل أن أؤمن  
بوجود الله ككائن شخصي، في حين أنني لا أشاهد  
تعبيراً عنه، فهذا الأمر حماقة بالنسبة إليّ. يقولون لي:  
آمين. ولكن لماذا عليّ أن أؤمن بالله، إذا كنتُ، من دون  
أي اختلاف بالنسبة لي، أستطيع أن أؤمن أنّ الله غير  
موجود؟ هل أتكلم الصواب؟ ألعنه غير موجود؟ ماذا تقول  
أنت؟ سألتني.

الحقيقة أنّ إجابتي لم تكن صريحة. لأنني كنتُ  
أؤمن بالله. حتى وإن كنتُ قد أنكرته ظاهرياً. وها الآن  
تتّهمني شياطينُ محطات التعشير بهذا الأمر طالبةً أن أسلم  
إلى أيديها.

وعندها خرجت من نفسي الخائفة صلاةً حارة جداً  
إلى الفائقة القداسة. وحالما نطقتُ باسمها، إذا بسحابة  
بيضاء تغطينا وبدأت تحيط بجمهرة الشياطين تلك. وبعد

قليل أقصتها كلياً عن أبصارنا. ولوقتٍ طويل كنتُ أسمع  
صراخها وزمجاتها. وبينما كانت أصواتها تضعف شيئاً  
فشيئاً أدركتُ أنّ الشياطين صارت خلفنا.

## العقاب

على أحد أعمدة الكنيسة الكبرى في دير الثالوث  
القدّوس في كييف، الذي أسسه البار يونان (١٩٠٢م)  
هناك أيقونة تُصوّر القديس باخوميوس الكبير وهو يأخذ  
من ملاك الرب إسكيم الحياة الرهبانية وقانونها. وترتبط  
هذه الأيقونة في تصويرها هناك مع حدثٍ عجيب من حياة  
يونان البار.

ذات مرة، في أحد المقاهي، كان هناك إنسان  
يشرب الفودكا برفقة أفضل أصدقائه وكان هذا ساحراً.  
كان الوقت يقترب من منتصف الليل حين باشر الساحرُ  
الحديث عن الشياطين. فقال صديقه: عن أية شياطين

---

٥- لاحقاً افتاد الملاكان السيد إيكسكول إلى مكان سماوي تير. وفي نهاية الأمر بأمرٍ إلهي أعاده  
الملاكان إلى الأرض مرة أخرى واضطّراه أن يدخل ثانية في جسده الذي كان موجوداً وقتها في  
حجرة الموتى إذ كان قد لفظ الروح سابقاً. وهذه الطريقة عاد إلى الحياة تحت أنظار الأطباء وأقاربه  
المندهشة.

تتكلم؟ لا توجد شياطين، فأخذ الساحر يُصرُّ بالقول بل توجد. وهي تنفَّذ لي كل ما أطلب منها. وإذا كنتَ ترغب في رؤيتها فتتأكَّد من الأمر تعال معي.

وبعدما شرب الصديقان الفودكا، ذهبا إلى المقبرة. وكان الوقت حينها منتصف الليل. صفرَ الساحرُ ثلاث صفرات متتالية قائلاً لصديقه: انتبه. لا ترسم إشارة الصليب فلا يحصل لك مكروه.

وبعد الصفرة الثالثة، رغم أنَّ الطقس كان هادئاً، هبَّت ريح قوية على غير انتظارهما. وفجأة ظهرت أمامهما الأرواح النجسة، وسألت الساحر قائلة:

- لماذا استدعيتنا؟

- صديقي يريد رؤيتكم.

وعندها تطلعت الأرواح النجسة في عيني صديقه مباشرة. ثم اختفت مع الريح. عاد الصديقان إلى القرية ثم شربا بعض الفودكا مجدداً ومضيا بعدها إلى بيتيهما.

ولما كان الرجل مندهشاً مما شاهده في الليل قام برواية ما جرى إلى أصدقائه في اليوم التالي. فقالوا له: لا تبدو لنا هذه القصة جيدة. اذهب إلى الأب يونان واسأله

فعلل ما قمت به خطيئة.

وفعلاً، ذهب الرجل ليسجد في دير كييف وروى للأب يونان كل ما حصل معه. ثم سأله: أعلل ما قمت به كان خطيئة لأنني قبلت أن أشاهد أرواحاً نجسة ولا أرسم إشارة الصليب حين ظهرت لي؟

أجابه البار حالاً: بدون شك كانت خطيئة. وينبغي أن تُعاقب عليها في هذه الحياة أو في الحياة الثانية. ماذا تفضّل أنت؟ إذا قبلت أن تُعاقب على خطيئتك في هذه الحياة فسوف تضربك الأرواح النجسة ذاتها كل يوم عند الظهر، وسوف تضربك كل مرة مئة جلدة. وستفعل ذلك مدة ثلاث سنوات متتالية.

فبكى الرجل وقال للبار: من الأفضل أن أعاقب في هذه الحياة. وحين عاد إلى منزله جاء أقاربه وأصدقائه ليعرفوا ما الذي قاله له البار يونان. ولكن حالما صار الوقت ظهراً، ظهرت الشياطين وهي تحمل بيدها قضباناً حديدية، نيراناً ومنفاخاً. وهناك أمام أعين الجميع بدأت تضربه. صرخ كثيراً ولكن أحداً لم يكن يستطيع مساعدته.



استمر هذا الأمر مدة ثلاثة أعوام متتالية. وفي اليوم الأخير لعقوبته ظهر له في الطريق شيخٌ وقورٌ وقال له: تعال معي. إن الملكة تطلبك.

اقتاده إلى بيت رئيسٍ كان له أبواب كبيرة جداً. وهناك قابل الملكة التي قالت له بعض الأسرار. ثم غادروا. أخذه الشيخ إلى العربة التي كانت تنتظر في الخارج. ولكن حين أراد أن يسأله من هو اختفى الشيخ. لم يعد يراه ولا يرى البيت العظيم.

ولاحقاً قام بزيارة البار يونان الذي استقبله بفرح وقال له: حسناً فعلت في قدومك إليّ. أنت الآن حرٌّ.

وعندها انتبه الرجل للأيقونة الموجودة فوق العمود والتي تصوّر القديسَ باخوميوس، وكان هو الذي اقتاده إلى ملكة الكلِّ. ولتذكاري ما اختبرته وخلصه أوصى بأن يرسم له رسماً أيقونةً مشابهة.

## المبتدئ ذو المشيئات

أحد الرهبان في قلالي كافسوكاليفيا كان ذي مشيئات متعددة. وكان يضغط على شيخه الروحي كي يعطيه بركةً لكلِّ ما يقوله له فكره. وذات يومٍ بينما

كانا يعملان معاً قال المبتدئ للشيخ:

- أعطني بركة كي أمضي فأنام عشر دقائق.

- اصبر قليلاً يا ولدي فأنا بحاجة إليك الآن. ينبغي أن

تمسك لي من هذا الطرف ما أقوم بصنعه. بعد نصف ساعة ننتهي. وبعد ذلك امضِ فاخذ للنوم.

ولكن المبتدئ كان يُصرُّ على الشيخ. وكان الشيخ

يحاول أن يجعله يتعمَّل قليلاً قائلاً: أيها المبارك أي نوم ستنام خلال عشرة دقائق؟ فأجابه ذلك: امنحني بركة وأنا سأنام.

في نهاية الأمر أعطاه الشيخُ بركته وتركه يمضي

لينام. ولكنه حالما استلقى على الفراش شاهد الشيطان يهجم عليه وهو يُمسك بيده سلسلة ويريد أن يختطفه ويعصره كمثل قطعة الليمون. حاول الراهب أن يهرب ولكنه لم يكن يقدر. فصرخ وهو في صراعه: يا ربِّي يسوع المسيح ارحمني لأجل خاطر شيخي.

قيلت هذه الصلاة بخشوع. شعر المبتدئ بأنه لم

يكن مستحقاً أن يطلب المساعدة هو نفسه ولهذا السبب طلب الرحمة لأجل خاطر شيخه. وهذا الأمر أحرق

الشیطان الذی رمى الراهبَ فی الهواء غاضباً من النافذة مسافة خمسين متراً. ولكنَّ الله وقاه فلم يصبه أذى. وللحال أسرع الراهبُ مرتعداً إلى شيخه وروى له الرؤيا المخيفة. تحيّر الشيخُ كيف حصلت كل تلك الأمور في غضون عشرة دقائق.

وبواسطة هذا الدرس الذي تلقّنه الراهبُ صاحب المشيئات باتَ المبتدئُ الأكثر طاعةً في الإسقيط وتقدّم روحياً.

## الواجبات الروحية

ذهب مرةً عجوزٌ إلى قلاية بالقرب من كاربيس عاصمة الجبل المقدّس وصار راهباً. لبس الرداء الرهباني وحده كي يعيش بشكلٍ مريح. لم يعمل قانونه مرةً واحدة، أي أقلّ الأشياء، ولم يقدّم أيّة أعمال روحية أخرى. وكان يقول: حين سأصبح راهباً أحمل الإسكيم الكبير فحينها سأعمل قانوني. وبهذه الطريقة الكاذبة كان يريح فكره. ومن دون أن يعي للأمر وصل إلى نهاية عمره. وبينما كان يَحْتَضِرُ على فراشه، بدأت الشياطين تعذبّه. وبدأ الشيخ يصرخ: النجدة! النجدة!

سمع شيخه الروحي صراخه فأسرع إليه وسأله:

- ما بك؟

- ها الشياطين تعذبني لأنني تركت قانوني.

- قل لها بأنني أنا سأعمل قانونك بدلاً عنك. قال

الشيخ الرئيس هذا الكلام وذهب.

وبعد قليل طلب العجوزُ المحتضراً المساعدةً ثانيةً. فجاء

الشيخُ مرةً أخرى، وقال له: ما بك؟ سوف توقظُ الآباء.

أجابه ذلك: إنني لا أستطيع الاحتمال يا شيخي، فإنَّ

الشياطين تخنقني بسبب الخدمات الليتورجية التي تغيبتُ

عنها.

فقال الشيخ: قل لها بأنَّ شيخي سوف يصلِّيها بدلاً

عني.

وبهذه الطريقة فقط ارتاحت نفسُ العجوزِ الراهب

وخرجت من جسده.

## محاولة اختطاف المبتدئ

في قلاية الدخول، في الإسقيط الجديد، كان يعيش

قبل سنوات عديدة مبتدئٌ مع شيخه الروحي. مكث ذلك

المبتدئ سنتين في الطاعة. ولكنه بعد ذلك أفصح لشيخه بأنه لم يعد يستطيع أن يمكث هناك أكثر من ذلك ويأنه سيرجع إلى العالم.

وبما أنّ الشيخ تبصّر في الأمر وجود يدٍ للشيطان في الأمر جعلت قلب الشاب يخور، أشار عليه بأن يصبر وأكّد له أنّ السيدة والدة الإله سوف تسرع إلى مساعدته إذا لم يترك توبته.

ولكن في نهاية المطاف رحل المبتدئ. نزل إلى منطقة أرسانا وأخذ ينتظر أن يعثر على قارب يقّله إلى مرفأ "دافني". ولما كان الشيخ حزينا ذهب إلى القلالي المجاورة وطلب من الآباء أن يسرعوا ويُسدوا النصيحة للمبتدئ بما أنّ فعلَ الشرير كان واضحا جداً.

وبالفعل، ذهب الآباء إلى منطقة أرسانا وأسدوا النصيحة للمبتدئ. وبما أنهم خاطبوه بمحبةٍ وحكمةٍ استطاعوا أن يقنعوه بالعودة. وهكذا عاد الشاب مرتاحاً وبوجهٍ تأثب رجع إلى قلايته وضرب سجدة أمام شيخه.

ولكن في مساء اليوم ذاته، حين ناما، حصل شيءٌ مرعب. حين رأى الشيطانُ أنه قد خسر اللعبة، اختطف

المبتدئ كما كان نائماً وقام بإنزاله بالغصب على السلم لكي يأخذه معه. وعندها أخذ الشاب يلتمس المساعدة. وبينما كان الشيطان يجرُّه جراً علقَ بدرابزين السلم وأخذ يجاهد كي يتمسك به هناك إلى أن استيقظ شيخه الذي كان نائماً لدى سماعه صراخه فأسرع وأنقذه.

إنَّ جسارة الشيطان هذه ووقاحته حسبما يقول الآباء ترجع إلى الحقوق التي كان قد اكتسبها على المبتدئ بما أنه استسلم لحرب الرحيل من القلاية.

### "لا يوجد إله!"

إنَّ الشيخ غفرائيل الروسي المغبوط (١٨٤٤-١٩١٥م)، رئيس دير المرافئ السبعة، بالقرب من قازان، مكث في الفراش مدة خمسة أعوام بكاملها من بعد أزمة قلبية خطيرة.

بعد ظهيرة أحد الأيام، في الساعة السادسة مساءً، وبينما كان الشيخ مستلقياً في فراشه في قلايته، شعر برائحة كريهة في المكان. وفجأةً ظهرت أمامه بعض الشياطين. كانت قد أتت كي تضايقه. فهمست له:

- لا يوجد إله. أنت مُلكنا. سوف تموت.

- كلا لستُ مُلككم. لن أموت. أوْمن أن المسيح  
سيأخذني إلى قريه.

- هه، هه، هه، لا يوجد لا مسيح ولا إله.

- إذا لم يكن هناك إله فحينها ما هو غرضك؟ من  
الذي صنعك؟ إن لم يكن هناك إله فأنت ذاتك غير  
موجودة. أنت كاذبة. أنت كاذبة في شخص. أنت شياطين.  
ابتعدي عني. أنا أوْمن بالله وهو سيخلصني.

- هه، هه، هه، أين ستذهب؟ سوف نرى. أنت

خاطئ.

- نعم أنا خاطئ. أنتم الذين تدفعوني إلى  
الخطيئة. ولكنني تبت، اعترفتُ لأبي الروحي وغُفرت  
خطاياي.

- هذا صحيح ولكن توبتك لم تكن نقية. حيناً  
كنتَ تقدم تبريرات لأعمالك وأنت تعترف بخطاياك لأبيك  
الروحي.

- حتى وإن يكن الأمر كذلك فقد فعلت ذلك بسبب  
خجلي. كنتُ أخجل لأنني كنتُ قد وضعتُ في ضميري أن  
خطيئتي كانت كبيرة جداً. ولكن الخجل والخوف كانا

يأتيان منكم أنتم الشياطين الذين كنتم تحاولون أن  
تضبطوني بالقرب منكم وتحطموني. والآن أتيتم أيضاً  
لكي ترعبوني. ولكنكم لن تتمكنوا من ذلك. أو من  
بابن الله، يسوع المسيح، الذي جاء إلى العالم لكي يخلص  
الخطاة الذين أنا أولهم.

وعند هذه المرحلة أخذ الشيخ يصلي: يا رب خلصني.  
ولكن الشياطين كانت قد وضعت نصب أعينها أن تُلقي  
اليأس في قلبه. فأخذت تقول له: هاه! هل تسمع ما تقول؟  
ماذا تأمل أن تكسب أيها الخاطيء؟

وأخذ الأب غفرائيل يتضرع قائلاً: يا قديسي الله  
ساعدوني كي أنجو من شرور الشياطين وهجماتها.  
وصارت الشياطين تصرخ نحوه وتقول: كلا! كلا، سوف  
تضيع. فكان الشيخ يجيبها: كلا لن أضيع. إنني لا أزال  
بعد في جسدي وأستطيع أن أتوب.

وعند ذلك بدأت الشياطين تُظهر له خطاياها، حتى  
أنها كشفت له خطاياها التي لم يكن هو نفسه قد فكر  
فيها بأنها خطيئة. أظهرت له الشياطين كل خطاياها  
الخفية. وقالت الأرواح النجسة له بفرح بالشرور: تفضل. ها



هي خطاياك. هل تراها؟ أليست هذه خطاياك؟ وأبرارك الذين تدعوهم هم أنفسهم كانت لهم خطايا مثلها. هم أيضاً خطأ.

انتفض الشيخ الطريح الفراش رافعاً رأسه وقال: ماذا؟ القديسون كانوا خطأ مثلي؟ هؤلاء خلصوا. فلماذا لا يوجد لي خلاص؟ أنا لا أزال على قيد الحياة وأستطيع أن أتوب. كلا، يوجد خلاص لي أنا أيضاً.

وللحال استدار عقلياً نحو السيدة والدة الإله، "عزاء" جميع المحزونين وتوسّل إليها قائلاً: يا سيدتي احميني من القوات الشيطانية.

وعندها هُزِمَت الشياطين، وصرخت جميعها نحو بعضها البعض بدُعرٍ قائلة: لنذهب. وأخذت تركض باتجاه المخرج. كان هناك على الطاولة صحنٌ صيني الصنع. أمسكه أحد الشياطين وضربه بكل قوته على الأرض. صار الصحن آلاف القطع. وبعد قليل دخل يوسف خادم الشيخ ورأى قطع الزجاج فسأله:

- من الذي كسّر الصحن؟ هل كان هناك أحدٌ

هنا؟

- أخبر للحال الأب ثيوفانيوس أبي الروحي أن يأتي.  
أريد أن أعترف.

وحين جاء الأب ثيوفانيوس، اعترف الشيخ،  
بانطباعاتٍ طرية بعدُ من صور خطاياها المخيفة التي  
كشفتها له الشياطينُ، بنقاوةٍ وخشوع. وقال الشيخ لاحقاً  
بأنه لو لم يكن إيمانه غير متزعزع بالرب يسوع، فهو  
بكل تأكيد كان مات بسبب يأسه وخوف الشياطين.  
خلّصه إيمانه ومساعدة الفائقة القداسة أيضاً. بمجرد  
سماع الشياطين اسمها اختفت مرتعدةً.

## الشيخ أليبيوس والصلاة

كان الراهب أليبيوس الأثوسي، أحد الإخوة في دير  
كسينوفون خلال بدايات القرن الماضي، يتميز بغيرته لله.  
كان على وجه الخصوص يحب أن يتواجد في مكان  
هادئ ويصلي صلاة الرب يسوع "يا ربّي يسوع المسيح، ابن  
الله، ارحمني". في كلّ مرّة كان يتلفّظ بالصلاة كانت  
نفسه تتطاير بفرح لا يمكن التعبير عنه.

ولكن ذات مرّة سارت الأمور بطريقةٍ بشعة. من دون  
أن يعلم السبب لم يكن يستطيع أن يكمل الصلاة. حين

كان يحاول أن يقول الصلاة لمرة واحدة، للحال، على منوال مخيف وغير مفسر، كان يبدأ جسده بأكمله بالتمايل، جازاً معه الموجودين في المكان ذاته إلى التمايل. وبهذا الشكل إذا كان موجوداً في الكنيسة في وقت الخدمة الليتورجية وقال الصلاة سرّياً في قلبه، كان سائر الإخوة الواقفين في الكراسي المجاورة وعلى صفّ كرسيه ذاته يرقصون، يتمايلون ويصدرون أصواتاً مزعجة. وكذلك حين كان يصلي في قلايته كانت القلالي المجاورة تهتز مع قلايته.

كم من الشيوخ والآباء الروحيين قاموا بزيارته وحاولوا مساعدته بتلاوة الاستقسامات والصلوات ولكن دونما نتيجة. أخذت المسألة أبعاداً محزنة لأنّ الشيخ أليبيوس كان قد قضى سنوات حتى ذاك الحين وصار واحداً مع الصلاة بحيث كان من غير الممكن له أن يوقفها. وبهذه الطريقة، من دون غضب لذاته وبكلّ عفوية، كان يقول صلاة الرب يسوع في قلايته، في الكنيسة، خلال تناول الطعام، أثناء العمل وفي كلّ مكان وخلال كل نشاط. وحالما يقول الصلاة، كان

مقعده، طاولة الطعام، أدوات العمل وكل شيء آخر يتحرك. وكان الآباء من حوله يقولون له: أيها الشيخ أليبيوس توقف عن تلاوة الصلاة. ألا ترى الشرّ الحاصل؟ فكان يجيبهم: أعلّني أريد ذلك؟ إنني أتلفظ بالصلاة من دون شعور. سامحوني أيها الآباء.

بعدهما يئس الآباء من قدرة الآباء الروحيين على مساعدته، افتكروا بالشيخ دانيال الكاتوناكي (١٨٤٦-١٩٢٩م). وعندها أخذ الشيخ أفيركيوس، مديراً الدير الشيخ أليبيوس وانطلق به إلى منطقة كاتوناكيا. قضيا ليلتهما في دير سيمونوس بيترا. قال الأب أفيركيوس للشيخ أليبيوس: انتبه أيها الشيخ أليبيوس. طالما نحن في الدير لا تتفوّه بالصلاة فيخاف الآباء.

ولكنّ الشيخ كان واقفاً في نارثكس الكنيسة ونسي نفسه فقال الصلاة وحصل زلزال من حوله. وفي اليوم التالي بلغا إلى غايتهما. بعدما علم الأب دانيال بالأمر الحاصل أخذ الشيخ أليبيوس على حدة وقال له: إنني لستُ أباً روحياً ولكن ينبغي أن أعرف كلّ دقائق حياتك الروحية. سوف تعترف اعترافاً عاماً وستصف لي كيف

حصلتُ معك هذه الظاهرة للمرّة الأولى.

قال الشيخُ ألببيوس: ذاتَ ليلةٍ كنتُ ساهراً في كنيسة الحقل بالقرب من الدير وأصلي بالمسبحة. وذات لحظةٍ قُرع الباب. شعرتُ بخوفٍ في قلبي وانكماشاً في جسدي. ولكنني تابعتُ الصلاة. في هذه الأثناء ازداد عدد الضربات على الباب. ضربة قوية على الباب، ثم ضربة أخرى قوية. أدركتُ أنّ الأمر شيطانيّ. سرتُ إلى الباب ولكنني لم أرَ أحداً. وبعد قليل عادت الضربات على الباب وعاد جسدي فأنكمش من جديد. تأكّدتُ أنّ الأمر شيطاني فلم أُعِر الأمر اهتماماً. وأخذتُ أقول الصلاة بغيره أكبر. وصارت الضربات تزداد على الباب. ولم يكن جسدي وحده ما يتحرك بل الباب أيضاً والكنيسة كانت تتحرك بطريقة غريبة. ومنذ تلك اللحظة حالما كنتُ أقف عن تلاوة الصلاة تتوقف الحركة ولكنني حالما أتفوه بها تبدأ الحركات. هكذا صارت الأمور أيها الشيخ.

غرق الشيخ دانيال في التفكير. كانت المرّة الأولى التي يسمع فيها عن حالة كهذه. وفجأةً وكأنه استنار بالله سأل الأب ألببيوس: لم تقل لي حين بدأت الضربات

وأدرکتَ أَنَّ الشَّيْءَ الحَاصِلَ إِنَّمَا هُوَ عَمَلٌ شَیْطَانِيٌّ ، مَاذَا  
قُلْتَ فِي دَاخِلِكَ؟ مَا هِيَ المِشَاعِرُ الَّتِي كَانَتْ تَسْوَدُ فِي  
نَفْسِكَ؟ خَوْفٌ وَجُبْنٌ أَمْ عَدَمُ اضْطِرَابٍ وَتَجَاهُلٌ؟ أَمْ شَيْءٌ  
آخَرَ؟

أَجَابَ الشَّيْخُ أَلِيْبِيُوسُ: كُنْتُ أَقُولُ فِي دَاخِلِي: فَلَیْقِرْعُ  
قَدْرٌ مَا یَشَاءُ فَلَنْ یفْصَلَنِي عَنِ صَلَاتِي. أَلَمْ یفْعَلِ الأَشْيَاءَ  
ذَاتَهَا مَعَ القَدِيسِ أَنْطُونِیُوسِ الكَبِیرِ؟ هَذَا هُوَ عَمَلُهُ وَأَمَّا  
لِي عَمَلِي أَيْضاً. سَوَاءٌ كَانَتْ انْكَمَاشَ الجَسَدِ مِنْ فِعْلِ  
النِّعْمَةِ أَمْ عَمَلٌ شَیْطَانِيٌّ فَسَوْفَ أَقُولُ الصَّلَاةَ بِاسْتِمْرَارٍ  
وَسَوْفَ یَطُوقُ مَبْغِضُ الخَیْرِ.

لَدَى سَمَاعِ الشَّيْخِ دَانِیَالِ تَلَكَ الأَقْوَالُ فَهَمَّ مَا الَّذِي  
كَانَ قَدْ حَصَلَ. فَتَمَّ سَیْطَرْتُ سَحَابَةُ الكَبِیرِیِّ عَلَى الشَّيْخِ  
أَلِيْبِيُوسِ لِاعْتِقَادِهِ بِأَنَّهُ بَلَغَ إِلَى قَامَةِ القَدِيسِ أَنْطُونِیُوسِ  
الكَبِیرِ، وَبِأَنَّهُ أَظْهَرَ لِلْعَدُوِّ تَجَاهُلاً مَشْبَعاً بِالكَبِیرِیِّ. وَلَمَّا  
كَانَتْ صَلَاتُهُ مَشْبَعَةً بِالكَبِیرِیِّ فَلَمْ تَكُنْ حَسَنَةً القَبُولِ  
أَمَّا اللّٰهُ. وَلِذَلِكَ بَعْدَمَا فَسَّرَ لِلسَّیْخِ أَلِيْبِيُوسِ الأَمْرَ الحَاصِلَ  
نَصَحَهُ قَائِلاً:

"مِنَ الآنَ فَصَاعِداً قُلِ الصَّلَاةَ بِتَوَاضِعٍ وَخَشُوعٍ. آمِنْ"

بأنك خاطئ، إنسان مدان في عيني الله. انظر إلى الاضطراب الجسدي على أنه فعلاً شيطانياً. حين ظهور هذا الفعل تضرع عقلياً إلى المسيح كي يبعده. بهذه الطريقة فقط سوف تجتذب النعمة الإلهية".

وجد الراهبُ المعذبُ علاجه. صلّى بتواضع فهدأ. ومنذ ذلك الحين استسلم بغيرة أكبر إلى الجهادات الروحية وأبدى علامات امتلاكه للتواضع. صار أحد أفضل الرهبان في دير كسينوفون ووقدَ بسلام. وقد أهله الله أن يعرف بموعد رقاذه مسبقاً.

## طريقُ غير المطيع

في قلالية القديس غريغوريوس اللاهوتي في كيراسيا كان يعيش رهبان روس في بدايات القرن العشرين. آخر أعضاء الأخوية الروسية كان الأب أكاكوس الذي كان عنده شقيقان متلمذان من ميتيليني وهما بابا إفريكيوس والراهب بروخوروس.

ذات يوم صعد الثلاثة إلى قمة جبل آثوس وأمضوا الليلة في كنيسة الفائقة القداسة حيث ظهرت والدة الإله للقديس مكسيموس الكافسوكاليفي.

بالرغم من أن الشيخ أكايوس كان قد حظّر على بابا إفريكيوس أن يذهب لينام في إحدى قلايى الرهبان لم يُطعه بل ذهب. وبعدما دخل القلاية أغلق الباب على ذاته.

وفجأة، في الليل ظهر له شيطانٌ وأخذ يضربه بجنون. وبدأت صرخات بابا إفريكيوس تتعالى.

أسرع الشيخ إليه وهو يحمل الصليب بيده وصلّى هناك ولكنّ الشيطان لم يرحل. وحتى بابا إفريكيوس لم يستطع النهوض ولا أن يفتح الباب للشيخ. وعندها ذهب الشيخ بابا أكايوس إلى النافذة وقال للروح الشرير: بأيّ حق أنت تضرب تلميذي؟

بهذه الأقوال اختفى الشيطان ونجا بابا إفريكيوس. وبهذه الطريقة ظهرت للمرة الثانية خطورة عدم الطاعة ومكائنة الشيخ السامية بما أنه وحده من يمتلك حقوقاً على تلميذه.

## اختفاء بغير توقع

في فاراسا من أعمال كبادوكيا، ذهبت امرأة حيناً



مضطربةً إلى الأب أرسانيوس الكبادوكي (١٩٢٤م)  
ونادته قائلة:

- أسرع يا بابا أرسانيوس.

- ما الذي يجري؟

- اختفى طفلي مع سريري.

وهنا كان للأب معرفة داخلية فنظر إلى المرأة بقسوة

وسألها:

- كيف اختفى؟ هيّا أخبريني ما الذي حصل

بالضبط؟

- أجابته تلك وهي تنوح: بما أنّ الطفل كان يبكي

بشكل متواصل غضبتُ وقلتُ له فلتذهب إلى الشيطان. آخ

ما الذي فعلته؟ أرجوك يا بابا أرسانيوس افعل شيئاً لأنني

سأجنُّ.

وللحال أمسكَ ذلك كتاب المزامير وقرأ شيئاً منه.

وحالما انتهى، يا للعجب! ظهرَ السرير والصغير في المكان

الذي تقف فيه.

كم يخطأ الناس عندما لأدنى الأسباب يرسلون

الآخرين إلى الشيطان.

## القلية المسكونة

توجد في الجبل المقدّس قلاية على اسم القديس أثاسيوس وهي تابعة لدير الإيفيرون وتقع ما بين دير كوتلوموسيو وإسقيط الإيفيرون ويُطلق على تلك القلاية اسم "المسكونة" لأنها كانت مسكناً للشياطين. ولكن كيف صارت كذلك؟ إليكم ما يرويه شيخ المنطقة عنها:

في وقتٍ ما جاء وأقام في هذه القلاية شخصٌ لم يكن أحد يعرف شيئاً عن أصله، عن تسربله الزيّ الرهباني وعن سيامته الكهنوتية. وسرعان ما ذاع عنه صيتٌ كراهبٍ هدوئي وأبٍ روحي خبير. ولكن ظهر لاحقاً أنه لم يكن إلاّ ساحراً كبيراً وقاتلاً يائساً.

اعتلنت حقيقته حين ذهب راهبان للاعتراف عنده. دخل أحدهما القلاية في حين بقي الآخر في الخارج ينتظر من بعيد إلى أن يحين دوره. ولكن مضت الساعات ولم يخرج الراهب الذي دخل للاعتراف. قلق الراهبُ الثاني على رفيقه وقرع الباب يسأل. فتح "الأب الروحي" الباب ولكن وجهه كان كوجوه الوحوش بحيث جعل الراهب يرتعب.

وهنا سأله الراهبُ قائلاً: ها قد مضت ساعات حتى الآن ولم تنته من تقبُّل اعتراف أخي؟ جئنا إلى هنا من بعيد وسوف يحلُّ المساء قبل عودتنا إلى موضعنا. أجابه ذاك: عن أيِّ أخٍ تتكلم؟ لم يأت أحدٌ إلى هنا سواك حتى الآن. تعال ادخل.

أصيب الراهب بالذعر وِعَوْض أن يدخل أسلم رجليه للجري بكلِّ قوته باتجاه كاربيس. وبعدها أخبر اللجنة الخاصة بحراسة الجبل المقدَّس بالأمر ألقى القبض على الساحر وعند ذلك كُشِفَتْ هويته والغرض من إقامته في الجبل المقدَّس. أمَّا بالنسبة للراهب الذي مضى إليه ليعترف فكان قد قَتَلَهُ وقام بدفنه في أرض الغابة المحيطة.

تحرَّرت القلاية من الساحر ولكنها بقيت فارغة مدة عشرة سنوات. ويبدو أنَّ الشياطين امتلكت عليها سلطة منذ خدمة الساحر فيها فصارت تزعج عابري السبيل بتجارب متعددة.

الشخص الأول الذي تجرَّأ أن يقيم في القلاية المسكونة كان الشمَّاس يوحنا. في العام ١٩٣٥م تعيَّن مرتلاً في كنيسة العاصمة كاربيس بسبب صوته الجميل

ومعرفته الموسيقية. أراد أن يقيم في مكان ما بالقرب من  
كاربيس، فاقترح عليه الأب ثيودوسيوس، رئيس قلالية  
القديسة حنة، ما يلي: أنصحك أيها الشمّاس أن تأخذ  
قلالية القديس أثناسيوس. ستوفّر لك أشجار البندق مدخولاً  
جيداً وهناك أيضاً أرض زراعية كبيرة حولها.

وثق الشمّاسُ بأقوال الأب ثيودوسيوس وبدأ في  
الانتقال إلى القلالية. وعندها هيّأه الأب ثيودوسيوس لما  
يمكن أن يحصل من حروب في القلالية:

- ينبغي أن تعلم أيها الشمّاس أنه في هذه القلالية  
تحصل أمور غريبة. تتردد أصواتٌ ضجيجٍ وأحاديث من دون  
أن يرى المرء أناساً يتكلمون. ولكنك لا تخشى شيئاً من  
هذا القبيل. ولئن حصل معك شيءٌ مشابه فارسم إشارة  
الصليب واطلب المعونة الإلهية وسيصير الكلُّ دخاناً.

- إنها أساطير أيها الشيخ، قال الشمّاس. كما أنني  
لستُ طفلاً صغيراً لأخاف وأهرب.

وسرعان ما نقل القاطنُ الجديد أغراضه وأقام مع  
تلميذه في القلالية المسكونة. ولكن منذ الأيام الأولى بدأت  
المشاكل. أخذ التلميذُ يتدمّر عليه قائلاً:

- أيها الشيخ إنني لا أستطيع أن أنام. بين البرهة والأخرى أسمع أناساً يهتمون من القلالي المجاورة ومن السقف.

- لا تهتم بالأمر، حاول الشيخ تهدئته. أنتَ صلِّ ولا تخف.

- ولكن ماذا لو كانت شياطين أيها الشيخ؟

- حتى ولو كانت كذلك؟ نحن أتينا إلى الجبل كي نحارب أهواءنا والشياطين. وإن كانت شياطين عليك أن تتجاهلها. انظر إلى عملك ودعها تُهمهم.

وذات مساءً جلسا كي يتناولوا العشاء على ضوء المصباح. ولكنهما أثناء تناولهما الطعام أخذا يسمعان صوت أحاديث تصدر عن السقف، فوق رأسيهما بالضبط. وقف شعراً رأس التلميذ وتغيّر منظرُ الشيخ أيضاً لأنه بدأ حينها أن يفهم ما يجري. وعندها صرخ بقوة قائلاً: من هذا؟

تردّد صوتٌ من فوق يقول: هل ننزل لتتسلى معاً قليلاً؟

عند سماع التلميذ لهذه الأقوال أخذ يرتعد، في حين

مكث الشيخ محبوس الصوت. قام الاثنان برسم إشارة الصليب وتبع ذلك صمتٌ. وقالا لبعضهما: هيا بنا نرحل من هنا، فالمكان لا يصلح للحياة والتقدم في السيرة الرهبانية. وحالما تناولا رداً لهما الرهبانيين وأمسكا بالباب ليفتجاه ويخرجا، ترددت أصوات ضحك شيطانية من السقف.

وتحت جناح الليل طرقت باب قلالية الأب ثيودوسيوس، الذي قيلَهما مندهشاً وسمع ما الذي حصل معهما. تحدّث إليهما وأراد تشجيعهما وإقناعهما بالرجوع إلى القلالية، وأراد أن يذهب معهما ليقوم برفقتهم رداً من الزمان بحسب اقتضاء الحاجة. ولكنّ الشَّماس يوحنا كان غير قابلٍ لتغيير رأيه. وأشار إلى تلميذه الذي لم يكن بعدُ قد عاد إلى نفسه من رجفة الخوف.

ذاع الخبر في المنطقة كلها. أحدُ الرهبان، الشيخُ غريغوريوس، وكان صديقاً للشَّماس يوحنا، أسرع إلى لقائه ومحاولة بثّ الغيرة فيه: يا رجل، ألا تخجل وأنت رجل تبلغ قامتك المترين أن تؤمن بالأساطير وتهرب كمثل الأرنب وتذهب لتختبئ في غمبار الأب ثيودوسيوس؟ وقال غير ذلك من الأقوال المهينة. فبعدما سمع الشَّماس تلك

الأقوال بطولِ أناةٍ قال له: إلى تلك القلاية لن أعود. لقد تركتها كلياً وسوف أبحث عن قلاية أخرى. أما فيما يختص بالأساطير فإذا شئتَ اذهب أنتَ وامضِ هناك ليلةً ومن ثم عدْ إليّ لتخبرني.

لم يستطع الأب غريغوريوس (١٩٨٧م)، وكان شيخاً لقلاية القديس غوفذيلاس، أن يستوعب كيف أن الشَّمَّاس يوحنا المتميّز برجولته، حكيمته وقامته الفارعة يسقط تحت وطأة الخوف من الشياطين. وهو ذاته كان أحدَ قَلَّةٍ من النساك الذين لم يؤمنوا بالظهورات الشيطانية وكانوا يهزؤون بالذين ينشغلون بقصص من هذا النوع إلى أن وقعَ له بنفسه الشيء ذاته.

من بعد حديثه مع الشَّمَّاس يوحنا انحدر ذات مساء إلى الأسفل قليلاً من حقله أبعد قليلاً من برج كالياغرا من أجل أن يصطاد سمكاً. كان صياداً من مدينة بيرسوس وكان يعرف حرفة الصيد جيداً.

عند الظهيرة دخل في العمق قليلاً وألقى الشباك. كان ممتعضاً مما سبق فسمع والآن انقضت عليه الأعيبُ الطقس. أخذ يتمتم لنفسه قائلاً: أمرٌ غريب. لو كانت

الرياح موسمية كان يجب أن يكون البحر هادئاً. قل  
وكأنّ مجنوناً يخرجني من البحر.

عاد إلى منطقة أرسانا وربط قاربه بشكل بسيط ثم  
هياً طعاماً لنفسه ليأكل. وفي هذه الأثناء تحقق ما قاله  
منذ قليل. هبت الرياح وبدأ البحر يتموج. لو كان هناك  
شخص آخر برفقته لكانا ذهبنا كي يجمعنا الشباك  
ولكن الآن لوحده لم يكن باستطاعته القيام بهذا. نزل  
إلى الشاطئ كي يربط القارب جيداً كيلا يصطدم  
بالمرجان. وبينما كان يخطو باتجاه قاربه إذا به يسمع  
شخصاً يناديه باسمه: هيه! أيها الأب غريغوريوس.

استغرب الشيخ ذلك وأخذ ينصت بأذنه. وفجأة شاهد  
شخصاً وسط البحر كان يحاول بمجاديف السباحة أن  
يصل إلى موضع الشيخ. وأخذ الشيخ يفكر في نفسه: لا بدّ  
أنه أحد معارفي. ولكن يا للجنون! كيف تواجد في هذا  
الوقت وهذا الطقس في البحر؟

بقي أمام ذلك الشخص عشرون أو ثلاثون متراً حتى  
يصل إلى موضع الشيخ. وعندها لم يعد الشيخ يحتمل  
فهتف به قائلاً: من أنت؟ فأجابه السابح: من الجوار، من



الجوار. وللحال توقّف عن السباحة وبدأ يظهر في الموجة شخصٌ أسود اللون، عملاق في القامة وبشعٍ جداً. كان له قرنان في رأسه وكان يحرك يديه وهو يلوح بهما وكأنه يقوم بتحية الشيخ.

صرخ الشيخُ غريغوريوس قائلاً: يا سيدتي والدة الإله الفاتقة القداسة، وقام برسم إشارة الصليب. كان تلك المرة الأولى التي يشعر بها بألمٍ حاد في قلبه وارتعاداً في ركبتيه. وحالما سمع ذلك السابحُ اسمَ والدة الإله غطسَ في البحر ثم اختفى. أما بالنسبة إلى الشيخ "الذي لا يخاف" فحالما ذهب ارتعادهُ أهملَ القارب والشباك وأغلق على نفسه في أرسانا. وهناك، تائباً عن كل ما لم يؤمن به ولم يؤمن بوجوده بل استهزأ به حتى ذلك الحين، بدأ يصلّي أبيات المديح لوالدة الإله ويكرّرها حتى الصباح.

ولاحقاً صعدَ إلى القلاية وروى كلما حصل لرفاقه هناك وللنساك الذين يقيمون في الجوار. وذهب أيضاً إلى الشمّاس يوحنا والتمس منه المغفرة بسبب أقواله المهينة التي كان قد تفوّه بها بحقه.

في أحد السنوات، حدّد دير الإيفيرون، الذي يمتلك

القلالية المسكونة، الراهب برثينيوس مراقباً من أجل جمع البندق. وكان عليه كمراقبٍ للعمل أن يُقيم مدة شهرين كاملين في القلالية المسكونة إلى أن ينتهي العمال من جمع البندق من تلك المنطقة الهائلة كلها ويقوموا بنقله إلى أهراء الدير.

كان للأب برثينيوس (١٩٦٥م) كإنسانٍ زلاته أيضاً. كان وحشيّ الشكل واللسان أيضاً. ولكنه امتلك فضيلتين وهما الإيمان بالله وعدم الخوف من الشياطين، الأمر الذي ظهر من خلال الأشياء التي قالها لرئاسة الدير ومما تصرفه خلال تواجده في القلالية المسكونة. قال للجنة الدير خلال إرساله للقيام بالمهمة المذكورة: يا شيوخى الأفاضل إنني أعلم إلى أين أنتم ترسلونني ولكنني سأعمل طاعة بما أن الأمر حاجة من حاجات الدير وقرار لكم. وسيكون بوسعي أن أنام مع العمال خارج القلالية المسكونة بما أن تجارب الشياطين تحصل فقط إبان الليل. ولكن هذا الأمر ليس صواباً بأن ينام راهبٌ مع العلمانيين. ولكنني على أيّة حال لا أخشى الشياطين. أتعلمون لماذا؟ لأنّ سيدة الجبل تحميني ويشفق عليّ المسيح الذي ينتظر

على الأقل توبتي إن لم يكن إصلاح سيرتي. لقد علمني  
شيخي بأنه إذا لم يعط الله إذناً للشياطين فهي عاجزة عن  
إلحاق الضرر بي. وأنا أؤمن بهذا. لأنها لو كانت تمتلك  
السُّلطة فعندها حتى هنا في دير الإيفيرون كان  
باستطاعتها أن تزعجني وتمزقني أيضاً. فأنا أسجد ، أطلب  
صلواتكم وليكن الله معيناً لي.

امتعض العمال حين سمعوا بأن الراهب برثينيوس  
سيقوم بمراقبتهم لأن سرقاتهم ستنتهي عندها. ولكنهم  
كانوا سيشبعون من رواياته ونكاته.

في المساء دخل الأب برثينيوس إلى القلاية  
المسكونة ، أطفأ الضوء واستلقى كي ينام. ارتعد العمال.  
كانوا يتوقعون أن يستلقي هو أيضاً في مكان ما في  
الخارج. وقال أحدهم: إما أن يكون مجنوناً وإما إنه لا يعلم  
ما الذي يجري في الداخل.

لم يكن الأب برثينيوس قد غفا تماماً حين سمع  
خطوات في الممر والغرفة المجاورة. افترض بأنهم العمال.  
ولكن الضجيج تواصل ولهذا نهض ليرى من كان  
هناك. أشعل شمعةً وذهب إلى الممر. وعندها إذا بأحدهم

- لم يستطع الأب برثينيوس رؤيته - قام بالنفخ "فووو" على الشمعة وأطفأها. هجم الأب برثينيوس كي يُمسك به ولكنه تعثر وكاد أن يقع على الأرض. أخذ يتمتم قائلاً بغضب: سوف أشيعُ أولَ شخصٍ أمسكهُ ضرباً.

قام بإغلاق أبواب الغرف جيداً وأقفل الباب الخارجي جيداً. كان يعرف ما يفعل. إن كان من يفعل ذلك هم العمال الذين دخلوا كي يسرقوا البندق فسوف يهتم بأمرهم في الصباح. وإذا كانت تلك هي الشياطين بالحقيقة فسوف يعرف فيما يلي ذلك مع من يتعامل. ثم نام بقية تلك الليلة بهدوء. وفي الصباح سأله العمال:

- أيها الأب برثينيوس هل نمتَ جيداً هذه الليلة؟

- اسمعوا يا شباب! إذا دخل أحدكم مرة أخرى ليلاً إلى القلاية كي يسرق فسوف أربطه وأسلمه للشرطة. وإذا تجرأ أحدكم أن يتلاعب معي كي يخيفني وأهرب فسوف يندم على فعلته ندماً شديداً.

- لم يحصل شيء من هذا القبيل، أجب العمال. ولكن ألم تسمع عن القلاية المسكونة وما يحصل على يد الشياطين لهؤلاء الذين يتجاسرون على قضاء الليل فيها؟

آثر الأب برثينيوس الصمت. وفي الليلة التالية اتَّخذ تدابيرها كلها. أقفل الأبواب كلها، أشعل قنديلاً زيتياً كيلاً يطفئوه له كما في الليلة السابقة، وهياً قشيباً سميكاً واستلقى لينام. كان الليل قد تقدّم كثيراً حين سمع وقع خطوات ثقيلة تساءل الأب برثينيوس في ذاته: عجباً! لقد أقفلت الأبواب جيداً وأوصدتها بالمتاريس فكيف دخلوا؟

هبَّ من فراشه وجعل ضوء القنديل يقوى قليلاً وأمسك بالعصا بيده اليمنى بقوةٍ وخرج إلى الممر. لم يشاهد أحداً، ولكنه شعر بنفخةٍ قوية أطفأت نور القنديل على غرار الشمعة في الليلة السابقة.

تعاظمت دهشة الأب. فدخل إلى كنيسة القلاية وصلّى إلى الربّ وختمَ صلاته بالقول: يا يسوعي حتى لو كانت تلك شياطين فأنت لن تعطيهما حقاً بأن تؤذيني. إني أشكرك. ثم قبلَ أيقونة والدة الإله متضرّماً إليها: وأنت يا سيدتي الفاتحة القداسة قفي إلى جانبي.

في الصباح لم يستطع العمالُ الإحجام عن سؤاله: هل كان هناك ما أزعجك ثانية؟ لقد سمعنا صوت جلبةٍ في

ساعة متأخرة من الليل ورأيناك أشعلت نوراً.  
أجابهم الأب برثينوس: يا شباب وأنا أيضاً سمعتُ  
أشياء كثيرة عن الأمور التي تحصل في هذه القلاية المقفرة  
ولكنني لم أصدقها أبداً. ولكن بما أن الأشياء التي  
حصلت البارحة والتي حصلت هذه الليلة لم تكن من  
عملكم أنتم فهناك شيء غريب يحصل فعلاً.  
في الليلة الثالثة صار الزوار غير المنظورين أكثر  
وقاحة. عند منتصف الليل كانت أحاديثهم تتردد بالضبط  
خارج باب غرفته. نهض الأب برثينوس وأنصت أذنه.  
سمعهم يتلفظون باسمه بكل وضوح فلم يقدر أن يحتمل  
أكثر من ذلك فصرخ:

- من أنتم؟

- أصحاب هذا البيت أيها الأب برثينوس.

- وماذا تريدون مني؟

- لا شيء. إننا نقوم بتسليتك فحسب.

رسم الأب إشارة الصليب على ذاته ثم تلفظ ببعض  
الكلمات الدنيوية على الشياطين. تردّد صوت الضحك من  
خلف الباب. وهاجم الأب زائريه قائلاً: إذا كنتم تعتقدون

بأنكم ستصنعون بي ما حصل للشَّمَّاس يوحنا والشيخ  
غريغوريوس فأنتم تضحكون على أنفسكم. إنني أعمل  
طاعةً للدير ولن أرحل من هنا حتى يتم جمع البندق كله.  
ترددت أصواتٌ ضحكٍ ثانيةً. وهذه المرة غضب الأبُ  
وحاول فتح الباب ولكن لم يكن الباب يُفْتَح. بدا له  
وكأنَّ أحدهم كان يمسك بالباب بقوة من الخارج ويشدُّه  
باتجاهه. وحين شدَّ الأبُ البابَ بقوة أكثر أفلت الشخصُ  
الثاني من الطرف الخارجي البابَ فجأةً فانفتح الباب على  
مصراعه وإذا بالأب برثينيوس يسقط أرضاً. وهنا أخذت  
أصواتُ الضحك تتردُّدُ في الممرِّ بلا ضابط.  
قضى الأبُ برثينيوس سائرَ ليلاليه في تلك القلاية  
المسكونة على هذا المنوال.

جاء في فترة الاحتلال الألماني (١٩٤١-١٩٤٤م) إنسانٌ  
علماني يُدعى نوداس إلى دير الإيفيرون حيث استضافه  
الآباء هناك ردهاً من الزمن. ومن تلقاء الطريقة التي كان  
يتكلم بها كان يبدو متعلماً كفاية، ولكن من كلامه  
أيضاً بدا قليل العقل. وبعدهما أتعب الآباء بكلامه المعلق في  
الهواء، قام مجلسُ الدير بإبعاده من الدير بطريقة مهذبة.

وعندها طلب أن يسمحوا له بالسكن في القلاية المسكونة من دون أن يخضع لأي اختبار للحياة الرهبانية. وافقت لجنة الدير وأجابته: نحن نسمح لك بهذا ولكن من الواجب علينا أن نقول لك بأنك ستجد الأمر صعباً جداً إذ تحصل هناك أمور كثيرة وغريبة بفعل شيطاني. فأجابهم ذلك بلهجة يونانية فصيحة كعادته: تلك الإشاعات معروفة من قبلنا. عدا عن كونها مجرد أقوال كاذبة أو خداع عيون.

وهكذا أقام نوداس في القلاية المسكونة. وبالعناية التي أبدتها له القلاية والأديار المجاورة بدا وكأنه كان يقضي أيامه بشكل جيد بلا إزعاج. إلى أن جاء وقت اختبار فيه ميزات قلايته.

ذات صباح أحدٍ حالما انتهى القداس الإلهي في قلاية القديسة حنة كان الآباء مجتمعين في المضافة من أجل الضيافة المعتادة. وفجأة بينما كان أحد الرهبان ينظر من نافذة المضافة شاهد دخاناً كثيفاً وألسنة نار هائلة تتصاعد من باب القلاية المسكونة ونوافذها. وهنا قال أحد الرهبان: تدمرت، أحرق الأحمق القلاية. لن نتمكن



من فعل أي شيء.

للحال قام الآباء بقرع الأجراس كي يعرف الرهبان في المحيط المجاور. وانطلقوا كي ينقذوا الغابة على الأقل. أسرع البعض كي ينقذوا نوداس معتقدين بأنه لم يستطع الخروج من القلاية. ولكنهم فوجئوا به أمامهم.

قال له أحدُ الرهبان وهو يلهثُ بسبب الركض:

- أحرقت القلاية أيها الأحمق.

- كلا يا أبانا.

- ألا ترى القلاية وهي تضيء بسبب الحريق؟ إنَّ

الدخان قد بلغ الغيوم.

- قد رأيتُ كلَّ شيء ولكنه خِداغٌ عيون.

في هذه الأثناء اقترب بعض الآباء فقال أحدهم:

- لماذا تتحامقون مع هذا الرجل؟ اعتقدنا بأنكم قد

وصلتم.

- هدئوا من روعكم أيها الآباء، حاول نوداسُ

تهديتكم. أنتم تتعبون باطلاً. قلتُ لكم إنَّ الموضوع هو

خِداغٌ أعين.

- هل أنت في رُشدك؟ أجاوبهم أكبرُ الرهبان سنّاً. هل

وضعك الشيطانُ كي تعرقلنا كي لا نعثر إلا على الرماد؟  
وبعدما تفوّه بهذا انطلق باتجاه القلاية المسكونة.  
ولم يكن الآباء قد ابتعدوا كثيراً حين صرخ بهم نوداس  
قائلاً: هل رأيتم أيها الآباء؟ أين هو الدخان وألسنة النار؟  
بالفعل لم يكن هناك دخان أو ألسنة نارٍ في المكان،  
فهتف الآباء متحيرين: "يا ربُّ ارحم". ورسموا إشارة  
الصليب على ذواتهم.

طبعاً لم يكن الحدث خداع أعينٍ بسيط حسبما قال  
نوداس. كان فعلاً شيطانياً واضحاً. وكان أيضاً تجربة  
من تلك التي تحصل في القلاية المسكونة بسبب سكنى  
الأرواح الشريرة فيها.

ذات صيف، من بعد موافقة دير الإيفيرون، تعهد  
إسقيطُ القديس أندراوس المسمّى السّرّاي بالقيام بجمع  
البندق.

وجرى تعيينُ الأب لاونديوس مسؤولاً عن العمال.  
كان جيران القلاية يطلقون عليه لقب "التّتري" بسبب نسبه  
الروسي ومظهره المميّز، لأنه كان يرتدي كمثل جميع  
النسّاك الروس حذاءً ثقيلاً يبلغ حتى ركبتيه في الصيف

كذلك.

منذ دخول الأب لاونديوس إلى القلاية شاهد جيوشاً  
من الفئران كانت تتحرك أمامه طيلة اليوم بلا خوف.  
ولهذا السبب أحضر معه من السراي قطعاً متميزاً.

وذات ليلة أيقظته أصوات الضجيج من نومه. وقال  
الأب لنفسه: بالتأكيد أقلتُ على القط في الخارج.  
سأنهض كي أفتح له الباب. ولكنه حالما أراد النهوض إذا  
به يطأ على الهر الذي كان نائماً بقربه وكاد أن يُخرَجَ  
أحشاءه.

وبعد بعض الوقت ترددت أصوات الضجيج ذاتها.  
نهض كي يرى من يتسبب بالضجة وحالما أمسك بقبضة  
الباب ليفتحه سمع ضجة كبيرة كصوت حشد من البشر.  
حاول فتح الباب وعندها سقطت فوقه أعواد الحطب التي  
كانت مجمعة في الممر. قال الأب لاونديوس مذعوراً  
وغاضباً: مُجْرَب!

استطاع أن يتحرر من الحطب ولكنه قضى الليلة  
التالية في الكنيسة. ومع بزوغ الفجر انطلق من هناك وعند  
شروق الشمس كان في السراي. ذهب مباشرة إلى الرئيس

وأخبره بما حصل معه:

- أيها الشيخ، هذه الليلة حصل معي كذا وكذا. لن أعود إلى القلاية المسكونة. فليذهب أخ آخر.

- أين هو إيمانك؟ أين هي تقواك في المكان الذي تكرّست فيه للرب؟ ما الذي يتوجّب علينا فعله إذا أزعجتنا الشياطين أكثر من المعتاد؟ أن نطوف من مكان إلى آخر في الجبل المقدّس ونعود في نهاية الأمر إلى العالم بما أنها هناك فقط تتركنا بهدوء؟

بعد سماع الأب لاونديوس لهذه الأقوال تاب عن خوفه وهروبه من القلاية المسكونة. واستعاد شجاعته حين سمع أقوال الشيخ التالية:

اليوم سنذهب مع كهنة آخرين لنقيم قداساً إلهياً في ذلك المكان وسنأخذ معنا قطعة من الصليب الكريم ورفات القديسين. كما أنه سيكون برفقتك هناك من الآن فصاعداً اثنان من الإخوة دوماً.

وبالفعل، ذهب الآباء إلى القلاية المسكونة وأقاموا قداساً إلهياً وخدمة تقديس المياه وقاموا بتلاوة صلوات الاستقسام. ومنذ ذلك الحين كان الأب لاونديوس ورفيقاه

يسمعون بعض أصوات الضجيج ولكن ليس من داخل القلاية بل من مكان بعيد جداً عنها.

## القفزات الشيطانية

خلال العشر سنين الأولى من القرن العشرين قام دير اللافرا الكبير في جبل آثوس بإسناد مهمة رعاية الماشية إلى الراهب إرمولاوس. كان الدير يمتلك أنواعاً متعددة من الماشية كان عددها يتجاوز الخمسمائة مرات كثيرة. يتم إسناد رعايتها إلى رعاة مقتدرين وكانت مراقبة الرعاة توكل إلى راهبٍ مقتدر.

كان الشيخ إرمولاوس عادم الشرّ وبسيطاً. وعلى نقيضه كان المتقدم بين الرعاة إنساناً قاسياً وفظاً ولكنه كان خبيراً ومقتدراً، وكان يتصرف مع مراقب الرعاة بشكلٍ سيئٍ جداً ولكن الراهب إرمولاوس كان يحتمله لأجل مصلحة الدير.

لما لم يستطع الشيطان أن ينتصر على مجاهد الصبر عبّر ذلك الراعي القاسي تابع حريته عبّر هجوم مباشر وجهاً لوجه.

ذاتَ يومٍ ظهر له على الدرب بهيئة راهبٍ وبدأ يسير  
بمحاذاته. وبينما كانا يسيران أخذ الشيطانُ يتحدث إليه  
بشكلٍ متواصلٍ وسريعٍ ويسأله أسئلة متواصلة متنوعة.  
وكان هدفه من هذا كله أن يُشغِلَ الراهبَ إرمولوسَ  
باستمرار كيلا يتمكن من تلاوة الصلاة.

وبعدما تمكَّن من غلبته ومنَّعه من الصلاة بدأ يقفز  
قفزات طويلة عشرة أمتار أو عشرين منتقلاً بهذه الطريقة  
من صخرة إلى أخرى. ثم عاد إلى الشيخ إرمولوس وقال له:  
أتشاهد ما أفعلُ أنا؟ إنني أقفز من صخرة إلى أخرى. هيا  
تعال واقفز معي لأنك تعتقد نفسك راهباً فاضلاً.

أراد الشيطان بهذه الطريقة أن يضع في قلب  
إرمولوس أنه راهبٌ فاضلٌ كي يُلقيه في الكبرياء، ومن  
ثم بسهولة سيتمكَّن من رميه من فوق الصخور. ولكن  
إرمولوس المتواضع رفضَ فكرة أنه فاضلٌ. وبينما كان  
يشاهد كيف يقفز الشيطانُ من صخرة إلى أخرى هبَّ  
كأنه يستيقظ من نومه وصرخ بكل قوته:

"أيُّها الربُّ يسوع المسيح ابن الله ارحمني".

"أيُّها الفائق قدسها والدة الإله أعينيني في هذه الساعة".

وللحال اختفى من أمامه المشهدُ الشيطاني ولم يُعد  
الشيطان بعد ذلك يجربه بطريقة مشابهة.

## الاسم الشيطاني

كان الشيخُ يوسف (١٩٩٥م) يعيش في قلالية القديس  
يوانيكْيوس الكائنة في إسقيط الكوتولوموسيو التابع  
لدير القديس بندلايمون في جبل آتوس. ذات يوم أراد الشيخ  
أن يغيّر لوحاً خشبياً مهترئاً في أرضية قلاليته.

بعدما أخرج اللوحَ المهترئ وأخذ قياسات اللوح اللازم  
اقتطع لوحاً خشبياً وأتى به كي يضعه في مكانه. ولكن  
حين وضعه في مكانه وجد بأنه أكبر من الفراغ الموجود  
حجماً. فأخذه ثانيةً واقتطع منه القطعة الزائدة وأتى به  
ليضعه في مكانه فوجدَ بأنه أصغر مما ينبغي.

كان الأبُ يوسف نجّاراً بحسب المهنة. قامَ بأخذ  
القياسات مرّةً ثانية بكلّ تدقيق واقتطع لوحاً خشبياً ثانياً  
بانتباهٍ كثير وذهب ليضعه في مكانه. ولكن يا للعجَب!  
للمرة الثانية بدا اللوحُ أكبرَ من الفراغ الموجود. اقتطعَ منه  
قليلاً بحسب ما كان حجم الفراغ ووضَعَهُ في مكانه  
فوجدَ بأنه أصغر مما ينبغي.

كّرر الأمر ذاته مرتين أخريتين إلى أن اضطرَّ أن  
يفضب فصرخ فلتذهب إلى الشيطان! ماذا بك يا شيطان؟  
ما عساي أفعل كي تجلس في موضعك؟ قمتُ بقياسك  
أربع مرات وقصصتُ منك. والآن ما الشيطان الساكن  
فيك فلا تصلح كي تأخذ مكانك؟

الراهبُ الشقيّ بدلاً من أن يقول الصلاة ويطلب  
المعونة الإلهية، فضّل أن يتلفّظ باسم الشيطان الذي لم  
يتأخر عن المجيء، فهو ينتظر فرصاً من هذا النوع. ظهرَ  
أمامه بكل هيأته المتوحّشة وقال له: لقد ناديتني أيها  
الشيخ. ماذا يجري؟ هل تريد أيّ شيء؟ أتيتُ كي  
أساعدك.

رسم الأب يوسف إشارة الصليب مدعوراً وألقى اللوح  
ثم أسرع راكضاً إلى أبيه الروحي كي يعترف ومنذ ذاك  
الحين لم يتعافى الأب يوسف تماماً. بقي عنده خوفٌ ورجفة  
كأجرة من الشيطان.

جديرٌ بالملاحظة أنّ الشيطان يدفع الإنسان كي  
يفضب، ثم فوق الغضب يدفعه كي يجدف. علينا ألاّ  
نتلفّظ بالاسم الشيطاني حتى على سبيل المزاح.



## ما حصل لصانع الجوارب

كان الأب أرسانيوس الجوربي تلميذاً للراهب إفكسنديوس الفاضل رئيس قلالية رقاد والدة الإله في إسقيط القديسة حنة. أطلق عليه الآباء في تلك المنطقة لقبَ "الجوربي" لأنه كان يحيك الجوارب بواسطة آلة تعمل بواسطة القدمين وكانت هذه هي حرفته اليدوية.

اختبر الأب أرسانيوس خبرةً شيطانية مخيفة قام بتدوينها ونشرها الشيخُ جراسيموس ميكرينانانيتيس (١٩٠٥-١٩٩١م) مُعاصِرُهُ الذي كانت تجمعه به معرفة مشتركة.

ذات يوم طلب الشيخ أرسانيوس الناسك في كاتوناكيا، الذي كانت تربطه بالشيخ إفكسنديوس رابطة روحية، منه مساعدة من أجل العجين والخبز، وذلك لأن تلميذه كان متغيّباً لبعض الأعمال.

قيلَ الشيخُ إفكسنديوس بلهفةٍ أن يرسل له تلميذه الأب أرسانيوس. وكان هذا الأخير حينها حديثاً في الرهبنة، امتلاً غيراً وحماسة وكان ينتظر بشوق اليوم

الذي سيذهب فيه إلى كاتوناكيا. ولم يكن يمتلك تلك  
اللهفة الكبيرة كي يحضّر الخبز وإنما كي يقضي بعض  
الوقت مع سميّه الشيخ القديس كي يسمع نصائحه ويأخذ  
بركته.

كان الوقت شتاءً، ولسوء الحظّ، كان اليوم المتفق  
عليه يوماً رديء الطقس. نهضنا عند منتصف الليل من أجل  
إقامة خدمة السّحر. ولكنّ الأب أرسانيوس أخذ يستعدّ  
من أجل الانطلاق إلى كاتوناكيا. فقال له شيخه:

- يا ولدي المبارك، يقول أحدُ الأمثال: "الليل في  
الشتاء كسنة". فامكث إذاً كي نقرأ الخدمة أولاً وبعد  
ذلك لديك عدة ساعات كي تذهب إلى كاتوناكيا.

- ينبغي أن أغادر بأسرع ما يمكن كي أنتهي من  
عمل الخبز وأعود في الوقت المناسب.

بدأ الخلاف بين الشيخ وتلميذه بسيطاً وتعاضماً إلى  
انقسامٍ محزّنٍ في الرأي. لم يدعِ الشيخُ تلميذه يرحل قبل  
تلاوة الخدمة والتلميذ كان يكرّر قوله بأنه ينبغي ألاّ  
يتأخر ويؤجّل انطلاقة. وفي نهاية المطاف قال له الشيخُ  
والحزن ظاهرٌ عليه: بما أنك مُصيرٌ إلى هذه الدرجة فاذهب

وليكُن الأمرُ لخيرِك.

انطلق الأبُ أرسانيوس وهو سعيدٌ لأنَّ مشيئته تحققت وأخذ يتلو خدمة السَّحَرِ على حبات المسيحة. لم يلتفت أبداً إلى أنه نال البركة بانطلاقه بالغصْبِ وبأنه ترك شيخه حزينا وراءه.

حين اقترب إلى المغارة - تقع خارج الإسقيط قليلاً حيث يوجد مزارٌ صغيرٌ توجد فيه أيقونة لوالدة لإله - وجدَ القنديلَ أمام الأيقونة منطفئاً. فقبل أن يعمل سجدة أمام الأيقونة أراد أن يُشعلَ القنديل. هذا المزار الصغير مبنىُّ أعلى بقليل من الطريق. فكان ينبغي على من يريد السجود أمام أيقونة والدة الإله أن يصعد ثلاث درجات.

وحالما وطئت قدما الأب أرسانيوس الدرجة الأولى إذا به فجأة يسمع وسط هدوء الليل صوتَ صرخةٍ شيطانية متوحشة. بدأ قلبه يخفق بسرعة واضطراب بسبب الخوف. ولكنه لم يتخلّى عن هدفه. طلبَ مساعدة والدة الإله الكليّة القداسة وصعد الدرجة الثانية. وعندها سمع صرخة ثانية أكثر قوة وتوحُّشاً. وشعر ذاته يرتعد وتتشلُّ قواه. ولكنه جمع تركيزه وصعد الدرجة الثالثة قائلاً: لن

تحصل مشيئتك أيها الشيطان. سوف أشعل قنديل الفائقة  
القداسة.

ولكن حصل عندها شيءٌ مخيف. بلغت من سائر  
الجهات إلى أذنيه أصوات صرخات قوية ومخيفة بحيث بدا  
له وكأنّ المنطقة برمتها كانت تتزلزل والصخور تتساقط.  
ولدى سماعه تلك الصرخات الشيطانية لم يكن  
لديه شيئاً كي يعمله أفضل من أن ينير قنديل الفائقة  
القداسة ويسجد لأيقونتها. ولكنه لم يتمكّن من إمساك  
الفتيلة بيده وإذا بقوة شيطانية مفتعبة كدوامه الرياح  
تختطفه وتلقي به بعيداً على مسافة أمتار كثيرة من المزار.  
ويحسب ما كان يروي هو ذاته للآباء الآخرين: لم  
أفهم حينها وحتى الآن لست أقدر أن أفهم كيف وجدتُ  
بعيداً ملقى أرضاً. ولست أقدر أن أصيف ما اختبرته وكيف  
كنتُ أشعر في تلك اللحظة. شيئاً واحداً أستطيع قوله وهو  
أنني في كلّ مرّة أفكّر بالأمر وأرويّه لأحدٍ أنكمش  
روحياً.

بينما كان يحدّق نصف غائبٍ عن الوعي وسط  
الأفكار المدلهمة عاد إلى ذاته وأدرك أنّ كلّ تلك الأمور

كانت ثمرةً لمشيئته الأنانية وعدم طاعته.

وفي لحظة معينة استطاع الأب أرسانيوس أن يقوم ذاته. وحين استطاع أن ينهض ويمشي، قفلَ أدراجه راجعاً منتحباً على مصابه وتائباً من قلبه. تابَعَ الطريق وهو يرسم إشارة الصليب بصورةً مستمرة ويلتمس المعونة الإلهية بدموع.

وفي النهاية حين وصل إلى القلاية وجدَ شيخه في وسط الكنيسة يصلي باكياً. وقبله الشيخُ إفاكسندايوس بفرح وتأثرٍ في حين أن أرسانيوس وقع على قدميه بخشوع طالباً المغفرة. فقال له الشيخ وهو يُنهضُه عن الأرض ويحاول تهدئته:

إنني أسامحك يا بني. فلتعلم بأنك حالما نصبت مشيئتك وسقطت في العصيان نلتُ خبراً من الله بأنه سيحصل لك شيءٌ سيء. ولهذا السبب كنتُ أصرُّ ألا تذهب إلى كاتوناكيا في تلك الساعة، طبعاً من دون الحماية التي تمنحها نعمةُ الخدمة الليتورجية وقوتها. فلتمجّد الله لأنّ عقابك وتجربتك بسبب عصيانك كانا فقط لهذا الحد. نعمةُ السيدة والدة الإله التي لجأتُ إليها

بصلاتي المتواضعة أشفقت على كلينا. أمّا أنت فحمتك من جنون الشيطان الأسوأ وأنا لم تتركني أسقط في حزنٍ لا يُشفى الآن في شيخوختي. فليكن لك هذا الذي حصل بمثابة درسٍ في التواضع والطاعة "كيلا يصيبك ما هو أشرٌ" حسبما يقول الربُّ يسوع.

انطبعت في نفس الأب أرسانيوس تلك الخبرة المخيفة بشكلٍ حيٍّ بحيث أنه في كلّ مرّة كان يهبط الليل عليه وهو بجانب المغارة لم يكن يتجاسر أن يتابع طريقه لوحده بل كان يلتمس من أحدهم أن يرافقه. وحتى في شيخوخته حين كان قد تجاوز السبعين كان ينتابه خوفاً حين كان يتحتم عليه أن يعبر بجانب تلك المغارة بعد غروب الشمس.

### سَلَّةُ الْمَاءِ

أحد الشيوخ كان يشدّد في حديثه مع تلميذه على قيمة الصلاة فحَضَّهُ قائلاً:

- يا بنيّ قُل الصلاة.
- إنني أقولها ولكنني لا أفهم شيئاً.
- ولكنّ الشيطان يفهمها ويرحل.

- ومن أين لي أن أعلم؟  
- أعلِّك تريد أن تشاهد أعجوبة؟  
- نعم أيها الشيخ أريد أن أرى أعجوبة.  
- حسناً سوف أصلي إلى الله كي يريك أعجوبة كم  
هي كبيرة قوة الصلاة.

ثم بعد هذا الحديث عمل الشيخ صلاة مستمرة  
مترافقةً بصوم مدة ثلاثة أيام، وبعدها قال للراهب:  
- تعال الآن يا بني خذ هذه السلة واذهب إلى صنبور  
الماء كي تملأها ماءً.

- سامحني أيها الشيخ فأنا لا زلتُ أملك عقلاً  
أفأذهبُ لكي أملأ السلة ماءً؟  
- ألم تقل بأنك تريد أن تشاهد أعجوبة؟ قم إذا بما  
أقوله لك. ولكن عليك أن تتفوه بالصلاة بشكلٍ مستمر.  
- فليكن مباركاً، قال التلميذُ وذهب.

مضى الراهبُ إلى صنبور الماء ووضع السلة تحت  
الصنبور وبينما كان يقول الصلاة قام بملأ السلة ماءً. وفي  
هذه الأثناء كان الشيخُ يصلي بحرارةٍ في قلايته. فوجئ  
التلميذ بالأعجوبة فركض بالسلة وهي مملأة ماءً إلى

الشيخ. ولكن في الطريق ظهر له الشيطانُ بهيئةَ إنسان  
وقال له:

- أين تذهب أيها الراهب؟

- إلى شيخي.

- ما هو اسمك؟

- جاورجيوس.

- كم من الزمان لك في الرهبة؟

- خمس أو ست سنوات.

- وأي عمل يدويّ تزاوّل؟

- صنع الأختام.

تزوّه الراهب بهذه الأقوال مع الشيطان. وبينما هو  
يتحدث معه توقّف عن الصلاة فأهريق الماء من السلّة. وذهب  
بعدها إلى شيخه وهو يحمل السلّة فارغاً. فسأله الشيخ:

- ما الذي يجري يا بنيّ؟

- حصل معي كذا وكذا.

- رأيتَ إذا؟ طالما كنتَ تقول الصلاة كانت السلّة

تضبط الماء داخلها. حين توقّفتَ عن تلاوة الصلاة وبدأت  
عملَ الكسل فعندها أُهريق الماء وضاع.



## "احفظ ذهنك في الجحيم"

في النصوص المكتوبة عن حياة القديس سلوان الآثوسي (٩٣٨م) نقرأ أنّ الله سمح، على الأقلّ لمرتين، أن يرى عبده سلوان المختار قوّة الشيطان وقسوته المخيفة.

في المرّة الأولى، حين كان القديس لا يزال تلميذاً شاباً بعدُ نجا بسرعة لما تلفّظ بقوله "يا ربّي يسوع المسيح...". ولم ينتهي من الصلاة حين ظهر له الربُّ ذاته.

ولكن في المرّة الثانية حين كان قد تقدّم في الحياة الروحية وكانت نفسه قد تقوّت روحياً لم تكن الشياطين تتركه في هدوء. وكانت تظهر له لمدة زمنية طويلة بشكلٍ مستمر ليلاً ونهاراً. كان البار في تلك الفترة قد اقتبل فكراً دقيقاً جداً من المجد الباطل من بعد رؤيا كان قد شاهدها.

كان يعتصر نفسه قلقٌ كبير وكان يفكر في ذاته قائلاً: "أنا لا أدينُ أحداً، لا أقبل أفكاراً شريرة، أطيعُ باجتهارٍ، أضبط بطني في الطعام، أصلي باستمرار، فلماذا يا ترى تقترب الشياطين مني بهذه الصورة؟".

وفي إحدى الليالي، بينما كان البارُّ واقفاً في هذه الحالة الحرجة، شاهد قلايته تمتلئ بالشياطين. بدأ يصلي حالاً بكلِّ نفسه. ولما لم تكن الشياطين تقدر أن تصبر على سماع اسم ربنا الكليّ القوة بدت وكأنها كانت ترحل. ولكنها سرعان ما عادت ثانيةً. فكَّر البارُّ حينها أن يضربَ بضعةَ سجّاداتٍ أمام الأيقونات المقدّسة ولكنّ الشياطين كانت تحيط به من كافة الاتجاهات. وواحد منها وقف أمامه تماماً بحيث لم يكن باستطاعة القديس أن يتابع السجّادات لأنه كان سيبدو بأنه يسجد أمام الأرواح الشريرة.

وسط هذا الاستشهاد النفسي واليأس وجدَّ في النهاية القوة ليتكلم إلى الربِّ فقال:

- يا ربُّ أنت ترى كيف أريد أن أصليّ بذهنٍ نقيٍّ ولكنّ الشياطين لا تتركني. قُل لي إذاً ما الذي عليّ القيامُ به كي ترحل بعيداً عني؟

- المتكبرون، أجابه الربُّ في روحه، دوماً يُقاسون هكذا من الشياطين.

- يا ربُّ أنت رحيم. إنَّ روحي تعرفك. أنزني فيما

عساي أصنع كي تتضع نفسي.

- احفظ ذهنك في الجحيم ولا تيأس، أجابه الربُّ.

قبل البارُّ هذه الأقوال غير الاعتيادية الغريبة كأمضى سلاح ضدّ الشيطان. ولهذا السبب منذ ذاك الحين جاهد كي يعيشها في الدرجة الأكثر عمقاً. تميّزت بقية سيرته النسكية بطلب متألم حارّ للتواضع. وتعلّم عبر أعراقٍ وأتعابٍ كثيرة أمام أيّ هجومٍ شيطاني أن يستدير ضدّ ذاته ويدين نفسه في الجحيم الأبدي على أنه أكبر الأعداء لذاته من دون أن ينسى أبداً رحمة الله.

لم تكن الشياطينُ تحتملُ قوة تواضعٍ مدهشٍ كهذه فكانت ترحل، بحيث أن البار كان يجد راحةً وكان يقدر من خبرته أن يسدي النصح إلى كلِّ مجاهدٍ روحيٍّ فيقول: إذا حصل لك أن شاهدتَ شياطين لا تخف. اتضع وستختفي الشياطين. كن شجاعاً وتذكر أن الرب يراك إذا وضعت عليه رجاءك.

روى البار حدثاً بهذا الخصوص كان أحد الشمامسة

قد أخبره إياه فقال:

ظهر الشيطانُ مرّةً للشماس كملكٍ منيرٍ وقال له:

أنا أحبُّ المتكبرين. جميعهم سيكونون معي في الحياة الثانية. أنت متكبرٌ ولهذا سوف آخذك أنت أيضاً. فأجابه الشماس: أنا أسوأ من الجميع. وللحال اختفى الشيطان.

## الشيخ يعقوب الديونيسيّ

كان الشيخ يعقوب الديونيسيّ (١٩٣٩م) نموذجاً للراهب المتشدّد العائش في الحياة الديرية المشتركة. عاش في دير ديونيسيّو سبعين سنة دون أن يرفض البتّة القيام بأيّ عملٍ من الأعمال التي كانت تُعهد إليه ومن دون أن يتعدّى الترتيب الرهباني مرّةً واحدةً في حياته. خدمَ كمديرٍ في أمطوشات دير ديونيسيّو، كمسؤول عن ترتيب الخدمات الليتورجية وعدة مرّات كرئيس للجنة الرهبانية المسؤولة عن جبل آثوس.

في أحد الأعياد الكبيرة، أراد بعضُ الرهبان، من بعد انتهاء المائدة الرسمية، أن يدعوا الشيخ يعقوب إلى مخزن النبيذ كي يقدّموا له كأس نبيذ كنوع من الحلويات. ولكنّ الشيخ، بما أنه كان أميناً جداً لمبادئته الرهبانية رفضَ قبول ذلك بطريقة رقيقة جداً: قال لهم بأنه قد شرب كثيراً إبّان الغداء الرسمي، ولكن بسبب إصرار

رفاقه من المتوحّدين اضطرَّ الأبُ يعقوب أن يشرح لهم بأنّ  
النبيد سيؤذيه لو شرب. ولكنَّ أولئك ظنُّوا أنه كان  
يتكلم عن الأذية الجسدية، فلم يتوقّفوا عن دفعه للشرب  
وأخذوا يقولون بأنّه لم يقبلهم.

وعندها، لما أراد الشيخُ البسيط - ولكن الثابت في  
الحياة الرهبانية - أن يُظهر لهم كيف أن إصرارهم كان  
آتياً بحضّ من الشرير ماذا فعل؟

أخذ كأس النبيد بيُسراه وقام يرسم إشارة الصليب  
عليه بيمناه وللحال انشقَّ الكأسُ وانسكب النبيدُ أرضاً  
أمام أعين الجميع.

وكان الشيخ الدائم الذّكر يقول بأنّه طالما كان  
الإخوة يضطرونه أن يشرب النبيد كان يشاهد داخل  
الكأس الشيطان ذاته وهو يستهزئ بوقاحة. وبهذا  
الشكل فهم الشيخ أنه وراء محبّة الآباء الأخويّة كان  
هناك تأثيرٌ شيطاني خفيّ.

## حروب وانتصارات

الشيخ يوسف الكهفي (١٩٥٩م) حارب بضراوة ضدّ  
الشياطين طالما كان يعيش في بيرة الجبل المقدّس.

روى الشيخ فقال: "كنتُ عُرْضَةً للحرب بضراوة مع الشياطين لمدة ثماني سنوات. كل ليلة كانت طغمات من الشياطين تأتي فتعدّيني فتضرينني بالعصيّ وغير ذلك. كان أحدها يشدُّ لحيّتي وبعضها يشدّني من شعري وآخر من قدمي، من يديّ وكانت كلها تهتف وتصيح قائلة: لنهجم جميعاً عليه".

كنتُ أصرخ فأقول أسرع يا سيدي الفائقة القداسة. وكنتُ أمسك بأحد الشياطين وأرمي به على رفاقه. فقط لدى استتجادي باسم يسوع والفائقة القداسة كانت تختفي.

ذات يومٍ قام بزيارتنا في قلاية القديس باسيليوس شخصٌ علماني من معارفنا. وفي الليل وضعته في قلايتي كي ينام. ولما كانت الشياطين معتادة أن تهاجمني هجمت عليه وبدأت تضربه بالعصيّ. تسمّر الرجل من الرعب. أخذ يصرخ ففهمتُ ما يجري وركضتُ إليه فوراً فسألته: ما بك؟ فأجابني: الشياطين ضربتني بالعصيّ وعمّاً قليلٍ لخنقتني. أجبته: لا تخفُ كان الضرب لي ولكنها أخطأت هدفها فتلقّيت أنت الضربَ هذه الليلة.

بعد ذلك أخبرته بعض الفكات كي أهدئ من روعه  
ولكن دونما جدوى. كان يتطلع حوله ويرجوني: دعني  
أرحل. وهكذا أخذته منتصف الليل إلى إسقيط القديسة  
حنة.

انقضت تلك السنوات الثماني بحربٍ وجهاد من هذا  
النوع. وبسبب الضرب الذي كنتُ أعرضُ جسدي له كل  
يوم من أجل الحرب الجسدية، بالإضافة إلى الصوم،  
السهر والجهادات الأخرى، صرتُ كجثةٍ وسقطتُ مريضاً.  
شعرتُ باليأس كيف عساي أنتصر على الأهواء  
والشياطين.

وفي إحدى المرّات بينما كنتُ جالساً فُتِحَ البابُ.  
كنتُ أصلي وأنا أفكر ولم أستدر كي أنظر من الباب.  
كنتُ أظنُّ أنه الأب أرسانيوس. ولكن فجأةً شعرتُ بيدٍ  
مشعرة فتحرّكت في لذة. ونظرتُ فماذا رأيتُ؟ شاهدتُ  
شيطان الزنى شخصياً. هجمتُ عليه كمثلي كلبٍ  
وأمسكتُ به. هجمتُ عليه بجنون. أحسستُ بشعره بيدي  
كمثلي شعر الخنزير. اختفى الشيطان ولكن المكان  
امتلاً برائحةٍ قذرةٍ جداً جداً. ومنذ ذلك الحين اختفت معه

الحربُ الجسدية. صرتُ عادم الهوى إلى درجةٍ كبيرة  
كمثل طفلٍ صغير.

في ذلك المساء أظهرَ لي الربُّ شرَّ إبليس. شاهدتُ  
نفسِي في مكانٍ مرتفعٍ جداً وجميل. ومن تحتي كان  
البحر قريباً وواسعاً. كانت الشياطين قد نصبت ربوات من  
الفخاخ وبينما كان الرهبان يعبرون من هناك كانوا  
يسقطون فيها. كانت الفخاخ تمسك واحداً من رأسه،  
وآخر من قدمه، من يده، من ثيابه. كان تنينُ العمق قد  
أخرج فمه من تحت مياه البحر وكان يُخرجُ ناراً من فمه،  
عينيه وأنفه. وكان يفرح كثيراً وهو يشاهد الرهبان  
يسقطون. فصرختُ به قائلاً: يا تنين العمق أهكذا تُضللنا  
وتُنصب لنا الشُّراك؟

وحين عدتُ إلى ذاتي شعرتُ بالفرح لأنِّي رأيتُ  
الشُّراك الشيطانية وفي الوقت ذاته أحسستُ بالحزن على  
المخاطر التي نتعرَّض لها وعلى سقطاتنا. منذ ذلك الحين  
امتلكتُ في داخلي سلاماً كبيراً ولكنَّ الشيطان لا يهدأ.  
لقد هيَّجَ الناسَ ضديّ. هناك حاجةٌ للجهاد في هذه الحياة.  
إذا كنتَ تريد أن تريح فستجاهد. إنَّ الأمر ليس مزاحاً.



أنت تصارعُ مع الأرواح النجسة التي لا تبتسم في وجهك  
فتُلقِي لك الحلوى وإنما تطلق عليك النار التي تقتل لا  
الجسد بل النفس.

## الشيخ إيروثيوس الديونيسيّ

كان الشيخ إيروثيوس المغبوط (١٩٦٣م) يتميّز عن  
كلّ أخويّة دير ديونيسيوس بتواضعه وبساطته. كان  
المباركُ كمثّل تلك الأنفس الطفولية التي غبّطها الربُّ.  
ولهذا السبب استأهل منذ هذه الحياة أن يعرف بحواسه  
الروحية نورَ ملكوت السماوات غير المخلوق، تعزيات والدة  
الإله الفائقة القداسة وعرف مرّات ليست قليلة أيضاً شرور  
الشياطين الحقودة.

في العام (١٩٣٨-١٩٣٩م) كان الشيخ إيروثيوس  
يخدم في طاحونة الدير. وذات يوم، بينما كان يطحن  
القمح شاهد حشداً من الشياطين يملأ الطاحونة. كان  
بعضها يشبه القروود وبعضها الآخر مثل الجداء في نصفها  
العلوي وأما من وسطها فدون فكانت تلبسُ فساتيناً.  
انتصبَ شعرُ جسدِ الشيخ من الخوف وبحرارة نفسه

كلها بدأ يتضرع بقوة إلى الفاتمة القداسة قائلاً:

"افرحي يا والدة الإله العذراء مريم يا ممتلئة نعمة  
الربُّ معك مباركة أنتِ في النساء... " وحالما سمعت  
الشياطينُ الترنيمةَ الوالدية اضطريت واختفت.

في العام ١٩٦٠م اختبرَ الشيخُ تجربةً من نوع فريد  
على يد الشياطين. كان الوقت ليلاً. وكان الشيخ قد أنهى  
قانونه وأخذ يستعدُّ كي يستلقي قليلاً ليرتاح، حين سمع  
فجأة صوت أدوات موسيقية داخل قلايته، مثلما سمع مرّة  
بعض الموسيقيين يعزفون في مدينة تسالونيك. فهم أنها  
كانت بفعل شيطاني ولهذا السبب ازدري بها. ولكن بعد  
قليل رأى بالقرب منه ثلاثة جداءٍ سوداء اللون، صارت بعد  
قليل خمسة ثم صار عددها سبعة. فأمسك بالمسبحة وبدأ  
يصلّي بغيره: "يا ربّي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ".  
وللحال اختفت الجداء.

وبعد برهةٍ قصيرة تعرّض لتجربةٍ أخرى. امتلأت  
قلايته بشبّانٍ حسني المظهر، شبابٍ وشابات، وكان  
الجميع في حدود العشرين من العمر وأخذوا بدون حياء  
يمارسون الخطيئة قدامه. أغلق الشيخُ عينيه كيلا يرى

وبدأ يصلي من جديد بحرارة قائلاً: "أيها الرب يسوع المسيح ارحمني"، "إنَّ المتقدِّم في الملائكة أرسل من السماء ليقول لوالدة..."، "أفرحي أيتها المملئة نعمة...". ولم يكن قد انتهى من تلاوة المدائح حين سطع نورٌ حلو من أيقونة والدة الإله الفائقة القداسة وملاً قلايته كلها. وللحال غادر هؤلاء الشبانُ العادمو الحياء القلاية ووقفوا خارجها بجانب النافذة.

وفي هذه الأثناء طنَّ صوتُ الجرس وبدأ الآباءُ تلاوة الخدمة في الكنيسة. انطلق هو أيضاً ليذهب إلى الكنيسة كي تجد نفسه قليلاً من الراحة بعد هذه الحوادث الليلية ولكن لم تكن الشياطين تتوي أن تدعَه وشأنه. فقامت بملاً قلايته بالأخشاب مشكِّلةً بها كومةً لا يمكن تجاوزها. لم يكن بمقدور الشيخ برثينيوس أن يخطو خطوة واحدة من مكانه لأنَّ الأخشاب كانت تحيط به من كل الجهات. فأخذ يصرخ طالباً النجدة وهو يائس. وفي تلك اللحظة كان يعبر بجانب قلايته الراهب بولس فأجابه من خارج القلاية:

- لماذا تصرخُ أيها الشيخ برثينيوس؟

- أريد مساعدة.

- أي نوع من المساعدة تريد؟

- ادخل إلى الداخل بسرعة.

حاول الأب بولس أن يفتح باب القلاية ويدخل ولكنه

لم يقدر. فقال للشيخ من الخارج:

- لا أستطيع أن أفتحه. إنه مقفل.

- ادفعه فيفتح. وإلا اكسره وادخل.

وهذا ما قام به الأب بولس. وبضربتين حطّم الباب

ودخل إلى القلاية. وسأله: ما الذي حصل لك فكنّت

تصرخ أيها المبارك؟ فأجابه الشيخ: حصل لي ما لست

تتوقعه يا أبت. وأشكرك لأنك أتيت وحررتني.

اختفت الشياطين الكليّة الشرور لدى دخول الأب

بولس إلى القلاية. انحلّ الحاجز الخشبي وهكذا ذهب

الشيخ برثينيوس إلى كنيسة الدير الكبيرة ونعم بالأمان

هناك حيث أخذ بقلبه الطفولي يشكر دونما شبع المسيح

ووالدة الإله اللذين خلّصاه من جديد من "منظر الشياطين

الشريرة المظلم".

## بابا ديمتري غاغاستائيس

الأب بابا ديمتري غاغاستائيس الفاضل البسيط  
منذ العام ١٩٣١م وحتى العام ١٩٧٣م شاهد مراتٍ كثيرة  
بعينيه الرؤييتين إبليسَ والشياطين. هاكم كيف يروي هو  
ذاته، ببساطته المميّزة بعض خبراته في هذا الشأن:

كنتُ كلَّ يومٍ تقريباً أقيمُ القداسَ الإلهي في  
كنيسة رئيسي الملائكة. وذات مساءً، بينما كنتُ أقيم  
الخدمة المعهودة، في حدود الساعة ١٢-١ ليلاً سمعتُ  
أصواتَ أغاني ورقصٍ وصوت مزمار. كان هناك ثلج في  
الخارج والطقسُ بارداً جداً وصقيع، فماذا رأيتُ! كانت  
الشياطينُ تقيم عرساً. ضحكتُ عليها ورسمتُ عليها إشارة  
الصليب المقدس قائلاً: "حيث تظلل نعمة رئيسي الملائكة  
القديسين تنهزمُ قوّة الشيطان"، و "فلتسحق تحت قوّة رسم  
صليبك الكريم جميع القوى المضادة" وهكذا اختفى  
الجميع.

أيضاً ذات مرّةً بينما كنتُ أقيم خدمة القداس،

سمعتُ خارجاً صوت ضجيج فخرجتُ وشاهدتُ الشياطين وهي تُشيدُ بنايةً. كان أحدها يُمسك مُسْطَرِينَ وآخرين معداتٍ أخرى. رسمتُ عليها إشارة الصليب الكريم فاختمتُ كلها.

رجعت ذات مساءً عند الساعة ٤ بعد الظهر إلى البيت. شاهدتُ في الطريق شيطانين يتقاتلان. فقلت لهما: هيه، أنتم! لماذا تتقاتلان؟ ثم رسمتُ عليهما إشارة الصليب المقدس فاختمتُهما.

مرةً أخرى أيضاً مساءً أحد الأيام بينما كنتُ عائداً إلى البيت ظهر لي أحدُ الشياطين بهيئةً خنزير. ولكنه انحلَّ كمثَلِ الدخان حالما رسمتُ عليه إشارة الصليب المقدس.

ذات مساءً كنتُ أتلو مدائح الفاتحة القداسة فظهر الشيطانُ أمامي بهيئةً كلبٍ وأراد العبور من بين قدميَّ ولكن الفاتحة القداسة لم تسمح له. من يعلم في أية تجارب كان مزمعاً أن يُلقى بي؟

أيضاً ذات مساءً استيقظتُ في حدود الساعة الواحدة وبينما أنا في طريقي إلى كنيسة رئيسي الملائكة لأصلي

هناك، بينما أنا أسير في الطريق شاهدتُ حبشياً طويلاً  
يفتح قبضتيه الكبيرتين ويريد أن يخنقني. أمسك بي من  
عنقي. استجدتُ برئيسي الملائكة حالاً ورسمتُ إشارة  
الصليب فاختنقني على الفور.

ذات مساءً حين عدتُ من الكنيسة بعد انتهاء  
القداس الإلهي استلقيتُ لأنام. كان الوقت شتاءً وكان  
هناك الكثير من الثلج في الخارج. وبعد قليل سمعتُ صوتاً  
أنثوياً يناديني: بابا ديمتري، بابا ديمتري. ففكرتُ في  
نفسي: من عساه يناديني في هذه الساعة؟ وبدأتُ أتلو  
المدائح وأنا أفكر بأنه إذا كان صوت إنسان فسيبقى.  
وحين انتهيتُ منها خرجتُ لأرى من هناك. ولكنني لم أجد  
أحدًا، لم يكن هناك أحد.

في إحدى المرّات، وكان الطقس صيفاً، استدعاني  
بعض القوم من قرية كورسوفو من أجل تجنيز أحد  
الأشخاص. وبينما كنتُ راجعاً إلى قريتي، في الطريق  
أخذتُ الشياطينُ ترجمُني بالحجارة مريدةً أن تقتلني.  
فبدأتُ أصلي المدائح لوالدة الإله وللحال اختفت الشياطينُ  
كمثل الدخان.

ذات يوم بينما كنتُ عائداً من الحقل وأعبر بجانب  
كنيسة القديس جاورجيوس شاهدتُ شيطاناً مستلقياً  
فسألته: ماذا تفعل أنت هنا؟ فأجابني: أنا جالس هنا كي  
لا أدع أحداً يرسم إشارة الصليب على ذاته.

ذات مساءً كنتُ مازاً في ساحة القرية ذاهباً إلى  
بيتي. رأيتُ في المقهى كثيراً من الرجال. بعضهم كان  
يشرب نبيذاً، وبعضهم كان يلعب بالورق. كانت  
الشياطين حولهم وفوق رؤوسهم وكان منظرها كمنظر  
القروء.

الشيطان يقاوم كلَّ مسيحيٍّ يجاهد بإخلاص.  
ولكن لا ينبغي أن يخافه أحد. إنه دخانٌ. لا سُلطةَ  
للشياطين على البشر. طبعاً الله يسمح بالتجارب لكي يعبرَ  
إيمانُ الناس في الامتحان. ولكنها تأخذ الإذن دوماً من الله  
لكي تُلقى بالمؤمن بالتجربة. وهي تتواجد داخل الكنيسة  
حتى أثناء القداس الإلهي. هي تُلقى بالأفكار الشريرة في  
الناس الذين يتواجدون في الكنيسة لكي يقطعوهم عن  
صلاتهم وانتباههم في سياق السرِّ المقدس. ولكن حالما  
يرتل المرتلون قطعة "أيها الممثلون الشيروبيم..." ويخرج



الكاهن في الدورة الكبرى حاملاً التقدّمات فعندها تغادر الشياطين الكنيسة.

ذات مرّة بينما كنتُ أقيمُ القداسَ الإلهيَّ في الليل، دخلتُ إلى الكنيسة وبدأتُ تقلبُ الكراسي رأساً على عقب. دخلَ رئيسُ الشياطين إلى الهيكل المقدّس وأغلق الستارة وأمسك بعنقي مريداً أن يخنقني. طلبتُ عندها معونة رئيسي الملائكة القديسين، وحالما صاحت الديوك اختفت الشياطين.

فقط بالصلاة والصوم يغادر جنس الشياطين. إذا وجدَ أشخاصاً جنباءً يفعل بهم ما يشاء. ولكنه قبل كل شيء يضلُّ الأنانيين والمتكبرين. إنه يخشى الاعتراف النقي الصادق والتواضع والمحبة.

## أحداث قرية بابيني

في قرية بابيني في منطقة كسيروميروس من نواحي إيتولاوإكارانيا، جعلت بعض الأحداث اليونان كلّها تضطرب خلال العام ١٩٨٣م. أشار التلفزيون إليها، أذاعتها الراديو وكتبت عنها الصحف:

في بيت إيليا تودوس، الذي كان يسكن في قرية بابيني مع زوجته وأمه وابنه ستائيس ذي السنوات الثمانية، بدأت ذات يوم تحصل أشياء كثيرة غريبة. كانت تتردد في السقف أصواتٌ كصوت هبوب ريح تعصف وتصفر. كانت تسقط من السقف حجارةٌ على أرضية البيت من دون أن يُثَقَّبَ السقف. كانت أضواء البيت تُثار وتُطفأ من تلقاء ذاتها. أشياء كثيرة كانت ترتفع في الهواء ثم تهوي على الأرض فوق رؤوس المقيمين في المنزل أو تتجمع في زوايا البيت. الدواب التي كانت مربوطة في ساحة البيت كان وثاقها ينفكُ بشكلٍ متكرر على يد قوة خفية.

ذاع صيتُ هذه الأمور في البلاد كلها وحصلت بخصوصها لقاءات في التلفزيون بمشاركة علماء اجتماع وأطباء نفس وعلماء نفس. ولكنَّ أيًّا منهم لم يستطع أن يعطي تفسيراً مقنعاً للأحداث الغريبة.

في هذه الأثناء كان الأب ديمتري كاهن رعية بابيني على رأس مجموعة من الكهنة يذهبون إلى بيت تودوس فيقيمون خدمة تقديس للمياه ويتلون الاستقسامات هناك. منذ ذلك الحين بدأ تواتر الحوادث يخفُّ تدريجياً بشكلٍ

ثابت إلى أن ذهب الميتروبوليت ثيوكليتوس مطران إيتوليا وأكارنانيا إلى القرية وأقام هناك قداساً إلهياً، وقام الأب جاورجيوس ناخوميس برفقة ستة كهنة آخرين بإقامة خدمة تقديس الزيت في بيت تودوس وقام الأرشمندريت كوزما باباخريستوس بتقبُّل اعتراف أهل البيت هناك.

توقَّفت الظواهر بعد أربعة شهور تقريباً بشكلٍ كليٍّ في ٢٥ من شهر تشرين الأول عام ١٩٨٢م. في ذلك اليوم قام الأب بورفيربوس الرائي (١٩٩١م) بزيارة القرية، وهو بعدما رأى ما يحصل عن كئُب وتحدّث إلى بعض السكان هناك، قام بتلاوة الصلوات المناسبة في كنيسة القرية من أجل دحض الشرِّ. وحينها قال الأب بورفيربوس الرائي بوضوح تام للقرويين بأنَّ تلك الأحداث الغريبة تعود لفضلٍ شيطاني بما أنَّ عائلة تودوس وبعض السكان الآخرين في القرية كانوا يجدفون.

## المبتدئ والهزُّ البريِّ

الشيخ يواكيم (١٩٨٨م) هو راهبٌ تقليدي وناسك يحيا في قلايته وكان يحبُّ أن يروي لطالبيه الحوادث المفيدة الكثيرة ممَّا كان قد سمعه واختبره هو في حياته

في جبل آثوس. ومن بين الأشياء التي كان يرويها حديثه عن راهبٍ مبتدئٍ كان قد أقام في قلاية القديس يواصاف في إسقيط القديس يوحنا السابق الكريم التابع لدير الإيفيرون. كان ذلك الراهب يتناول المقدسات باستمرار. وكان يرى من نافذة قلايته قطعاً برياً، كان شيطاناً، ولكنه لم يكن يعرف بهذا، وكان الهرُّ على وشك أن يهاجمه. وحين تحدّث عنه للشيوخ هناك، قالوا له: يبدو أنه ظهور شيطاني. ربّما أنت تخفي شيئاً خلال اعترافك بخطاياك. فلتهتمن أن تعترف بخطاياك بإخلاص لأنّ الشيطان يستطيع أن يتسبّب لك بضررٍ كبير.

وبالفعل كان الشاب قد ارتكب قتلاً في قريته بسبب عدم انتباهه. ولكنّ أحداً لم يعرف بذلك. الجميع كانوا يعتقدون أنّ حادثاً اعتيادياً كان قد حصل وهو الذي تسبّب بالقتل. ولكن بما أنّ المبتدئ كان يخاف من افتضاح أمرٍ جريمته فيُحكّم عليه بالسجن سنين طويلة لم يكن يجرؤ على ذكر الأمر حتى أثناء الاعتراف. ولكن من بعد نصيحة الشيوخ قام بالاعتراف به. ومن ذلك الحين توقفت الظهورات الشيطانية.

## صلوات الأبرار

يكتب القديس يعقوب أخو الرب فيقول: "إنَّ صلوات البار تقدر كثيراً في فعلها". ولكن في سبيل أن تفعل صلاة أحد الأبرار فعلاً لأحد الخطاة ينبغي أن يجاهد الخاطئ أيضاً. في هذا السياق نُوردُ هذا الحدثَ المميّز: أحد زوّار الجبل المقدّس، واسمه يوحنا، كان يفتش في بركة الجبل كي يجد قديسين، ودنا إلى أحد الناسك المعاصرين وقال له: أرجوك أيها الشيخ صلّ لأجلي لأنني أتعرض لمشاكل خطيرة.

أشفق عليه الناسك وكان يجاهد في الصلاة لأجله كل يوم في السهرانية المسائية. وذات ليلة بينما كان الناسك يصلي رأى الشيطان خارج قلايته يضحك باستهزاء ويسخر منه. فسأله الراهب: أيها اللعين لماذا تخرب عليّ هدوئي؟

فأجابه إبليس: ها، ها، ها، ها! إنني أضحك لأنك تسهر ظلاماً من أجل يوحنا الذي يخصني. هو يسهر أيضاً ولكن في بيوت الفساد. قبل برهة من الآن أنهى "سهرته" وهو الآن

يغطُّ في النوم وشخيرُهُ يملأ المكان.  
وهكذا لم تنفع صلاةُ الناسكِ الشابِ يوحنا بما أنه  
لم يكن يجاهد قَدْرَ استطاعته.

## الشيخ يعقوب

في حياة الشهادة التي عاشها الشيخ يعقوب  
تساليكيس (١٩٩١م) رئيس دير البار داود في منطقة  
إيفيا، اختبرَ بقسوة حربِ الشيطان. حين فهمَ هذا الأخير  
أنَّ الشيخ يعقوب كان يخرج منتفعاً من خلال الحروب  
ضدَّه بواسطة البشر، قرر أن يجزّيه مباشرةً هو بذاته على  
غرار النساك الحاملي الله.

يقول الشيخ يعقوب: ذات مرّة بينما كنتُ أصلح  
الغرف في الدير، قبل الظهر بقليل، استلقيتُ لأستريح  
قليلاً على فراش إحدى الغرف التي كنتُ أصلح فيها  
السقف. وفجأةً فُتِحَ الباب ودخل عنوةً جنديٌّ مرتدياً كساءً  
عتيقاً للساقين. كان يمتلك عيناً واحدة في جبهته ويصرخ  
هائجاً: أنت هنا! حسناً. الآن ستري ما الذي سيحصل لك.  
كان يتبعه حوالي ثمانية عشر شيطاناً آخر، بعضها

بهية بشرٍ وبعضها بهية قرود. هجموا جميعاً عليّ وأخذوا يضربوني. حاولت أن أرسم إشارة الصليب ولكنها أعاقنتني عن ذلك. ثلاثة منها كانت تمسك بيدي وواحد آخر يفتح أصابعي الثلاث كيلا أستطيع أن أرسم إشارة الصليب الكريم.

لا يمكن وصف التعذيبات والضربات التي تلقيتها. بعد قليلٍ سال الدم من فمي وأنفي. شففتاي تورمتا. شعر لحيتي ورأسي تبعثر. غمبازي كان مفتوحاً وبنطالي قد انسدل إلى الأسفل لأنّ الله سمح لها أن تعذبني حتى في أعضاء جسدي السفلية. كانت أصابعي مشدودة غصباً وكتفي خرَجَ تقريباً من مكانه، وكانت تردد في أذنيّ أقوالها المملوءة كرهاً. قال أحدها لي: هل تراني؟ أنا الذي أمسك بك من عنقك ولا أدعك تقرأ بوضوح. وكان أحدها يقول لي شيئاً والآخر يقول شيئاً آخر. وفي نهاية الأمر، في إحدى اللحظات حررتُ يدي ورسمتُ إشارة الصليب الكريم. وللحال قفزت الشياطين من النافذة تاركةً إياي نصف ميت.

جمعتُ ثيابي ونزلتُ شيئاً فشيئاً إلى المطبخ. كانت

هناك سيدة عجوز من الزائرات فخافت حالما شاهدتني.  
قلتُ لها: لم تصعدي فوق أيتها الجدة كي تساعديني.  
أشبعنتي الشياطينُ ضرباً حتى كادت تقتلني. فأجابتنى:  
سمعتُ أيها الأب يعقوب صوت ضربات وضجيج ولكنني  
كنتُ أعتقد بأنك تعمل.

هذه التجارب المؤلمة جداً تُظهر القوة التي أعطاها الربُّ  
إياها لكي يحتملها، بالإضافة إلى النعمة الاعترافية  
الشهادية التي أغناهُ بها.

عاش الشيخ يعقوب المغبوط مرّات أخرى الحضور  
الشيطاني في ديرِه. ذات مرّة ضحك الشيطان على أحد  
رعيان المنطقة فجعله يعتقد بأنّ كلب الدير قد افترس له  
بعض الخراف. وكان الشيخ يعقوب يؤكّد له بأنّ هذا لم  
يكن صحيحاً ولكنّ الراعي اشتكى عليه.

وبينما كان الشيخ يعقوب جالساً في ساحة الدير  
حزيناً إذا به يرى إلى الأمام من مكانه قليلاً رجلاً ضعيفاً  
جداً وطويلاً يقف ويرمقه بنظراته. وفي لحظةٍ إذا به يراه  
فوق سطح الدير وهتف نحوه من هناك: لقد جلبتُ لك  
الدعوة كي تذهب إلى المحكمة. أنا الذي تسببتُ بكل



هذه الأمور.

كان ذاك إبليس. وفي نهاية الأمر بمساعدة البار داود  
وأحد المحامين، تمّ ترتيب أمر القضية المرفوعة ضده من  
دون أن يذهب الشيخ إلى المحكمة، الأمر الذي كان  
سيضايقه كثيراً لو حدث.

وذات مرّة كان الشيخ في مدخل الدير وشاهد امرأةً  
عجوزاً تدخل من البوابة فقال لها:

- تعالي كي تزوري الكنيسة ونقدّم لك الضيافة.

اليوم ستظّلين هنا.

- ولكني لا أستطيع البقاء هنا لأنكم تقررعون

الأجراس باستمرار. أتيتُ فقط كي أراكم وأرحل.

سأذهب إلى الدير النسائي الفلاني. هناك يستقبلونني

استقبالاً حافلاً وأقيم أسبوعاً. حالما أدخل ذاك الدير أجعل

الراهبات (وهنا أخذت تشير بيدها كيف تقوم بشيئهنّ

كاللحم المشوي). فتبدأ فوراً المعائر بينهنّ ويبدأ العيد

بالنسبة لي.

لدى سماع الشيخ لهذه الأقوال حدّق في وجه العجوز

جيداً. وعندها وجد أنّ عينيها كانتا صغيرتين جداً

ومدهونة بالصباغ وأنها ترتدي أقراطاً كبيرة في أذنيها  
وكان هناك خيطاً من القطن يمرُّ من أنفها وهو مربوط  
بأقراطها. وللحال رسم الشيخ إشارة الصليب المقدس قائلاً:  
يا ربُّ ارحمنا أيةً عجوزٍ هي هذه! وللحال انحلت العجوز  
كالدخان واختفت. كان الشيطان بشكلٍ عجوز.

وعلق الشيخ على الحادثة مشدداً على أنه كم تقوم  
الخدمات الليتورجية والقداس الإلهي اليومي بإبعاد التجربة.  
الشيطان بنفسه اعترف بأنه لم يكن يستطيع البقاء لأنَّ  
الأجراس كانت تقرع بصورةٍ متواصلة. وعلى العكس  
كان يفرح كثيراً بالمعائر وسوء التفاهم. وانتهى الشيخ  
بقوله: على أية حال هو يأتي إلينا لعلَّه يجد شخصاً ما بيننا  
بغير حماية فيقدر أن يعمل بواسطته شغله.

ذات مساءً في ساعة صلاة النوم شاهد الشيخُ خارج  
قلايته الشيطانَ يدخل بهيئة امرأةٍ تشير بشكلٍ مخزٍ إلى  
خلفها وتتفوه بأقوالٍ مخزية. فأخذ الشيخُ فوراً أيقونة والدة  
الإله الفائقة القداسة وخرج مرتلاً: "إلى تحنُّك نلتجئ يا  
والدة الإله...". وكما تخرج الطلقةُ من السلاح مصدرَّةً  
صغيراً هكذا خرج المجربُ فوق أحجار السقف وانفجر في

الجبل المقابل بصوتٍ دويٍّ يَصْمُ الأذان.

## الشيخ كليوبا

إنَّ الكنيسة الرومانية في القرن العشرين تعترُّ بشخصية الشيخ كليوبا المواهبية (١٩١٢-١٩٩٨م) وهو أحد الشيوخ الأرثوذكسين الحاملين لله، وقد اختبر خلال حياته الرهبانية، التي دامت سبعة عقود، بركاتٍ إلهية كبيرة وكذلك واجه تجاربَ مؤلمة.

وُلِدَ في قرية سويتسا التابعة لمقاطعة بوتوساني. كان لأبويه عشرة أولاد صار خمسةٌ منهم رهباناً. أسلم الأب كليوبا ذاته هو وإخوته منذ طفولتهم للجهادات الروحية ولهذا السبب كانت الشياطين المارقة الخير تحاربهم.

ذاتَ ليلةٍ بينما كان قسطنطينوس (كان هذا اسمه العلماني) يصلِّي برفقة أخويه الأكبر منه سنّاً جاورجيوس وباسيليوس أخذت الأرواح الشريرة تُصدر ضجّةً حولهم، فكانت تُصَفِّقُ بأيديها وتهمهم كالخنازير. إنها لم تحتمل صلاة أولئك الأطفال الأبرياء العادمي الشرّ.

ذاتَ مساءٍ أيضاً بينما كان الإخوة الثلاثة يقرؤون

المزامير وهم راكعين على ركبهم في الحظيرة حول النار شاهدوا فجأة أمامهم طائراً غريباً كالنسر. توقف قسطنطينوس عن القراءة وهتف قائلاً: انظروا طائراً جميلاً، فأثبه باسيليوس قائلاً: اصمت وتابع القراءة. وفي هذه الأثناء ذاك الطائر الذي لم يكن إلا شيطاناً رفاً وسقط في النار مبعثراً بذلك الجمرات المشتعلة. وكانت النتيجة أن شبت النار في الحظيرة واحترقت معظم الخراف. في البداية كان الصغير قسطنطينوس يتضايق عندما يوقظه إخوته من أجل الصلاة الليلية لأنهما كانا يجعلانه يخسر نومَه. وذات مرة، أخته الكبرى ماريا التي كانت قد صارت راهبة حضتته على أتباع مثالها فقالت له: تعال أنت أيضاً إلى جيش ربنا. لا تعتقدن بأن الحياة في الدير صعبة مثل الحياة في العالم.

في الليلة ذاتها نهض الصغير باستعداد كي يصلي. وفي الليلة التالية ندم على قيامه ولم يُرد أن ينهض للصلاة. في تلك الليلة شاهدت أمه في غرفته كلباً أسود كبيراً يقوم بلحس ذاته بلسانه. فأطلقت صوتها بالصراخ مذعورة. استيقظ قسطنطينوس وهب من رقادِه. ولم يستطع أن يرى

سوى ذيل الكلب الذي اختفى. وقالت له أخته الكبرى:  
هذا الكلب كان شيطاناً وكان يلحس ذاته لأنه مسرور  
لأنك لم ترغب أن تصير راهباً. ومنذ ذلك الحين صار  
الصغير ينهض في الليل من أجل الصلاة.

مضت سنوات كثيرة. كان الأب كليوبا منذ العام  
١٩٤٤م رئيساً لدير سيخاستريا. كان صيئاً فضيلته  
وسطوعها قد خرجا في كل مكان. كان تأثيره الروحي  
في الشعب كبيراً جداً. ولهذا السبب قررت الشرطة  
الشيوعية أن تقوم باعتقاله. فلجأ حينها إلى غابات مولدافيا  
وجبالها. وفي مكان مقفّر يدعى "ساق الوقواق" قام ببناء  
قلاية من الأخشاب الضخمة وسط الطين. وعاش هناك  
حياة نسكية مدة سنوات طويلة.

ذات مرة، عند منتصف الليل كان يصلي مدائح  
والدة الإله. وفجأة سمع صوت دوي كبير فاعتقد أنه  
زلزال. فتح باب قلايته فماذا رأى؟ دباباً حربية وكان  
فوقها عدد من الجنود السود البشرة وهم يحملون أسلحة  
نارية بأيديهم. وصرخ واحد منهم: هذا هو شيخ سيخاستريا.  
أصعدوه إلى الدبابة.

شعر بأنهم اختطفوه وأصعدوه فوقها. بدأت الدبابة تتحرك. رفع الجنود أسلحتهم كي يطلقوا النار عليه. ولما كان الشيخ يمسك بيده كتاب المدائح بشكلٍ مُحكَمٍ صرخ: اتركوني قليلاً لأنه لديّ شيءٍ أقرؤه للسيدة والدة الإله. وللحال اختفت الدبابة والجنود. الأب كليوبا عاد إلى قلايته سالماً ممجّداً الله.

ذات مرّة أيضاً، حالما أنهى خدمة السحر سمع ضجةً غريبة: بوف! بوف! بوف! اعتقد بأن الأرض كانت ترتج. فتح باب قلايته وعندها شاهد وسط نورٍ قويٍّ شيئاً مثل الدبابة وله عجلات كثيرة. نزل من الدبابة شخصٌ أسود طويلٌ وشكلٌ وجهه متوحّش وسأله: ماذا تطلب هنا؟

فهمَ الشيخُ أنّه حيال هجومٍ شيطانيٍّ. فركض فوراً وحمل بيديه الخبز المقدّس الذي كان يحتفظ به دوماً في قلايته. وتضرّع قائلاً: أيّها الربُّ يسوع المسيح لا تتركني. وفي اللحظة ذاتها تطلع إلى الخارج فشاهد الدبابة والشخص البربري يبتعدان. وإلى الأسفل قليلاً من قلايته كان هناك ممرٌ ضيقٌ، حين وصلت الدبابة إلى طرفه أطلقت عليه ثلاث طلقات وانهار بدويٌّ انفجارٍ مرعب. ظلّت

أذنا الأب كليوبا تظنّان يوماً كاملاً بسبب ذاك الانفجار.

## سعي وراء الحقيقة

في شبابي كانت لديّ تساؤلات كثيرة حول العالم الذي يحيط بي وحولي أنا شخصياً. كان تساؤلي الأول، الذي كانت تعتمد على إجابته سلسلة التساؤلات الأخرى هو: هل يوجد إله أم لا؟

كنت أفكر بالأمر، أقرأ الكتب، أتحدث مع من تيسر لي من الأصدقاء ولكنني لم أصل إلى مبتغاي. وحين كنتُ طالباً في جامعة تسالونيك قمت بزيارة جبل آثوس حيث تعرّفتُ على الأب باييسوس. أعتقد أن ذلك حصل في خريف العام ١٩٨٢م. كنتُ حينها أتمتع بمعرفة كبيرة فيما يختصُّ باليوغا والتأمل.

أثر الأب باييسوس كثيراً فيّ. كان طيباً جداً وحلواً جداً. تحدّثنا في أمور متعددة. وما هي إلا دقائق معدودة إلا ووصلنا إلى تقارب نفسي كبير. كنتُ أشعر بفرح كبير، تقارب وثقة.

---

٦- الروايتان التاليتان هما من كتاب لعالم طبيعة معاصر اسمه ديونيسيوس فاراسيوتيس.

ولكنني لاحقاً رجعتُ إلى تسالونيك وتابعتُ حياتي  
كما كنتُ سابقاً. عملياً لم تتغيّر حياتي في شيء.  
ولكنني كنتُ قد بدأتُ التفكير.

وبعد بعض الوقت قمتُ بزيارة الجبل المقدّس مرّة  
أخرى. ولما كنتُ متأثراً بشخص الأب باييسيوس أخذتُ  
كتاباً كان من تأليفه عن حياة الأب أرسانيوس الذي من  
فاراسا من أعمال كبادوكيا.

أغلقتُ على نفسي في إحدى قلالي دير كوتلوموسيو  
ورحمتُ أقرأ. قرأتُ وتأثرتُ. وفكّرتُ في نفسي: "يا ولدي،  
ليس معلّمو اليوغا وحدهم من يمتلك قوياً. فهذا الأب على  
ما يبدو كان معلّم يوغا كبيراً".

ومع أنني كنتُ في الماضي قد قرأتُ كتباً هندية  
متعددة عن حياة بعض معلّمي اليوغا الكبار، كنتُ للمرّة  
الأولى حينها أقرأ عن قديسٍ مسيحيٍّ. وكنتُ أتساءل:  
"يوجد في اليونان أيضاً وفي المسيحية أناسٌ روحيون  
مختارون!".

(في ذلك الحين لم أكن بموضع التمييز للاختلاف  
الكبير القائم بين قديسٍ أرثوذكسيٍّ وغورو هندي. كان



الاثان بيدوان لي شيئاً واحداً). تابعتُ القراءة بإعجابٍ  
متزايد بحياة الأب أرسانيوس المقدسة.

فجأةً بدأتُ أسمعُ أصوات انفجارات في الغرفة.  
وكان أحدهم كان يُلقي ألعاباً نارية في الهواء. نهضتُ من  
مكاني مندهشاً وأخذتُ أتطلع بحيرةٍ حولي. لم أستطع أن  
أجد شيئاً. استمرت أصوات الانفجار أمام وجهي، بجانب  
أذني، فوقي، عن يميني، عن يساري. صباحاً ومساءً.  
كنتُ أتطلع كالأبله حولي. كنتُ خائفاً.

غادرتُ الغرفة ومشيتُ في الدرب إلى قلاية الأب  
بايسيوس. وقلتُ له وأنا مضطرب: "أيها الشيخ هناك شيء  
يحصل لي". فضحك. وقال لي: "لا تخف. التلميذ  
(الشیطان) يضايقك. شاهد النفع الذي حازته نفسك من  
الكتاب وحاول أن يوقفك. لا تقلق. إنه لا شيء". ثم رسم  
عليّ إشارة الصليب وأطلقني هادئاً.

أخذتُ أسأل نفسي في الطريق: "أعتقد أنه يوجد  
شیطان حسبما يقول الأب بايسيوس؟". طبعاً لم أكن قد  
قبلتُ التفسير الذي أعطاني إياه. "شیطان في القرن  
العشرين"! لم يتسع عقلي لهذا. لم تحمله ثقافتِي، تعليمي،

إيديولوجيتي. بدا بالنسبة لي شيئاً رجعيّاً كثيراً. ولكن  
من جهة أخرى، ما كان ذلك الذي حصل؟

في مرّة أخرى كنتُ في دير كوتلوموسيو في الجبل  
المقدّس. كنتُ جالساً حيناً ما في الغرفة أقرأ. وفجأة أتتني  
رغبةٌ بأن أصلي. ففكرتُ في ذاتي: فلأجرب الطريقة  
المسيحية كي أرى ما الفرق الكائن بين الصلاة والتأمّل.  
دعني أشعر بالأمر بشكلٍ عملي.

طبعاً لم أكن أعرف كيف يصلي المرء. كنتُ  
أعرف معلومات كافية عن التأمّل ولكني لم أعرف شيئاً  
عن الصلاة. ففكرتُ في داخلي: سوف أركع ببساطة  
وأتكلم إلى المسيح. كما أنّ المسيح طيب. سواء كان  
معلم يوغا كبيراً أم شيئاً آخر فهو بالتأكيد شخص طيب.  
ليس هناك ما يوجب أن أخاف منه.

نهضتُ من فراشي وركعتُ. ولكن حالما التصقت  
ركبتاي بالأرض سمعتُ صوت نباح متوحّ خارج النافذة.  
نهضتُ مذعوراً. وتطلعت إلى الخارج فوراً. كان الوقت بعد  
الظهيرة، والجو حاراً. ولم يكن هناك شخص بالقرب من  
النافذة. ولكنني كنتُ لا أزال أسمع صوت النباح. أنهارت

قواي.

دع عنك. أين عساي أنجُ أنفي؟ غادرتني كلُّ رغبةٍ  
بالصلاة حالماً لتلقيت تهديداً من شيء ما متوحش وقوي.  
صارعتُ في الظلام، أضراب مع شيء مجهول دون أن أرى  
أحداً. أردتُ التوجّه نحو مكانٍ روحيّ في الدير ولكن  
انغلقت الأبواب كلها في وجهي، وكان هناك شيء ما  
يلتهمني من داخلي. ما كان هذا؟ لم أستطع أن أتجاهله.  
لقد حصل.

وبعد عدة أيام مضيتُ إلى الشيخ باييسيوس وقلت له:  
أيها الشيخ حصل معي كذا وكذا.

نظر إليّ بمحبةٍ كبيرة. أمسك بيدي وتطلع في عينيّ.  
ورغم أنني شعرتُ بالخجل إلا أنني أنا أيضاً نظرتُ في  
عينيه. كنتُ فرحاً جداً وشعرتُ باهتمامه بي. وقال لي: لا  
تحف. إنها الشياطين. أرادت أن تخيفك كي لا تسلك  
الطريق الجيّد. والله لا يسمح لها أن تؤذيك. لقد ربطها.  
الأمر الوحيد الذي تستطيع القيام به هو أن تتبج مثل  
الكلاب. لا تحف.

لم أكن أشعر بالخوف لدى وجودي بالقرب من

الشيخ بصورة عامة لم أكن أخاف. لربّما خفتُ بسبب جهلي للخطر ولربّما بسبب سرعة وقوع الحدّث. مرّ الحدّث ولم أستطع الخروج بنتيجة. كنتُ أحبُّ الشيخَ كثيراً ولكنني لم أكن أصدّق أقواله كلّها. لم يكن بإمكانني وسعها في داخلي. كنتُ معلقاً دونما نتيجة لما حصل.

## الزائر الليلي

كنتُ موجوداً في دير ستافرونيكيّتا وهو ديرٌ صغير جميل جداً يقع بالقرب من شاطئ البحر. كان المساء قد حلّ فمضيتُ إلى الغرفة الصغيرة التي كنتُ مقيماً فيها واستلقيتُ كي أنام.

لم أكن قد نمتُ ساعات طويلة حين استيقظتُ قلقاً. كان هناك شيء ما يربض فوق صدري. كان هناك أحدٌ ما قد دخل الغرفة وأخذ يضغط على صدري. فتحتُ عينيّ خائفاً. لم أشاهد سوى أثاث الغرفة. ومع ذلك كنتُ أشعر بالحضور القوي الذي كان يضغط عليّ بشكلٍ لا يُحتمل. وقلتُ في داخلي: يا مسيحي يسوع إنني لا أستطيع

الاحتمال أكثر من هذا. أخرجه خارجاً من هنا. وللحال شعرتُ بأنَّ الغرفة قد فرغت من هذا الحضور الثقيل. ذهب الزائر المجهول ووقف خارج باب غرفتي، يتهدّدني، لم أجسر أن أنام. كان هناك أحدٌ خارج باب غرفتي بشكلٍ مستمر. ولما طلعت الشمس استطعتُ أن أغفو قليلاً.

وفي اليوم التالي ذهبتُ كي أرى الأب باييسوس. سرتُ إلى قلايته مسيرة ساعتين ونصف مشياً على الأقدام. وأخبرته بكل ما حصل. فقال لي ضاحكاً: اجلس كي أحضر لك مسدساً. ثم دخل إلى قلايته وأحضر لي مسبحةً صغيرة ذات ثلاث وثلاثين حبة، أي على عدد سنوات يسوع وصليباً. وقال لي: هل تعرف إنَّ هذه تطلق رصاصات روحية. كلُّ مرّة تقول فيها صلاة "يا ربّي يسوع المسيح ارحمني" فالأمر كما لو أنك تطلق النار على الشيطان فلا يقترب إليك. خذها كي تكون معك لأجل المجالدة.

رجعتُ إلى دير ستافرونيكيثا حيث كانوا يستضيفونني. وذات مساء عاد الزائر الليلي. ولكن هذه المرة كان لدي مسدس الأب باييسوس. حالما شعرتُ

بحضوره أطلقت النار: "يا ربّي يسوع المسيح ارحمني".  
وللحال انسحب مبتعداً عني. تابعت ترديد الصلاة.  
تشجعتُ وبدأتُ أطارده. مشيتُ باتجاه مكانه. ولكنني  
حالما اقتربتُ إليه شعرتُ بقوته الكبيرة ووقفتُ بالقرب  
منه. كان أقوى مني بكثير. هجم عليّ. فأخذتُ أطلق النار  
عليه بلا توقّف: "يا ربّي يسوع المسيح ارحمني".

استدار ليهرب، قل وكان أقوال الصلاة كانت  
تحرقه. الصلاة، اسم المسيح، كانت تمتلك القوة وليس  
أنا. كان باستطاعته أن يسحقني بيده كمثّل البعوضة.  
وفي لحظةٍ تبدّل وصارَ مهرّجاً، قصير القامة وسميناً  
كمثّل القزم ولديه عمامة على رأسه. بدأ يقوم بحركات  
مضحكة ويقترب مني شيئاً فشيئاً وكأنه يلعب. تفاجأتُ.  
كدتُ أضحك. ولكن حالما اقترب مني كفاية شعرتُ  
نفسي بتهديده وشرّه. وياشرتُ الصلاة من جديد. فركض  
مبتعداً عني بسرعة.

في نهاية الأمر لم يستطع أن يؤذيني. في ذاك المساء،  
قوة المسيح جعلت الشيطان يهرب وأبقته بعيداً عني. كنتُ  
قد ربحتُ حرباً.

## انتصرنا

في لحظات موتنا المحرجة تمتلك الشياطين فرصتها الأخيرة والأفضل كي تؤذي نفسنا. ولهذا السبب تهجم على المحتَضِرَ بجنون فتفعل ما تستطيعه كي تُعيق خلاصه. عندها "يرى الإنسانُ ملاك الموت بعينيه".

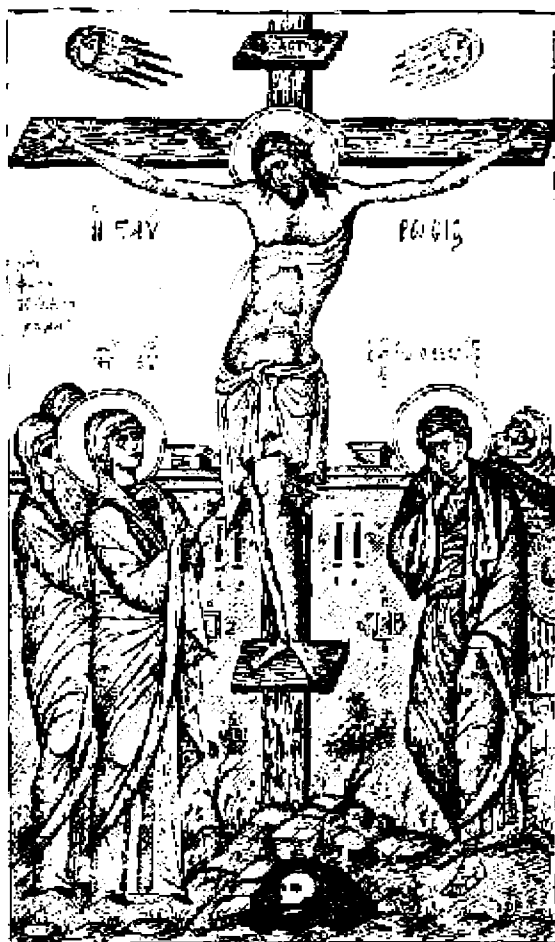
وهذا ما حصل مع السيدة أنجيليكي. م، التي كانت إحدى سكان مدينة أثينا ومصابة بسرطان العظام. من شهر آب وحتى شهر كانون الأول عام ١٩٩٧م كانت ترتاد مشفى القديس بولس في فانكوفر في كندا لتتلقى العلاج. وكان زوجها يوحنا إلى جانبها بشكلٍ متواصل. كانت حالتها تسوء يوماً بعد يوم. ووصلت إلى نهاية أيامها. حينها قامت الشياطين بزيارتها. عند فجر عيد القديس سابا المتقدّس (٥ كانون الأول عام ١٩٩٧). وبينما كانت المريضة في حالة غيبوبة، شاهدت الشياطين آتيةً إليها. خافت وأخذت تصرخ: ارحلوا! ارحلوا! ارحلوا! لا تقتربوا. اتركوني.

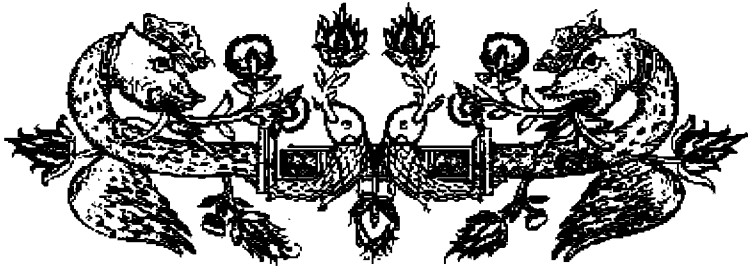
لما رأى زوجها ذلك المنظر المخيف رسم إشارة الصليب

قائلاً: "باسم الآب والابن والروح القدس فلترحلوا".  
تفوهً بهذه الكلمات ثلاث مرات هو وزوجته. وعندها  
بقوة الصلاة اختفت الشياطين.  
وللحال اعتدلت المرأة المحتضرة في فراشها معيِّدةً  
بفرح لا يوصف لأجل خلاصها. رفعت يديها إلى فوق وهتفت  
بقوة: انتصرنا انتصرنا. وبعد قليل تناولت جسد الربّ ودمه  
الكريمين ثم لفظت الروح بسلام.









---

## القسم الثاني

---

### ضلالات

---

#### ضلالات شيطانية

يُذكَرُ في كتاب الآباء الشيوخ أنّ بعض الإخوة زاروا  
مرةً القديس أنطونيوس الكبير (٣٥٦م). وحالما ألقوا عليه  
السلام سألهم:

- كيف نفقَ حماركم في الطريق؟
- ومن أين عرفتَ بالأمر أيها الأب؟
- أظهرته لي الشياطين.
- ولهذا السبب بالضبط نحن أتينا إليك. إننا نرى

خيالات متنوعة وهي في معظم الأحيان تتحقق. أعلنا قد  
ضللنا؟

- الصور التي ترونها هي من صنع الشيطان الذي  
يصنعها مستخدماً مخيلتكم الخاصة.



كان هناك أخ ينسك لوحده. ذات مرة أرادت  
الشياطين إزعاجه متخذةً شكل ملائكة. ظهرت له في  
الليل وقال له أن ينهض كي يصلي الخدمة الليلية وأظهرت  
له نوراً. بعد هذه الرؤيا ذهب الناسك إلى شيخ يمتلك  
فضيلة التمييز كي يستشيرَه وقال له:

- أيها الأب يأتي إلى قلايتي ملائكة منيرون  
وينهضونني إلى خدمة الصلاة الليلية.

- انتبه ولا تسمع لها فإنها شياطين. حين تأتي ثانيةً  
كي توقظك قل لها: لست أستمع لك وسأنهض حين أشاء.

وفي تلك الليلة جاءته الشياطين مرة ثانية فقال لها  
الأخ: لست أستمع لكم وسأنهض حينما أشاء. فقالت له:  
أضلك ذاك الراهب الشرير. قبل بضعة أيام طلب منه  
أحدهم قطعة نقدية، والأب رغم أنه كان يمتلكها إلا أنه

لم يعطه إياها وكذبَ عليه قائلاً بأنه لا يملك ولم يعطه إياها. فمن هذا الأمر فلتعلم بأنه كاذب.

وفي الصباح ذهب الأخ إلى ذاك الشيخ وأظهر له كلما سمعه من الشياطين. فأجابه ذاك: أعترف بأنني كنتُ أمتلك قطعةَ النقود ولم أعطاها للأخ الذي طلبها مني ولكن لأنّ ضميري أخبرني بأنه كان سيتضررّ منها روحياً. فقررتُ أن أعصى وصيةً واحدةً كيلا يتضررّ الأخ. لأننا عندها سنكون قد تجاوزنا نحن الاثنين الوصايا العشر، وأمّا أنت فلا تُعِرِ اهتماماً للشياطين لأنها تريد أن تضلّك.

وهكذا عاد الناسك إلى قلايته متشددًا ممّا سمع من الشيخ.



قيل عن أحد الناسك بأنه كان يشاهد الشياطين في قلايته بأمّ عينيه وبهزمها. ولما يئسّ الشيطان من هزائمها ظهر له مرةً وقال: أنا المسيح.

ولكن حالما شاهده الشيخ أغلق عينيه. فسأله الشيطان: "لماذا تغلق عينيك. قلتُ لك إنني المسيح". فأجابه

الراهب: "أنا لا أريد أن أرى المسيح في هذا العالم". وللحال  
اختفى الشرير.



قالت الشياطين لأحد النساك: أتريد أن ترى المسيح؟  
فأجابها ذلك ممتعاً منها: اللعنة عليكم وعلى  
مسيحكم الذي تريدونني أن أراه. أنا أؤمن بمسيحي الذي  
قال في إنجيله المقدس: "إذا قال لكم أحدٌ هوذا المسيح هنا  
أو هناك فلا تصدقوه". ولما سمعت الشياطين هذه الأقوال  
اختفت.

### القديس مكاريوس وواليس

يذكر بالاديوس أسقف إنيوبوليس (٣٦٤-٤٣١م) أنه  
جاء مرة من فلسطين إلى برية نتريا ناسكاً يقال له واليس.  
بقي هناك مدةً لا بأس بها وبلغ مراتب كبيرة في النسك.  
ولكن لسوء الحظّ انزلق بسبب الكبرياء وأضله الشيطان  
كثيراً بحيث كان يعتقد نفسه بأنه عشير الملائكة.

عند حلول مساء أحد الأيام، كان واليس يخيط  
الزناويل مكملاً عمله اليدوي. كان الليل قد هبط بثقله  
وإذا بإبرة الخياطة تسقط من يده فجأة. وبينما هو يفتش

عنها ولا يجدها أشعل الشيطان شمعةً له وعثر عليها.  
وبنتيجة هذا الأمر انتفخ الأحمق من الكبرياء.

ذات مرة قدّم بعض الغرباء ثماراً إلى الأخوية في  
الدير. فأرسل البار مكاريوس الشيخ إلى كلِّ أخ نصيبه.  
ولم ينسَ أن يبعث لواليس. ولكن واليس رفض قبول  
الثمار وغضب على الأخ الذي أحضرها إليه، وقال له  
بعجرفة: فلتقل لمكاريوس إنني لستُ أقلُّ منك شأنًا كي  
تبعث لي بالبركات.

فهم القديس مكاريوس من أقوال واليس ضلالَ هذا  
الأخير، فقام بزيارته كي يسدي له النصيح. وقال له: يا  
أخي واليس إنَّ الشيطان يلعب بك. توقّف عن تصديقه  
وتوسّل إلى الله كي ينجّيك من الفخ.

ولكنّ واليس لم يُعر اهتماماً لأقوال القديس  
مكاريوس. وعندها فهم الشيطان بأنّ واليس كان طوع  
يديه بكلّيته ولهذا أراد أن يفقده صوابه. وذات ليلة اتّخذ  
شكل المسيح وقام بزيارة الراهب المتكبر واليس. وكان  
برفقته آلاف الشياطين الحاملة المصابيح، في حين أنّ  
شكل المسيح الذي اتّخذه الشيطان كان محاطاً بعجلة  
نارية. وركض أحد الشياطين المرافقين وقال للراهب: يا

واليس، إنَّ المسيح يحبُّك لأجل حياتك النقية وسيرتك المرضية أمامه ولهذا السبب جاء كي يراك. اخرج خارجاً واسجد له وارجع إلى قلايتك.

خرج واليس الضالُّ فماذا رأى! جمهرة غريبة من حملة المصابيح وإلى الورا منهم كان الشيطان بهيئة المسيح. فجثا أرضاً فوراً وسجد. هذا ما حصل فقط. ومنذ تلك اللحظة فقد صوابه بحيث أنه ذهب في اليوم التالي إلى الكنيسة وصرخ أمام الجميع: أنا لست بحاجة بعد الآن إلى أن أتناول المقدسات هنا لأنني رأيتُ المسيح بأُمِّ عيني. وبعدما تفوّه بتلك الأقوال أمسكه الآباء وربطوه بسلاسل لمدة عام كامل وأخذوا يصلُّون لأجله. وفي الوقت ذاته كانوا يقومون بتربيته من جديد مظهرين له ازدياداً بكافة الوسائل. وبهذه الطريقة تواضع وشفي.

### الجلدة المنقذة

عاش في منطقة تيفاذا شخصٌ مسيحيٌّ تقيٌّ يحب الذهاب إلى الكنيسة، وكان اسمه بولس. وقرَّر أن يصير راهباً. بعدما أقام في الحياة الهدوءية في قلاية، أسلم ذاته إلى الأتعاب والنسك بغيرة عالية جداً.

وحين رآه الشيطان مجاهداً على تلك الشاكلة، بدأ يظهر له بهيئة ملاك ويُظهر له الحوادث ويهزأ به. وحين وجد بأنه جعله أداة مطواعةً بيده قال له: إنَّ المسيح يا أخي قد أحبَّ حياتك المقدسة بشكلٍ يفوق الحدَّ وسيأتي غدًا لزيارتك ويمنحك موهبةً. فأخرج خارجاً كي تسجد له.

وفعلاً، في اليوم التالي، خرج الراهب من قلايته فوجد أمامه حشداً من حاملي المصابيح وعجلاً نارية في وسطها شاهدٌ شخصاً اعتقدَ بأنه المسيح. هيأ ذاته كي يحني رأسه ويسجد. ولكن في اللحظة ذاتها ظهرت يدٌ وصففته بقوةٍ حتى أنها رمته إلى الورا.

وحين نهضَ لم يشاهد لا ملائكة ولا عجلة نارية. كان كل شيء قد اختفى. وعندها فهم حيلة الشيطان ومكث في ذلك المكان يومين بلياليهما يبكي ويقول لنفسه: "الويل لي! أخطأتُ وخسرتُ جميع أتعابي. لستُ أعرف ماذا يجب أن أفعل".

وفي نهاية الأمر قرر أن يذهب إلى ثيفاذا الجنوبية إلى حقلٍ كان يسكن فيه منذ سنين طويلة أحد النساك الشيوخ. وجثا أمامه وروى له ما وقع له وقال له باكياً: أخطأتُ أيها الشيخ، سامحني وصلِّ لأجلي.



وبعدما ويّخه ذاك أولاً ، قال له بمودّة: لكي تتعلم إحدى الحِرَفِ ينبغي عليك أن تعثر على الحِرَفِ المناسب. ولكنك ذهبت ونسكت وحدك دون أن تفضي بأفكارك إلى أحد. ولو لم يساعدك اللهُ ويمينُ ملائِكَ الحارس لكنتَ قد سجدتَ للشيطان وفقدتَ عقلك وكنتَ تطوف الآن على المدن مثل المسوسين. ولكن فلتشكرِ الربَّ الذي أشفق عليك واذهب كي تعيش في ديارِ شركة.

## تواضعُ الناسك

عاش وقتاً ما في طيبا راهباً في عدمِ قنينةٍ كبير، صومٍ قاسٍ، سهرٍ وصلاةٍ. انقضت سنواتٌ كثيرة وبلغ الناسكُ قامةً كبيرة في الفضيلة.

ولكنَّ الشيطانَ كان يحسده على هذا الأمر ويريد أن يلقيه في الكبرياء. بدأ يلقي في ذهنه أفكاراً شريرة ويقول له: إنَّ نسكك الآن عالي الشأن بحيث لا يستطيع أن يبلغه شخصٌ آخر سواك. والآن ينبغي أن تجترح عجائب. بهذه الطريقة ستصبح أنت أكثر تقدماً والعالمُ الذي سيرى معجزاتك سوف ينتفع ويمجدُ اللهُ. فهياً اطلب إلى الرب أن يمنحك القوة على اجتراح العجائب. إنه ذاته يقول:

"اطلبوا يُعطى لكم".

استمع الناسكُ للنصيحة الشيطانية وياشَرَ صلاةً لوجوةً. ولكنَّ الله الذي كان يعرف جهاداته النسكية لم يترك عبدهَ فأناره كي يزور ناسكاً يتحلَّى بالتمييز ويسترشد برأيه.

فمضى في طريقٍ إلى الناسك وبينما هو يدخل إلى قلايةِ الناسك، شاهد هذا الأخيرُ قردين يجلسان على كتفي زائرهِ. كانا قد ربطا عنقه بسلاسل وكان كلُّ واحد منهما يسحبه باتجاهه.

فهمَّ الناسك المتحلَّى بالتمييز حالاً أنَّ الشيطان الأول كان شيطانَ المجد الباطل والثاني كان شيطانَ الكبرياء. ولدى مشاهدته للمنظر المخيف تنهَّدَ ودمعت عيناه. وبعدما تبادلَا قبلةَ السلام قال له الناسك الضيفُ:

- يا أبتِ أرشدني كيف أخلصُ.

- وهل ستعمل كلما أقوله لك؟

- أوكدُ لك بأنني سأسمعه كما لو كان من فم

ملاك.

- إذن اسمعني: خُذ هذه النقود واذهب إلى السوق

كي تشتري عشر خبزات وبعض التبيذ واللحم. وستحضر

هذه الأشياء كلها إلى هنا.

حزن الناسك الضيف لدى سماعه هذه الوصية ولكنه كان قد أعطى وعداً ولهذا مضى بخجلٍ ودموع إلى المدينة. وبعدما اشترى الأطعمة مضى وأعطاهم للناسك صاحب التمييز. فأمره بأن يأخذها إلى قلايته ويأكل كلَّ يومٍ منها وأن يرجع بعد عشرة أيام إليه.

مضى الناسك حزيناَ لأنَّ صومه القاسي سيتلاشى وذهب إلى قلايته. وهناك كان يأكل من تلك الأطعمة وهو يتألم ويبكي ويتهدُّ.

ولما انتهى هذا القانون عاد منسحقاً متواضعاً إلى الناسك صاحب التمييز. ولما رآه هذا الأخير فرح فرحاً لا يُوصَف لأنَّ الشيطانين لم يكونا جالسين على كتفيه. كان تواضعه العميق قد طردهما. وعندها قال له الشيخ: يا بنيّ، إنَّ الله لم يترك العدوَّ ينتصر عليك ويدمرك بالكلية. الشيطان في العادة يدفع المجاهد إلى القيام بمبالمفات نسكية حين لا يفلح في قطعه عن جهاده. وهو يقوم بهذا ليلقيه في العجرفة. فلتجنّب الأمور المبالغ فيها إذاً وتلتزم "الطريق الملوكية"<sup>1</sup> دوماً.

---

١- أي الاعتدال في كلِّ الأمور.

وفي نهاية الأمر، تناولوا الطعام سوية ثم أطلقه الناسكُ صاحبُ التمييز ليعود إلى قلايته.

## البار بطرس الآثوسي

عاش البار بطرس في إحدى مغاور جبل آثوس في القرن الثامن الميلادي. وُلِدَ في القسطنطينية. بعد مغامرة عسكرية التجأ إلى روما حيث صار راهباً وبعد ذلك مضى إلى جبل آثوس.

المغارة التي اختارها لينسك فيها كانت عميقة ومظلمة وتحيط بها الأشجارُ من كلِّ النواحي. كان هناك عقارب وأفاعي في تلك الناحية وجمعٌ كبير من الشياطين. حالما شاهدَ الشيطانُ القديسَ استشاط غضباً وأهاج جميعَ الشياطين عليه. فبدأ بعضها يرميه بالسهام وبعضها الآخر بالرماح. والشياطين الباقية كانت تدحرج أحجاراً خارج المغارة وتصرخ: اخرج حالاً من مسكننا وإلا فسوف نقتلك.

وأما القديسُ بطرسُ فلما كان قد وضع رجاءه في الله، خرج خارجاً وشاهدَ شياطين لا عدَّ لها جاهزة كي تمزِّقه إرباً. فرفع عينيه نحو السماء وتضرَّع بصوتٍ قويٍّ

إلى والدة الإله الفاتقة القداسة. وحالما سمعت الشياطينُ  
اسم الفاتقة القداسة اختفت. وبهذه الطريقة من بعد رفع  
شُكْرِ حَارٍ بدأ البارُّ جهاده الحَسَنَ ثانيةً.

مضى بعض الوقت على هذا الأمر. وذات يومٍ دخلت  
الشياطين إلى مغارته على هيئة زواحف ووحوشٍ. هجمت  
الوحوش على البار كي تقتله في حين أن الأفاعي والتنانين  
هجمت كي تبتلعه. ولكنه أخزاها برسم الصليب المقدس  
واسم المسيح ووالدة الإله.

وبعد عامٍ من حصول ذلك، اخترع الشيطان الحيلة  
التالية: اتَّخَذَ هيئةَ شابٍ من أقارب القديس ومن بعدما  
احتضنه وقبله أخذ يقول له وهو يبكي: سمعنا من  
كثيرين أيها الأب المكرّم عن مغامرتك وصعودك إلى  
روما. ولهذا بكينا نحن أقاربك جميعاً على ضياعك. وأمّا  
أنا فكان قلبي يحترق أكثر من الجميع. كنتُ أودُّ أن  
أراك بأمّ عيني وأسمع أقوالك الحكيمة. ولهذا السبب  
مشيتُ مجتازاً مدناً وبلداناً. وفتّشتُ عنك في كل مكان  
مقفرٍ ولكنني لم أعرث عليك في أيّ مكان. وعندها لجأتُ  
إلى القديس نيقولاوس وتوسّلتُ إليه قائلاً: أيها القديس  
نيقولاوس أنت الذي أحسنتَ إلى كثيرين ولا تزالُ تُحسِنُ

ساعدنا نحنُ أيضاً". وفعلاً ساعدني القديس وعثرتُ عليك.  
والآن الشيء الوحيد الباقي هو أن تستمعني ونعود إلى  
البيت فيفرح أهلك ويتمجد اسم الله. أمّا بالنسبة إلى الهدوء  
فلا تقلق إذ يوجد هناك أديرة ومناسك كثيرة. قل لي أيُّ  
شيء يريح الله أكثر؟ أن تطوف بين الصخور لكي  
تخلصَ وحدك أو أن تفيد العالمَ روحياً؟ إذا خلّصتَ نفساً  
ما فستفوق أتعابَ النسّاك وسيتحقق فيك قول إرميا النبي:  
"إذا أخرجتَ كريماً من حقيرٍ فستكون كفمي". فلماذا  
تنتظر ولا ترجع معي أنا الذي أحبُّك من نفسي وأنصحُك  
بأمور جيدة؟

كان الشيطان يتفوّه بهذه الأقوال في حين أن القديس  
بدأ يضطرب وينكمشُ على ذاته. حزنَ كثيراً حتى أنه  
استسلم إلى النحيب. ولكنه بعد قليل عاد إلى ذاته قليلاً  
وقال: فلتعلم جيداً بأنّ الرب نفسه ووالدة الإله هما اللذان  
أحضراني إلى هذا المكان، ولن أغانر هذا المكان إذا لم  
تكن هذه مشيئتهما.

حالما سمع الشيطانُ اسم والدة الإله اختفى. تعجّب  
القديسُ من الشرِّ الشيطاني ورسم إشارة الصليب على  
ذاته. وواصل جهادَه الروحي بتواضع وخشوع.

انقضت على هذه الحادثة سبعة أعوام. ولم يهدأ الشيطان. وذات يوم اتَّخَذَ شكلَ ملاكِ الربِّ وكان يحمل بيده سيفاً مجرداً واقترب إلى المغارة. وصرخ للبار قائلاً:

- أيها الأب، يا خادمَ المسيح الأصيل. اخرجُ خارجاً كي تسمع أسراراً إلهيةً وأقوالَ خلاصٍ.  
- ومن أنت؟

- أنا رئيس ملائكة الرب وقد أرسلني لأخبرك أخباراً حسنةً. افرح لأنه قد تهيأ لك عرشٌ إلهي وإكليلٌ لا يفنى. والآن غادر هذا المكان واذهب إلى العالم كي تفيد النفوس البشرية.

- ومن أكون أنا حتى يأتي إليّ ملاكُ الربِّ؟  
- لا تتعجب فإنك قد فقت الآباء القدماء ودعي اسمك قديسٌ عظيمٌ في السماء من أجل صبرك الكامل. لقد فقت إيليا النبي في النقاوة، ودانيال في السكنى مع الزواحف القاتلة، وأيوب في الصبر الشجاع. اخرج إذاً من هذا المكان وامض إلى أديرة العالم. سوف أكون معك كي ينتفع منك كثيرون. هذا ما يأمرُ به الضابطُ الكلّ.  
- بالنسبة لي إذا لم تأتِ السيدةُ والدة الإله والقديسُ نيقولاوس مُعيني فلن أغير هذا المكان.

حالما سمع الشيطانُ اسمَ والدةِ الإلهِ الفاتكةِ القداسةِ  
اختفى، في حين أن القديس بطرس اختبرَ هذا المرة أيضاً  
هجوماً آخر للعدوِّ وضعفه. وبعد ذلك، شكرَ الله وتابع  
إقامته في مغارته ينسك في الهدوء.

في تلك الليلة نال القديسُ بطرسُ تعزيةً إلهيةً. جاءت  
السيدة والدة الإلهِ والقديس نيقولاوس إليه في نومه. وقالت  
له السيدة والدة الإلهِ: يا بطرس، منذ الآن فصاعداً لا  
تخفِ الحيلَ الشيطانيةَ لأنَّ الله سيكون معك. منذ يوم غد  
سيُحضِرُ لك الطعامَ ملائكةٌ. هذا ما أمره به الربُّ.

منذ ذلك الحين اختفت الخيالات الشيطانية. في تلك  
الفترة لم يكن القديس يرى حتى بشراً. ولم يكن يأكل  
شيئاً إلاَّ المنَّ السماوي الذي كان يسقط كالندى وبعد  
ذلك يصير كمثل العسل.

لم يكن القديس يرتدي ثياباً بل كان عارياً بكلَّيته  
مثلما ولدته أمُّه. ولم يكن لديه أغطية ما ليتدثر بها.  
كانت السماء غطاءً والأرض مفرشاً له. وبصبره الفائق  
البشر على أتعاب حياةٍ قاسية بهذا الشكل صار مثلاً  
للناسك الكامل بالنسبة من عاشوا في النسك.



حين أرادَ اللهُ أن يُظهِرَ سِيرَةَ البارِّ للناسِ دَبْرَ أن يزورَ  
مغارتهِ أحدُ الصيَّادين. أصاب الصيَّادُ ظبياً جميلاً جداً  
وكبيراً. ووجدَ الظبيَ في مغارةِ القديسِ ملجأً من الصيادِ  
الذي يلحقُ به.

حالما شاهدَ الصيَّادُ القديسَ بطرسَ عاريّاً، أبيضَ  
البشرةِ وطويلَ اللحيةِ اضطربَ. اعتقدَ بأنه يشاهدُ خيالاً  
شيطانياً. لكنَّ البارَّ رحَّبَ به وروى له سيرةَ حياته المليئةِ  
بالتجاربِ كلها.

في السنةِ التاليةِ قامَ الصيَّادُ بزيارةِ البارِّ مرةً ثانيةً  
ولكنه عثرَ عليه ميتاً. وكان الصيادُ قد أحضرَ أخاه معه  
وكان هذا معدّباً من الشيطان. وحالما اقتربَ إلى رفاتِ  
القديسِ بدأ يرغى ويصرفُ بأسنانه. وبدأ يصرخُ قائلاً: آخ  
يا بطرسَ العاريِ الجسمِ والقدمين! ألم تكفيكَ السنون  
الثلاثُ والخمسون التي كنتُ فيها مطروداً من مسكني  
وبعيداً عن رفاقي والآن تريدُ أن تُخرِجني من هذا الإنسانِ  
الذي أقيم فيه منذ زمنٍ طويلٍ؟ هذه المرةُ لن أستمعَ لك  
لأنك ميت.

وفجأةً سطعتِ الرفاتُ بالنورِ وسقطَ الممسوسُ

بالشيطان أرضاً يتخبّطُ. ثم خرج الشيطانُ من فم الرجل  
مثل الدخان وتركه فاقدَ الوعي مطروحاً فوق الأرض. وفي  
نهاية الأمر نهض الرجلُ بنعمة القديس صحيحاً معافىً.  
وهكذا انتصر القديس بطرس حتى وهو ميت على  
الشيطان الذي كان قد حاربه كثيراً طوال حياته  
النسكية.

### سقوط أحد الأبرار وتقويمه

كان البار إسحاق يوس الحبيس (ق ١١م) في حين  
حياته في العالم يزاول مهنة التجارة وكان قد اكتسب من  
وراء عمله ثروة كبيرة جداً. ولكن في إحدى المرات أخذ  
يتأمل في بطلان الدنيويات وقرّر بالنتيجة أن يتكرّس  
بكليته للربّ. فوزّع ثروته كلّها على الفقراء ومضى إلى  
مغارة القديس أنطونيوس الكييفي (١٠٧٣م) مؤسس دير  
مغاور كييف. وطلب من القديس أنطونيوس أن يقبله  
كتلميذ له. والبار بعدما اختبر محبته لله وغيرته من أجل  
الحياة الرهبانية قام بتصويره راهباً.

منذ ذلك الحين بدأ البار إسحاق يوس وهو مضطّرم  
بالعشق الإلهي يزاول حياة نسكية قاسية. وببركة شيخه

أغلق على نفسه في أعماق مغارة، في أكثر القلايات عمقاً وأقلها تهوية. وإذا أراد أن يعدّب جسده، خلع الرداء الشعري وارتدى جلد معز غير مدبوغ. وعندما بنى فتحة لمغارته تحت الأرض أسلم ذاته بين يديّ الله. كان يصلي للرب بلا انقطاع ذارفاً الدموع من دون أن يعلم هل الوقت نهار أو ليل. لم يكن لديه فراش ولم يستلق أبداً لينام كما يستلقي البشر للنوم. كان ينام ساعات قليلة جداً جالساً على كرسي صغير. وكان يأكل كل يومين مرة واحدة بعض قطع من خبز التقدمة ويشرب قليلاً من الماء اللذين كان يحضرهما له القديس أنطونيوس الكييفي بذاته، الذي كان يتبادل معه بعض الأحاديث. كان البار أنطونيوس يعطيه الطعام من فتحة صغيرة بالكاد كانت تكفي كي تمرّ منه يدُ إنسانٍ.

عاش البار إسحاق قوس سبعة أعوام بهذا النسك القاسي. ولكن ويل!! لم يبق قلبه نقياً تماماً من المجد الباطل. كانت هناك آثار لهذا الهوى الشيطاني تلوّث ضميره، وبهذا الشكل حلّت به مصيبة كبيرة.

ذات ليلة، بينما كان البار يقوم بسجداته المعتادة ويتلو مزامير منتصف الليل، شعر بتعب كبير وأحس بأن

قواه خارت. أطفأ الشمعة وجلس ليرتاح.  
وفجأة! إذا بظلمة قلايته تتحلُّ. أثار "نورٌ ساطع!"  
ما كان ذاك النور؟  
كان نوراً قوياً وساطعاً كالشمس!  
اضطربَّ البار أن يفلق عينيه. وفي اللحظة ذاتها ظهرَ  
أمامه شابان فائقا الجمال بوجهين بهيَّين، وقالا للبار: يا  
إسحاقِوس نحن ملائكة أتينا كي نبشرك بأنَّ المسيح  
سوف يأتي إليك برفقة ملائكة سماويين آخرين.  
رفع البارُ عينيه بصعوبةٍ فماذا شاهد؟ جمعاً من  
الشياطين تعبر أمامه بهيئة ملائكة ووجوهها تسطع  
بالنور، وبينها كان هناك شخصٌ يسطع بالنور أكثر من  
الباقيين. أمرت الشياطينُ إسحاقِوسَ قائلةً: يا إسحاقِوس.  
هوذا المسيح. اسجد له.  
ولما كان إسحاقِوس غير قادرٍ أن يميّزَ الحيلة  
الشيطانية نسيَ أن يطلب معونة الرب أو أن يرسم إشارة  
الصليب. فجثا وسجد أمام الشيطان معتقداً بأنه يسجد  
للمسيح.  
وفي اللحظة ذاتها أخذت الشياطين تصرخ صرخات

الظفر قائلة: أنت مُلكٌ لنا يا إسحاق يوس أنت مُلكٌ لنا. ثم  
اختطفت الشياطين البارَ وأجلسته أرضاً وتحلقت حوله.  
امتلات القلاية بالشياطين. وعندها أمرَ المسيحُ المزعوم  
البقية قائلاً: أمسكوا الآلات الموسيقية والطبول واعزفوا  
لنا معيدين وليرقص لنا إسحاق يوس.

ظهرت عندها شياطينٌ لا عدُّ لها حاملةً آلات  
موسيقية وبدأت تعزف موسيقا مليئة بالاضطراب،  
شيطانية بكل معنى الكلمة. وفي اللحظة ذاتها أنهضَ  
بعضُ الشياطين إسحاق يوسَ وأجبروه أن يرقص معهم على  
أنغام اللحن الموسيقيّ المجنون. دام ذلك الرقص ساعات  
طويلة. واستمر استهزاء الشياطين بالبار ساعات طويلة  
أيضاً. وعندما لعبت به الشياطين على هذا المنوال طرحته  
أرضاً ورحلت.

كان الصباح قد أذِفَ. جاء البار أنطونيوس إلى  
شباك قلاية البار إسحاق يوس محضراً معه بحسب عاداته  
خبزَ التقديمة وماءً. ونادى بصوتٍ منخفض: بارك أيها الأب  
إسحاق يوس. ولكنه لم يسمع جواباً. فقال بصوتٍ أقوى:  
بارك أيها الأب إسحاق يوس. صمتٌ مطبق. كرّر أنطونيوس

النداء عدة مرات، ولكن لم يصدر عن القلاية أيُّ صوتٍ.  
قام البار أنطونيوس بإخبار الآباء في الدير فجاء  
بعضهم وفتحوا باب المغارة عنوةً وسحبوا البار خارجها  
معتقدين بأنه ميت. ولكن حين وضعوه خارجاً وجدوا بأنه  
كان لا يزال على قيد الحياة. بالكاد كان يتنفس. كان  
جسمه متيبساً غير قادرٍ أن يقوم بأيّة حركةٍ، وكان فمه  
نصفاً مفتوح. كانت عيناه مفتوحتين ونظرته ثابتة بلا  
حرك.

لم يطل الأمر بالبار أنطونيوس حتى عرف أن الراهب  
الحبيس كان قد تعرّض لهجومٍ شيطانيٍّ. ومنذ تلك اللحظة  
أخذه إلى قلايته الرهبانية وصار يخدمه بتعبٍ جزيل.  
وعندما اضطرَّ أن يرحل من كيبف، قام بتعهدٍ مهمة  
العناية به للقديسُ ثيودوسيوس والآباء الآخرون. أخذوه إلى  
دير المغاور وكانوا يجاهدون ليلاً ونهاراً كي يعيدوه إلى  
وعيه.

كان إسحاق يوس البائس فعلاً في حالةٍ مزرية. كان  
مُحلاً نفسياً وجسدياً، أصمّ وأبكم، ولم يكن فقط غير  
قادرٍ على النهوض من فراشه بل وحتى غير قادرٍ أن يتقلب

فوق فراشه لوحده. كان مستلقياً بلا حراك على فراشه طيلة الوقت، إلى أن امتلأ جسمه جروحاً وضرته الديدان. ولئن كان القديس ثيودوسيوس ينظّفه بمحبةٍ وبلا تعبٍ كلّ يوم. ولئن كان الإخوة يغسلونه كل يوم، لم يكن باستطاعته أن يتناول الطعام. وبآلاف الصعوبات كان باستطاعتهم أن يضعوا في فمه نصف المفتوح بعض الطعام الرخو فيقوم بابتلاعه بصعوبةٍ بالغة.

استمرت هذه الحالة عامين. كان القديس ثيودوسيوس يصلّي يومياً لإسحاق يوس متضرّعاً إلى الإله الكثير التحنُّن أن يشفق على عبده وينجّيه من تسلُّط الشياطين.

وفي السنة الثالثة لأتعبه أعطت صلواته ثمارها الأولى. بدأ إسحاق يوس شيئاً فشيئاً يُبدي علامات التحسُّن ويتواصل مع محيطه. ولكن كانت هناك حاجة لانقضاء عامين آخرين إلى أن يعي ذاته تماماً ويتحرَّر من سلاسل الشيطان.

كان رئيس دير المغاور في تلك الآونة القديس استفانوس (١٠٩٤م). ببركةٍ منه أسلمَ البار إسحاق يوس

ذاته إلى نسيكٍ قاسٍ ولكن هذه المرة ليس في القلاية المظلمة ، متوحِّداً خلواً من إنسانٍ ، بل في الدير محروساً بحضور الإخوة ودعمهم. وسرعان ما ربح المعركة. بعد تجربة ضحك الشياطين عليه صار بنعمة الله هو يضحك عليها.

كانت الأرواح الشريرة تظهر مرات كثيرة وتحاول إخافته صارخةً: أنت مُلكٌ لنا يا إسحاقْيوس ، أنت مُلكٌ لنا لأنك سجدتَ لرئيسنا. فكان ذلك يجيئها بشجاعةٍ قائلاً: رئيسُكم هو بعلزبول الذي لا يمتلك قوة أكثر من قوة ذبابةٍ. ولهذا لستُ أخشاه. كما أنني لا أخشاكم أنتم عبيد الذباب. لقد غلبتموني مرةً لأنني لم أكن أعرف ألعبيكم الشريرة. وأمّا الآن ، فبقوّة ربّي يسوع المسيح وصلوات قديسينا لن تتصروا عليّ. سوف تغلبون وتنهزمون مثل الذباب.

ولدى تفوُّهه بهذه الأقوال كان القديس يرسم إشارة الصليب على جسمه ويطرده الشياطين التي كانت ترحل وهي تتبع مثل الكلاب المجروحة. ولكنها لم تكن تستسلم بل ترجع بالشرِّ ذاته وبوحشية أكثر.



كانت الشياطين تجتمع في الليل خارج قلالية القديس وتخلق ضجيجاً مرعباً. كانت تصدر أصواتاً كأصوات الخنازير، تهدر، تضرب أدواتٍ حديديةً وتتهدده وتصرخ قائلةً: يا إسحاققيوس سوف نهدم قلالتك وسندفك حياً.

في بعض المرات كانت تتخذ شكل حيوانات متوحشة مثل الدببة، ذئاب وأسود وحيوانات أخرى وتهجم عليه مريدة تمزيقه إرباً. أحياناً كانت تهجم عليه بشكل أفاعي، جردان، وغير ذلك من الدبابات وهي تصفر عليه. ولكن في سائر الحالات كانت الخيالات الشيطانية تحلُّ باستدعاء اسم المسيح ورسم علامة الصليب الكريم. وكانت الأرواح الشريرة تنهزم مخزبةً وهي تصرخ قائلةً: آه يا إسحاققيوس لقد هزمتنا، لقد هزمتنا!

وكان القديس يجيبها قائلاً: لم أهزمكم أنا بل ربِّي الفائق القدرة. لقد هزمتموني أنا حين ظهرتم لي بهيئة الملائكة والربِّ. ولكن الآن! أنتم الآن تظهرون مثلما يناسبكم بهيئة حيوانات نجسة بما أنكم أنتم أيضاً أنجاس.

ومن بعد هزائم متعددة، استسلمت الشياطينُ

الكلية الشرّ مغلوبةً كلياً من نعمة الله التي كانت تستريح في عبده المجاهد الحامل الروح، ولم تجرؤ مرة ثانية على إزعاج القديس.

كانت نهاية حياة إسحاق يوس المغبوط الأرضية مقدّسةً. يستريح جسده المتقدّس حتى أيامنا هذه في القبو الذي توجد فيه رفات النساك المتقدّسين في لافرا مغاور كيبف.

## مواهب الشيطان

القديس الروسي نيكيتاس الحبيس أسقف نوفغورد (١١٠٩م) كان الأخ الأصغر للبار نيكن (١٠٨٨م) ومتوحّداً معه في لافرا مغاور كيبف. حين صار نيكن رئيساً للدير، بدأ نيكيتاس يطلب منه بإصرار قائلاً: أيها الشيخ امنحني البركة أن أصير متوحّداً. فكان ذلك يجيبه:

- يا بنيّ. لن ينفعك هذا الأمر. أنت راهبٌ شابٌ. وهذا الموضوع يفوق قدرتك، أي أن تحبس ذاتك في قلابة وتستسلم لصلاة متواصلة. من الأكثر أماناً بالنسبة إليك أن تسكن مع بقية الإخوة وتجاهد معهم بتواضع وطاعة. وبخلاف هذا أنت تُعرّضُ نفسك لخطر الضلال على يد

الشياطين.

- كلا أبدأُ أيها الشيخ. لن أزيل. كان نيكيتاس  
يجيبُ بثقة بالنفس.

- أنا أنذرك بأنك إذا فعلتَ مشيئتك فأنت تعرّض  
نفسك للخطر. إنني أخشى أن رغبتك هذه تحمل في طياتها  
مجداً باطلاً. فليُترك اللهُ.

ولكن نيكيتاس لم يُصغِ لرئيس الدير. فأغلق على  
ذاته في قلايته وبقي هناك وحده مستسلماً لصلاةٍ غير  
منقطعة. طلب فقط أن يُحضروا له بعض الطعام كلَّ يوم.  
وأما البار نيكُنْ فأخذ بخشيةٍ ينتظر نتائج معصية أخيه.

بعد انقضاء عدة أيام على إغلاق نيكيتاس على  
ذاته، سمع صوتاً بجانبه وكأنه كان صوتَ شخصٍ يصلي  
معه. وفي الوقت ذاته شعر برائحةٍ طيبٍ جميلة تعبق في  
قلايته. كان الشيطان قد نصب شراكه فوق الراهب  
المحارب في الفخ مباشرةً.

فكّر نيكيتاس في داخله وهو يشعرُ بنوعٍ من  
التطايير بالفرح في قلبه قائلاً: لا بدّ أنه ملاك. لو لم يكن  
ملاكاً لما كان سيصليّ معي ولا كانت هناك رائحة

طيب بما أن الشياطين كرهية الرائحة. وبالتالي امتلأت  
قلابتي بطيب الروح القدس. كان الشقي يفكر بهذه  
الأمر وبعد ذلك أخذ يصلي قائلاً: يا رب أظهر ذاتك كي  
أراك بعيني.

فسمع حينها صوتاً يقول له:

- ينبغي ألا أظهر لك لأنك لا تزال شاباً. سوف تصاب  
بالكبرياء وتسقط في الضلال.

- كلا يا رب! لن أضل أبداً لأن شياخي هو الذي  
يرشدني كي أتجنب فخاخ الشيطان. كل ما تقوله لي يا  
رب سوف أفعله.

- يا نيكيتاس أنت لا تقدر أن تراني. لا يقدر إنسان  
أن يرى وجهي ويعيش. ها إنني أرسل لك ملاكي الذي  
سيقيم معك. اصنع كلما يقوله لك.

وللحال ظهر أمامه شيطاناً بهيئة ملاك. وإذا ضل  
نيكيتاس تماماً جثا وسجد أمامه كمرسل من الله. فقال  
له ذلك: يا نيكيتاس. من الآن فصاعداً لست بحاجة أن  
تصلي. سوف أصلي أنا بدلاً منك. أنت عليك فقط أن تطالع  
الكتب وتعطي الإرشادات للذين سيرسلهم الله إليك. سوف

تصير مرشداً عظيماً للنفوس ومُخلصاً للبشر.

استمع الحبيسُ بشكلٍ أعمى للوصايا الشيطانية. توقّف عن صلاته وبدأ المطالعة. كان يرى الملاك المزعوم يقف باستمرار مصلياً ويفرح معتقداً بأنه كان يبتهل إلى الله من أجل خلاصه.

منذ ذلك الحين بدأ يقبل الزائرين في قلايته ويتحدث معهم بلا انقطاع عن الكتاب المقدس، عن الإيمان ونفع النفس. وسرعان ما اكتسب شهرةً شخصٍ راءٍ وموهوب. كان الجميع معجبين به. أين لهم أن يتخيّلوا بأن مواهبه الفائقة الطبيعة كانت تأتي من الشيطان وليس من الله!

بلغت شهرةً نيكيتاس ذروتها حين أرسل إلى الأمير إيزياسلاف الملاحظة التالية: "اليوم قُتل في مدينة زافوليتش غلمب سفياتوسلافيتش أميرُ نوفغورد. أرسل سريعاً ابنك سفياتوبولك لكي يأخذ عرش نوفغورد". وبعد عدة أيام جاء الخبر الذي يحمل نبأ مقتل الأمير غلمب. وكذلك تمكّن سفياتوبولك من السيطرة على عرش نوفغورد. ومن حينها صار نيكيتاس محترماً ومرهوباً لدى الأمراء والإقطاعيين وسائر الشعب بسبب قوّته "النبوية".

ولكنَّ نيكنَ رئيسِ الديرِ كان متحفّظاً وبدأ كما  
لو أنه ينتظر حصول شيء ما. وعلمَ أنَّ نيكيتاس كان  
يعرف العهد القديم بكامله تقريباً بدون أن يعرف العهد  
الجديد أبداً ولم يكن يقرأه أو يتحدث عنه مطلقاً ولم  
يرغب أبداً أن يُتار أيُّ حديث عنه. فلم يتأخّر رئيسُ الدير  
أن يعرف أنَّ شقيقه الحبيس قد وقع في ضلالةٍ شيطانية  
وقرّر أن يتدخّل.

ذات يومٍ مضى رئيسُ الدير برفقة بعض الإخوة إلى  
قلاية نيكيتاس وفتحوا بابها عنوةً. وعندها اهتاج الحبيسُ  
بفعلِ الشيطان المتسلّطِ عليه وصار كالوحش الهائج وبدأ  
يصرخ ويضرب ويهدّدُ بينما كان الرهبان يمسكون به  
ورئيسُ الدير يقرأ عليه أفاشين الاستقسام كي ينجو من  
الشيطان.

وفي نهاية الأمر خرج الشيطانُ وعاد الأُخ إلى وعيه.  
والأمر العجيب أنه لم يكن يتذكّر شيئاً من العهد القديم.  
حتى أنه نسي معرفة القراءة والكتابة فاضطرّ الآباء أن  
يعلموه من جديد كيف يقرأ ويكتب كما لو كان طفلاً  
صغيراً.

حين فهمَ نيكيتاس ما حصلَ له ، جثا تائباً وطلب  
المغفرةَ والمسامحة من رئيس الدير على عصيانه وكبريائه  
اللذين ألقيا به بين يديّ الشرير.

ومنذ ذاك الحين أسلمَ ذاته بانسحاق إلى طاعة الحياة  
الديرية وأبدى نكران ذاتٍ كبير بحيث فاقَ الإخوة جميعاً  
في الفضيلة. قيلَ الربُّ توبته العميقة وأهله أن يصير أسقفاً  
لمدينة نوفغورد عام ١٠٩٦م. وكرمه أيضاً بموهبة صنع  
العجائب فكان يساعد قطيع المسيح ويرعاه ممجّداً اسمَ  
الله على هذا المنوال.

## القدّاسُ الكاذبُ

كان البار كيرلس الفليوتي (١١١١م) قد أكمل  
عامه الثالث والتسعين وطلعتُه البارة تزداد سطوعاً بالنعمة  
الإلهية. وكان ديرهُ، الواقع خارج قرية فيليا بالقرب من  
القسطنطينية، قد صار مركزَ جذبٍ لحشدٍ من الرهبان  
والعلمانيين. حتى أنّ الإمبراطور الكسسيوس الأول  
كومنينوس (١٠٨١-١١١٨م) كان قد زاره بشكْلٍ  
متكرّر برفقة عائلته لينال بركته ويتمتع بأقواله الملهمة  
من الله.

عندما رأى الشيطانُ عبدَ الله المختارَ يسطع  
بالفضيلة، ولأنه توقَّعَ نهايةَ حياته البارة، أذابه حسدهُ  
واخترعَ المحتالُ مخططاً مبتكراً كي يُوقعَ القديسَ فيه.

بينما كان البارُّ في فراشه، حيث كانت عادة  
الشيخ القليل الحركة أن يكون خلال سني حياته  
الأخيرة، ظهرَ الشيطانُ له بهيئةَ يوحنا سيباستوس ابنِ أخِ  
الإمبراطور. كان يوحنا يكنُّ تقوىً خاصاً للبار كيرللس  
وكثيراً ما كان يزوره طلباً لبركته ونصائحه. وقال له:  
- بارك أيُّها الشيخ.

- فليباركك الربُّ يا بني. اجلس كي أراك قليلاً.

ادلهمَ فكرُ البار منذ تبادلته الكلمات الأولى مع  
الشيطان. وبينما كان يستمر في الحديث مع يوحنا المزيف  
كان هناك ضباب مظلّم يغطّي ذهنَه ملقياً إياه في تشويشٍ.  
وفي سياق الحديث قال الشيطان للبار:

- تعلمُ أيُّها الشيخ محبتي واحترامي. كان بودّي أن  
أطلب معروفاً من قداستك. عندي توقُّ كبير أن نقيم  
قداساً إلهياً هنا في قلايتك المتواضعة. ووبركتك أن أتناول  
الأسرار الطاهرة. فأرجوك لا تحرمني هذه البركة.



- حسناً. فليكن. اعمل ما تراه مناسباً، قال القديس

دون أن يعي ما كان يقوله وهو في حالة المشوش ذلك.

وللحال إذا به يرى بعينيه سطح القلاية يختفي  
والمكان يصبح أوسع بشكل يفوق العادة. وفي الوقت ذاته  
أظهرَ الشيطانُ أمامه مائدةً مقدّسة، مذبحاً، أواني  
مقدّسة، أغطيةً، خبزاً للتقدمة، نبيذاً، شموعاً وبخوراً،  
وكلّ الأشياء الضرورية لإقامة قداسٍ إلهي. ومن إحدى  
الزوايا وقف خدامه المظلّمون بشكلٍ كهنةٍ، شمامسةٍ  
ومرتلين. واجتمع في المكان عدد لا بأس به من أصدقاء  
يوحنا. كان كلُّ شيءٍ جاهزاً من أجل الخدمة الليتورجية.  
بصعوبةٍ كبيرةٍ وقفَ البارُّ كيرللس على قدميه.  
وكان يتابع "الخدمة" من إحدى الزوايا بانتباهٍ محكم. في  
البداية حصل نقل التقدمة وبعد ذلك بدأت الخدمة.

كان الشيخُ يشاهدُ الحركات الليتورجية بوضوحٍ  
وهي تحصل وفقاً للترتيب المعهود. وكان يسمع صلوات  
الكهنة، وطلبات الشمامسة، وترتيل المرتلين. وكان كلُّ  
شيءٍ مسموعاً بتشويش. لم يفهم الرسالة والإنجيل اللذين  
تُلياً. الشيء الوحيد الذي سمعه بوضوحٍ هو كلمة أمين و

"تقدّموا" اللتين تقوّه بهما الكاهن الكاذب وكأنّ وقت المناولة قد حانَ. وعندها دنا سيباستوس الكاذب وتناول. وقام رفاقه بالشيء ذاته.

فكرَ القديسُ أن يقترب هو أيضاً لأنه لم يكن قد تناول منذ بعض الوقت. ولكنّ شيئاً ما أعاقه. فكّر في نفسه قائلاً: من أنا غير المستحق الذي أتجاسر فأتناول؟ إذا كانت مشيئة الله أن أتناول سيقول لي سيباستوس هذا.

كان هذا الفكر المتواضع هو الذي أنقذ نهاية الناسك البار. لم يسمح الله الكثير الرحمة أن "يتناول" كي لا يفقد بالكلية عقله ومع عقله يخسر أيضاً كل أتعابه النسكية وخلاصه الأبدي.

انتهى القداس الكاذب. ورحل الكهنة، الشمامسة، والموجودون في القلاية مع سيباستوس. جلس الشيخ البار المتعب من الوقوف وهو مشوّش الضمير وقال لتلميذه:

- حسناً. يا بنيّ ألا تشفقون على شيخوختي؟ ألا ترقّون لحالي بالمرّة؟ هل أستطيع وأنا في نهاية حياتي أن أستقبل أناساً بهذه الكثرة في قلايتي؟ وهل قلايتي ملائمة كي يُقام فيها قداس إلهي؟ لماذا سمحتم بهذا كلّه اليوم؟

- سامحني أيها الأب ولكنني لا أفهم ما الذي تقوله.  
- ألم تشاهد سيباستوس ورفقته الذين خرجوا منذ  
برهة من قلايتي؟ ثم روى لتلميذه ما جرى.

- أنا لم أشاهد ولم أسمع شيئاً مما تقول أيها الشيخ.

- ألا ترى الآن قلايتي التي لا تزال بدون سقف؟ ألا

ترى الكأس والصينية مع الأغطية؟

ضربَ التلميذ المتشوّش بعضاً سقفِ القلاية وأحضر  
له وعاء الماء الذي كان الشيخُ يظنُّه كأساً وصينية. أخذ  
الشيخ يفكّر. وبدأ شيئاً فشيئاً يعود إلى وعيه. ولكنه لم  
يكن قادراً بسهولة أن يصدّق بأن كلَّ ما شاهده بعينيه  
كان كذباً، فحأً شيطانياً محبوباً بشكلٍ ممتان.  
اجتمع في قلايته شيئاً فشيئاً باقي الآباء الذين كانوا  
يحاولون أن يقنعوه بضلالة الشيطان. وأخبروا الراهبَ  
نيقولاولوس كاتاسكيبينوس الذي كان أحد تلاميذ  
الشيخ الأكثر مصداقيةً عنده وكان الجميع يعرف  
حكّمته وتمييزه الروحي. اطلع نيقولاولوس على ما جرى.  
كانت أعمال الشيطان ظاهرةً بشكلٍ جليٍّ ولم يكن  
هناك أدنى مجال للشك. ولهذا توجه بحديثه باحترامٍ شديد  
إلى معلّمه الروحي وقال:

ألا تذكرُ أيُّها الشيخ ما هو مكتوب في كتاب  
 أقوال الآباء الشيوخ؟ كم وكم من الناس انخدعوا  
 بأحابيل الشيطان؟ لقد حسدك الشيطان أنت أيضاً ولكن  
 بما أنه لم يقدر أن يغشّ عيني نفسك انتهز فرصة  
 شيخوختك المتقدّمة وأضلّ عينيك الحسيتين ومخيلتك. لم  
 يحصل شيء عجيب. ولكن، أي جنديّ لم يُجرَح في  
 معركة؟ أو أيُّ مسافر لا ينزلق فوق طريقه؟ لقد حفظك  
 الله من شرور أكبر. فلتصدّق إذاً شهادتنا أيُّها الشيخ. اقبل  
 أن ما حصل كان ضلالةً. وإذا شئت فنحن نقدر أن نبعث  
 في طلب سيباستوس الحقيقي وسيُقرّعك ذلك بحقيقة الأمر.  
 استمرت الأحاديث في قلالية الشيخ حتى المساء  
 تقريباً. وعندها كان الشيخ قد عاد إلى ذاته تماماً. استنار  
 ذهنه من جديد. وبدأ كمثل طفلٍ صغير يبكي على ما  
 حصل له ولكنه كان يشكر الربّ في الوقت ذاته أيضاً  
 لأنه لم يتركه يتناول من تلك المناولة الشيطانية. وكان  
 إخوة الدير يتطلعون بتأثّرٍ إلى دموع أبيهم الروحي واعترافه.  
 وقال البار بخشوع: سامحوني أيُّها الآباء لأنّ الشيطان  
 أضلّني في هذا السنّ. وضرب سجدةً أمامهم. فأجابوه:

فلتتناول القديسات في الغد أيها الشيخ. وبهذه الطريقة  
سوف تخزي الأرواح الشيطانية.

في صباح اليوم التالي تقدّم البارُّ كيرللس بخوفٍ  
ورعدةٍ وتناولَ الأسرار الطاهرة. شاهد آباءُ الدير وجهه  
يستتير كمثلِ اللهبِ الناري ومجدوا الله. كان شيخهم  
البار حينها في أواخر حياته ومسيرته النسكية. في الثاني  
من شهر أيلول عام ١١١١م أسلمَ روحه بين يدي الله. ومنذ  
ذاك الحين يشارك بدون عائق من الشياطين في ذاك  
القداس الدائم الذي يُقامُ حول المذبح السماوي.

## الشيخ باخوميوس، الشيخ أكايوس

### ويابا - زكريا

الأرشمندريتُ يواكيم سبيتسييريس (١٨٥٨-١٩٤٣م)  
الدائم الذكر خلال إقامته في الجبل المقدس عرفَ آباءً  
كثيرين فاضلين يمتلكون موهبة التمييز، وقد قام  
بكتابة بعض الأمور عنهم في مذكراته. ولكنه عرف  
أيضاً بعضاً من الآباء الذين ضلُّوا كمثل الراهب  
باخوميوس من إسقيط القديس باسيليوس والراهب

أكاكيوس من إسقيط القديسة حنة وبابا - زكريا من  
إسقيط القديسة حنة الصغير.



كان الشيخ باخوميوس يُقيم في مغارة في برية  
القديس باسيليوس. كانت المغارة التي سكن فيها موجودة  
على حافة جُرفٍ صخري وغير محميّة من المطر والرياح  
والبرد. لم يكن هناك في مسكنه سوى وعاء للماء،  
وصحن خشبي وبعض الثياب البالية. ولم يكن الراهب  
باخوميوس يُوقد في الشتاء ناراً.

عاش في تلك الصخرة مدة ثلاثين عاماً تحت ظلّ  
ظروف من هذا النوع. ولكنّ الشيطان استطاع أن يُضِلّ  
الناسك المخيف وبالنتيجة وصل إلى مرحلة الازدراء بالمناولة  
الإلهية والكهنة جميعاً.

في أحد أيام الآحاد من عام ١٨٧٨م مضى الأب  
يواكيم الراهب حديثاً حينها إلى دير القديس بولس.  
وبينما كان في المائدة برفقة آباء آخرين كان من بينهم  
الراهب لعازر والراهب الكاهن داميانوس، جاء إلى هناك  
الشيخ باخوميوس ليطلب بعض البقسماط من الراهب

المسؤول عن المائدة. فقال له الأب لعازر:

- قَبِّلْ يَدَ بابا - داميانوس أيُّها الشيخ باخوميوس  
وسوف نعطيك بقسماطاً قدر ما تشاء.  
- لستُ بحاجةٍ كي أقبِّلَ يَدَ الكاهن. أجابه ذاك  
باستعلاء.

وبعدما ملاً جمعته بالبقسماط انطلق إلى مغارته.  
وعندها قال الآباء للأب يواكيم بأنَّ شيطان الكبرياء قد  
أضلَّ الراهب باخوميوس ولهذا السبب هو لا يقترب إلى  
الأسرار الإلهية ولا يأخذ أنديزورون ولا يسجد للأيقونات  
ولا يأخذ البركة من كاهنٍ.

وإذ كان الأب يواكيم يريد الذهاب إلى قلايته في  
الإسقيط الجديد، لحقَّ بالشيخ باخوميوس. لحقَّ به وقبَّلَ  
يده رُغمَ أنَّ ذاك لم يرغب بذلك. وعندها قال له الأب  
يواكيم:

- أيُّها الشيخ، إنني راهبٌ حديث العهد مبتدئٌ. لهذا  
أرجوك أن تحلَّ لي تساؤلاً: أسمعُ أنك لا تتناول القدسات  
ولا تأخذ أنديزورون ولا تقبِّلَ يَدَ كاهنٍ. لماذا؟  
- آه. يا بنيَّ أنتَ لا تعرف هدفَ الراهب.

- وما هو أيها الشيخ؟

- من النافع للراهب حسبما يقول بولس الرسول أن يرى الأب الذي لا بداءة له وجهاً لوجه. أنا يا بني أتكلم كل يوم في الليل مع الأب الذي لا بدء له. فهل أنا بحاجة كي أتناول، أن أكل الخبز المقدس من التقدمة، أن آخذ بركة الكهنة؟

- وكيف تشاهد الأب الذي لا بداءة له أيها الأب باخوميوس؟ كيف تتحدث معه؟

- بينما أكون واقفاً أصلي في الليل، تمتلئ مغارتي بنور إلهي فجأة. وداخل النور أرى بشكلٍ تقريبيٍّ وجهاً. وبينما أنظرُ منتشياً إلى ذلك الوجه أسمع صوتاً يقول: جاء الأب الذي لا بداءة له. وللحال نبدأ في التحدث مع بعض عن أشياء مختلفة تتعلق بالحياة الأبدية.

- وهل تستمر هذه الرؤيا وقتاً طويلاً؟

- ساعة أو أكثر.

- ومن الذي قال لك أن لا تتناول، أن لا تأخذ خبزاً

مقدساً ولا تقبل يد الكهنة؟

- أنت لا تزال مبتدئاً بعدُ ولا تقدر أن تفهم. حين تبلغ



إلى قياس السيرة الرهبانية سوف تفهم عندها من الذي قال لي.

صمتَ الشيخ باخوميوس، ولم يجرؤ الأب يواكيم أن يطرح عليه سؤالاً آخر. وعندما وصلَ هذا الأخير إلى قلايته سألَ الأبَ سينييسيوس رفيقَه في النسك عن الشيخ باخوميوس فقال له بأنه قد ضلَّ ويعتبرُ الشيطانَ الذي يَظهرُ له بأنه الأب الذي لا بداءة له.

عاش الناسكُ الشقيُّ في ضلالته عشرين عاماً، ولكنَّ الربَّ الكثير التحنُّن أنقذه في نهاية الأمر كيلا يخسر أتعابه. وحصل هذا بالضبط قبل أربعين يوماً من وفاته فعاد إلى صوابه واعترف بضلاله. وبدأ يطوف على قلاي النسك ويقول: صلُّوا لأجلي أيُّها الإخوة. لقد أضلَّني الشيطانُ. وعندما اعترف بخطاياہ وتناول القدسات أسلمَ روحه بين يديِّ الرب.



راهبٌ آخر وقعَ فريسةً للضلال في ذلك العصر كان الشيخ أكاكايوس. هذا الراهب رغم أنه كان شاباً وعادم الخبرة، انسحب إلى قلاية القديس بندلايمون فوق إسقيط

القديسة حنة وكان ينسكُ لوحده بالصلاة، السهر وصومٍ فائق. لم يكن يتكلم مع أحد ولا يخرج من قلايته إلا حين يحتاج للبقسماط.

لم تتأخر نشاطاته النسكية الخالية من التمييز وغياب الخضوع لشيخٍ عن اقتياده إلى الوقوع في الضلال. وفي وقتٍ من الأوقات ترك قلايته وأخذ يطوف في الجبل المقدس حافي القدمين يرتدي ثياباً باليةً معلقاً على ظهره أغراضه القليلة. حيثما كان الليل يصادفه، في الطريق، في الغابة أو في أيِّ مكانٍ آخر، فهناك كان يضع رأسه وينام. في الشتاء كان يجد ملاذاً له في المغاور أو في ثقوب الصخور. كان قد ابتعد كمثل الشيخ باخوميوس عن المناولة الإلهية وعن بركة الكهنة.

ذات يومٍ صادفهُ الأب يواكيم في موقعٍ يُقالُ له لوفياركيا إلى الأسفل قليلاً من إسقيط القديسة حنة بالقرب من البحر، فألقى عليه التحية بالتعبير الرهباني المعتاد:

- بارك أيها الشيخ أكايوس.

- إلى سنين عديدة، هكذا كان الشيخ يردُّ التحية.

وبدأ الاثنان يسيران معاً. لم يضيّع الأب يواكيم  
الفرصة. بدأ "الاستجواب":

- قل لي أيها الشيخ أكايوس، هناك حيث  
نسكت في قلالية القديس بندلايمون وكنت تصلي هل  
كنت تشاهد رؤى؟

- كثيرة ومختلفة.

- لا بد أنك بلغت قمة كبيرة في السيرة الرهبانية.

- نعم بلغت قمة كبيرة حتى أنني مُنحتُ السلطان أن  
أضبط الغيوم وأرسل مطراً متى شئتُ.

- لا بد أنك جاهدت جهاداً كبيراً حتى نلتَ هذه  
الموهبة!

- نعم جاهدتُ جهادات كبيرة. كنت أبقى ساهراً  
ليالي بطولها صائماً. وغير ذلك من الجهادات التي لا  
تستطيع أن تتعلمها لأنك لا تزال شاباً وعادم الخبرة. لدي  
سلطة الآن على الغيوم والمطر.

- لكنك لا تتسلط على الثلج طبعاً؟

- كلا لأن الشتاء هو الذي يحدّد سقوط الثلج.

- لماذا أيها الشيخ أكايوس لا تقيم في مكانٍ

هادئ بل تطوف في الدروب؟

- لأنه ينبغي لي أن أتمم خدمتي. وحيث يهبط الليل  
أضع رأسي وأنام.

- وما هي خدمتك؟

- أم. أرى أنك لا تفهم. ألم أقل لك بأن الغيوم تحت  
سلطتي.

- ولماذا لا تقول: "بارك" حين تقابل راهباً بل تقول "إلى  
سنين عديدة"؟

- كلمة "بارك" تقولونها أنتم الذين لم تبلغوا بعد إلى  
قامتي الروحية. اذهب الآن لأنني سأمكث هنا لأستريح  
قليلاً.

حيّاه الأب يواكيم ورحل وفكّر في نفسه قائلاً:  
تسبّب له الشيطان بالجنون. لم يعرف الأب يواكيم نهاية  
الشيخ أكاكبوس لأنه بعد فترة قصيرة رحل إلى أورشليم.



بابا - زكريا، الذي قام بترجمة تعاليم القديس  
ثيودوروس الستوديتي وإصدارها في العام ١٨٨٧م، بعدما  
عاش أربعين عاماً في دير الإسفغمينو في جبل آثوس، غادر

مكان توبته وذهب إلى إسقيط القديسة حنة الصغير.  
كان عمره حينها ستين عاماً. سكن في قلالية القديس  
حبقوق الصغيرة في ثقب أحد الصخور وأسلم ذاته لنسك  
قاسٍ. كان يصوم بشكلٍ يفوق الحدّ ويسهر ويصلي واقفاً  
الليل بطوله عادةً.

ولكنّ الشيطان المبغض الخير حسده وإذ لم يتمكن  
من الإلقاء به في هويّ جسديّ حاول أن يُضله. ألقى في قلبه  
فكر أنه بلغ قامّة روحية كبيرة وبأنه يستطيع أن يحيا  
مثل ملاك لا جسم له ولا حاجة لديه لأيّ شيء أرضي.  
وهكذا، ذات يومٍ ألقى من قلايته إلى الأسفل كلّ  
الأغراض التي كانت بحوزته: وعاء الماء، آنية الطبخ  
والمصباح وسائر الأشياء الضرورية من أجل استعمالات  
الحياة اليومية.

حين علم الآباء في إسقيط القديسة حنة وإسقيط  
القديسة حنة الصغير بالأمر عرفوا أنه قد وقع ضحية  
للضلال. فأتوا إلى قلايته ووجدوه في حالةٍ هستيرية. وصرخ  
قائلاً: لستُ محتاجاً أيّ شيء بعد الآن. صرتُ ملاكاً.  
حاول الآباء أن ينصحوه ولكنه لم يكن يستمع

لكلامهم. أرادوا أن يأخذوه معهم ولكنه لم يرغب في  
اللاحق بهم. وفي نهاية الأمر، اقتادوه غصباً إلى دير اللافرا  
الكبير. وأقاموا هناك سهرانية من أجله. ابتهلوا إلى الرب  
الكثير المراحم الليل كله أن ينقذه من روح الضلال.  
نهايةً، حين كانوا يرتلون كينونيكون المناولة<sup>٢</sup> عاد إلى  
وعيه وصرخ: أيها الآباء القديسون، لقد أضلّني الشيطان.  
صلُّوا لأجلي أنا الخاطيء.

دمعت عيون الجميع ومجدوا الله. عاد بابا - زكريا  
إلى قلايته تائباً متضعاً. وكان يقول باكياً ويكرّر القول:  
صلُّوا لأجلي أيها الآباء فقد ضللتُ.

## بقسمات الشيطان

جميع الذين حاولوا أن يظهروا أعلى من الآخرين  
سقطوا في الكبرياء وتجارب أخرى متنوّعة. كثيرون من  
بين هؤلاء ضلُّوا أو ضاعوا.  
حصل شيء مشابه للشيخ خرامبوس الذي كان  
ينسك في أواسط القرن الثامن عشر في قلاية القديس

<sup>٢</sup> - الآية الكتابية التي يرتلونها قبل المناولة تماماً (للمترجم).

خرالمبوس الكافسوكاليفية. كانت لديه الرغبة، أو من الأفضل القول، كان لديه الحافز الشيطاني بأن يصبح أعلى من الآخرين. أراد أن يزاوِل النسيك في ضبط الذات، الصوم والصلاة أكثر من رئيسه. ولهذا حين مات شيخه أغلق على نفسه في قلايته غير ممتلك سوى بقسماط وماء، ووضع لذاته حداً بأن لا يخرج من القلاية إذا لم يمضي على خروجه شهر. لم يستشر أحداً بشأن قراره هذا ولم يُظهر عزمه هذا لأي إنسان. أغلق على نفسه بمشيئته وأسلم ذاته للأسهار والصلوات.

أضاع الآباء الكافسوكاليفيون أثره. مضى شهر ولم يظهر. وعندها قلق الأب ديونيسيوس الذي كان يُقيم في قلاية ميلاد والدة الإله المجاورة وذهب ليرى إن كان مريضاً. ولما وصل إلى قلاية الأب خراالمبوس ناداه من الخارج ولكنه لم يحصل على جواب. دنا إلى الباب وقال: "بصلوات آباءنا القديسين" ولكن لم يكن هناك جواب. دفع الباب ودخل. فوجد الشيخ خراالمبوس مغطى في فراشه يرتجف كالسمكة.

تحدث إليه الأب ديونيسيوس ولكن ذلك بسبب

ارتجافه لم يستطع أن يُجيبه بكلمة. وعندها دنا إليه وقال له: أيُّها الشيخ خرامبوس أنا أخوك ديونيسيوس. ما الذي يحصل معك؟ لماذا لا تتحدث إليّ؟

أعطاه بعض الماء ليُشرب وقليلًا من البقسماط ليأكل. كان ذاك ينظرُ إليه خائفًا كفاقدٍ وعيةً من دون أن يتفوه بكلمة. وفي لحظةٍ بدا كأنه عاد إلى وعيه. قفزَ إلى فوق واحتضن الأب ديونيسيوس ورجاهُ بدموعٍ قائلاً: أنقذني يا أخي. جاءت الشياطينُ لتخنقني.

قام الأبُ ديونيسيوس بتعزيتِهِ وتشجيعِهِ. بعدَ ذلك رجاهُ قائلاً: أخبرني يا أخي ما الذي حصلَ؟ لماذا أنت خائفٌ بهذا القدرِ؟

وعندها بدأ ذاك متشجعاً قليلاً يروي له فقال: قال لي فكري أن أصيرَ أعلى من الآباء الآخرين، أن أصيرَ حبيساً وصوّماً. قضيتُ أسبوعاً أكل البقسماط. وحين فرغَ ذهبتُ كي أجلبَ آخر. ولكن عندما فتحتُ الباب وجدتُ أمامي سلةً مليئةً بالبقسماط. أخذتها بفرح كبير وفكري يقول لي: "يبدو أن هذه الحياة التي تعيشها، بالصوم والصلاة، مرضيةٌ عند الله". وبدأتُ أنتفخُ في



داخلي. أغلقتُ الباب وأسَلَمْتُ ذاتي بغيره أكثر إلى  
محاولتي. انقضى شهرٌ على هذا المنوال. كانت الأمور  
تسير على ما يرام. ولكن البارحة عند منتصف الليل بينما  
كنت أتلو المدائح أمام أيقونة والدة الإله بلغت القطعة التي  
تقول: "يا والدة الإله أنتِ سورٌ للعداري" سمعتُ طرْقاً على  
الباب. فخرجتُ ورأيتُ أمامي عجوزاً أبيض اللحية قصيراً  
ووحشي الهيئة. فقلتُ له:

- من أنتَ وماذا تريد؟

- أنا يا بنيّ أبٌ روحيّ من إسقيط القديسة حنة. لقد  
علمتُ بجهاداتك. وبما أنني أحبُّ كثيراً جميع الذين  
يجاهدون خفيةً بمشيئتهم من أجل أن يمجدهم...<sup>٢</sup>. أتيتُ  
بتعبٍ جليلٍ لأحضرَ لك هذا البقسماط. وأحضرتُ لك  
أيضاً هذه السلة الصغيرة التي تحتوي في داخلها على مئة  
ليرة كي تشتري بقسماطاً ولا تخرج من قلايتك.

ولما قال هذا بسط يده ليُعطيني السلة التي تحتوي  
على الليرات. ولكن أيّ منظر شاهدتُ؟ رأيتُ أظافر حمراء  
اللون طويلة جداً ومستديرة باتجاه الداخل بحيث أنها بلغت

<sup>٢</sup> - لم يتفظ هذا الشيخ باسم الله.

إلى معصمه. ولما رأيتُ هذا المنظر ارتعدتُ وقلتُ له:  
- إذا شئتُ أن أصدقَكَ فارسم إشارة الصليب وهلمَّ  
إلى الداخل كي تتابع تلاوةَ مدائح الفائقة القداسة.  
وحالما سمع اقتراحي أجابني بغضبٍ: أنا أشفقتُ  
عليكَ وجئتُ لأساعدكَ كي تكمل جهادكَ الحسن وأنتَ  
لا تصدقني وتقول لي أن أتفوهَ لهدم...<sup>١</sup> التي أحرقتنا بأقوالٍ  
من هذا النوع؟ أبداً.

وفي اللحظة ذاتها حصلَ زلزالٌ بدويٌّ كبير حتى أنني  
اعتقدتُ بأن البيت قد سقط. وللحال امتلأت القلاية دخاناً  
واختفى ذلك تاركاً ورائه رائحةً كريهةً لا تطاق. ومن  
خوفي سقطتُ أرضاً فاقد الوعي. لا أعلم كم من الوقت  
مضى عليَّ هكذا. وحين عدتُ إلى وعيي انسحبتُ إلى  
فراشي هنا. انقضى عليَّ الآن نهارٌ ويلةٌ وأنا أرتجفُ كما  
تراني. لو لم تأتِ لكنتُ متُّ من خوفي. أرجوكَ ساعدني  
لأنني لا أستطيع أن أبقى وحدي. أخشى أن تعود الشياطين  
وتخنقني. يا سيدتي الفائقة القداسة لن أعود إلى صنع  
أشياء كهذه مرةً أخرى.

<sup>١</sup> - لم يتفوهَ باسم والده الإله.

حدثه الأب ديونيسيوس معزباً وقتاً طويلاً ثم اصطحبه إلى الأب الروحي بابا - سمعان. أقام الشيخ خرامبوس هناك أسبوعاً كاملاً وهو يرتجف من خوفه، وكان يقول بشكل متكرر للآباء: من المخيف جداً أن تروا الشياطين.

وفي النهاية بعدما عاد إلى ذاته وهدأ، أخذ الأب ديونيسيوس إلى كنيسة الإسقيط حيث روى أمام جميع الآباء ما أصابه وطلب المغفرة بتواضع. ومنذ ذلك الحين اتبع نظام الحياة الرهبانية المشتركة ولم يفعل شيئاً بدون بركة الأب الروحي ومشورة الآباء. وبهذا الشكل استراح من تجارب الشيطان وأنهى حياته الأرضية في شيخوخة متقدمة جداً.

## الشيخ آثوناس

في إسقيط القديسة حنة في جبل آثوس كان يعيش في نهايات القرن التاسع عشر خمسة آباء في إحدى القلاوي القريبة من شاطئ البحر. حيناً ما حسد الشيطان تقدم الراهب سابا الأكثر حداثة بين الآباء الخمسة وألقى في عقله أفكاراً يحضه فيها على الصعود إلى قمة جبل آثوس

المسمّاة "آثوناس". وكان يعتقد ، هكذا أظهر له الشريرُ الأمر، هناك فوق القمة كان يسكن شيخٌ قديسٌ اسمه "الشيخ آثوناس"! وكان ينبغي عليه مقابله وطلب بركته. قال الراهبُ الشاب فكره لشيخه ورجاه أن يمنحه بركته من أجل الصعود إلى قمة آثوس والسجود هناك. عرف الشيخُ بضلالِ تلميذه فرفض أن يعطيه بركته. ولكن الراهب لم يقدر أن ينعم بالهدوء. وفي نهاية الأمر انتصر عليه فكره. وذات يوم، قرّر أن يغادر الديرَ خلسةً ويحقق رغبته. وهذا ما قام به. ذهب إلى كيراسياً وعاش في دير هناك لبعض الوقت في قلاية جميع القديسين. وذات صباح رحل من هناك خفيةً وانطلق باتجاه قمة جبل آثوس. حين بلغ إلى منطقة خايري ظهر أمامه فجأةً شيخٌ وقور أبيض اللحية وسأله:

- أين تذهب يا بني؟ تبدو متعباً ومتضيقاً. ماذا بك ؟
- أريد أن آخذ بركة الشيخ آثوناس، قال سابا بعدما مكث برهةً صامتاً لا يعرف ماذا يقول.
- أنا آثوناس، أجابه الشيخ. أنت أين تقيم ؟
- أنا من إسقيط القديسة حنة. ولكنني غادرتُ طاعتي وذهبتُ إلى كيراسياً.

- وكيف لا أعرفك؟ أنا أبٌ روحيّ. جميع المبتدئين الذين يجبنون ويعملون مشيئتهم يأتون ويضربون مطانية أمامي. أمّا أنتَ فيبدو أنّ طاعتك التي كنتَ قد أبديتها لشيخك كانت تسترك حتى الآن. ولكن لا يُهمّ. الآن لستَ بحاجةٍ كي تتعب أكثر. لقد رأيتُ عزمك وأتيتُ من تلقاء نفسي. تعال لتسجد وتضرب مطانية أمامي. لا تتكبد مشقة الصعود إلى القمة. اضرب مطانية أمامي. ثم ارجع إلى قلايتك ومشيتك وسوف أعني بك.

ولما كان التلميذ قد أظلمَ جثا وضرب مطانية أمامه. ولكن بينما كان يقبلُ يد الشيخ شاهدَ أنّ أظافره كانت طويلة جداً بحيث بلغت إلى معصمه. وعندها فهمَ بأنه قد سجد للشيطان ذاته. ولكن كان الأوان قد فات. الشرّ قد حصلَ. وعندها قال له الشيطانُ: الآن أنتَ مُلكٌ لي. ذاتَ يومٍ سأتي كي آخذك.

وللحال اختفى الشيطانُ. حالما قبّل سابا الشقيُّ يدَ الشرير سقط أرضاً فاقد الوعي. وبعد ساعاتٍ عديدةٍ وجده بعض الرهبان العابرين من ذلك المكان وهو في حالةٍ سيئة جداً فقاموا بنقله إلى قلايته في إسقيط القديسة حنة.

مضت عليه ثلاثة أيام حتى عاد إلى وعيه. طلبَ المغفرةَ من شيخه مراتٍ كثيرةٍ وإخوته في القلاية وهم بدورهم أخذوا يتضرعون ليلاً ونهاراً إلى الله من أجل خلاصه. ومنذ ذلك الحين كان سابا التعميس يُظهر بعض علامات الاضطرابات العقلية. كان يُغلق على نفسه في قلايته ويبكي بلا عزاءٍ.

مضت سنوات عديدة، ولم يكن باستطاعة سابا أن يهدأ بالاً. وذات يوم حصلَ شيءٌ مرعبٌ غير متوقَّع: كان على متن قارب صيدٍ برفقةِ آباء آخرين. وعلى حين غرة هبت دوامةٌ هوائيةٌ حملت الأب سابا وأخذته أمام أعين الآباء الآخرين. ولم يظهر بعدها. كان الشيطان قد أخذه بجسده كاملاً. حصلَ ذلك في اللحظة ذاتها التي كان فيها قد جثا أمام الشيطان وضرب مطانية أمامه في منطقة خايري.

## الشهيد المتوقَّع

قبل سنواتٍ عاش في أحد الأديرة راهبٌ كان يجاهد كثيراً ولكن من دون تواضع. كان مصاباً بالكبرياء واعتقد نفسه أنه شيءٌ عظيم. وهكذا شيئاً فشيئاً وصل

إلى الضلال.

توقَّفَ عن تناول جسد الرب ودمه معتقداً بأنه لم يعد بحاجة لهذا لأنه، حسبما كان يقول، كان المسيح يسكن داخله. كان يكتفي بأخذ الأنديزورون ولا يقتات بشيءٍ غيره طوال اليوم.

لم يكن يشرب ماءً مقدساً أبداً قائلاً بذهنه: "أنا تقدستُ، حتى بولي تقدَّسَ وأشرب في أيِّ وقتٍ أشاء". هذا الشقي كان يشرب بولهُ، بلغ إلى حالةٍ مزريّةٍ من الضلال. نهايةً، بدأ يهيج كالوحوش ويرمي الفوضى في الدير ويتفوّه بالحماقات. اضطرَّ الآباءُ أن يحبسوه لأجل السلامة في البرج وكانوا يصلُّون لأجله كي يعود إلى وعيه. وعهدوا بأمر خدمته والاهتمام به إلى أحد الرهبان كي لا يؤذي نفسه.

كلَّ مرّةٍ كان الراهب الخادم يذهب إليه بالطعام، كانَ ذلك يخبرهُ بإحدى ضلالاته المعتادة: "يا أخي شاهدتُ قديساً"، "رأيتُ ملاكاً"، "سأصبحُ شهيداً قديساً" وغير ذلك من الحماقات.

لما كان الراهب الخادم يأخذُ هذه الأمورَ كلِّها

بالحسيان، لم يكن أبداً يترك له شيئاً حاداً. كان يأخذ له كل الأشياء مقطّعةً وجاهزة. ولكن ذات يوم أخذ له علبةً سردينٍ مفتوحةً فانتهز الشيطانُ الفرصةَ التي كان ينتظرها منذ وقتٍ طويل. وظهر له بهيئةَ ملاكٍ وقال له: قد هياً لك المسيحُ إكليلَ البرِّ. والآن يُحضّرُ لك إكليلَ الشهادة. إنّه ينتظر أن تستشهد في سجنِ البرج حيثُ تصبر من أجل محبته.

وهكذا بذّرَ عنده الأفكارَ فأخذَ الشقيُّ يفتشُ عن أداةٍ حادة. وما هي إلا برهةٌ وإذا به ينتبهُ لعلبةِ السردين. أمسكَ بها للحالِ وبدأ بها الاستشهاد: بدأ يقطعُ عنقه شيئاً فشيئاً لأنه كان يتألم، كان يقطعُ عنقه ويصرخُ في الوقتِ ذاته.

لما سمع الآباءُ صراخَهُ ركضوا إلى مكانهِ ليروا ما الذي يحصل. شاهدوا منظراً مأساوياً: كان الشهيدُ المزمعُ يقطعُ عنقه من جهةٍ ويصرخُ من جهةٍ ثانية. اختطفوا علبةِ السردين من يدهِ فأخذَ يتذمّرُ قائلاً: دعوني أستشهد.

اقتربَ إليه عندها الراهبُ الخادمُ وقالَ له: اصبر أولاً كي أربطَ جرحكَ وبعدَ ذلك سوف أجعلكُ أنا تستشهد



حتى يكون لك أجرٌ. بعدما ربط جرحه، خلع الراهب حزامه وبدأ يضربه على ظهره. ولكن الراهب الضال لم يحتمل تلك الضربات فصار يصرخ قائلاً: اتركني إنني لا أحتمل الاستشهاد.

بهذه الطريقة تمكّن الآباء من جعله يبدل رأيه. بمساعدة الشيطان ومشيبته الشخصية كان ينوي أن يقطع عنقه. ولكن لم يحتمل الضربات القليلة التي ضربه إياها الأخ الراهب بسبب المحبة ليعود إلى رُشدِه، وصرخ يقول بأنه لا يحتمل الاستشهاد.

كان الرهبان يصلون لأجل خلاصه واللّه الصالح لم يتركه بل ساعده. تواضع الراهب وتاب واعترف بخطاياها وتناول جسد الرب ودمه المقدسين وبهذه الطريقة نجا من براثن الشيطان.

## "الملاك" والشماس الروماني

من بين الأشخاص الكثيرين الذين كان بابا - سابا المغبوط الذي نسك في إسقيط القديسة حنة الصغير (١٨٢١-١٩٠٨م) يتقبّل اعترافاتهم كان هناك شماسٌ رومانيّ الجنس. جاء هذا شاباً إلى جبل آثوس وكان ينسكُ

في إحدى الأمكنة في بركة الجبل المقدس في مكان ليس بعيداً عن إسقيط القديسة حنة الصغير.

ذات يوم قال الشماس بنيرة حزين واضحة للأب سابا:  
يا أبت الروحي، أرجوك لا تنسى أن تذكر غداً في  
القداس الإلهي أمي لأنه تذكار اليوم الثالث على رقادها.  
اضطرب الأب المتحلي بموهبة التمييز، ولكنه لم  
يجعل اضطرابه يظهر خارجياً وأخذ يفكر في داخله  
قائلاً: "لا بد أن العدو يعد شيئاً ما". ثم توجه في كلامه  
إلى الشماس وقال له:

- يا بني غداً هو التذكار الثالث لرقاد والدتك. أي  
أنها ماتت يوم ما قبل البارحة. وماتت في رومانيا. فكيف  
عرفت أنت بموتها في غضون يومين؟

- كيف؟ كيف عرفت؟ قال لي...

- من قال لك؟

- أخبرني ملاكي الحارس بهذا الأمر.

- ملاكك الحارس؟ قد رأيت ملاكك الحارس؟

- استأهلت أن أراه. ليس مرة أو اثنتين. إنني أراه منذ

سنتين. يظهر لي عادةً ويرافقني في صلاتي. نصلي مدائح

والدة الإله معاً، نضرب سجداً وتبادل أحاديث روحية.  
عبارة "سنتين" جعلت بابا - سابا يتأكد من الأمر. لم  
تكن سنتان من الضلال الشيطاني أمراً غير ذي أهمية. ثم  
أردف الأب سابا بالقول: ولماذا يا بني لم تذكر لي شيئاً  
عن الأمر كل هذا الوقت ؟ فأجابه الشماس: قال لي  
الملاك بأن الأمر ليس ضرورياً.

فهم بابا - سابا بأن عليه أن يكافح كفاحاً كبيراً.  
كان عليه في البداية أن يُقنع الشماس الشقي بأن الأمر  
ليس متعلقاً بملاك. وأن يستعدّ بعدها لمواجهة غضب  
الشيطان. أخذ يصلي في داخله قائلاً: "يا رب يسوع المسيح  
ارحمنا وخلصنا"، وبعد ذلك توجه بالسؤال للشماس قائلاً:  
- هل أنت متأكد يا بني بأن هذا الذي يظهر لك هو

ملاك الله ؟

- متأكد ؟ كل التأكيد يا شيخي. ثم إنه يصلي  
معي وكل يوم نسجد ألف سجدة. نتحدث عن الحياة الآتية  
وعن الفردوس. إنه ملاكي الحارس.

- هل فكرت يوماً بأنه قد يكون شيطاناً ؟

- شيطان ؟ وكيف يستطيع الشيطان أن يشدّني في

الصلاة ؟ إنه يحارب الذين يصلُّون. قال الشماس هذا وهو مقتنع برأيه.

وبعد أحاديث كثيرة اتفقا أن يلجأ إلى بعض التجارب لاختبار "الملاك". ونصحه بابا - سابا أن يطلب منه حالما يظهر أن يقول "أفرحي يا والدة الإله". وأن يطلب منه أن يرسم إشارة الصليب على نفسه. ولكن الأمور لم تكن بتلك البساطة. حين يكون الشيطان قد أضلَّ شخصاً ما مدة عامين فهو يقدر أن يُضللَّ عينيه وأذنيه. ويستطيع أن يجعل الشخصَ يسمعه بأذنيه يقول "أفرحي يا والدة الإله" ويخدع عينه ويراه كأنه يرسم إشارة الصليب المقدس.

وفي الزيارة التالية أخبر الشماسُ الأبَ الروحي وهو يشعر بنوع من الرضى الخفيّ بما حدث: يا شيخى. لقد سارت الأمور حسبما كنتُ أقول لك. إنه ملاك الله. إنه ملاكي الحارس. لقد تفوّه بـ "أفرحي يا والدة الإله" ورسم إشارة الصليب الكريم.

لكنّ بابا - سابا كان يفهم ما يعنى انقضاء عامين في الضلال بين يدي العدو ولم يكن من السهل أن تظهر الأمور على حقيقتها بسهولة. وعندما ابتهل إلى الرب في قلبه

أن ينيره قال للشماس:

- يا بني اسمعني هنا. فلنعمل هذه التجربة الأخيرة. وبهذه التجربة سوف تظهر الأمور على حقيقتها. تستطيع الملائكة أن تعرف كل الأشياء لأنّ الله يكشفها لها. على عكس ذلك لا تمتلك الشياطين قوّة كهذه. أمورها الكثيرة مظلمة. هل توافق على ما أقول ؟

- نعم أوافق.

- بما أنك موافق. انتبه ماذا سنفعل. أنا في هذه اللحظة سوف أفكر في شيء ما. (فكر بشيء ضدّ الشياطين). سوف أحتفظ بما فكرتُ به خفياً ولن أقوله لأحد. وأنت في المساء حين ستحدث مع ملاكك قل له إذا كان يعرف ما هو. وعندها من دون شك إذا عرف ما فكرتُ به سيكون ملاك الله وتعال لتخبرني بالأمر فوراً.

عاد الشماس إلى قلايته. وفي المساء ذاته طلب من الملاك أن يقول له بماذا فكرتُ بابا - سابا. فأجاب ذلك: يا أبتِ الحبيب لماذا وأنت إنسانٌ أسمى تهتمُّ بأفكار إنسانٍ مائتٍ؟ هذه زلة. رغباتٌ فقيرة. ألا تفضلُ أن نمضي فأظهر لك هذا المساء الجحيم، الفردوس ومجد السيدة والدة الإله؟

وعندها بدأ الشمساس يفكرُ بالموضوع. ثم أصرَّ  
بالقول: إنني أطيع أبي الروحي. قل لي بماذا فكرُ.

حاول الشيطان بإيحاءات ذكية أن يجعل انتباه  
الشماس يمضي إلى حديث آخر. ولكن الشمساس لم يكن  
يقبل بتغيير الموضوع.

- أخبرني بماذا فكرَ الأب الروحي. الأمرُ بسيط  
فلماذا لا تقول لي. أعلِّك لا تعرف ؟

- انتبه أيُّها الشمساس. بهذه الطريقة التي تعاملني بها  
سوف تفقد حُسنَ تعاملي معك.

- إنني أطلبُ منك أمراً بسيطاً. هل تعرف في نهاية  
الأمر أم لا بماذا فكرَ الأب الروحي ؟

وعندها تبدل الوجهُ اللامع البهِّي وانكشف الشكلُ  
المخيف. صرفت بعض الأسنان المتوحَّشة مهددة كأنها  
بادية من فم وحشٍ قد فكَّ وثاقه وترددت في القلاية الأقوالُ  
التالية: فلتذهب إلى الجحيم أيُّها الشقي. غداً في مثل هذا  
الوقت فلتذهب إلى الجحيم. سوف تُحرقك. سوف تُهلكك.

بقي الشمساس وحيداً. بقي وحيداً كمثل الخربة.  
حلاوة رؤى استمرت سنتين لم تقابل مرارته الحالية. لو لم

تعضده من بعيدٍ صلواتُ أبيه الروحي الذي كان ساهراً  
يصلِّي متضرّعاً إلى الله لأجله لكان مات.

انقضت عدة ساعاتٍ إلى أن عاد إلى وعيه ووقف على  
قدميه. لم تكن قلايته تُسبِّغُ له. لم يكن يشاهد أماناً في  
أيّ مكانٍ إلاّ بالقرب من أبيه الروحي. فأسرع إليه. وكان  
يتردد في أذنيه وهو في الطريق التهديدُ الذي سَمِعَهُ: غداً في  
مثل هذه الساعة ستذهب إلى الجحيم. كان الخوفُ يسري  
فيه حتى العظم.

شيئاً فشيئاً وصلَ إلى قلاية بابا - سابا، فأمسك  
بردائه ولم يكن يتركه ولو للحظةٍ واحدة، حتى أنه كان  
يمسك بطرف رداءه في ساعة نوم الشيخ، وحاول الشيخ أن  
يهدئ من روعه قائلاً: لا تخف يا بني. فأجابه: كيف لا  
أخافُ يا أبتِ وساعتي تقترب ؟ أوام. اقتربت الساعة التي  
سياخذونني فيها. يا مسيحي نجني.

وفعلاً في الساعة المحددة تعرّض الشمس لهجوم  
الأرواح الشريرة. آية صرخاتٍ، خوفٍ وتهديرٍ كانت تلك؟  
وكان الشمس يصرخ: خلّصني يا أبتِ الروحي. إنني  
أضيع. إنهم يأخذونني. أنقذني.

جثا بابا - سابا راعماً وتضرع إلى الرب بدموع وألم  
 كي يشفق على عبده ويعاقب الشياطين الأشرار.  
 استجيبَ طلبته. أبعدَ اللهُ الشياطين. وبهذه الطريقة نجا  
 الشمس. وبمرور الوقت وإرشاد بابا - سابا هدأً ثانيةً.  
 اتخذت حياته الروحية منحىً آخر متقدماً. وفي مرحلة  
 لاحقة رُسمَ كاهناً وكان يتميز بين الجميع بتقواه.

### القديس اسبيريدون مع .... قرون!

في إحدى الليالي الشتوية قرع ناسك باب  
 بابا-إغناطيوس الأب الروحي (١٨٢٧-١٩٢٧م) في منطقة  
 كاتوناكيا في جبل آثوس. كان شكله يدل على أنه  
 يعيش مأساةً ما. وبصوتٍ متزعزعٍ روى للأب الروحي  
 الحادثة المؤثرة التي حصلت معه. ولدى انتهائه تنهدَ بارتياحٍ  
 قائلاً: المجد لله. أنقذني من أسنان المغتصب. ماذا كان  
 سيحلُّ بي!!

وهاكم ما حصل معه:

صار الرجل ناسكاً ممتلئاً شوقاً إلى الحياة الرهبانية  
 وأقام بالقرب من منطقة كاتوناكيا. ومن دون مرشدٍ  
 روحيٍّ أسلمَ ذاته إلى جهادات نسكية. وكان يحسب أنه



سرعان ما سيصعد إلى أعالي القداسة. ومن دون أن يشعر بدأ يقدر قواه ويثق بنفسه بشكل كبير. ومن تلقاء ذاته وضع لنفسه أهدافاً نسكية وقوانين، ومن تلقاء نفسه نجح فيها بحسب ما كان يعتقد، ومن تلقاء ذاته كان يكافئ نفسه. ولكن حتى يكون المرء دقيقاً في الكلام، لم يكن وحيداً. كان العدو، رئيس الظلمة، يتابع تحركاته بعين ساهرة مجهّزاً له جبّ الضلال. وبعد قليل بحسب ما كان العدو يفكر كان سيلقيه فيه.

بدأ قلب الناسك يُظلم شيئاً فشيئاً بدون شعورٍ منه. ويقدر ما كان يظلم بقدر ما كانت أفكار الكبرياء تزداد لديه. ويقدر ما كانت الكبرياء تزداد بقدر ما كان الظلام يصبح كثيفاً داخله.

كان الوقت يجري والناسك يقول لذاته متحمساً من الصلوات والأصوام والجهادات النسكية الأخرى: حسبما أسلك سوف أصل إلى فضيلة أنطونيوس الكبير. ولكنني أتساءل فقط إنه بالرغم من كلّ تقدّمي لم أستأهل حتى الآن أن أعاين رؤيا ما.

ولكن لم يطل الأمر حتى جاءت الرؤيا. ظهر أمامه

ملاكٌ منيرٌ جاء كي يؤكد ما كان يفكر فيه منذ  
زمانٍ. وقال له: قد أرضيتَ المسيحَ بحياتك أكثر من أيِّ  
ناسكٍ آخرٍ في الجبل المقدس. ثم اختفى الملاك تاركاً إياه  
يبحر في بحر الغبطة. الشهادة "العلوية" قد أتت. مسيرته  
النسكية جعلت السماوات تبتهج. استأهل أن يتمتع برؤيا  
ملائكية، ولكن لا زال للأمر بقية!!!

وذات مساءً، بينما كان يفكر بالأمر إذا بالملاك  
الساوي يعود. من يعلم أية أخبار مفرحةٍ يجلب معه! وقال  
له: عظيمةٌ هي فضيلتك يا أخي. إن الأكاليل اللامعة تُعدُّ  
لك. ينتظرك مجدٌ عظيم. غداً مساءً فلتكن موجوداً فوق  
قمة جبل آثوس. هناك سيأتي المسيحُ كي تسجد له.

كان فرحُ الناسك لا يُوصف. ما الذي كانت عيناه  
مزمعة أن تراه! لم يعرف كي انقضى الليلُ وجاء اليومُ  
التالي. انطلق باتجاه قمة آثوس. بالرغم من الثلوج والجليد،  
لأنَّ الفصل كان شتاءً، كان يسير بارتياحٍ. لم يشعر بتعبٍ  
ولا ببردٍ. كانت مرافقة الملاك تريحه.

وبقدر اقترابه من قمة آثوس كان فرحه واضطرابه  
يزدادان. كان المساء قد هبط في هذه الأثناء. وفجأةً، يا

للمنظر الفائق العالم البهيج!! ماذا كانت عيناه تتظران ؟  
شموعاً، اندفاقات النور، رائحة بخور، كهنة وأساقفة،  
منظر عجيب! والأمر الأكثر عظمةً كان عرشاً مجيداً،  
يجلس فوقه الملك، المسيح، يحيط به الكهنة الموقرون  
وقديسون آخرون. ومن بينهم استطاع أن يميّز القديسَ  
اسبيريديون المحبّب إليه كثيراً.

وفي إحدى اللحظات تردد صوتُ الملك يقول: يا  
اسبيريديون احضر إلى هنا عبدي المختار كي يسجد لي.  
تحركَ القديس اسبيريديون مطيعاً بخطىً بطيئةً  
وجلية واقترّب إلى الراهب الذي يشاهد الرؤيا. كانت تلك  
اللحظات حرجةً. لو سجدَ الناسكُ "للمسيح" لكان صار  
مسكناً للشياطين أو لكان قد سقط من حافة الجبل  
كما حصل في الماضي مع آخرين، لأنه حيث كان يبدو  
عرش المسيح كانت توجد هوةٌ سحيقة.

ولكن شكراً لله، كان قلبُ الناسك التعييس لا  
يزال مفتوحاً قليلاً على رحمة الله. فنجّته رحمةُ الله في  
اللحظة الأخيرة. إذ بينما كان القديس اسبيريديون المزيف  
يقترّب إليه لاحظَ الراهبُ بأنه لم يكن يرتدي على رأسه

قانسوته المعهودة بل غطاءً آخر للرأس عالياً مختلفاً. لم يكن الأمر مهماً لهذا الحدّ طبعاً. ولكن كان هناك شيءٌ آخر مخيفٌ: بسماحٍ من الله لاحظَ الناسكُ وجودَ قرنينِ شيطانيين هناك. وفي اللحظة ذاتها صرخَ قائلاً: "يا ربّي يسوع المسيح ابن الله أنقذني".

كان هذا كلُّ شيء. انحلت الخيالات الشيطانية تلك كلّها. وبقي الناسكُ وحده هناك عالياً فوق قمة آثوس في الليل داخل البرية. روى الناسكُ هذه الحادثة المأساوية التي حصلت معه للأب إغناطيوس، فقال له هذا الأخير: المجد لله الآن لأنه أنقذك من شرّ الشيطان. لا تقدر بعد الآن أن تقيم في قلايةٍ في الصحراء وحدك. اذهب لتعيش في دير القديس ديونيسيوس حياةً رهبانيةً مشتركة حيث ستكون بأمان.

هذا ما قام به الناسكُ ونجا.

## "الأسقف"

في نهايات القرن التاسع عشر كان ينسكُ في جبل آثوس الأسقف نيلوس كارباتوس (١٩١٦م)، وكانت لديه عادة من بعد عيد القديس أثناسيوس الأثوسي أن يزور

معارفَه الآباءَ الإسقيطيين والنسّاك. وكان أحدهم بابا-زخريا من دير الإسفغمينو وكان يقيم في إسقيط القديسة حنة الصغير.

ولكن في العام ١٩١٤م كان الأسقف متعباً ومسنأً ولم يَقم بزيارة أحد. وبعد العيد ذهبَ مباشرة إلى قلايته في منطقة كاربيس، فانتَهز الشيطانُ الفرصةَ كي يُضِلَّ بابا-زخريا.

كان ذلك في الصيف، في السابع من شهر تموز، وكان الشيخ جالساً في باحة قلايته. وفجأةً، بعد ساعةٍ من منتصف الليل، شاهدَ الأسقفَ نيلوس يقترب، فسأله: يا سيدنا لماذا تُجهد نفسك لتزورني في الليل أنا البطلال ؟ ويقوله هذا ضرب مطانية أمام الأسقف الذي أمامه فبسط الأسقف يده. قبّلها بابا - زخريا. ولكن للحال سقط على الأرض مثل الميت، وذلك لأنَّ الشخص الواقف أمامه لم يكن الأسقف نيلوس بل الشيطان.

لما أعطاه يده كي يقبّلها أعطاه أيضاً "موهبتَه". واختفى في اللحظة ذاتها في حين بقي بابا - زخريا مطروحاً على الأرض عادم الصوت ونصف ميت.

وفي الصباح وجده أحد الرهبان كان آتياً إلى قلايته  
فركض مباشرة إلى الإسقيط. استدعى كهنةً عملوا له  
صلاةً الزيت، وقاموا بقراءة استقسامات القديس  
باسيليوس الكبير ورسموا عليه إشارة الصليب الكريم  
برفات القديسين.

بدأ الشيخ الواقع في حيلة الشيطان يستعيد وعيه  
شيئاً فشيئاً. وحين صار واعياً تماماً التمس أن يعطوه طعاماً  
ليأكل. ومنذ ذلك الحين وطيلة ما بقي من حياته كان  
يقول: كتبت الكثير، وطفئت في أماكن كثيرة، ولكن  
في النهاية ضحك عليّ الشيطان وسجدت له. ضحك عليّ  
بسماع من الله بما أنني كنت أحوي في داخلي أنانيةً  
مخفيةً. كنت أعتبر نفسي أسمى من الآخرين وأكثر  
حكمةً وخبرةً. حتى أتضع أعطاه الربُّ السلطة كي  
يُضِلّني. كان ينبغي عليّ أنا الأحمق أن أرسم إشارة  
الصليب قبل أن أقوم بتقبيل يده. كان حينها سيرحل  
مخزياً من السلاح الذي لا يُحارب من دون أن يحصل لي أيُّ  
شرٍّ. والآن بعد ما حصل لي، إذ أعرف ضعفي وهشاشتي،  
أمجّد الفائق الصلاح الذي لم يسمح بأن يحصل لي شرٌّ  
أعظم وأتوسّل إليه كي يسامحني على كبريائي.

## ما حصل مع المعلم

ذات يومٍ من أيام العام ١٨٩٣م وصل إلى قلالية الشيخ دانيال (١٨٤٦-١٩٢٩م) في كاتوناكيا في جبل آثوس معلّمٌ من نواحي جبل الأوليمبس وكان اسمه نيقولاوس. كان يبدو إنساناً مهماً يتحلّى بثقافة واسعة ومواهب كثيرة ولكنه كان أيضاً مزيناً بحكمةٍ روحية. ولكنّ الشيخ دانيال المستتير بالله، منذ الأحاديث الأولى معه، استطاع أن يميّز في أعماق نفسه ظلاً كبيراً وجفافاً خفياً يتآكله ويعدّبه.

تأثر المعلم من جوّ الصحراء النسكيّ وبدافع محبة الشيخ دانيال، لم يتأخر عن فتح قلبه بأكمله أمامه. كان هذا شيئاً يقوم به للمرة الأولى في حياته. وقال له:

- منذ أنهيت دراستي في تسالونيك وعيّنتُ أستاذاً في المدرسة الألمانية اتّخذتُ قراراً أن أعيش حياة مسيحية. فبدأتُ أطالع الكتاب المقدّس بغيرةٍ وأصلي بحرارةٍ وأصوم أصواماً قاسية. وذات ليلةٍ، بينما كنتُ أصلي بدموعٍ أمام أيقونة الفاتحة القداسة رأيتُ أمامي لهيباً نارياً يخرج من وجهها المقدّس ويدخل فيّ ويجعلني أفيض فرحاً لا يمكن

التعبير عنه. ومنذ ذلك الحين لم تغب صلاة "يا ربّي يسوع المسيح ارحمني" من قلبي. بالصلوات الطويلة والمستمرة التي كنت أصليها صار ذهني نقياً وصار قادراً أن يرى بشكل متواصل خلال النوم واليقظة رؤى متعددة. وهكذا، ذات يوم ظهر لي ملاك لامع كالبرق وقال لي:

"أرسلني الله لأكون معيناً دائماً لك. ولكن ينبغي عليك ألا تتوقف عن أصوامك وصلواتك". قبلت أقواله هذه كأنها من فم الله، وبناءً عليه أسلمت ذاتي بغيرة أكبر إلى الصلاة والصوم. وصلت إلى حدّ أن أنام ساعة واحدة في اليوم وأكل مرتين فقط في الأسبوع خبزاً يابساً وماء فقط. واعتدت خلال الصلوات التي كانت تستمر الليل بطوله أن أحمل الكتاب المقدس بيدي وأبتهل إلى الله أن يعلن لي رؤى أشعياء، حزقيال والأنبياء الآخرين أو أن يُظهر لي الأحداث التي يصفها القديس يوحنا الإنجيلي في سفر الرؤيا. وفعلاً، كنت أسقط مباشرة في غيبوبة روحية وأشاهد تلك الرؤى كلها التي أرجو الرب أن يكشفها لي.

- حسناً، قاطعه الشيخ دانيال الذي كان يتابعه

باهتمام، هل اعترفت يوماً بهذه الأمور إلى أبي روحي؟



- كلا، أنت أول شخص يعرف شيئاً عن الموضوع. وهذا لأنه مرّات كثيرة كان يظهر المسيحُ لي ويقول: "انتبه، لا تخبر أحداً بهذه الأمور. في هذه الأيام الآباء الروحيون لا يتحلّون بالتمييز وهناك خوفٌ أن يتسبّبوا لك بالأذى".

كان الشيخ دانيال قد لاحظ منذ اللحظات الأولى بأنّ عينيّ محدّثه كانتا لا تبصران جيداً ويده اليسرى كانت بثلاثة أصابع فقط. واعتبرَ بأنّ تلك اللحظة كانت مؤاتية للسؤال عن الأمر ويطلب تفسيراً. فأجابه المعلم:

- كادت عيناى تتطفئان تقريباً لأنني كنتُ مجبراًً حسبما أمرني ملاكي أن أقف ساعتين كلّ يوم، وطبعاً خلال الصيف، تحت الشمس محدّقاً إليها بشكلٍ ثابت. وكنتُ أرى من قرص الشمس حشداً لا عدّ له من الملائكة والقديسين يخرجون في كلّ يوم بشكلٍ يختلف عن اليوم السابق. ولما كنتُ أراهم كنتُ أفرح كثيراً فأرسم إشارة الصليب بلا انقطاع. ورغم أنه في الوقت ذاته كانت تخرج من عينيّ، اللتان تتألّمان بشكلٍ مخيف، دموعٌ محرقة إلاّ أنني كنتُ أتابع التحديق في الشمس.

وعلاوةً على هذا كله أظمت ملاكي. كان قد أمرني سابقاً أن أقرأ كلَّ يومٍ في العهد القديم وأنا واقفاً حاملاً بيدي اليسرى شمعةً مشتعلةً وحين كانت الشمعة تصل إلى الأسفل كان عليّ أن أطفئها. وهذا ما كنتُ أقوم به. وذات ليلةٍ، كان صباح عيد القديس اسبيريدون يطلع حين كنتُ لا أزال أحمل بيدي شمعةً مشتعلةً وإذا بغرفتي تستتير بنورٍ مفاجئ. وإذا بالقديس اسبيريدون يظهر أمامي ويقول لي: "افرح أيها المجاهد نيقولاوس. إنني أشكرك كثيراً على تقواك التي تُظهرها نحوي. أريدك اليوم أن تتال إكليل الشهادة. حين تحترق هذه الشمعة وتبلغ إلى كفك لا تقم بإطفائها. أمسك بها بإحكام حتى وإن بدت يدك تحترق. قف أنت كرجلٍ وسوف تنتصر على الشيطان الكثير الشرور".

تفوه القديس بهذه الكلمات واختفى. وأنا للوقت وضعتُ كلامه موضع التنفيذ بكلِّ دقّة. وحين انتهت الشمعةُ وبدأ اللهبُ يحرق كفيّ أخذتُ أصبر على الاستشهاد معتقداً بأنني سوف أنال إكليل الشهادة. طبعاً في البداية لم أكن أتألم، بل كنتُ أشعر برائحةٍ طيبة

الشذا. ولكن بعد قليل كبر حجم الجروح وبدأت سوائل مختلفة بالنزف من الكف وصارت الآلام لا تُطاق. وعندها سمعتُ صوتاً يقول لي: "إلعق السائل الذي يجري من يدك المحروقة فهو مساوٍ في القوة للمناولة الإلهية".

استمرّ نيقولاوس الشقي لساعاتٍ يروي ضلالاته الواحدة تلو الأخرى. وكان الشيخ دانيال يسمعها بصبر. وفي نهاية المطاف أنهى نيقولاوس حديثه بالضلالة الكبرى التي ألقاه فيها الشيطان وهي رفض الإيمان. قال:

- ذات يومٍ ظهر لي المسيح ذاته وقال لي: "يا ولدي نيقولاوس، ينقصك شيئاً واحداً بعد حتى تصل إلى الكمال. اعمل هذا الأمر وسوف تُسرّني كثيراً. المعمودية التي عمّدتك إياها والداك ليست معمودية أصيلة. آباء الكنيسة لسوء الحظ غيروا المعمودية الأولى التي تسلّموها من الرسل القديسين. فاذهب إذاً إلى تسالونيك ودع المرسلين الألمان يرشّونك بالماء لأنهم لا يزالون حتى الآن يحفظون التقليد الرسولي غير منثلم". وأنا من دون أيّ تأخير قمتُ بزيارة البروتستانت الألمان في المستشفى الألماني في تسالونيك. تحدّثتُ إليهم عن الرؤية التي شاهدتها

فقاموا بتعميدي بحسب طقسهم. ولكن منذ ذلك الحين بدأت أسئلة كثيرة تراودني وثقلٌ كبير يضغط على صدري. لم أعد أحتمل فاتخذتُ قراراً بأن آتي إلى هذا المكان المقدس علني أجد نجاةً.

كان قد انقضت على هذه الأحاديث ستُّ ساعات متواصلة من اللحظة التي فتح فيها نيقولاوس باب قلبه لشيخ نساك كاتوناكيا الحكيم المتحلّي بالتميز. تحققت الخطوة الأولى نحو نجاة نيقولاوس. أبقاه الشيخ دانيال بقريه مدة يومين وأظهر له ضلالاته مستعملاً براهين كثيرة وأمثال آبائية عديدة. اقتنع نيقولاوس. اعترف بضلالاته لأبٍ روحيّ وقبيل مسحة الميرون المقدس. ونجا من سيطرة الشيطان.

## لجام الشيطان

في بدايات القرن العشرين كان ينسك في منطقة كاتوناكيا الصحراوية في جبل آثوس شيخٌ فاضل جداً. إلى درجة أنه لم يرغب أن يتعهد مسؤولية الأبوة الروحية. ولهذا السبب لم يكن يقبل أن يسكن عنده أي تلميذ. ولكن شاباً استطاع أن يشيه عن عزمه بعدما توسّل

إليه أياماً عديدة بدموعٍ. وهكذا قبله الشيخُ ومن بعد  
الاختبار لعدة سنوات، أبدى الشابُ خلالها سلوكاً جيّداً  
قام الشيخُ بتصويره راهباً.

مضى بعض الوقت. وفجأةً بعملِ الشيطان تبدّل حالُ  
المبتدئِ وموقفه تجاه شيخه. ومن دون أن ينتبه تبنّى قناعات  
شيطانية واعتبر أنّ شيخه لم يكن مستحقاً للاحترام  
والاعتبار اللذين كان يبديهما نحوه رفاقه النساك، وبما  
أنه لم يكن أباً روحياً أو كاهناً لم يكن هو نفسه مجبراً  
أن يبوح له بكلِّ أفكاره ولا أن يكشف أمامه عالمه  
النفسي الداخلي.

وبهذه الطريقة، حسبما يقول المثلُّ في جبل آثوس:  
"أغلق الشيطانُ فمه مقفلاً ورمى المفتاحَ في البحر".  
ومع مرور الوقت قويت حربُ الأفكار. وصار المبتدئُ  
يفكّر: "الشيخ ضالٌّ ومرءٍ"، "إنه ليس متقدماً في الحياة  
الروحية كما يظنُّون. إنه متهرئٌ وغير قادر أن يرشد  
آخرين. ولهذا سيكون من الجيّد أن أتركه وأرحل فأفتش  
عن شيخٍ أفضل".

استطاع الشيخُ أن يرى الحربَ في قلب تلميذه فأخذ

ينصحه بما يوافقته مذكراً إياه بالوعود التي قطعها على نفسه أمام الله والبشر. ولكنّ ذلك لم يكن ينصلحُ وذات يوم، سلك طريقَ المعصية.

ولما كان شاباً وغيرَ خبيرٍ بفخاخ الشيطان، رحلَ من كاتوناكيا وانتهى به المطاف في إسقيط القديسة حنة. وحين وصل إلى قلاية القديس جاورجيوس جلس ليرتاح معتقداً بأنه هكذا سوف يبعد الظلمة عن عقله المظلم.

أمّا الشيخ فمِنذ اللحظة التي رحلَ فيها تلميذه أسلمَ ذاته إلى الصلاة من أجله. وكان يتوسّل إلى الربّ ووالدة الإله الفاتقة القداسة أن لا يتطلعا إلى أنانيته وحماقته، بل أن يدبّرا توبته وعودته.

وبينما كان المبتدئ جالساً على صخرة، إذا به يصادف أجرة عصيانه: رأى بكلِّ وضوحٍ أمامه الشيطانَ بشكله الوحشي. كان يُمسك بيده لجامَ بغلٍ. وقام بعرضه أمامه متحدّياً وقال له بفرح يشوبه الشرُّ:

- هذا ما كنتُ أريده، هذا ما كنتُ أرنو إليه وقتاً طويلاً واستطعتُ تحقيقه في نهاية الأمر: أن أوحى لك بالأنانية، أن ألقيك في المعصية وأخرجك من حماية شيخك

ومحبته. الآن أنت مُلكي. سوف ألبسك هذا اللجام  
وسأقتادك حيث أشاء أنا.

ولدى تفوّهه بهذه الأقوال هجَمَ عليه مريداً أن يلبسه  
اللجام. قاوم الراهبُ الشقيُّ قدر استطاعته بالرغم من أنه  
كان يرتجف من خوفه. صارَع بكلِّ معنى الكلمة.  
والشكر لله أنه طلب على الفور معونة المسيح والفائقة  
القداسة وشيخه. وصرخ من عمق نفسه قائلاً: "إنني أتوب  
أيها الشيخ. ساعدني وسوف أعود لأقيم بقربك فوراً".

ويا للعَجَب!! في اللحظة ذاتها اختفى المثلث اللعنة  
تاركاً وراءه في تلك البقعة رائحةً كريهة لا تطاق شعرَ بها  
الرهبانُ المقيمون في الجوار.

وحالما صحا المبتدئ العاصي من تلك الخبرة المخيفة  
انطلق راكضاً إلى قلايته. فوجد شيخه راكعاً يبكي  
وهو يصلي لأجله أمام أيقونات الهيكل. احتضنه الشيخُ  
وقبّله على غرار الابن الشاطر في المثل، والذي عاد من بلد  
الضلال والهلاك. وطلب المبتدئُ المغفرةَ بدموعٍ وروى مرتعداً  
الحادث الذي صادفه وصراعه مع الشيطان. وقطع وعداً  
بالتواضع والطاعة التي لا تسأل أبداً تائباً عن كلِّ شيء.

بعدما مجّد الشيخُ المسيحَ والفائقةَ القداسةَ على  
خلاص تلميذه أرسله إلى أبِ رُوحِي كي يعترف بخطاياها،  
فطلب إليه ذاك أن يروي ما حصل معه علانية في اجتماع  
عام للأباء من أجل منفعة الكثيرين.

في المكان الذي حصل فيه الظهور الشيطاني  
والمعركة تمّ وضعُ صليب كي يقبله العابرون من هناك  
ويطلبوا معونته ونعمته ضدّ عدوّ خلاصهم.

### "العربة النارية"

رفيقُ الشيخ يوسف الهدويّ (١٩٥٩م) الذائع الصيت  
في النُسك، الشيخُ أرسانيوس الكهفيّ (١٨٨٦-١٩٨٣م)  
لدى رغبته أن يُظهر كم يكون الراهب في أمنٍ لدى  
معاربته للأفكار وإبادتها، روى ما يلي:

"في بدايات حياتنا الرهبانية، قامت الشياطين  
بضربي أنا والشيخ يوسف كثيراً. ولكنها كانت تضرب  
الشيخ أكثر لأنّ صلواته كانت تحرقها. أمّا أنا فكانت  
تضربني أقلّ لأنني لم أكن في مستوى رُوحِي وإنما لكوني  
مبتدئاً فقط.

حين يطيع المبتدئ طاعةً صحيحةً ويبوح بأفكاره



يقطع كلّ حقوق الشياطين. ولكنّ المجربّ حين يرى أنك  
تقدّم نفسك للطاعة وتعمل واجباتك الروحية، يدفعك كي  
تخفي أفكارك عن الشيخ.

ذات مرة، لو لم يكن الشيخ يمتلك موهبةً لكان  
الشیطان التهم من بيننا الأب يوحنا فلاخوس. كان ذاك  
إنساناً بسيطاً وتقياً جداً. لبعض الوقت لم يكن ييوح  
بأفكاره، فناده الشيخ يوسف وقال له:

- كيف حالك أيها الأب يوحنا ؟

- بخير، جيد جداً أيها الشيخ.

- أليس لديك أيُّ فكر كي تعترف به ؟

- كلا، كلا إنني بخير.

ولكنّ الشيخ يوسف كان يشعر بقلقٍ كبير حين  
يصلّي لأجل هذا الراهب. وكان هناك صوت يقول له إنّ  
هذا الراهب لم يكن على ما يرام. فاستدعاه مرة أخرى في  
أحد الأيام وقال له بلهجة قاسية:

- أريد أن تبوح لي بأفكارك.

- ولكن أيها الشيخ ليس عندي شيء لأقوله.

- لن تخرج من هنا ما لم تعترف.

- بارك أيها الشيخ، ولكنني تلقيتُ أمراً من ملاكي  
أن لا أقول شيئاً لأيّ إنسان. ها إنني بصلاتك استأهلتُ في  
النهاية أن أصلي برفقة ملاكي. ولكن بما أنك تضطّررتني  
أن أتكلم فهي فرصة كي نتصافى. غداً مساءً سوف  
نذهب إلى الأب متى كي أتناول وبعد ذلك سوف ينحدر  
النبي إيليا بعربته النارية كي يأخذ نفسي.

حالما سمع الشيخ يوسف هذه الأقوال ومَضَ في ذهنه  
القول: "حيث تذهب العربيات يذهب الفرسان". فقال له:

- يا ضالّ، وضعك الشيطان في قبضة يده كي  
يُلقيك من أحد الجروف ويرسلك إلى الجحيم وأنت لا  
تتكلم ؟

- ولكن هل من المعقول أيها الشيخ ؟

- انتظر وسوف ترى إن كان هذا ممكناً.

في مساء اليوم ذاته يُظهر له الأمر لا ملاك بل  
الشيطان ذو القرون ذاته. وقال له وهو مهتاج عليه: ألم أقل  
لك يا راهب السوء أن لا تخبر شيخك بسرنا. آخ لقد تجوت  
مني بشكلٍ رخيص. كنتُ قد نصبتُ لك الفخّ كي ألقى  
بك من فوق جُرفٍ.

ارتجف الراهب خائفاً وصرف بأسنانه. وركض حالاً  
إلى الشيخ يوسف وسقط عند قدميه وهو يفيض بالعرفان  
بجميله. كان الشيخ قد أنقذه من موتٍ مضاعفٍ، كان  
إخفاءً الأفكار سيرسله إليه.

## الشيخ حبقوق

نسك الشيخ حبقوق اللافري (١٩٧٩م) الذي كان  
يتحلّى بموهبة حفظ مقاطع كاملة من الكتاب المقدس،  
في البداية في منطقة فيغلا. ولكنّ ظهور أحد الشياطين  
الذي حاول أن يضلّه جعله يفادر المكان مذعوراً ويهرب إلى  
دير اللافرا الكبير. وهاكم كيف حصل ذلك:

كان الشيخ يصليّ المسبحة ذات مرة فوق أحد  
الصخور. وفجأةً ظهر أمامه شيطانٌ بهيئة ملاكٍ وقال له:

- يا حبقوق. أرسلني الله إليك كي آخذك إلى  
الفردوس لأنك صرتَ ملاكاً. تعال لنطير.

- وكيف نطير، سأل الشيخ مذعوراً. أنت لديك  
أجنحة وتطير.

- وأنت يا حبقوق لديك أجنحة لأنك صرتَ ملاكاً  
ولكنك لست تراها.

وللحال رسم الشيخ إشارة الصليب بتواضع قائلاً:

"يا سيدتي الفاتقة القداسة ما أنا حتى أطيّر؟"

ولم يكذب ينتهي من ذلك وإذا به يرى "الملاك" يغير شكله. صار أسود اللون كجد "لديه جناحان كمثّل الوطواط، وطار فوق الجرف باتجاه البحر واختفى. وقال الشيخ عندئذٍ مرتاحاً ومتأثراً: "أشكركم أيتها السيدة الفاتقة القداسة لأنك حفظتني ولم يلقِ الشيطانُ بي من فوق الجرف". ثم نهض حالاً ودخل قلايته وأخذ حقيبته وذهب إلى دير اللافرا الكبير وأقام هناك حتى رقادته من أجل أن يكون في أمان روحيّ.





MP ΘΥ

IC XC



---

## القسم الثالث

---

### السّحر - الجمعيات السريّة

---

#### "ضربات" فرعون والسحرة المصريون

كان موسى النبي الشخص الذي حدّده الله كقائدٍ للشعب الإسرائيلي ومحرراً من حكم المصريين. حين نال موسى النبي الأمر الإلهي، مثل برفقة أخيه هارون أمام الفرعون ميرنبتا الأول (١٢٢٣-١٢١٥ ق م)، وقال له:

الربُّ إله إسرائيل يأمرُك أن تُطلق شعبه ليذهب إلى الصحراء ويقدم له ذبيحةً.

فأجابهما فرعون بكبرياءٍ وقسوة قائلاً: ومن هو هذا الإله الذي سأستمع له؟ لست أعرفه. ولن أدع بني إسرائيل يغادرون. وبعدما طردَ الأخوين بهمجيةٍ، جعلَ حياة العبرانيين لا تُطاق مجبراً إياهم أن يعملوا بشكلٍ مفرطٍ ومجهدٍ.

ولكنَّ اللهَ أمرَ موسى أن يقفَ مع هارون أمام الحاكم المصري مرّةً ثانية وأنذره اللهَ مسبقاً قائلاً: لن يستمع لكما فرعون هذه المرّة أيضاً. فإذا طلب منكما أن تفعلوا أعجوبةً ما كي يؤمن بأقوالكما فقم بإعطاء عصاك لهارون وقُلْ له أن يُلقِي بها أرضاً أمام فرعون، فتستحيل العصا حياةً كبيرةً.

وهذا ما حصل. مثل النبيان أمام فرعون للمرّة الثانية. وحين رفضَ مرّةً أخرى أن يؤمن بأنهما رسولا اللهَ، أخذ هارون عصا موسى ورماه أمام قدمي فرعون وللحال صارت العصا ثعباناً.

خاف فرعون استدعى للرجال سحرة مصر وعرفا فيها كي يواجهوا بفتنهم الشيطاني قدرة النبيين الإلهية. فآلقوا هم أيضاً عصيهم أرضاً فاستحالت أفاعي مباشرةً. ولكنَّ

انتصار السحرة المصريين كان مؤقتاً لأن عصا هارون التي صارت أفعى التهمت فوراً جميع الأفاعي الأخرى. قوة الله أبادت قوة الشيطان. ورُغم أن ما حصل كان أعجوبة واضحة. إلا أنه لم يجعل فرعون يغير رأيه. ولهذا السبب قال الله لموسى ثانيةً:

- اذهب ثانيةً في الصباح لتقابل فرعون. سوف تراه يمشي على ضفاف النيل. أمسك بيدك العصا التي استحالت أفعى. وقل له أن يُطلق سراح الشعب كي يعبدني في البرية. ولكي يفهم بأني أنا الإله الحقيقي سوف تعمل أعجوبة ثانية: تبسط عصاك فوق النهر فيصير ماؤه دماً. وليأخذ هارون عصاه ويبسطه فوق اتجاه جميع مياه الينابيع والأنهار في مصر. وبهذه الطريقة ستصير تلك المياه دماً.

قام موسى وهارون بما أمرهما به الرب. احمرَّت الينابيع والأنهار، والأسماك ماتت، وأتسخت المياه فلم يقدر المصريون أن يشربوا من هناك. ولكن السحرة المصريين قاموا بفعلٍ عجيبٍ مشابهة لهذه بمساعدة الشياطين. فلم ينش فرعون أمام مشيئة الله. وعاد إلى قصره دون أن يبالي



بأمر شعبه الذي يعاني من العطش وقام بفتح ينابيع كي  
يجد ماءً للشرب.

لاحقاً، بعد سبعة أيام رفع هارون عكازه بأمرٍ إلهيٍّ  
نحو سائر الاتجاهات. وعندها خرجت ضفادعٌ من أنهار  
مصر وغطت أرض مصر من طرفها إلى طرفها. ولكنَّ  
السَّحَرَةَ قَلَّدوا هذه الأعجوبة أيضاً واستطاعوا بفنونهم  
السَّحَرِيَّةِ أن يخرجوا الضفادع من المياه.

ولكنَّ الله لم يتركهم أحراراً يزاولون السَّحَرِ. وهم  
لم يقفوا فقط عادمي القدرة أمام النبيين بل أُجبروا على  
الاعتراف بالقوة الإلهية قائلين لفرعون وهم مستسلمين حين  
غطت أعدادٌ لا حصر لها من البعوض البشر، الحيوانات  
وكلَّ الأرض المصرية: هذا إصبع الله. وبهذا الشكل ألقوا  
كلَّ محاولةٍ سَّحَرِيَّةٍ جانباً.

تلاحقت بعد ذلك "ضربات" أي عقابيات إلهية، إلى أن  
خضع فرعون لمشيئة الله وترك بني إسرائيل أحراراً ليعبدوا  
إلههم. وكانت إحدى الجلِّدات أنه ضرب السَّحَرَةَ أنفسهم:  
امتلأت أجسادهم جروحاً وفضاعات كانت تحرق كائنار.  
لم يقدروا أن يقفوا أمام موسى فخرجوا مذلولين. لم تُغثهم

قوتهم الشيطانية على صنع العجائب ولا حتى على شفاء  
أنفسهم.

## عليمُ السَّاحِرُ

الرسولان بولس وبرنابا كانا قد ذهبا إلى قبرص  
مرسلين من الروح القدس وكرزا بكلمة الله في مجامع  
اليهود. وبعدما قطعا الجزيرة وصلا إلى بافوس. هناك  
وجدا رجلاً سَاحِراً ونبياً يهودياً كذاباً كان اسمه عليم أو  
باريشوع وكان هذا صديقاً للوالي سرجيوس بولس.

كان سرجيوس بولس رجلاً فهيماً متعللاً. بعدما  
استدعى برنابا وبولس طلب أن يسمع كلمة الله. ولكن  
عليم السَّاحِر كان يقاوم الرسولين ويدَّعي بأنه يقدر أن  
يعيق الوالي عن الإيمان بالمسيح.

وعندها إذ كان بولس ممتلئاً من الروح القدس نظراً  
إليه بإمعانٍ وقال له: أيها الممتلئ كلِّ غشٍّ وخبثٍ، يا ابن  
الشيطان، يا عدوَّ كلِّ برٍّ ألا تزال تفسدُ سُبُلَ الله  
المستقيمة! فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا  
تبصر الشمس إلى حين.

وفي الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور

ملتصماً من يقوده بيده. والوالي لما شاهدَ ما جرى آمن  
مندهشاً من قوة تعليم الرب.

## ما حصل للمقسّمين

كان الله يجترح أعاجيب كثيرة على يدي القديس  
بولس الرسول. وكان الناس يأخذون أيضاً المناديل التي  
استعملها القديس بولس الرسول ويضعونها على مرضاهم  
فيشفون من أمراضهم، والأرواح الشريرة تخرج وتبتعد  
عنهم.

بعض من اليهود الطوائف المقسّمين شرعوا يستعملون  
اسم يسوع على هؤلاء الذين كان بهم أرواح شريرة،  
قائلين: نُقسّمُ عليكم باسم يسوع الذي يكرز به بولس.  
وكان سبعة بنين لسكاوا وهو رجل يهودي ورئيس كهنة  
هم الذين فعلوا هذا. فأجابهم الشيطان: أمّا يسوع فأنا  
أعرفه وأمّا أنتم فما أنتم؟

وللحال وثب عليهم الرجل الذي كان به روح نجس  
وغلبهم وقوي عليهم حتى خرجوا من ذلك البيت عُراة  
ومجرّحين. وصار هذا معلوماً عند جميع اليهود واليونانيين  
الساكنين في أفسس فوقع عليهم خوفاً كبيراً. وكان

كثيرون ممن يستعملون السُّحْر يجمعون الكتب  
ويحرقونها أمام الجميع. هكذا كانت كلمة الربّ تنمو  
وتقوى بشدّة.

## القديس بنكراتيوس والأوثان

القديس بنكراتيوس الشهيد (ق ١) أسقف تافرومينيا  
في صقلية كان ينحدر من أنطاكيا. بعدما اعتمد مسيحياً  
في أورشليم أقام في جهات البنطس حيث أخذه معه  
القديس بطرس الرسول لدى عبوره من هناك مبشراً  
كتلميذ ومساعد إلى أنطاكيا وكيليكيا. ولاحقاً رَسَمَهُ  
بطرسُ الرسول أسقفاً وأرسله إلى صقلية كي يبشّر  
بإنجيل المسيح.

وصلت سفينة ليكأونيذيس المستتير حديثاً التي  
كانت تحمل القديس بنكراتيوس من بعد رحلة طويلة إلى  
ميناء فالكونا في صقلية. وكان الميناء قد اتّخذ هذه  
التسمية من اسم إلهٍ محلّي كان أهل المكان شيّدوا على  
اسمه هيكلًا جميلاً كبيراً. وكانوا يقدمون ثلاثة رجالٍ  
شبانٍ وثلاثة وسبعين عجلاً ذبائح أمام صنم الإله الكاذب  
كلّ سنة.

خرج بنكراتيوس من السفينة حاملاً صليباً بيده بدلاً  
من العكاز وسار باتجاه الهيكل. وعندها بدأت الشياطين  
التي كانت تختبئ في الصنم تحركه إذ شعرت بمصيبتها.  
وعندها أذره قبطان السفينة قائلاً:

- لا تقترب من فالكونا لأنه قد قتل كثيرين.

- نحن نمتلك نعمة الروح القدس ولا نخاف الشياطين.

تعال معي لترى مجد الله وخسارة فالكونا.

تقدم القديس بنكراتيوس ممسكاً الصليب بيده.  
وضعه على المذبح ثم استدار باتجاه الشرق وصلى. وبعد  
ذلك صرخ بقوة قائلاً: أمرك باسم الثالوث القدوس أيتها  
الشياطين النجسة أن تحملي صنم فالكونا وكل المذبح  
وتذهبي إلى البحر عميقاً ثلاثين درجة من اليابسة وأن  
تفرقي في المياه هناك.

وفي اللحظة ذاتها دوى صوت قوي وظهرت الشياطين  
كمثل طيور زمار الرمل السوداء. حملت الصنم وطارت  
بعيداً إلى عمق البحر وهناك انغمرت في المياه. مكث  
ليكأونيديس عادم الصوت بسبب دهشته وتعجبه. ولكن  
الكهنة الوثنيين أسرعوا إلى بونيفاتيوس والي صقلية ورووا

له بدقةً كلما جرى. فاقترح عليهم بونيفاتيوس قائلاً:  
افحصوا لعلّ ذبائحكم لم تكن مرضيةً لديه ولهذا  
السبب رحل. وسوف أنظر في هذا الحدث الغريب لاحقاً.  
بعد مغادرة الكهنة، كان الوالي، وهو رجلٌ صالح  
النية، يطلب أن يقابل بنكراتيوس، لأنه كان قد سمع  
عنه من ليكأونيديس الذي قام بزيارته وسمع العجائب عن  
القديس وعن المسيح وإنجيله الخلاصي.

وحين تقابلا، رأى بونيفاتيوس رئيس الكهنة  
بنكراتيوس محاطاً بنورٍ إلهيٍّ. تأثر جداً بحيث أنه سقط  
أرضاً وسجد أمامه صارخاً: عظيمٌ هو إله المسيحيين! أؤمن  
أنا أيضاً بالمسيح.

أنهضه القديس وقبله. وبعدما علّمه الحقائق المسيحية  
حتى منتصف الليل، حيّاه وغادر المكان. وفي الصباح،  
بأمرٍ إلهيٍّ، هياً رئيس الكهنة نفسه وأخذ حاشيته ومضى  
إلى قصر الوالي حيث أقام أربعين يوماً. ولكن هناك، بعد  
قليل جاء كهنة الأوثان وقالوا لبونيفاتيوس: أيها الوالي إنَّ  
عيد ليسون الإله العظيم يقترب. فمُر شعبك أن يقدم له  
ذبيحةً غنيةً كيلا يفضب هو أيضاً مثل فالكونا ويرحل

بعيداً عنّا.

وقع بونيفاتيوس في حيرة. فقال لهم في النهاية كي يريحهم: اذهبوا أنتم وافعلوا ما تشاؤون. ثم قام بسؤال بنكراتيوس سرّاً عما عساه يفعل. فقال له: احترس يا سيدي. ينبغي ألاّ تضحّي بعد الآن إلى الأوثان. إذا شئت أن تتال المعمودية المقدّسة وتصير مسيحياً ينبغي عليك أن تبقى ثابتاً في الإيمان بيسوع. أرجوك أن تقوم بتشييد كنيسة كي أقيم فيها الذبيحة غير الدموية. وبهذه الطريقة أوّمن أنّ الرب سينقذنا من الأعداء غير المنظورين.

قبل بونيفاتيوس بكل استعداد أن يبني الكنيسة في الموضع الذي حدّده القديس في الجهة الشرقية من المدينة. وبعد ثلاثين يوماً كانت الكنيسة جاهزة. ذهب رئيس الكهنة الشريف إلى هناك كي يقيم القداس الإلهي الأوّل. وفي الساعة التي كان يقيم فيها القداس الإلهي حصل شيء مؤثّر: سقطت جميع أوثان مدينة تافرومينيا وصارت أجزاء محطّمة.

حين ذهب كهنة الأوثان إلى المذابح الوثنية كي يقدموا ذبائحهم وشاهدوا المصيبة أخذوا ينتحبون

ويكون. وفي غضون وقتٍ قصير قامت قيامة المدينة ولم  
تقعُد. اجتمع معظم سكّان تافرومينيا أمام القصر وأخذوا  
يصرخون: ماذا تفعل أيها الوالي بونيفاتيوس غير المستحق؟  
تعال لتتظر ما الذي حلّ بأهلك التي وهبتك الفنى والمجد!

وقف الوالي في باحة قصره وتكلّم إلى الشعب  
مدافعاً: لا تخاصموني أنا يا مواطني. أنتم تغضبونني ظلماً.  
لم أخطأ أنا إليكم بأيّ شيء. لماذا لم تعملوا بما قلّته  
لكم حين حصل لفالكونا ما حصل؟ وها أنا أقول لكم  
ثانيةً: فليفسّر أكثرُ الكهنة حكمةً بينكم سبب هروب  
آلهتنا. لعلّ الذبيحة التي تقدّمها لها كانت صغيرة؟ أو لعلّ  
هناك إلهٌ آخر قد جاء إلى المدينة أقوى منها فخافت؟ لا  
أعلم، ولكن على أيّ حال إذا كان الأمر الثاني هو الذي  
يحصل فلنؤمن بهذا الإله القوي كيلا يكون لدينا حاجة  
إلى إلهٍ آخر. أقترح عليكم أن تذهبوا إلى الهياكل وتطلبوا  
من الآلهة أن تقول لكم هي ذاتها ما هو السبب.

بدا اقتراح الوالي جيداً. ذهب الكهنة ووقفوا أمام  
المذابح وتضرّعوا ساعاتٍ طويلةٍ إلى الآلهة كي تكشف  
لهم الحقيقة عن انسحاق أوثانها. وعندها، قال لهم



الشیطان الذي كان يجلس في وثن ليسون بكل وضوح:  
- لماذا أتيتم إلى هنا تتملقونني عبثاً؟ كل ما فعلناه  
في الماضي فعلناه ومضى، ولكن من الآن فصاعداً لا نقدر  
أن نُضِلَّكم. إنَّ الإله المثلث الأقانيم افتقدَ البشرية.

- ماذا تقول يا ليسون؟ وهل يوجد إله أقوى منك؟  
- نعم. إنه خلق السماء والأرض والعالم بأسره. هو  
الذي ألقى بفالكونا في البحر. وهو الذي هشمنا مرسلات  
تلميذه إلى هنا على متن سفينة ليكأونيديس.

حين سمع التافرومينيون المظلّمون اعترافَ الشيطان،  
عوضاً أن يتعلّقوا ويعودوا إلى رشدهم من ضلالهم، انتحبوا  
وطلبوا ثانيةً إلى إلههم الضعيف أن يساعدهم. وفي سبيل أن  
يكسبوا ودهُ قرّر الحمقى أن يقدّموا على مذبحه ذبيحةً  
واحداً من رؤساء المدينة. فكتبوا أسماء جميع الرؤساء  
وألقوا قرعةً وسحبوا اسماً. الويل، كانت الورقة تحمل  
اسم بونيفاتوس. شقّ الحشد طريقه حاملاً عصياً بالأيدي  
باتجاه القصر. وكان الناس يصرخون قائلين: يا  
بونيفاتوس! إنَّ ليسون الإله العظيم يطلبك ذبيحةً. مغبوطٌ  
أنت لأنك ستصير خالداً مثل ليسون وذا.

ومن القصر انطلقوا باتجاه هيكل ليسون كي  
يجهّزوا ما تحتاجه الذبيحة. أسرع بونيفاتيوس إلى  
الكنيسة وجثا عند قدمي القديس وروى له بدموع  
مصيبته. فأخذ بنكراتيوس يهدئ من روعه قائلاً: اذهب  
يا بني ولا تحف أبداً. سأكون هناك في وقت الذبيحة  
وسوف ترون جميعاً قوة المسيح.

في هذه الأثناء نصب الوثنيون أصناماً جديدة في  
الهيكل. ولكن باكراً جداً، حالما ابتدأ القديس الترتيل  
الصباحي سقطت الأصنام الجديدة أرضاً، وبقي صنم  
ليسون وحده قائماً بسماح من الله وذلك كي يخزي على  
يد بنكراتيوس الصانع العجائب.

عندما شاهد الشعب انسحاق أصنامه تبدد مندهشاً  
ومتحيراً. وكثيرون لدى عبورهم من أمام الكنيسة سمعوا  
الترتيل الرائع، لأن القديس كان يتحلّى بصوتٍ ملائكيٍّ  
فعلاً، ووقفوا خارج الكنيسة يصغون إلى الترتيل  
ويستمعون به.

عندما انتهى بنكراتيوس الشريف من الخدمة خرج  
من الكنيسة ورأى جمعاً كبيراً من الناس مجتمعاً أمامها

فسألوه بخوفٍ: نستجلفك بقوة الآلهة العظيمة. قل لنا هل أنت إلهٌ أو إنسانٌ؟

أجابهم القديسُ: أنا إنسانٌ ولكنني لا أعبد الأوثان مثلكم. أرسلني الإلهُ الحقيقيُّ كي أبشركم بالحقيقة. إن آلهتكم شياطين. اذهبوا كي تجهّزوا ذبيحة الوالي ليسون. سأتي أنا أيضاً لأظهر لكم قوة إلهي.

ذهب الجميع إلى القصر وأخذوا بونيفاتيوس واقتادوه إلى هيكل ليسون. وبعدما عرّوه من ثيابه وربطوه بدؤوا يرسلون الشكران للشيطان. ولكن في تلك اللحظة وصل القديسُ متسربلاً حلتّه الكهنوتية وحاملاً الصليب الكريم. ولدى اقترابه انحلّ وثاق بونيفاتيوس من تلقاء ذاته. وقف الأسقف أمام صنم ليسون وقال آمراً: أمرك باسم الثالث القدّوس أيها الشيطان النجس أن ترحل من هنا وتسقط في البحر في الموقع الذي سقط فيه شبيهك فالكونا.

تردّد في المكان صوتٌ دويٌّ كبير. وشاهد الجميع، وهم يرتعدون خوفاً الصنم الكبير الذي لا يمكن رفعه يرتفع في الهواء ويتّجه إلى البحر. وغطس في الماء مع

الشیطان الذي كان يسكن فيه. وصرخ الحشد كله بصوتٍ كالرعد قائلاً: عظیمٌ هو إله بنكراتيوس. وللحال، لدى دخول الشعب إلى الهيكل أخذوا يكسرون كلما هو موجود في الداخل ويحطمونه. وبعد ذلك، بعدما جمعهم القديسُ وهدأ من روعهم، قام بتلقيهم الإيمان المسيحي. ولدى انتهائه قال لهم: اذهبوا إلى منازلكم بسلام. وجهّزوا أنفسكم بالصوم والصلاة مدة ثلاثة أيام. بعدها ستناولون المعمودية المقدسة. وفعلاً، بعد ثلاثة أيام قام القديسُ بنكراتيوس بتعميد أربع وعشرين ألف شخص وحصل احتفالٌ كبير في المدينة كلها.

## القديس قوئن

ينحدر القديس قوئن الشهيد (ق ١١م) من بيداني التابعة لإيسافريا من أعمال آسيا الصغرى. كان في البداية وثياً ثم صار مسيحياً من بعد ظهور عجائبي ورؤيا لرئيس الملائكة ميخائيل، الذي لم يتوقّف عن الوقوف إلى جانبه وحمايته حتى نهاية حياته. ذات يوم تحدّى الوثنيون رفيقهم سابقاً في إيمانه بأن

يُظهِرُ لَهُمْ بِأَنَّ إِلَهَهُ كَمَا سَمِيحِي هُوَ أَسْمَى مِنْ آلِهَتِهِمْ. وَلَكُونَهُمْ حِينَهَا كَانُوا فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى مَغَارَةٍ بَعِيدَةٍ كَمَا يَقْدُمُوا ذَبِيحَتَهُمُ الْإِحْتِفَالِيَّةَ إِلَى إِلَهٍ كَاذِبٍ، اقْتَرَحَ عَلَيْهِمُ الْقَدِيسُ قَائِلاً: فَانْطَلِقْ فِي السَّاعَةِ ذَاتَهَا إِلَى الْمَغَارَةِ. أَنْتُمْ عَلَى ظَهْرِ الْجِيَادِ وَأَنَا مَاشِياً. إِذَا وَصَلْتُمْ قَبْلِي فَسَوْفَ أَقْبِلُ بِأَنَّ آلِهَتِكُمْ هِيَ أَسْمَى مِنْ إِلَهِي. وَإِلَّا سَيَكُونُ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ إِلَهِي هُوَ أَسْمَى مِنَ الْجَمِيعِ.

قَبْلَ الْقَوْمِ الْإِقْتِرَاحِ وَانْطَلَقُوا. وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَضْرِبُونَ جِيَادَهُمْ بِوَحْشِيَّةٍ كَمَا تَسْرِعُ أَقْصَى مَا يُمْكِنُ، إِلَّا أَنَّ قَوْنِ، بِقُوَّةِ الْمَسِيحِ، تَجَاوَزَهُمْ وَكَانَ أَوَّلَ الْوَاصِلِينَ. وَكَانَ عَائِداً أَدْرَاجَهُ حِينَ وَصَلَ الْوَثِيونَ الْفَرَسَانَ فِي نَهَائَةِ الْأَمْرِ وَخِيُولَهُمْ مَتَعَرِّقَةً وَمَجْهَدَةً.

تَعَجَّبَ الْوَثِيونَ مِنَ الْأَمْرِ وَلَكِنَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَوَراً بِالْإِلَهِ الْحَقِيقِيِّ. بَلْ طَلَبُوا أَعْجُوبَةً أُخْرَى وَعَادُوا إِلَى الْوَثَنِ الَّذِي كَانَ مَنْصُوباً فِي بَقْعَةٍ مَنْخَفِضَةٍ دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَقَالُوا لَهُ: قُلْ لَنَا أَنْتَ مَنْ هُوَ الْإِلَهَ الْأَسْمَى؟ كَانَ الْوَثَنُ صَامِئاً.

وَعِنْدَهَا أَمْرُهُ قَوْنِ قَائِلاً: آمْرِكْ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ،

انْزِلْ أَسْفَلَ وَاعْتَرَفْ أَيُّ إِلَهٍ هُوَ الْأَسْمَى؟

وفي اللحظة ذاتها سقط الوثنُّ من مكانه وصار  
أجزاءً مبعثرة. في حين سقط الشيطان الذي كان يسكن  
فيه على قدمي القديس وصرخ: يوجد إلهٌ واحدٌ. إنه المسيحُ  
الذي تبشَّرُ به.

بعد اعتراف الشيطان هذا آمن الوثنيون بالرب يسوع.  
وصرخوا بدورهم قائلين: يوجد إلهٌ واحدٌ، هو إله قوثن،  
هذا هو الغالب.

منذ ذلك الحين وهب القديسُ قوةً كبيرةً وسلطةً  
على الشياطين بحيث كان يرسلها كي تحرث الحقول  
وتحرس الثمار وتقوم بأعمال أخرى عديدة.

## كينوباس السَّاحِر

إنَّ الإنجيليَّ يوحنا تلميذ المسيح الحبيب (ق٢م)  
وتلميذه بروخوروس نُفيا من قِبَل الإمبراطور الروماني  
دومتيانوس (٨١-٩٦م) إلى جزيرة بطمُس. هناك قام القديس  
يوحنا بشفاء أبولونيديس المسوس من روح شيطانيٍّ.  
وبعدها آمن بالمسيح جميعُ الموجودين في بيت ميرون  
واعتمدوا، كما آمن لاحقاً بالمسيح واعتمد لافرنديوسُ  
الحاكم الإداري لبطمُس الذي كان صهراً لميرون.

كان يعيش في موقع منفى القديس يوحنا سَاحِرٌ  
يقال له كينوباس وكان يقيم مع الشياطين النجسة في  
البرية منذ سنين طويلة. كان سكّان الجزيرة جميعاً  
يعتبرونه إلهاً بسبب العجائب التي كان يعملها بقوة  
الشیطان.

حين شاهد كهنة أبوللون يوحنا يكرز بالإيمان  
المسيحي بشجاعة، أسرعوا إلى كينوباس ورجوه وهم  
راكعين قائلين:

- هذا الغريب جعل هيكلاً أبوللون قفراً. وبسببه فقد  
الجميعُ احترامهم للآلهة. فلتحاربه إذاً طالما لا يزال هناك  
متسعٌ للوقت. اذهب لتعثر عليه وتضربه.

- أنا لا أذهب إلى أيّ إنسان، أجابهم السّاحرُ منتقخاً.  
هنا إلى الصحراء يأتي إليّ جميع الذين يحتاجونني.  
ولكنني سأرسل شيطاناً شريراً إلى بيت ميرون المسيحي  
كي يأخذ نفسَ يوحنا الموجود هناك ويسلمها إلى العقاب  
الأبدي.

وفعلاً، في اليوم التالي أرسل كينوباس شيطاناً إلى  
يوحنا. أحسَّ الرسول يوحنا فوراً بحضور الروح الشرير،

فصرخ به قائلاً: أمرك باسم يسوع المسيح أن لا تتحرك من مكانك ما لم تُظهر لي السبب الذي أتيت لأجله. وعندها أُجبر الشيطان مقيداً بالقوة الإلهية أن يعترف فقال:

- إنَّ كهنة أبوللون زاروا كينوباس وأخبروه أشياء كثيرة ضدَّك. ورجوه أن يأتي هو بنفسه إلى هنا ليُميِّتَكَ. ولكنه لم يقبل أن يترك هدوءه لأجل إنسانٍ مثلك لا شأن له. فأرسلني أنا كي أخذ نفسك وأذهب بها إليه ليعاقبها. - وهل أمرك كينوباس من قبل أن تأخذ نفسَ إنسانٍ؟

- أرسلني فقتلتُ أناساً ولكنني لم أقترِب إلى نفسِ إنسان.

- ولأَيِّ سببٍ تطيعون أنتم الشياطين كينوباس؟ - لأنه في داخله تسكن قوة الشيطان وقد عقد اتفاقية معنا بأن يكون دوماً معنا ونحن معه. وبهذه الطريقة يستمع هو لنا ونحن نسمع له.

- أيها الروح الشرير، يأمرُك رسولُ المسيح يوحنا أن لا تُزعج ثانية إنساناً في هذه الجزيرة. هيا ارحل بعيداً.



تفوه القديس بهذا وللحال غادر الروح النجسُ جزيرة بطمُس. كان كينوباس السَّاحِرُ في هذه الأثناء ينتظر الشيطانَ باطلاً. فأرسل شيطاناً آخر ولكن وقع له ما وقع لرفيقه. وفي نهاية الأمر أرسل اثنين من رؤساء الشياطين قائلاً لهما: اذهبا إلى يوحنا. فليقترب واحد منكما إليه ويمكث الثاني بعيداً كي يسمع ويرى ما يجري.

وهذا ما حصل. كان للشيطان الذي اقترب إلى القديس يوحنا المصيرُ ذاته الذي ناله رفيقاه أي نُفيَ خارج بطمُس. وعندما رجع الشيطانُ الثاني إلى السَّاحِرِ وأخبره بكلِّ ما جرى. اشتعل كينوباس غيظاً. أخذ معه حشداً من الشياطين ونزل إلى المدينة. وحالما وصل ركض الناس كي يسجدوا له.

وبعد قليل عرف السَّاحِرُ بأنَّ يوحنا كان يعلم الناس في مكان يدعى فورتييس، فأسرع إلى هناك وبغضبٍ شديد قال للسامعين: أيها الناس الحمقى العميان! إذا كان يوحنا باراً وما يقوله صحيحٌ فليعمل هذا الذي سأقوله. وعندما سأؤمن أنا أيضاً بكلِّ ما يبشِّر به. وكان يقف بالقرب من مكانه شابٌ. دنا إليه كينوباس وسأله:

- هل أباك حيّ؟

- كلا بل كان مسافراً في البحر وغرق.

عندها قال كينوباس ليوحنا: تفضّل أرنا قوتك! أخرج والد الشاب من البحر وأقمه هنا أمامنا حيّاً. أجابه يوحنا: لم يرسلني المسيح كي أقيم موتى بل كي أعلم الضالّين.

استدار كينوباس نحو الشعب وقال: أرجو أن تكونوا قد صدّقتم بأنّ هذا الواقف هنا هو سّاحرٌ ويضلّكم بفنونه السّحرية. أمسكوا به ريثما أخرج والد الشاب حيّاً من البحر.

اتجه الجميع إلى الشاطئ. وهناك صفّق السّاحرُ بيديه وجعل القوم يسمعون صوت دويّ مخيف. وفي اللحظة ذاتها اختفى كينوباس، في حين صار الشعب يصرخ قائلاً: عظيم أنت يا كينوباس. وليس لك مثيلٌ.

وبعد قليل خرج السّاحرُ من البحر مع شيطانٍ كان وجهه يشبه وجه الغريق. وسأله السّاحرُ الشاب: أليس هذا أبوك؟ فأجابه: بلى يا سيدي.

اندهش الجميع وسجدوا لكينوباس. أرادوا أن يقتلوا

يوحنا ولكنَّ السَّاحِرَ لم يتركهم يفعلون. وقال لهم: سترون أعاجيب أخرى أعظم من هذه. وعندها سوف ينال هذا العقاب الذي يستحقُّه. ثم اقترب إلى أحد الحاضرين وسأله:

- ألدريك ابنٌ؟

- كان لديّ ابنٌ ولكنَّ أحدهم كان يحقد عليه فقتله.

- سوف يقوم ابنُك.

استدعى السَّاحِرُ اسمي القاتل والضحية. وللحلال ظهر الاثنان أمامه. فسأل السَّاحِرُ الأب: أليس هذا هو ابنك؟ أليس هذا هو القاتل؟ فأجابه الرجل: بلى يا سيدي. استدار كينوباس نحو الرسول يوحنا وقال له بعجرفة: لماذا أنت مندهش يا يوحنا؟ فأجابه: أنا لا أُعجب بأشياء كهذه. فقال السَّاحِرُ: حسناً سوف ترى أشياء أعظم وعندها ستتعبَّب. أجابه يوحنا مذكراً: إنّ عجائبك يا كينوباس ستضمحلُّ سريعاً.

جُنَّ جنون الحشد لسماعه هذه الأقوال فهجم على يوحنا وأخذ الناس يضربونه بوحشية حتى كاد يلفظ

أنفاسه الأخيرة. فقال لهم السَّاحِرُ معتقداً بأنه مات:  
اتركوه بلا دفنٍ كي تأكله الطيور.

تركه الجميع ورحلوا وهم يمدحون كينوباس.  
ولكن يوحنا لم يكن قد مات. وحين عاد إلى وعيه بدأ  
مجدداً يعلم الشعبَ في مكانٍ يدعى ليثوس فولي. وحالما  
علم السَّاحِرُ بالأمر استدعى الشيطانَ الذي بمساعدته  
صنع أعاجيب إقامة الأموات الزائفة. ثم ذهب إلى يوحنا  
وقال له: تركتُك تعيشُ حتى الآن كي تخجل وأعاقبك  
عقاباً أقسى. تعال لنمضِ إلى الشاطئِ وهناك ستري قوتي  
وتخزي.

كان يسير خلفه ثلاثة شياطين قد اتخذوا شكلَ  
الرجال المقامين من الموت. ولدى وصولهم إلى طرف البحر  
صَفَّقَ بيديه وغطس في البحر متسبباً باحتياج شديد في  
البحر. فبدأ الحشد يصرخ قائلاً: عظيمٌ أنت يا كينوباس.  
وليس من مثيل لك.

وعندها اقترب يوحنا من الشياطين الثلاثة وأمرهم  
قائلاً: قفوا هناك ولا تتحركوا من مكانكم. ثم رفع  
عينيه إلى السماء وصلى قائلاً: يا ربُّ لا تدع كينوباس

يخرج من البحر حياً.

حالما صلى القديسُ دوى في المكان صوتُ دويٍّ عظيم. اهتمجت المياه باتجاه المكان الذي غطس فيه كينوباس. وهكذا لم يستطع السَّاحِرُ أن يخرج من البحر. وبعد ذلك باستدعاء اسم المسيح قام يوحنا الرسول بطرد الشياطين الثلاثة المتَّخذة شكل البشر نهائياً من بطمس. انتظر الشعبُ بقلوبٍ مدهة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ أن يخرج كينوباس من البحر. كثيرون من بين الحاضرين، بسبب إنهاكهم من الجوع، الصراخ والقيظ، كانوا منطرحين على الأرض. ثلاثة أطفال لم يحتملوا فماتوا. أشفق يوحنا المتحنُّنُ على الناس. أقام الأولاد الثلاثة وشدَّدَ الآخرين. ثم بشرهم بإنجيل المسيح. كثيرون آمنوا واعتمدوا. وهكذا، بقوة الله انتصر يوحنا على السَّاحِرِ كينوباس الذي غرق في البحر مثل فرعون آخر، وتابع يوحنا الإنجيلي عمله الرسولي.

## نويتيانوس السَّاحِر

في مدينة ميريانوسا في بطمس قام القديس يوحنا الإنجيلي بهدم هيكل ديونيسيوس بصلاته. تحت بقايا

الهيكل دُفِن كهنَةُ الإله الكاذب الاثنا عشر، وكان هؤلاء يحضُّون الشعب إلى خدمِ شيطانية باستمرار. لم يصب أحد من الوثنيين الآخرين بأذى.

وكان هناك سَاحِرٌ اسمه نويتيانوس يسكن هناك مع زوجته فوراً وابنيه، فذهب غاضباً بسبب موت الكهنة إلى يوحنا وأخذ يتهدده أمام الشعب قائلاً:

- إمّا أن تقيم الكهنة الاثني عشر بحيث أوّمن أنا أيضاً بالقائم من بين الأموات أو سأقيمهم أنا وحينها ستُعاقب بالموت على تدمير الهيكل.

- لو كانوا مستحقين أن يقوموا من بين الأموات لما كانوا هم وحدهم من ماتوا. إمّا أنت فلا تأمل أن تقيمهم بسحرِك.

ولكنّ نويتيانوس كان يثق بقوته السحرية. فذهب إلى الموضع الذي كان فيه الهيكل وطاف حول بقاياها ثم قام باستدعاء الشياطين. وللحال ظهر أمامه اثنا عشر شيطان كان لهم شكلُ الكهنة الاثنا عشر. فقال لهم السّاحِرُ: تعالوا معي كي نُقنع الشعب بأن يقتلَ يوحنا. فصرخت الشياطين: لا نقدر أن نقرب إليه. نحن سننتظر

هنا. اذهب أنت وأحضر الشعب. حين سيشاهدنا سيؤمن  
وسيرجم يوحنا.

عرف القديس يوحنا بالمخطط الشرير فاستدعى  
تلميذه بروخوروس وقال له: حالما يقترب نويتيانوس إلى هنا  
اذهب أنت من طريق آخر إلى الهيكل المنهدم. ستجد هناك  
اثنا عشر كائناً لهم شكل الكهنة الوثنيين الاثني عشر.  
اقترب إليهم وقل له إن يوحنا رسول المسيح يأمر أن يختفوا  
من الجزيرة ويذهبوا إلى أماكن مقفرة.

حين غادر بروخوروس جاء نويتيانوس وبدأ ينادي  
الشعب قائلاً: حتى متى ستستمعون إلى يوحنا المخادع؟  
هاكم مثلما وعدت أقمت الكهنة الذين لم يكونوا  
بالنسبة لهذا الإنسان مستحقين أن يعيشوا. وسوف أبني  
الهيكل إذا قتلتم يوحنا. والآن هلموا جميعاً ما عدا هذا  
المُضِلِّ، لتشهدوا الكهنة المقامين من الموت أقوىاء.

ثم استدار السَّاحِرُ وغادر المكان. ترك الجمعُ يوحنا  
وذهب وراءه. ولكن حين وصل إلى المكان الذي كان  
ينبغي أن يكون فيه الكهنة، لم يشاهدوا أحداً فصاروا  
يتساءلون عن الأمر. كان بروخوروس قد جعلهم يرحلون

بموجب وصية القديس يوحنا.

بدأ نويتيانوس مضطرباً يستدعي الشياطين. قام باستدعاءات لا عدد لها ولكنه لم يتمكن من تحقيق أي شيء. امتعض الناس الذين انتظروا ساعات طويلة وأخذوا يخاصمونه قائلين: أنت هو المخادع. جعلتنا نترك يوحنا الذي يعلم الحقيقة. والآن بأي وجه سنذهب إليه؟ ثم بدأ بعض الناس يقولون فلنقتل نويتيانوس حسبما أراد أن يقتل المعلم بشر. ولكن آخرين منعوهم عن هذا وقالوا له: كلا، ينبغي ألا نفعل شيئاً بدون أخذ رأي يوحنا.

ثم مضوا إلى رسول المسيح وجثوا أمامه. وبعدما طلبوا منه المسامحة على تركهم إياه ولحاقهم بالساحر رجوه أن يعمدهم ليصيروا مسيحيين. وهذا ما حصل. وفي اليوم التالي قام القديس يوحنا بتعميد مئتين وعشرين رجلاً في النهر.

في هذه الأثناء تابع نويتيانوس أعماله الشريرة. وكان يحاول بكافة السبل أن يعيق جميع الذين يريدون أن يعتمدوا عن المعمودية. ولهذا طلب الرسول يوحنا من المسيح أن يعاقبه عقاباً تأديبياً تربوياً فصلّى قائلاً: أيها الرب



يسوع المسيح اجعل نويتيانوس يتعقل. اجعل عيني جسده  
تصابان بالعمى كي تنفتح عينا نفسه".

استجاب الربُّ لصلاة تلميذه. أصيب السَّاحِر بالعمى  
ولكنَّ عماء صار سبباً لخلاصه. طلب للحال أن يقودوه إلى  
يوحنا. وطلب إليه تائباً: "يا عبدَ الله ارحمني وأهّلني أن  
أصير مسيحياً".

أمسكه القديس يوحنا بيده بدون أيِّ حقد وقال له:  
"أشكر اللهَ الذي تحنَّن عليك ولم يتركك إلى النهاية في  
يدي الشيطان".

بعد ذلك قام بتعليمه الإيمان المسيحي ثم عمّده. بعد  
معموديته شُفي نويتيانوس. تأثر من الأعجوبة وسقط عند  
قدمي الرسول يوحنا ورجاه أن يذهب إلى بيته.

كانت توجد في بيت السَّاحِر سابقاً أوثانٌ كثيرة.  
حالما دخل يوحنا إلى البيت سقطت كلها أرضاً وصارت  
أشلاء. وحين رأى نويتيانوس الأعجوبة الجديدة آمن أكثر  
بالمسيح. كما آمنت زوجته وولدها أيضاً واعتمدوا. سكَّن  
المسيحُ حينها في بيتهم طارداً كلَّ شيءٍ شيطانيّ.

## الوعاء الذهبي

استشهدت القديسة غليكيرية (ق٢م) في تراجانوبوليس من أعمال ثراكي في أيام الإمبراطور أنطونينوس (١٣٨-١٦١م). دُفنت رفاتها الشريفة في هيراكليا. كان يفيض من قبرها طيبٌ يسقط في وعاء مصنوع من البرونز. وبهذا الطيب كانت القديسة تجرح عجائب كثيرة. الإناء البرونزي كان يُستعمل من أجل إقامة تقديس الماء فوق قبر القديسة.

في نهايات القرن السادس الميلادي وجد أسقف هيراكليا في القسطنطينية إناءً ذهبياً فاخراً. وللحال اشتراه وحدده من أجل أن يصير تقديس الماء فيه لأجل القديسة غليكيرية بدلاً من الإناء البرونزي، ولكن منذ ذلك الحين توقفت العجائب.

حزن الأسقف كثيراً بسبب هذا الموضوع. وبعدما صلى بدموع، تلقى إعلاناً من الله بأن الإناء الذهبي كان نجساً. فأخذه وذهب به إلى البطريرك القديس يوحنا الصوام (٥٨٢-٥٩٥م). وهذا بدوره من بعد تفحص وجد أنّ أحد الرؤساء واسمه بافلينوس وكان هذا حكيماً ولكنه

وثنيّ وسأجر، كان قد أهرق دمًا في الإناء مقدّمًا به ذبائح  
للشياطين ومن بعد استدعائه للشياطين كان يزاول  
السُّحر.

## "من غريغوريوس إلى الشيطان"

حين كان القديس غريغوريوس العجائبي (٢٧٠م)  
المرسوم أسقفًا جديدًا مسافرًا إلى أبرشيته قيصرية  
الجديدة في البنطس أمطرت السماء فجأةً. فاضطرّ قبل  
وصوله إلى المدينة بقليل أن يلجأ هو وصحبُه إلى هيكلٍ  
وثنيّ.

كان ذاك الهيكل أحد أهم الهياكل في تلك  
المنطقة. كان خادمو الهيكل الجدد هناك يإيحاء من  
الشياطين يزاولون السُّحر ويعطون تعاويذ. وحالما دخل  
القديسُ إلى الهيكل رسمَ إشارة الصليب الكريم  
واستدعى اسم المسيح، فهربت الشياطين التي كانت تقيم  
هناك مذعورةً ورحلت بعيداً.

أمضى غريغوريوس محبُّ الله تلك الليلة كلها  
ساهرًا يصليّ ويرتل. وعند الصباح تابع رحلته إلى قيصرية  
الجديدة. وبعد رحيله بقليل، عاود أحد خدام الهيكل

الوثني مزاوله عمله وأخذ يستدعي الشياطين، ولكنها ظهرت خارج الهيكل وأخذت تصرخ وتقول: لا نستطيع أن ندخل. هذا الذي دخل إلى هنا ليلاً جعلَ الدخولَ إلى هذا المكان محرماً علينا.

عمل الخادمُ ذبائحَ وقدمها وقام بأفعال سحريةٍ أخرى وحاول أن يعيد الشياطين ثانيةً إلى الهيكل ولكن عبثاً. لم تكن تطيعه كالسابق لدى استدعائه لها. انفجر الرجل من غيظه وهجم باتجاه الطريق الذي سار القديس فيه. ولما استطاع أن يلحق به أخذ يصيح مهدداً: سوف أشكوك إلى الرؤساء، سوف أشكوك إلى الرؤساء. كيف تجاسرت أن تدخل إلى هيكلنا وأنت مسيحيّ وعدوٌّ للآلهة؟ ها إنه لدى دخولك أنت غادروا هم، ولهذا لا تفعلُ قوتهم السحريةَ هناك ولا تظهر بحسب سابق عهدها.

لم تُخف تهديدات الخادم القديس. بل أخذ يهدئ من روعه وقال له: لا تقلق. إنّ إلهي يمتلك السلطة والقوة أن يطرد شياطينك أو يجعلها تسكن حيث يشاء. هل تريد أن أثبت لك هذا فوراً؟

أجابه الخادم الوثني: أريد. وفي اللحظة ذاتها شطر

القديسُ قطعةُ ورق صغيرة من أحد الكتب وكتبَ عليها أربع كلمات فقط: "من غريغوريوس إلى الشيطان. أدخل"، أي غريغوريوس يقول للشيطان أدخل داخلاً.

أخذ الخادمُ الوثني هذا الأمرَ المكتوب ووضعهما فوق كتفه. ورأى الشياطين ترجع وهو مندهشٌ.

ولدى استيعابه أن غريغوريوس يمتلك قوة إلهية بفضلها كان أقوى من الشياطين أسرع راكضاً ولحق به قبل أن يدخل إلى المدينة. وقال له بلهفة: أعلمني أرجوك بالسرِّ. من هو إلهك الذي لديه السلطان على آلهتي؟

شرحَ القديسُ له باختصارٍ سرَّ الإيمان المسيحي. ولكن خادم الهيكل كان رديء الإيمان. وطلب أعجوبةً أخرى كي يؤمن. وحين حرَّكَ القديس بكلمةٍ منه فقط صخرةً كبيرة ونقلها من موضعها، آمن ذلك بالإله الحقيقي. ومن تلك الساعة ترك كلَّ شيءٍ وصار تلميذاً للقديس وكارزاً بالمسيح.

## أثناسيوس السَّاحِر

كابد المسيحيون على أيام الإمبراطور ديوكلتيانوس (٢٨٤-٣٠٥م) أقسى اضطهادٍ ولهذا السبب سُمِّيت فترة

ملكه "عصر الشهداء". امتلأت السجون كلها من المؤمنين الذين كانوا ينتظرون التعذيبات والموت.

أحد هؤلاء كان الشاب جاورجيوس المظفر العظيم في الشهداء (٣٠٣م). ظهر القديس أمام رؤساء الشرق من تلقاء ذاته واعترف بالمسيح بشجاعة على أنه الإله الحقيقي وأدان الآلهة الكاذبة محاولاً أن يقود الملك ذاته إلى الإيمان المسيحي.

أمر ديوكليتيانوس غاضباً أن يُلقوا بالقديس في السجن في البداية وبعد ذلك أن يُخضعوه لتعذيبات مُرة، أن يمرّروه على العجلة المخيفة التي تحتوي على السكاكين القاطعة، أن يُلقوه في وعاء مليء بالزفت، أن يُلبسوه نعلات حديدية محمّى بالنار، أن يجلدوه بلا شفقة بأعصاب العجول. ولكنّ الشهيد البطل خلّص عجائباً من التعذيبات كلها. وبينما كان الإمبراطور يتحدث مع مجالسيه في البلاط كان يتساءل متحيراً:

- كيف يخرج جاورجيوس حياً بلا مضرة من تعذيبات مخيفة كهذه؟ يبدو أنه يمارس سحراً.

- بالقرب من هنا يا ملكي، قال ماغنينيديوس أحد

أعضاء مجلسه، يوجد سَاحِرٌ اسمه أثناسيوس. إذا أمرت  
أن يأتي إلى هنا فسوف ينهزم جاورجيوس ويخضع لمشيئتك.  
وبعد قليل جاء السَّاحِرُ. فقال له الإمبراطور:

- هذه الفنون التي عملها جاورجيوس شاهدها  
الجميعُ. ولكن أنتم السَّحَرَةُ فقط تعرفون كيف قام بها.  
ولهذا اجعله بفنونك السَّحَرِيَّةِ يخضع لأمرى. وإلا اجعله  
يموت بأحد الأدوية أو بطريقة أخرى.  
- غداً يا ملكي سيتحقق هدفك وسترى فتي وقوة  
الآلهة.

وفي اليوم التالي جاء أثناسيوس حاملاً وعائين  
فخاريين يحتويان على السمِّ. وقال لديوكلتيانوس: إذا  
كنت تريد أن يفقد جاورجيوس عقله ويخضع لمشيئتك  
فليشرب من الدواء الموجود في الوعاء الذي أحمله بيسراي.  
ولكن إذا أردت أن يموت فليشرب من الوعاء الذي أحمله  
بيمناي.

وللحال أمر الملكُ القديسَ أن يشرب من الوعاء الأول.  
والقديس من دون أيِّ تأخير أخذه بيديه وصلَّى قائلاً: أيُّها  
الربُّ يسوع المسيح، أنت يا من حددتَ لعبيدك بأنهم حتى

ولو شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم أرسل قوتك لي أنا أيضاً".  
ثم شرب السمّ كله دفعة واحدة من دون أن يحصل له  
شيء.

وعندها أمر الملك السّاحر أن يعطيه السمّ المميت.  
ولكن ولا هذا تسبّب له بأذية. جميع الذين شاهدوا  
الأعجوبة وقضوا مندهشين وأكثرهم دهشة كان  
أثاسيوس الذي كان يعرف جيداً كم كانت أدويته  
فعالة. وهنا سأل الملك القديس قائلاً:

- يا جاورجيوس سوف تتسبّب لنا بالجنون بسبب  
فنونك. كيف استطعت أن تتجو ولم تتأذى من السمّ؟  
- لا تظنّ أيها الملك أنّ فنوناً بشريةً هي التي  
خلّصتني. أنقذتني نعمة الله وقوته. هكذا يُعلم هو.  
- أي ماذا علم؟

- أنه ولئن شربنا شيئاً مميتاً لا يضرنا، وأنّ من يؤمن  
به يستطيع أن يعمل الأعمال التي يعملها هو.  
وما هي أعماله؟

- أعماله هي شفاء المرضى، إقامة الموتى وغير ذلك  
من أمور.



- ماذا تقول أنت يا أثناسيوس في هذا الكلام؟  
- أنا أتحيّرُ أيها الملك كيف يسخرُ منك ولا تقضي عليه. نحن الذين نتمتع كلّ يوم بعجائب كثيرة من آلهتنا لم نسمع بعد عن قيامة الموتى. ولكنّ هذا يتبجّح بأحاديث كهذه ويقول إنّ الله يقدر أن يقيم أمواتاً. إذا كان هناك شيءٌ كهذا يحصل فعندها سيكون هذا الإله عظيماً.  
بالقرب من ذاك المكان كان يوجد قبرٌ وثنٌ. فكّ الإمبراطور وثاق جاورجيوس وطلبَ منه أن يُقيم الميت. وللحال جثا القديس وصلّى سرياً إلى الربّ الذي لم يتأخّر عن الاستجابة له. وفجأةً سُمع صوتٌ رعدٍ قوي. انفتح القبرُ وقام الميتُ. فصرخ الجميع قائلين: عظيمٌ إلهُ جاورجيوس.  
ولكنّ الملك بالرغم من انذهاله من الأعجوبة إلاّ أنه عزاها لعملٍ سحريٍّ. وعلى العكس أسرع أثناسيوس وسقط عند قدميّ القديس، واعترف متأثراً: بالفعل يا جاورجيوس إلهك هو الإله الحقيقيّ. سامحني إذا أخطأتُ إليك.

ولما رأى ديوكليتيانوس هذا المشهد أمرَ بأن يميتوا أثناسيوس على الفور لأنه اعترف بالمسيح إلهاً حقيقياً.

وهكذا صار السَّاحِرُ معترفاً بالمسيح وشهيداً. ولاحقاً تمَّ استشهاد القديس جاورجيوس أيضاً.

## علبة الزيت السَّحَرِيَّة

حين صار القديس نيقولاوس العجائبي المحبوب في العالم بأسره (٣٣٠م) رئيساً لأساقفة ميرا التابعة لليكيا هدمَ بصلاته جميعَ الهياكل الوثنية في أبرشيته، طارداً بعيداً الشياطين التي كانت تسكن هناك. وكان آخر هيكَلٍ قام بهدمه هو هيكَل الآلهة أرطيمس وكان أكبرَ الهياكل الوثنية وأجملها. حالما صلَّى القديسُ صار المبنى والأوثان أشلاء منثورة وهريت الشياطين مذعورةً تصرخ: ظلمتْنا أيها الظالم نيقولاوس! ماذا فعلنا لك لتطردنا من بيتنا؟ أين سنذهب الآن؟ فأجابها القديسُ: فلتذهبي إلى النار الأبدية المعدة لأجلك.

بعد انقضاء قرنٍ على رقاد رئيس الكهنة القديس، على أيام الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠م) بنى أهل ميرا كنيسةً كبيرةً على اسمه وكان يصير فيها عيدٌ كبيرٌ كلَّ سنةٍ.

وذات يومٍ أراد بعضُ المسيحيين من بلدٍ بعيدٍ أن

يذهبوا إلى ميرا ليسجدوا لرفات القديس نيقولاوس. وجدوا سفينةً فأبحروا على متها. وقبل قليل من انطلاقهم في البحر ظهرت عجوزٌ ترتدي ثياباً متواضعة قليلة على الضفة وكانت تحمل بيدها إناء زيت. كان من المحتمل جداً أن تكون هذه العجوز هي الشيطان ذاته بشكلٍ بشريٍّ. ومن الممكن أن تكون إبليس رئيس الشياطين أو "الشيطان الرئيس" كما يُسمَّى الذي كان في هيكل أرطيميس الذي كان القديس نيقولاوس قد هدمه بصلاته.

اقتربت العجوز إلى المسيحيين الذين كانوا يدخلون السفينةً وسألتهم:

- أين تذهبون يا إخوتي؟

- نحن ذاهبون إلى ميرا ليكيا كي نسجد لرفات

القديس نيقولاوس.

- أرجوك يا ولدي، قالت العجوز عندها لأحد البحارة، خذ إناء الزيت هذا. حين تصلون إلى كنيسة القديس قم بوضع الزيت في قنديله من أجل نفسي الخاطئة. كما ترى أنا لا أقدر أن آتي معكم لأنني شختُ وأُصابُ بالدوار عند السفر في السفينة. قم لي بهذه الخدمة التي ستكون لخيري أنا وخيركم أنتم أيضاً.

أخذ البحارُ إناء الزيت بسرور وأعطاه للقبطان.  
أبحرت السفينة اليومَ كله. وفي حدود منتصف الليل ظهرَ  
القديسُ نيقولاوس للقبطان وقال له: حالما تطلع الشمس قمُ  
بإلقاء إناء الزيت الذي أعطتكم إياه العجوزُ في البحر. لا  
تأخذوه إلى ميرا لأنَّ الشيطان يريدُ بواسطته أن يحرق  
كنيستي. حين ستلقونه في البحر سترون أمراً عجيباً  
ومخيفاً ولكن لا تخافوا لأنني أنا سأحميكم ولن  
يصيبكم مكروهٌ.

وفي الصباح، بعدما روى القبطانُ للبحارة والمؤمنين  
الرؤيا التي شاهدها، أخذ إناء الزيت وألقاه في البحر.  
وللحال صعدت وسطَ المياه ألسنة نارٍ مخيفة وأدخنةٌ قدرةٌ  
جداً. انشقَّ البحرُ إلى شطرين وصارت السفينةُ في خطر.  
خاف الجميع. وسقط الجميع مذعورين فوق سطح السفينة  
بيكون وصرخوا قائلين: أيها القديس نيقولاوس الحق بنا،  
أغثنا فإننا نغرق.

وفعلاً، بعد قليل توقف هياج البحر وأمواجه. مجدُ  
البحارة والمسافرون اللهَ سعداء بخلاصهم ومتأثرين بالخبرة  
التي عاشوها وتابعوا رحلتهم إلى ليكيا بدون عوائق.

## صاعقة القديس بابيلا

قام الملك نيكاتور الأول (٣٠٥-٢٨١ ق م) ملك سلفكية سوريا بتشييد هيكلٍ لأبولون الدفنيّ في إحدى ضواحي مدينة أنطاكيا. وبعد قرونٍ من هذا، في العام ٢٥١م قام غالوس شقيقُ الإمبراطور يوليانوس الجاحد (٢٦١-٢٦٣م) ببناء كنيسةٍ مسيحيةٍ كبيرة في المكان ذاته ووُضعت فيها رفاتُ القديس بابيلا الأنطاكي الشهيد في الكهنة الشريفة أسقف أنطاكيا (٢٥١م).

في العام ٣٦٢م، الإمبراطور يوليانوس، الذي حاول عبثاً أن يعيد العبادة الوثنية القديمة، صعد إلى هيكل أبوللون الدفنيّ وطلبَ عرّافةً. ولكن عندها أجابه الشيطان الذي كان يسكن هناك أنه لم يكن باستطاعته أن يعطيه عرّافةً بما أنّ حضور رفات القديس كان يعيقه. وكان الشيطان يقول ليوليانوس الجاحد: "إنّ الأموات يعيقونني عن الكلام. ولهذا قُم بتحطيم خزائن الرفات وأخرج العظامَ وانقلِ الموتى إلى مكانٍ آخر".

أمَرَ يوليانوس أن يتم نقلُ رفات القديس بابيلا إلى مكانٍ آخر. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم بهذا

الخصوص: "جرى إبعادُ الشهيد من المكان ولكن لم يكن هناك أمانٌ للشيطان. لأنه للحال علمٌ بأنه يمكن للمرء أن ينقلَ عظامَ أحد الشهداء ولكنه لا يستطيع أن يفرَّ من يد الشهيد. وفعلاً، في الوقت الذي كان يتم فيه نقلُ جمجمة الشهيد المقدَّسة إلى المدينة، وقعت صاعقةٌ على رأس التمثال الخشبي (تمثال أبوللون) فأحرقت كلَّ شيء".

بعد احتراق الهيكل، حصل نقلُ رفات القديس من جديد إلى مكانه السابق في الكنيسة. أمَّا بالنسبة إلى الملك فلم يجسر أن يعيد إصلاح سقف الهيكل الوثني. فهمَّ بأنَّ الضربة كانت مرسلَةً من الله وخاف أن تسقط صاعقةٌ على رأسه. وبهذه الطريقة بقيت جدران الهيكل وحدها قائمةً لتُذكَّرَ البشر بانتصار باييلا الشهيد في رؤساء الكهنة على الشياطين المظلمة.

## البتَّة البرونزية

على أيام إيلاريون الكبير (٣٧١م) عشقَ شابٌ فاسقٌ كان تاجراً من مدينة مايوما في فلسطين عذراءً متكرِّسةً لله. وبما أنه لم يقدر أن يحصل عليها بالتمليقات والهدايا

ذهب إلى ممفيس في مصر السفلى حيث كان يتواجد الكثير من السحرة وبقي هناك عاماً كاملاً وتعلم السحر. وبعد ذلك عاد إلى فلسطين آخذاً معه إلى هناك أدوات سحرية متنوعة. ومن بينها كان هناك بئكة برونزية كانت منقوشة عليها أشكال وأدعية شيطانية.

ذهب في إحدى الليالي إلى بيت الفتاة وحفر أسفل باب منزلها الخارجي ودفن البئكة هناك. وفي الحال سيطر على الفتاة البائسة بتأثير روح شرير هوى غرامي فظيع تجاه الشاب. وأخذت تتادي باسمه بلا انقطاع صارفةً بأسنانها طارحةً غطاء شعرها بشكل جنوني.

فهم أقرباؤها بأن الشاب قد صنع سحراً لها ولكنهم فتشوا كثيراً ولم يعثروا على أداة السحر. وعندها أخذوا الصبية إلى القديس إيلاريون وقصوا عليه ما حصل وطلبوا مساعدته قائلين: نرجوك يا قديس الله ارحم هذه النفس البائسة. وفي هذه الأثناء، لدى رؤية الشيطان، الذي كان قد دخل في الفتاة، للقديس إيلاريون خاف وصرخ: كنت في ممفيس وكنت أزعج الناس فقط في الخيالات والأحلام. لكنني لا أعرف كيف أحضروني إلى هنا

لتعاستي. آخ ماذا سأكابده؟ سوف تأمرني يا عبد الله أن أخرج ولكنني لا أقدر لأنهم قيّدوني في البتلة بكتابة محفورة وأنا مدفون أسفل الباب. وحده الشاب الذي دفنني هناك يستطيع أن يحلني.

عندها ابتسم القديس إيلاريون وقال له مستهزئاً: كم أنت قويّ وكبير حقيقة! قد قيّدوك بكتابة منقوشة على بتلة ولا تقدر أن تتجولاً ولكن لماذا لم تدخل في ذلك الذي قيّدك وإنما تمكّنت أن تستحوذ على عذراء متعلّقة وعفيفة.

وهنا، رغم أن الشيطان هو كذابٌ دوماً، اضطرّ أن يعترف بالحقيقة بقوةٍ إلهيةٍ وقال: لا يوجد سببٌ كي أدخل في ذلك لأنه يمتلك في داخله شيطان الفسق الذي هو أسوأ مني.

وعندها وضع القديسُ يده على رأس الفتاة وصلّى. وللحال خرج الشيطان منها وفرّ بعيداً مزمجرأً متألماً وكان هناك سوطاً يجلده. وحالما نجت الفتاة من الروح النجس، هدأت وسكّنت. وعندها قال لها القديسُ: من الآن فصاعداً كوني أكثر احتراساً واحترزي من كلّ خطيئة.



فإنك لو لم تُعطِ الشيطانَ حجةً لما استطاع أن يدخل فيك.  
وبعدها استدار نحو الآخرين الموجودين هناك  
وأكمل حديثه قائلاً: اعلّموا بأنه إذا لم نعطِ نحنُ حقوقاً  
للسيطان بخطايانا فهو لا يمتلك سلطةً أن يزعجنا، ما لم  
يسمح له الربُّ بهذا، من أجل اختبارنا أو تأديبنا تربوياً  
مثلما حصل مع أيوب.

## نكرانُ مكتوبٍ للمسيح

في أيام القديس باسيليوس الكبير (٣٧٩م) كان  
يعيش في قيصرية الحاكمُ بروتيريوس التقيّ. وكان لهذا  
ابنةً وحيدة عمرها خمسة عشر عاماً، كانت جميلة جداً  
وعشيقها أحدُ خدامها بما يخالف الناموس. ولم يكن  
للخادم الشاب طريقة أخرى كي يصل إليها سوى أن يلجأ  
إلى سَاحرٍ وثنيّ. مضى إليه وقال له:

- اجعل ابنةَ الوالي تحبّني وسأصير عبداً لك.  
سأعطيك كلَّ ما تريد.

- لن أطلب الكثير، أجاهه السّاحر. يكفيني  
نكرانُ مكتوبٍ للمسيح كي أحقق رغبتك.

- إنني أقول وأكتب بأنني أنكر المسيح فقط كي

أربح الفتاة.

- حسناً. سوف أعطيك رسالةً. سوف تذهب عند منتصف الليل إلى قبرٍ وثنيٍّ وسترفع الرسالة في الهواء وستستدعي الشياطين فيأتون، وسوف يختطفونك ويأخذونك في الهواء إلى رئيسهم وهو سينفذ لك كل ما تطلبه.

وفعلاً، أعطاه السَّاحِرُ رسالةً تحتوي على النص التالي: "بما أنني أعترف بك سيِّداً ومتسلِّطاً عليّ وأنفذُ دوماً مشيئتك، أي أجعلُ المسيحيين يتحوَّلون عن الإيمان بالمسيح وأقودهم إلى الإيمان بك، لهذا أرسل لك هذا الشابَّ المضروب بالعشق. وأرجوك أن تلبِّي طلبه كي يرى الناس قدرتك ويهرعوا إليك".

نفذ الشابُّ ما طلبه السَّاحِرُ منه. ذهب إلى قبرٍ أحد الوثنيين ورفع الرسالة في الهواء واستدعى الشياطين. وللحال ظهر هؤلاء أمامه وقالوا له: إذا كنت تريد أن تتحقَّق رغبتك اتبعنا.

اقتادته الشياطين، بالخيال طبعاً، إلى رئيسها الشيطان الذي كان يجلس فوق عرشٍ جليل. سلَّمه الخادمُ

الجديد رسالة السَّاجِر. وحالما قرأها سأله:

- هل تؤمن بي؟

- نعم أؤمن.

- هل تنكر المسيح؟

- نعم إنني أنكره.

- آخ منكم أنتم المسيحيين. أنتم عادمو النفع. حين تكونون بحاجة لشيء ما تأتون إليّ. وحين تتمُّ رغبتُكم تتركونني وتعودون إلى المسيح الذي هو محبُّ للبشر ويقبلُكم ثانيةً. ولهذا سأفعل ما تريده مني فقط إذا أنكرت إيمانك ومعموديتك كتابةً وعبرتَ عن رغبتك بأن تتعذب معي في الجحيم إلى الأبد.

لما كان الشاب مصاباً بالعمى من تلقاء العشق كتَبَ فوراً بدون أي تردُّد بأنه ينكر إيمانه ومعموديته. وحالما أعطى صكَّ نكرانه إلى الشيطان، اختفى التخيُّل الشيطاني ووجد الشاب ذاته ثانيةً أمام قبر الوثنيّ. ومن ثم عاد إلى بيت سيِّده من دون تأجيل.

وللحال أمرَ الشيطان خدّامه الشياطين قائلًا: اذهبوا وأوقظوا في الفتاة رغبةَ الشاب. وبعد يومين بدأت الفتاة

تصرخ مثل المجنونة وتطلب الخادمَ كزوج لها. وكانت تقول لأبيها وأُمها إمّا أن تتركوني أتزوّجه أو سأقتل نفسي.

ولم تكتفِ الفتاة بالتهديدات وحدها. علاوةً على اضطرابها حاولت أن تتحرر عدة مرّات. وبعدما رأى والداها من حصل، قرّرا بعد استشارات لأصدقائهم أن يزوّجوها بالشاب.

وبهذه الطريقة، بمساعدة الشياطين، صارت مشيئة الشاب. ولكنه منذ ذلك الحين لم يكن يذهب إلى الكنيسة ولا يتناول المقدّسات ولا يرسم إشارة الصليب. لاحظت زوجته التي كانت قد هدأت الأمر ولكنها كانت تؤجّل سؤاله عن ذلك. ولكنّ بعض جيرانهم المسيحيين لاحظوا الأمر أيضاً وقالوا لها بوضوح: إنّ زوجك ليس مسيحياً.

عندها لم تحتمل الصبية فسألته: أعلّك لست مسيحياً؟ ها قد انقضت آحاد كثيرة وأنت لا تذهب أبداً إلى الكنيسة من أجل أن تتناول ولا حتى كي تشارك في القداس الإلهي مجرداً مشاركةً بدون مناوله. ولكنني

أحببتك لأنني اعتقدتُ بأنك مسيحيّ. تعال كي نذهب الآن  
إلى الكنيسة أو فلننفضل.

كان الشاب بحاجة لتلك الأقوال. فهمَ البائسُ بأنه لا  
يقدر بعد ذلك أن يُبقي سرّه المخيف محفوظاً. اضطرَّ أن  
يكشفه لزوجته. فقال لها بانسحاق:

- إنني من أجل محبتك وصلتُ إلى حدِّ إنكار المسيح  
كتابةً. ولهذا لا أستطيع أن أدخل إلى الكنيسة أو أتناول.

- يا للمصيبة التي حلّت عليّ! ماذا سأفعل الآن؟  
خرجت من المنزل تبكي بلا تعزية. لمن كانت  
ستقول ألمها إلا إلى راعي قيصرية الصالح ومعرّي جميع  
البائسين أي القديس باسيليوس. أصغى القديس باسيليوس  
باهتمامٍ أبويٍّ وألمٍ لمأساة الشابين. وقال للمرأة: قولي  
لزوجك أن يزورني. وبمعمونة الله سوف ننقذه من يدي  
الشیطان.

وفي اليوم ذاته مثلَ الشابُ أمام القديس ويدموع  
اعترفَ له بالحقيقة كلّها. فسأله القديس باسيليوس:

- هل تريد أن تتوب؟

- نعم أريد أيها السيد المكرّم ولكنني لا أقدر لأنني

أنكرتُ إيماني كتابةً.

- لا يُهمُّك أمرُ نكرانك المكتوب لأنَّ التوبة تستطيع أيضاً تبطله. يكفي أن تعمل ما أقوله لك.  
- نفسي معلقةٌ بعنقك يا سيدنا. مهما تشير عليّ سأفعله.

وعندها أغلق عليه القديس في قلايةٍ وقال له:  
امكث هنا. صلِّ وصُمْ مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك سأتي  
كي أراك. ثم انسحب القديس إلى مكانٍ آخر صائماً  
يتضرّع إلى الله من أجل خلاص الشاب. وفي اليوم الثالث  
مضى إلى الشاب وقال له:

- كيف حالك؟ يا بني؟

- إنني لا أستطيع أن أحتمل يا سيدنا أصوات  
الشياطين وضرباتها. إنها تمسك بنكراني المكتوب وتقول  
لي: "مهما فعلت سيكون عبثاً لأننا نمسك برسالتك بين  
أيدينا".

- لا تخفْ يا ولدي. آمِن فقط وستخلص.

ثم أعطاه خبزاً وماءً وتركه وغادر. وبعد عدة أيام  
قام بزيارته من جديد وسأله:

- كيف حالك؟

- إنني بحال أفضل بفضل صلواتك. الآن لا أرى الشياطين. بل فقط أسمع أصواتها وتهديداتها من بعيد.  
- شكراً لله. اصبر قليلاً أيضاً.

ثم قبل أن يغادر القديسُ المكانَ وضع له بعض الخبز والماء ثم رحل. وحين اكتمل أربعون يوماً من بداية انغلاق الشاب في قلابة لوحده، قام القديسُ بزيارته للمرة الأخيرة وسأله:

- كيف حالك الآن؟

- بفضل صلواتك أيها السيّد أنا بحالٍ جيد جداً. إنني لا أشاهد هيئة الشياطين ولا أسمع أصواتها. رأيتُ في إحدى الليالي رؤيا بأنك كنتَ تصارع الشيطان لأجلي وغلبته. وللحال أعلمُ القديسُ رئيسُ الكهنة برسُلٍ من قبله إكليروسَ المدينة وشعبها أن يمضوا إلى الكنيسة. وحين اجتمع الجميعُ صعد إلى الآميون<sup>١</sup> وقال: يا أولادي الأحباء فلنشكرنُ الربَّ على وجود الخروف الضائع. ولكن ينبغي أن نتعب قليلاً نحن أيضاً محبّةً بالمسيح. فلنسهّر في هذه

---

١- من موجود في صحن الكنيسة وتجري قراءة الإنجيل المقدّس فوقه بحسب رأي المتقدّم (للمترجم)

الليلة ولنتضرّع إلى مخلصنا كي يرحم جبلته.  
وفعلاً، أقاموا سهرانية وترانيم. مكثوا مصليين الليل  
بطوله بدموع حارة. وفي الصباح دخل القديس باسيليوس  
كي يقيم القداس الإلهي. وعندها جاءت الشياطين كي  
تخطف الشاب، فخاف وأسرع ملتجئاً إلى القديس وصرخ  
نحوه مرتعداً وهو ممسكٌ بثيابه الكهنوتية: ارحمني يا عبد  
الله ارحمني فإنّ الشياطين تريد أن تأخذني.  
استدار رئيسُ الكهنة نحو الشياطين وقال لها  
بخشونة:

- أيها الأنجاس العادمو الخجل ألا يكفيكم  
هلاكمكم أنتم بل جئتم إلى هنا لتختطفوا هذا من هنا من  
وسط هيكل الله؟  
- أنت تظلمنا يا باسيليوس، أجابه أحدُ الشياطين،  
وترددَ صوته بوضوح وسمعه سائر المسيحيين الموجودين في  
الكنيسة.

- فليعاقبك إلهنا وربُّنا أيها الشيطان.  
- أنت تظلمنا يا باسيليوس، صرخ ذلك الشيطان  
ثانيةً، نحن لم نذهب إليه بل هو أتى إلينا. هو بنفسه أتى



إلينا وأنكر إيمانه بمشيئته. أنظرها هو صك اعترافه  
بنكران الإيمان مكتوباً.

- تبارك الله، صرّخ القديس. هذا الشعب المؤمن لن  
يُنزل أيديه ما لم تُرجع الصك. يا إخوة! ارفعوا أياديكم  
إلى السماء واصرخوا: "يا ربُّ ارحم".

رفع المسيحيون أيديهم وأخذوا يصرخون لوقتٍ طويل  
قائلين: "يا ربُّ ارحم، يا ربُّ ارحم". وفي إحدى اللحظات،  
شاهدوا الصك يأتي في الهواء ويسقط بين يدي القديس.  
وبعدما شكرَ رئيسُ الكهنة اللهَ سألَ الشابَ قائلاً: هل  
تعترف بأنّ هذا الصك لك؟ فأجابه ذلك: نعم يا قديس  
الله، هذا هو.

وعندها مرّقَ القديس باسيلوس الصك قطعاً صغيرة.  
وبعدما ختمَ القداس الإلهي، قام بمسح الشاب بالميرون  
المقدس وأسدى له بعض النصائح ومن ثمّ أسلمه إلى زوجته.  
غادر الزوجان فرحين إلى بيتهما ممجدين الله.

## استسقاء رومانوس

في أواسط القرن السادس الميلادي، في دير القديس  
إفثيميوس الكبير (٤٧٣م) كان لا يزال يعيش آباءً

فاضلون. وكان الكاهن التقيُّ أخثافْيوس واحداً منهم،  
وكان هذا من قرية الفيتاكوفيين التي كانت تبعد اثنا  
عشر ميلاً عن غزّة.

كان لأخثافْيوس أخٌ اسمه رومانوس وكان يقيم في  
جواره. أراد إنسانٌ حاسدٌ من قرْبته لا يخاف الله أن يأخذ  
ميرات رومانوس. ولكن بما أنه لم يتمكن من هذا ذهب  
وهو ممتلئ غضباً وكرهاً إلى مدينة الفثيروبوليس حيث  
كان يوجد سَاحِرٌ فأعطاه مالاً كي يُميتَ رومانوس.  
وبعدما أخذ السَاحِرُ المالَ وضع أحابله السَحرِيَّةَ الشيطانِيَّةَ  
موضعَ التنفيذ.

ذاتَ يومٍ كان رومانوس يعمل في حقله مع بعض  
العمّال. وفجأةً تقيّاً وغاب عن الوعي. نقله العمّالُ إلى البيت  
ولكنَّ حالته أخذت تسوء شيئاً فشيئاً. وفي نهاية الأمر  
أصيب بداء الاستسقاء وصار عاجزاً عن السير. نظر  
الأطباء في وضعه ولم يتمكنوا من فعل شيء. وكان أقاربه  
يجلسون بجانبه ليكون منتظرين موته.

وفي لحظةٍ فتحَ المريضُ عينيه وطلب من الحاضرين أن  
يخرجوا قليلاً ويتركوه وحده وبدأ يصلي قائلاً: يا إله

القوات. أنت الذي بضم النبي إشعياء قلت "حين تثنُّ وتلجأ إليَّ عندها تخلّص" انظر إليَّ أنا غير المستحقِّ وأنقذني من المصيبة التي ألمت بي. ثم ابتهل إلى القديس إفتيميوس قائلاً: أيها الأب البار إفتيميوس اصنع رحمةً لمتضرِّعٍ إليك وتوسَّل إلى الله أن ينجِّيني من شقائِي هذا. وقال أشياء أخرى في صلواته. ولما انتهى حصل في رؤيا. شاهدَ راهباً أبيض الهيئة كلّه يقول له:

- ماذا تريد أن أعمل لك؟

- من أنت يا سيِّدُ؟ سأله رومانوس بخوفٍ وفرح.

- أنا إفتيميوس الذي دعوتني الآن بإيمان. لا تخف.

دلني فقط أين تشعر بألمٍ.

وللحال أظهر له رومانوس بطنه المصاب بالاستسقاء.

وعندها بعدما رفع البارُّ يده بأصابعٍ متَّحدة ومستقيمة

كالسيف، شقَّ ذاك المكان في البطن وأخرج من الداخل

قطعة من القصدير عليها نقوشٌ. وبعد ذلك أغلق الفتحةَ

وشفاه قائلاً: حصل لك هذا لأنك لوقتٍ طويل لم تدخل

كنيسةً ولم تتناول الأسرار المقدَّسة. وهكذا استحوذ

عليك الشيطان. ذهبَ أحدهم إلى مدينة إلفثروبوليس ودفع

لساحر كي يُنهض عليك شياطين. وهذه بما أنك قد  
أهملت خلاصك وجدتك ضعيفاً روحياً واستطاعت أن  
تستحوذ عليك. والآن رحمك الله. لا تمكث غير مبالٍ  
بخلاصك. صلّ وجاهد.

قال القديس هذه الأقوال ثم اختفى. وللحال نهض  
رومانوس معافى وأسرع إلى الدير. وبعدهما سجد هناك لقبر  
القديس العجائبي، روى لأخيه أختافايوس ولجميع الرهبان  
هذا التدخل العجائبي للقديس إفتيموس.

### راهبة دير خريسوفالاندو

بعد برهة من أواسط القرن التاسع الميلادي، في دير  
خريسوفالاندو في القسطنطينية، أتت فتاة من عائلة شريفة  
من عائلات كبادوكيا كي تتوحد هناك. وبعد تجربتها  
القانونية، قامت القديسة إيريني رئيسة الدير بتصييرها  
راهبة. ولكن الشيطان عدو الخير، كان يتحرق من شره  
بسبب خلاص نفس أخرى. وماذا عمل؟ أشعل عشقاً ملتهباً  
في قلب خطيبها السابق الذي ابتداءً يبحث عنها بشوق لا  
يهدأ في كل مكان. وطبعاً، إذ أعماه هواه غير العاقل لجأ  
إلى أحد السحرة المشهورين في كبادوكيا ووعد بأموالٍ

كثيرة إذا استطاع أن يُعيد إليه ثانياً المرأة الشابة. وخادمُ  
الشیطان ذاك جنْدٌ لهذا الغرض جميع أحابيله السَّحْرِيَّة.  
وعندها، الراهبة الجديدة، على غير توقُّعٍ منها،  
التهبت بعشْقٍ جسديٍّ تجاه خطيبها القديم. فقدت تقريباً  
عقلها وبدأت تضرب نفسها وتصرخ وتبكي وتردُّ اسمَه  
وتتهدَّد قائلَةً: أقسم بأن أشنق نفسي إذا لم أستطع رؤيته  
ثانيةً.

وكانت بين الفينة والأخرى تذهب إلى بوابة الدير  
راكضةً. وبشتائمٍ مخيفة وصراخٍ تحاول إجبار الراهبة  
المسؤولة عن البوابة أن تتركها تخرج من الدير.  
كان حزن القديسة إيريني لا يُوصَف. سرعان ما  
أدركت بأنَّ هناك أحولةً شيطانيةً في الأمر. وللحال  
استدعت جميع الراهبات، وبعدها أسدت لهنَّ بعض  
النصائح بأنَّ يحترسنَّ من حبائل الشيطان، أمرتهنَّ أن  
يصمن صياماً قاسياً ويصلين بحرارةً كبيرةً أسبوعاً  
كاملاً ضاربات ألوف السجّادات يومياً من أجل أختهنَّ  
الشقية.

وفعلاً، الأخوية كلها، بألمٍ عميقٍ ودموعٍ حارة،

بدأت تضرعاتها إلى الله. كانت القديسة إيريني تطلب بصورة خاصة شفاعات ابن موطنها القديس باسيليوس الكبير، الذي كانت تكنُّ له تقوى مميّزة. وكانت تشتكي له بأنه كان يحتمل حدوث أمور مشينة كهذه في موطنهما كبادوكيا.

انقضت الأيام الثلاثة الأولى من الصوم والصلاة. وعند فجر نهار اليوم الرابع ظهر القديس باسيليوس للقديسة إيريني حياً أمامها وقال لها: لماذا تبتئني أشجانك يا إيريني بأنتي أحتمل حصول أمور مشينة في موطننا المشترك؟ انظري، اليوم أمُّ الرب ستكون موجودة في فلاشرنس. فاذهي إلى هناك وخذي معك تلميذتك المريضة، وهناك سوف تعنتي هي (والدة الإله) بشفائها.

حالما طلع النهار أخذت القديسة المريضة وراهبتين أخريتين وانطلقت إلى كنيسة الفلاشرنسيين. وهناك سجدت اليوم كله أمام أيقونة السيدة والدة الإله العجائبية، وتضرّعت بحرارة وألمٍ ملتزمةً نعمتها مرطبةً الأرض هناك بدموع حارة.

وعند منتصف الليل، حين أطبق النوم جفنيها

المتعبين، شاهدت في حلم ملكة السموات. كان وجهها يسطع بنور إلهي. وكان ملائكة يسرون أمامها وخلفها باحترام ووقار. وقفت ملكة الكل أمام تلميذتها القديسة إيريني. ثم استدعت القديس باسيليوس الكبير وسألته:

- لماذا تركت إيريني دبرها وهي الآن هنا؟

- إن إيريني أيتها السيدة التجأت إلى حمايتك العزيزة. بعض القوم عملوا سحراً لتلميذتها وهي تتوسل إليك كي تشفيها.

- فلتستدع أناستاسيا، أمرت والدة الإله.

وللحال ظهرت أمامها القديسة أناستاسيا الشافية العظيمة في الشهديات. فقالت لها الفاتحة القداسة: أنت نلت من ابني موهبة خاصة كي تشفي هذا النوع من الأمراض. افحصي إذا بمساعدة باسيليوس هذه الابنة واشفها.

وفي اللحظة ذاتها بعدما سجد القديس باسيليوس والقديسة أناستاسيا انطلقا إلى كبادوكيا. وفي الوقت ذاته، تردد صوت يقول للقديسة إيريني: ارجعي إلى ديرك وستشاهدين شفاء تلميذتك.

ولدى سماعها هذا الصوت، أفاق القديسة إيريني.

مكثت تفكر بالرؤيا السماوية. كان ذلك اليوم هو الجمعة، وفي ساعة صلاة الغروب، وسائر أخوية دير خريسوفالاندو موجودة في الكنيسة، حين عادت القديسة إيريني إلى ديرها برفقة الراهبات الثلاث. عند نهاية خدمة الغروب روت القديسة رؤياها للراهبات اللواتي كنّ ينتظرنها بقلق. وبعد ذلك أمرتهنّ أن يرفعن أيديهنّ إلى السماء ويصرخن بضم واحدٍ قائلاتٍ: "يا ربُّ أرحم".

اتّحدت الصلوات كلّها في تضرُّعٍ حارٍّ واحد كان يقرع بقوة باب الرحمة الإلهية ونال مطلبه. صارت أرض الكنيسة رطبةً بسبب دموع المتوحّحات المتألّمة. وفجأةً، وهنّ ممثلاثٍ خشيةً، شاهدن القديسة أناستاسيا والقديس باسيليوس يظهران في الهواء عالياً. وتردّد في هذه الأثناء صوتٌ يقول للقديسة إيريني: ابسطي يدك وخذي هذه هنا وكفّي عن الاستهزاء بنا.

فتحت القديسةُ يديها فسقط من العلاء طردٌ غريب الشكل. ركضت سائر الراهبات حالاً وأشعلن شموعاً وشرعن في فكّ الطرد الذي كان يزن حوالي ثلاث لترات. وحين فتحته شاهدن معدة حيوان تحتوي على تمثالين



مصنوعين من الرصاص، كانا يشبهان الراهبة المريضة وخطيبها قبلاً، وكان التمثالان يحتضنان بعضهما وهما مربوطان بشعرٍ وقطن. وكان مكتوباً فوقها بعض الأدعية الشيطانية واسم السَّاحِر.

بقيت الراهبات في الكنيسة طوال الليل يمجِّدن الربَّ وأُمَّه. وفي الصباح أرسلت القديسة إيريني الراهبتين اللتين كانتا قد رافقتاهما في رحلتها إلى فلاشرنس، والراهبة المريضة إلى كنيسة القديسة أناستاسيا، وأعطتهنَّ شموعاً، بخوراً، زيتاً وخبز تقدمية والأدوات الشيطانية التي كانت موجودة في الطَّرد. وقالت لهنَّ: أشعلنَّ بالزيت القنديل الموجود في قبر القديسة وأعطينَّ الشموع وخبز التقدمة للكاهن كي يستعملها في القداس الإلهي. وهذا ما فعلته الراهبات.

بعد انتهاء القداس الإلهي قصَّصن كلَّ شيء للكاهن فأنزلهنَّ إلى قبر القديسة. صلَّى هناك وقام بدهن المريضة بزيتٍ من قنديل القديسة. ثمَّ صعدَ إلى الكنيسة وأخذ فحمًا مشتعلًا وقام بحرق التعاويذ السَّحرية. ومع احتراق الأدوات السَّحرية كانت الأخت الواقعة تحت سلطة

الشیطان تتعق من سيطرته شیئاً فشیئاً، وتتحرّر من رباطاتها الخفیة وعادت إلى رُشدها وأخذت تشکر الله الفائق القدرة.

حين استحالت كلُّ الأشياء السُحریة رماداً فوق الفحم المشتعل بدأت تصدر أصوات صراخٍ قلٌّ وكأنَّ هناك من يقوم بذبح قطع من الخنازیر. خاف جمیع الذين كانوا موجودین في المكان وغادروا الكنيسة كارزین في الوقت ذاته بقوة القدیسة أناستاسیا العظيمة في الشهيدات التي لا تُحارب.

عادت الراهبتان إلى الدير برفقة الراهبة المعافاة وحکین لبقية الراهبات الأمور العجیبة التي شاهدتها. وعندها بضمٍ واحدٍ مجدت الراهبات جمیعاً الله على شفاء أختهن.

## السَّاحِرُ فَرَجِينِيوس

في أيام لاون الحكيم (٨٨٦-٩١٢م)، أحدُ الأشخاص من القسطنطينية أخذ يعيش حياة الخلاعة مزدرياً بسرّ الزواج المقدّس. كانت زوجته الخائفة الله تذوب من حزنها. ولكنها في محاولتها أن تُعيد زوجها إلى رشده التجأت إلى

السَّاجِرُ فَرَجِينِيوسَ الشَّهِيرِ.

كَانَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ حَوْلَهُ حِينَ قَامَتْ  
بِزَارَتِهِ. وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَنَالُ جَوَاباً لِمَشْكَلَتِهِ وَيُرْجِلُ.  
وَحِينَ حَانَ دَوْرُهَا جَلَسَتْ وَبَدَأَتْ تَحْكِي لَهُ عَنِ أُمَّهَا:

- إِنَّ زَوْجِي قَدْ أَسْلَمَ ذَاتَهُ إِلَى الْخَطِيئَةِ. إِنَّهُ يَطُوفُ مِنْ  
مَكَانٍ لِلْخَطِيئَةِ إِلَى آخَرَ وَيَبْدُرُ مِيرَاثًا عَلَى الْمَلَاهِي  
وَالزَّانِيَاتِ. أَتَيْتُ إِلَيْكَ لِأَنِّي عَلِمْتُ بِأَنَّكَ قَدْ خَلَصْتَ كَثِيرِينَ.  
سَاعِدْنِي إِذَا كُنْتَ قَادِرًا عَلَى هَذَا وَسَوْفَ أَكْفَيْتُكَ بِأَفْضَلِ  
مَا يُمْكِنُ.

- لَا تَهْتَمِي أَبَدًا. سَأَجْعَلُهُ لَا يَرَى أَيَّةَ امْرَأَةٍ أُخْرَى.  
وَأَسْتَطِيعُ أَيْضًا أَنْ أَقُودَهُ حَتَّى إِلَى الْمَوْتِ. أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْلَمَهُ  
إِلَى رُوحِ شَرِيرٍ. فَأَيُّ شَيْءٍ تَرِيدِينَنِي أَنْ أَفْعَلَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ  
الْأُمُورِ؟

- إِنَّنِي لَا أُرِيدُ شَيْئًا يَا سَيِّدِي سِوَى أَنْ يَعُودَ إِلَى قَرِيبِي  
زَوْجًا جَيِّدًا وَمُؤْمِنًا.

- كُونِي وَاثِقَةً بِهَذَا. اذْهَبِي الْآنَ إِلَى بَيْتِكَ وَأَعِدِّي لِي  
قَنْدِيلًا، مَاءً، زَيْتًا، شَمْعَةً، زَنْارًا وَنَارًا. سَأَقُومُ بِزِيَارَتِكَ يَوْمَ  
الْأَرْبَعَاءِ.

وقبل مغادرتها المكان كشفَ لها السَّاحرُ بعضَ خطاياها التي كانت قد فعلتها في شبابها، بمساعدة الشيطان الذي يعرف الماضي، وبهذه الطريقة أكَّد لها قوَّته.

غادرت المرأةُ المكانَ خائفةً ولكن على رجاء أن تريح زوجها ثانيةً. وفي يوم الأربعاء جاء فرجينوس إلى بيتها. طلب ماءً وزيتاً. وضعهما في القنديل. أخذ شمعةً وأشعل القنديل ووضعهُ أمام الأيقونات. قام بكلِّ حركاته بتقوى ظاهرة. وفي النهاية أخذ الزنار وتمتمَ شيئاً ما وعمل أربع عُقَدَ ومن ثم أعطاه للمرأة لترتيبه على جسدها مباشرةً وقال لها: أعطني الآن قطعة نقود ذهبية كي أوزعها على الفقراء من أجل خلاص نفسك. والمرأة قامت حالاً وأعطته القطعة الذهبية ووعدته بأن تعطيه نقوداً أخرى إذا ساعدها في حلِّ مشكلتها.

فعللاً، توقَّف زوجها منذ ذلك اليوم عن علاقاته غير الشرعية. وكان يحبُّ زوجته فقط ويهتمُّ بحاجات بيتهما. ولكن لم يمضِ وقتٌ طويلٌ وإذا بالمرأة تتعرض لهجومات شيطانية. كان الروح الشرير يطلب مكافأته بما أنها هي

في البدء التجأت إليه. كان يظهر لها في الحلم حيناً  
بشكلٍ أعرابيٍ يلتمس منها علاقات جنسية، وحيناً  
بشكلٍ كلبٍ أسود اللون وقع كان يقبلها في فمها.

وكانت تتحير وهي مضطربة لماذا يحصل معها هذا.  
لماذا كانت تشاهد أحلاماً قبيحةً ومقرفةً كذلك؟ لماذا  
كان الشيطان قد اكتسب عليها حقوقاً؟

وبمرور الوقت ازداد وضعها سوءاً. نجت الشقية من  
مصيبةٍ وسقطت في أخرى. كانت ترى نفسها أنها امتلأت  
رغبات جامحة وكانت تأكل ضفادع، أفاعي وزواحف  
أخرى مقرزة. لم تنعم بالنوم بهدوء أبداً ولم تكن تستطيع  
أبداً من دون اضطرابٍ وخوفٍ وقرفٍ.

بدأت منذ ذلك الوقت تفكر بالله. بدأت تصلي  
بحرارةٍ وتصوم. ولم يهملها الربُّ المحبُّ البشر. وبينما هي  
في وضعها البائس تذكرت جارها إيفانيوس. كان  
إيفانيوس تلميذاً للقديس أندراوس المتباليه لأجل المسيح،  
وكان القديس وقتها يُرضي الله بجهاداته الروحية. زارت  
المرأة البائسة إيفانيوس وروت له مصيبتها بكلِّ دقائقها.  
فلجأ هو بدوره إلى القديس أندراوس، وسأله قائلاً:

- اشرح لي يا أبتَ ماذا كان القنديل والزنار بالعقد الأربيع؟ إلى ماذا كان يرمز الماء والزيت والشمعة؟ ولماذا استعملَ الشيطانُ هذه الأدوات والسَّاحر كي يتسلَّط على المرأة؟

- بما أنك تسألني فسوف أشرح لك كلَّ شيء، أجابه القديس. يمتلك الشيطان عادةً وهي أن يقوم أولاً بطرد النعمة الإلهية من البشر وبعد ذلك يدخل فيهم بلا عائق. النعمة الإلهية لا تغادر الإنسان لأنها تخاف من الشيطان بل لأنها تفرُّ من رائحة الخطيئة الكريهة. الشيطان لا يقود الإنسان إلى الخطيئة بشكلٍ قسريٍّ، ولكنه ببساطة يجربيه ويدغدغه ويُحضر له أفكاراً شريرة. إذا استجاب الإنسانُ للدعوة الشيطانية وسقط في الخطيئة، فعندها يكتسب الشيطانُ حقوقاً عليه وتفرُّ منه النعمة الإلهية. حصل شيءٌ مشابه مع هذه المرأة البائسة. حسدَها الشيطانُ لأنها كانت تقيَّةً وعفيفةً وأراد أن يستعبدها. استعمل في البداية شطارةً زوجها ليقودها إلى فيرجيوس. واستطاع بعد ذلك أن تعطيه هي بنفسها الأمور الضرورية من أجل السَّحر. حاول بعد ذلك أن يُبعد عنها

نعمة المعمودية المقدّسة. وهكذا استعمل السّاحرُ فيرجيوس القنديل عوضاً عن جرن المعمودية، والماء عوضاً عن ماء المعمودية المقدّس، والزيتَ عوضاً عن الميرون المقدّس، والشمعة والنار عوضاً عن الشموع التي كانت تشتعل وقت إتمام السرّ. أمّا بالنسبة إلى عُقد الزنار فهناك "ربط" الشيطان. وأمر المرأة أن ترتديه على لحمها مباشرة كي يكون الشيطان حول وسطها دوماً.

- ليتمجّد اسم الله الذي كَشَفَ لكَ كلَّ شيء.  
ولكن كيف يعرف السّاحرُ الخطايا التي كانت قد اقترفتها؟

- ألا تعرف بأنّ الشياطين يتتبّعون جميع المسيحيين؟  
ولهذا بالضبط يعرفون أعمالهم ويكشفونها لأدواتهم أي للسحرة.

استمع الشابُ التقىُّ بإعجابٍ لأقوال القديس ومجدّ الله الذي يُعلن لِقَدَيْسيه أعمال الشيطان ويحرّرُ خلائقه من فخاخ الشرير.

وفي نهاية الأمر قال له القديس أندراوس بأن يقوموا بحرق سائر الأدوات التي استعملها السّاحر. وفعلاً حالما

أحرقا الزنار بعُقده الأربع وكسرا القنديلَ نجت المرأة من  
تأثير الشيطان.

## جلدة الأرملة

في أواسط القرن السادس عشر، في قرية من قرى  
بييرية، كانت تعيش أرملةٌ تدعى زويي. وكان لديها ابنان  
هما ديمتري وأرسانيوس. مرض الثاني مرّة مرضاً خطيراً.  
تبدّل منظر وجهه وكانت آلامه لا تُحتمَل. الأم الأرملة  
كانت تتألم مع ابنها وتتحب لأجله بلا تعزية. وقال  
ديمتري للأب ديونيسيوس:

- إذا لم نذهب إلى جبل الأوليمبوس إلى الأب

ديونيسيوس فلن يتعافى أخي.

- اذهبا، قالت أمهما بلهفة.

أخذوا الشاب المريض إلى القديس ديونيسيوس  
(١٥٤١م) المؤسس العجائبي لدير الثالوث القدوس ورئيسه  
في جبل الأوليمبوس. فقبله ذلك بمحبةٍ جزيلةٍ وصلّى بحرارة  
ومسحه بزيتٍ مقدسٍ على جبينه.

وبعد أيام شُفيَ أرسانيوس. وطلب أن يبقى لبعض  
الوقت في الدير. ولما شاهد حياة الرهبان الملائكية هناك



قرّر أن يتوشّح هو أيضاً بالإسكيم المقدّس.  
وعندما علمت أمّه بالأمر، كادت تموت حزناً عليه.  
وعندها نصحتها إحدى النساء أن تلتمس مساعدة سّاحرة،  
وهذا ما فعلته.

حاولت السّاحرة أن ترسل أرواحاً شريرة إلى الدير  
كي تجبر أرسانيوس على المغادرة. ولكن لم يتمكن  
الشيطان من الاقتراب إلى هناك. كانت النعمة الإلهية التي  
تسكن في ذلك المكان المقدّس ونفس القديس تعيقه.  
فظهر لزوي وأمسكها من عنقها وصرخ بها قائلاً: لماذا  
أرسلتني إلى هذا الناسك؟ ألا تعلمين بأني لا أستطيع أن  
أقرب منه؟ والآن سأعطيك جزاءك.

وبدأ يضربها بلا شفقة. فأخذت تصرخ وتنادي  
واجتمع الحيُّ كله. وبدأ الناس يسألونها: ما الذي يحصل؟  
وعندما تركها الشيطان متألّمةً ومنهكة اعترفت  
بالحقيقة. وللحال أرسلت شخصاً إلى القديس طالبة  
مغفرته وصلاته. فأتى القديس ديونيسيوس المغبوط إلى  
بيتها وسامحها بمحبة وصلّى بحرارة وشفأها من الجروح  
الشيطنانية. وبعد برهة من الزمن، مضت هي وابنها الأكبر

ديمثريوس وانخرطا في السيرة الرهبانية.

## الكتاب السحريّ

كان يعيش بالقرب من منطقة فيريا في اليونان على أيام القديس ديونيسيوس الذي نسك في جبل الأوليمبوس (١٥٤١م) راهب سقط في فخ شيطانيّ.

عثر هذا الراهب على كتاب سحريّ. ولما لم يضع في الحسبان الخطر الروحيّ، قرأ على سبيل التجربة بعض استدعاءات الشيطان. وفي الليلة ذاتها شاهد في نومه رجلاً عملاقاً قال له: "دعوتني فأتيتُ إليك. هيا إذن إذا كنت تريد أن أخدمك أسجد لي".

وبالرغم من أنّ الراهب كان مذعوراً إلا أنه لم يفقد تمييزه فأجابه: "لربّ إلهي أسجد وإياه وحده أعبد".  
وعندها غضب الرجل العملاق وصفعه صفقةً مخيفةً قائلاً:  
طالما أنك لا تسجد لي فلماذا استدعيتني؟

أفاق الراهب وهو يشعر بالهم لا يُطاق في وجهه وبدأ ينوح ويبكي. بعض الإخوة لما سمعوا أصواته جاؤوا ووجدوه في حالة سيئة. كان خداه قد استحالا أسودين. وبعد عدة أيام ازدادت حالته سوءاً، وانتفخ وجهه كله واسود كثيراً

حتى أنّ عينيه أغلقتا بسبب الانتفاخ. وعندها أرسل الآباء  
فاستدعوا القديس ديونيسيوس من ديرِه في جبل  
الأوليمبوس، فأسرع ذلك ليساعد الساقط في حبائل  
الشیطان. صلّى بحرارة ورثّل ابتهاًلَ البراكليسي لوالدة  
الإله. وفي النهاية مسح بزيتٍ مقدّس. وبعدها تعافى  
الراهبُ بالكلية.

## احتراق المخطوطة السلیمانية

في بدايات القرن العشرين، حصلت مشادةٌ كبيرة  
بين زوجين من نواحي منطقة خالكيدنيكي في اليونان.  
كان الزوج قد ابتداءً يعيش حياةً غريبة مظلمةً. وكان  
وجهه قد اصطبغ بتعبيرٍ مُجهّدٍ. كان قد انقطع عن  
الكنيسة، حتى إنه لم يرغب أن يسمع شيئاً عن الذهاب  
إلى الكنيسة ولا حتى عن الحياة الأسرارية. أمّا زوجته  
التقية فلم تترك شيئاً لم تفعله كي تُعيده إلى درب الله.  
ولكنه لم يتغيّر. في نهاية المطاف، حين رأت موقفه قررت  
أن تتخذ موقفاً قاسياً تجاهه فقالت له: اسمعني. قد صارت  
حياتي غير محتمّلة. إذا لم تتناول جسد الربّ ودمه في  
الفصح القادم فأنا مجبرةٌ أن أنفصل عنك. عيشنا سويةً

يصير مستحيلاً. إنني أريد أن يملك المسيح في عائلتنا.

إصرارُ هذه المرأة المسيحية الصالحة، تهديداتها وصلواتها القلبية لم تبقَ عادمة الثمر. كان الزوج يرى كيف أنه بسلوكه يعرض حياةَ عائلته، حياته، مستقبله ومستقبل أولاده للدمار. شعر بانفراج في داخله ولم يتأخر عن اتخاذ القرار الكبير: أن يدنو إلى النور.

لم تكن الظلمة المخفية داخل قلبه قليلة. كان الشقيُّ قد بلغ حدَّ التعامل مع الشياطين. كان يزاول حرفة السحر. وهذا ما كان يُبقيه بعيداً عن الكنيسة. كان يعي بأنَّ أوَّل شيءٍ يحتاجه قبل سائر الأمور هو أبٌ روحيّ. كان الجبل المقدّس قريباً فذهب يبحث هناك عن أبٍ روحيّ. وفي بحثه هناك عن الشخص المناسب، عثر على بابا - سابا (١٨٢١-١٩٠٨م) الذائع الصيت.

بأيِّ حالٍ مضى إلى قلاية الأب الروحي وبأية حالةٍ عادلاً! أيّ تجديد كان ذلك الذي حصل في نفسه! داخل الاضطراب، الفراغ والظلمة حلَّ عالمٌ جديد. كانت دموع الراحة والفرح تشعُّ في منظره وهو ينتهي من اعترافه. كم كان يشعر بالسلام والخفة!!

ولكن كان عليه أن يطرد عنه شيئاً آخر. بسط يده التي كانت تمسك كتاباً وقال: خُذ يا أبتِ هذا الكتاب الذي كان سبباً لهلاكِي. كان ذلك الكتاب نسخةً سحريةً تُدعى النسخة السليمانية، وكان مخطوطاً ضرورياً لهؤلاء الذين يزاولون السحر. فقال له بابا - سابا: لماذا تعطيني إياه؟ إنه بحاجة للحرق. أبقه معك وقم بإحراقه بعيداً من هنا.

وفعلاً، بعدما رحل الرجل، وبينما هو في طريقه إلى إسقيط القديسة حنة، في مكان على يمين الطريق الترابي شاهد فجاً صخرياً كبيراً. وبعد قليل كانت النسخة السليمانية قد استحالت رماداً في تلك المغارة.

تابع الرجل طريقه وهو أكثر ارتياحاً. وبعد قليل قابل الأب إيلاريون تلميذ بابا - سابا. وقال له: بلغ الأب الروحي احتراماتي وامتناني الذي لا يُحدُّ. وقُل له بأنني أحرقتُ الكتاب في المغارة الكائنة إلى الأعلى قليلاً من هنا.

وبينما كان الأب إيلاريون يسير بلا اهتمام باتجاه قلايته، لدى وصوله إلى مكان قريب من المغارة، يا للشيء

المرعب!! أخذت قطع الصخور تمر من جنبه وهي تصفر في الهواء. كانت تعبر بجانبه وهي تصفر ويجمد الدم في عروقه.

وصل مذعوراً إلى القلاية وقصَّ على شيخه كلَّ ما جرى. فقال له بابا - سابا: إنه عملُ شيطاني يا بني. وعندما زال خوفه، تذكَّر الإنسان الذي قابلَه وبأنه أخبره عن الكتاب. أخبر شيخَه بالأمر ففسَّر له هوية ذاك الرجل وأيَّ كتابٍ كان ذاك الذي أُحرق في المغارة.

ولم يكن الأب إيلاريون هو الشخص الوحيد الذي تعرَّض لرجم الحجارة لدى العبور بجانب المغارة. كان أيَّ شخص يعبر من هناك يصادف الحظَّ ذاته. وفي النهاية صارت تلك المنطقة غير مسلوكة لأنَّ أحداً لم يكن يجرؤ على الاقتراب منها.

طلبَ الآباء وهم قلقون تدخَّل بابا - سابا. فصام وصلَّى وأقام خدمة تقدِّيس المياه ثم قام برشَّ المغارة بالماء المقدَّس، وعندما فقط رحلَ الشرُّ عن المكان. وأشار بابا - سابا على الآباء أيضاً أن يضعوا هناك أيقونة لوالدة الإله وقتديلاً. وبهذه الطريقة نَعِمَ الدربُ بالسلام.

## "ديونيسيوس"

إنّ الحلقات الروحيّة واستدعاء أرواح الأموات تعدّ الأحياء بالتواصل مع الأموات. أناسٌ بسبب انجراحهم من موت أحبائهم يلجأون إليها على رجاء أن يروا أحبائهم، أن يسمعوهم ويعرفوا كيف يمرّون أوقاتهم الحاليّة. ولكنهم يسقطون بهذه الطّريقة في فخّ شيطانيّ لأنهم في الواقع لا يتواصلون مع أرواح أمواتهم بل مع أرواح شرّيرة تأخذ شكل الأموات.

ذهب أحد الوعاظ إلى مؤتمر لاستدعاء الأرواح في أثينا ليبرهن لجميع المشاركين في المؤتمر بأنّ من يظهر في الحلقات الروحيّة لاستدعاء الأرواح ليسوا أمواتاً وإنّما أرواح شرّيرة. طلب من الروحانيّين أن يستدعوا الأرشمندريت المعروف ديونيسيوس فارازولي (١٨٨٢-١٩٢٠م) وكان هذا إنساناً فاضلاً قد مات مؤخراً.

وفعلاً بعد قليل ظهر روح وقال له:

- يا أخي أنا ديونيسيوس.

- أنت الشيطان.

- أأست تعرفني؟ هل نسيتني؟

- أنت الشيطان ولست ديونيسيوس.  
- هيّا تذكر نحن قد عشنا معاً، أصرّ الروح بالقول.  
- أنت الشيطان ولست فارازولي، أصرّ الكاهن  
الواعظ أيضاً.

وعندها غضب الرّوح وأخذ يصرخ صرخاتٍ وحشيّةٍ  
وقلّب القاعة كلّها رأساً على عقب. دُعِرَ النَّاسُ. وحين  
عادوا إلى رشدهم قال لهم الكاهن: هل رأيتم كيف كان  
الرّوح شيطانياً؟ لأنّ الجميع يعرفون بأنّ ديونيسيوس  
فارازولي كان كثير الوداعة ولم يكن يغضبُ أبداً.

## تبدّلٌ صعب

في السّنين الأخيرة من حياته استطاع الشّيخ دانيال  
الكاتوناكي (١٨٤٦-١٩٢٩م) أن يُعيد إلى الإيمان  
المسيحيّ الابن الروحيّ كوستي مارمارا.

كان كوستي المنحدر من بلدةٍ إذيني في آسيا  
الصّغرى ويعيش في بلدة أرنيا في منطقة خالكيدكي  
روحاً قلقاً. كان يعجبه أن ينشغل بأمرٍ كثيرة. كان  
صيدلياً، طبيباً عملياً ومصوراً.

ذات مرّة تعرّف على بعض الروحانيّين واهتمّ



بحرفتهم. وشيئاً فشيئاً ازداد اهتمامه. وفي نهاية الأمر كرس ذاته بكل نفسه إلى الروحانية من دون أن يأخذ بعين الاعتبار أن الشياطين الشريرة تقف من ورائها خفية.

انطلق من فضولٍ بسيطٍ. سمع عن الطاولات التي كانت خلال الاجتماعات الروحانية تتحرك من تلقاء ذاتها، وأراد أن يفحص الأمر ليرى إذا كانت هذه الظاهرة تعود إلى أمرٍ كهربائيٍّ أو إلى تدخلِ أرواح. تيقن بأنّ الكهربائيّة لم يكن بمقدورها أن تُفسّر تحرك الطاولات. إذاً كانت الأرواح هي السبب. ولكن أي نوع من الأرواح كانت هذه؟ هل كانت صالحة أم شريرة؟ وكون فكرة بأنّها كانت أرواحاً مقدّسة، وهكذا استسلم بدون تحفظٍ إلى أحضان الروحانية مدّة ثلاثين عاماً كاملة.

تكلل اهتمامه بنجاحاتٍ. تقدّم في الكتابة الآليّة وبلغ إلى مستوى القدرة على قراءة الأفكار. كان باستطاعته أن يتواصل مع أرواح الأموات. والأمر الذي كان يفرحه بشكلٍ خاصٍّ هو أن يتحدث مع أطباء مشهورين من الماضي، كتخاطبه مع إيبوقراط الذي كان يعطيه وصفاتٍ طبيّةٍ ويقول له مسبقاً ما سيحصل لمرضى

محدّدين. وكان يتواصل أيضاً مع "قديسين" و "ملائكة".  
كان يسألهم أسئلة وينال منهم أجوبةً ، إعلاناتٍ ورسائلٍ  
سماويةً.

قدّم له الحجّة الأولى ليعود عن ضلاله كتيبُ الشيخ  
دانيال (ضدّ الروحانيين). اضطرب حين قرأه. كان  
الكاتب يقدّم الظواهر الروحانية على أنها أعمال  
الشياطين ببراهين قويّة. بدأ حالاً تبادل الكتابة معه  
وسرعان ما فهم بأنّه قد سقط في مجال الأرواح الشريرة.  
لم يكن باستطاعته أن ينجو بسهولةٍ من التآثيرات  
الشیطانيّة وذلك لأنّ الشيطان كان قد اكتسب حقوقاً  
عليه.

كان يقرأ في كلّ مساءٍ إحدى صلوات القديس  
باسيليوس الكبير الاستقساميّة ولكن حالما كان يطفأ  
النور ويستلقي لينام كانت الشياطين تأتي وتلكمه.  
ذات مرّة دعا كاهناً ليقراً له البراكليسي وصلاة  
القديس باسيليوس الكبير وعندها هجم الشيطان على  
الكاهن وأخذ يشدّ بقوة ثوبه من الورا. في مرّة أخرى  
طلما كان الكاهن يقرأ الاستقسامات كان الشرير ينبج

مثل الكلب. في نهاية الأمر استطاع كوستي أن ينجو من الإزعاجات الشيطانية.

ولكنّ العدو لم يكن يقصد أن يتركه هادئاً بالكلية. كان يزعجه بالشكّل الأكثر صعوبة من ناحية تمييزه. كان يشعر دائماً بأنّه يوجد في عقله شكل القديس بولس الرسول حياً. مرّات أخرى، أيضاً "كان يرى" الإنجيل داخل عقله. وعادةً "كان يسمع" داخله عباراتٍ محدّدةٍ كان يستعملها لاحقاً في أحاديثه. وكان يعتبر هذه الظواهر بأنّها نتاج النعمة الإلهية. كان من الصّعب جداً على الشّيخ دانيال أن يقنعه بأنّ هذه الأمور هي ضلالة وأنّه ينبغي عليه عدم قبولها.

في ظهيرة أحد الأيام كان كوستي يعبر خارج كنيسة القديسين العادميّ الفضة في أرنيا. ومن شبّاك الهيكل شاهد على المذبح المقدس نوراً حياً جداً. اقترب وشاهد إنساناً كان يقف هناك ويتطلّع إلى القنديل. ثمّ شاهد هذا الإنسان يخرج باتجاه صحن الكنيسة. اعتقده لصاً وبدأ يصرخ: ما هذا؟ لم ينل جواباً. دخل إلى الكنيسة برفقة أربعة عابريّ سبيلٍ ولكنّهم لم يعثروا على أحدٍ في

الداخل.

كان يكتب حوادث مميّزة تحصل معه كمثل هذه إلى الشّيخ دانيال، فيقوم بتفسيرها على أنّها نواتج تعامله القديم مع الأرواح الشريرة ولهذا كان عليه ألاّ يُعيرها أدنى اهتمام.

أخذ كوستي يعيش حياةً مسيحيّةً واعيةً مترافقةً بجهدٍ قويٍّ. مع ذلك لو لم يكن النَّاسُ الحكيم المتحلّي بالتمييز يساعده لكان عرضةً لخطرٍ أن يضلّ لأنّ العدوّ استمرّ في إزعاجه برؤى وإعلاناتٍ كاذبةٍ.

## صياد الكنز

هناك أناسٌ قد تقدّموا في الأمور السريّة ودروب السّحر المظلمة السريّة، وقد كشفوا في عدّة أزمنة استعمال الدّم في ممارساته المتوّعة. وهكذا على سبيل المثال توجد وصفاتٍ سحريّة (للعثور على الكنوز، للنجاح في التّجارة، للنجاح في العشق، وفي السياسة... إلخ). هذه الأمور التي يفترض نجاحها استعمال دمٍ بشريٍّ.

الحادثة التّالية هي حالةٌ مؤلمةٌ للعثور على كنزٍ وقد حصلت في انكلترا: قبل عدّة سنوات، كان هناك شخصٌ

انكليزي غنيّ يحاول أن يعثر على كنزٍ مخفيّ في الأرض.  
وبعدما استعمل جميع الوسائل، حتّى آلات الجيش  
المفنوكرهائية للعثور على كنزٍ، لجأ في نهاية الأمر إلى  
واحدٍ من سحرّة بلاده الكثيرين.

عمل السّاحر مخطّطاً جيّداً للمنطقة وحضر في  
أماكن متنوّعة إبان ساعةٍ محدّدةٍ من الليل حسبما تقتضي  
قوانينُ فنِّ السّحر وقال له:

- الآن من أجل أن أتقدّم في عملي أنا بحاجة إلى  
كوبيّ شاي مملوئين دماً بشريّاً.

- سأذهب إلى المستشفيات لأشتري من الدّم الذي  
يحتفظون به من أجل نقل الدّم.

- ليس هذا النوع من الدّم. نحن بحاجةٍ لدم طازجٍ لا  
يزال البخار يتصاعد منه.

وبقرقٍ كبيرٍ قدّم صيادُ الكنز دمه الخاص. كانت  
النتيجة مباشرةً. في تلك الليلة عثرا على مئة قطعةٍ ذهبيّةٍ  
تعود لعصرٍ قديمٍ. وقال السّاحر:

- حتّى الآن تسير الأمور حسناً. ولكن في سبيل أن  
نعثر على نقودٍ كثيرةٍ أعتقد أنّ عددها يصل إلى

(١٨٠٠٠٠-٢٠٠٠٠٠) قطعةً ذهبيةً، بالإضافة إلى أواني أخرى ليست بالحسبان لا يمكن تقدير قيمتها، نحن بحاجة إلى دمٍ آخر. ستحضر لي إذاً عشر أكواب، أو على الأقلّ كوبين فيهما دمُ طفلٍ عمره أقلّ من أربعة أعوامٍ. كان الشيطان قد دبّج عمله جيّداً. كانت الضّحية قد أمسكت بقوةٍ بشخصٍ القطع التّقديّة المئة. وبما أنّه كان أحمقَ فلم يتأخّر عن بيع نفسه إلى الشيطان من أجل المال. ولكن من أين له أن يعثر على عشرة كؤوسٍ من الدّم؟

هو ذاته كان قد ضعّف بسحب الدم الأوّل. أعليه أن يقتل شخصاً كبيراً؟ أمرٌ صعب. علاوة على ذلك كان أمراً مشكوكاً فيه إذا كانت دماؤه تكفي. في هذه الأثناء كان الموعد يقترب إذ كان ينبغي أن تتمّ العمليّة حين تكون الكواكب موجودةً في الموقع الصّحيح. في النهاية فضّل صيادُ الكنوز الحلّ الثاني. وهكذا ليلة يوم العمليّة المصيريّة اختفى صبيُّ انكليزيّ صغيرٌ طبعاً تمّ العثور على الليرات الذهبيّة ولكن بدلاً من العثور على ٢٠٠٠٠٠٠ بالكاد جمعوا ٢٠٠٠. يوجد في

انكلترا قانونٌ يقول بأنَّ كلَّ الأواني الأثريَّة والكنوز هي ملكٌ للدَّولة. ولسنا نعلم فيما إذا ارتكب صيَّاد الكنوز جرائمَ أخرى من أجل أن يجد الليرات الذهبية الباقية. ولكن على أيَّة حالٍ، ذاتَ يومٍ، وُجِدَ صيَّادُ الكنوز مشنوقاً في بيته تاركاً ورائه رسالةٌ إلى السُّلطات. السَّاحر المتعاون معه لم يظهر أبداً. ربَّما لأنَّه كان مشغولاً مع زبائن آخرين في بلدانٍ أخرى، إذ كما يقول الشَّعب: للشيطان أحابيلٌ (أرجلٌ) كثيرةٌ.

### "أعجوبة" الدرويش

كان الأرشمندرت نيقولاوس الدروبيازغكيف (١٩٢٤م)، وهو كاهن روسيٌّ مبشِّرٌ في الصَّين والهند، مسافراً على متن سفينةٍ في المحيط الهنديِّ. كان ذلك في أحد الأيام الاستوائية الحارَّة. رست السفينةُ في مرفأ كولومبو في كفلان (اليوم هي سيرلانكا) من أجل أن تتزوَّد بالفحم. المسافرون الذين كانوا قد تعارفوا بين بعضهم البعض خلال الرِّحلة خرجوا إلى الشاطئ. التصق الأب نيقولاوس بمجموعةٍ صغيرةٍ وكان مرشدها يدعى إليوتيس. وهذا بما أنَّه عاش سابقاً

في كولومبو فقد كان يعرف المنطقة جيداً، واقترح عليهم اقتراحاً مهماً: سيّداتي وسادتي هل تودّون أن نذهب بضعة أيّام خارج المدينة ونزور درويش المنطقة؟ من الممكن أن نرى شيئاً مهماً.

قيلَ الجميعُ الاقتراحَ بحماسٍ. كان الليلُ قد أرخى سدولَه حين خَلَفُوا وراءهم طرقَ كولومبو المُضجّة و سلكوا طريقاً عجيّباً كان يشقّ الغابةَ شطرين. وعند نهاية الطريق صار ليلٌ فجأةً. كانوا موجودين أمام فسحةٍ صغيرةٍ محاطةً بالغابة وفي طرفها تحت شجرةٍ ضخمةٍ كان يوجد شيءٌ يشبه القلاية وبجانباها كانت تستعر نارٌ صغيرةٌ. وكان هناك شيخٌ رقيقٌ الجسم يجلس متصالباً القدمين محدّقاً إلى النار. وبالرغم من الضجيج الذي تسببه مجيءُ الغرباء تابع كلُّ شيءٍ غير متحرّكٍ بالكليةٍ من دون أن يُعيرهم أدنى اهتمامه. وفي وسط الظلمة ظهر شابٌ. اقترب إلى إليوتيس وسأله شيئاً ما بصوتٍ منخفضٍ، وبعد قليلٍ أحضروا بعض المقاعد الخشبية. جلست مجموعةُ الزائرين حول النار.

ارتفع دخانٌ رقيقٌ ذو رائحةٍ عطريّةٍ. كان الشيخُ



جالساً دوماً الجلسة ذاتها مُظهِراً أَنَّهُ لا يَنْتَبِه إلى أَيِّ شَيْءٍ.  
كان الجميع صامتين يَنْتَظِرُونَ أَن يَرَوْا ما الذي كان  
سَيَحْصُلُ. وَفَجأةً هَمَسَتْ فَتاةٌ اسْمُها مارِيَا مُضْطَرِبَةً قَائِلَةً:  
انظروا! انظروا هناك إلى الشَّجَرَةِ.

أدار الجميعُ رُؤُوسَهُمْ بِالانْتِجَاهِ الذي أشارت إليه.  
فماذا شاهدوا؟ كلُّ مظهرٍ غطاءِ الشَّجَرَةِ الضَّخْمِ، التي  
كان الدرويشُ يجلسُ تحتها كانت تَتَمَوَّجُ بهدوءٍ تحت  
ضوء القمر، في حين أَنَّ الشَّجَرَةَ نَفْسُها بدأت شيئاً فشيئاً  
تَفْقِدُ شكلها. قُلْ وكانَ يَدُأُ خَفِيَّةً أُسَدَلَتْ فوقها غطاءً  
هوائياً كان يَصْبِحُ أَكْثَرَ كِثافةً شيئاً فشيئاً.

استطاع المسافرون أَن يَتَعَرَّفُوا بدهشةٍ إلى سفينتهم  
التي كانت قد جلبتهم إلى كولومبو وقرروا في مقدِّمتها  
اسمها: لويزا. والأمر الذي كان صعب الاحتمال هو أَنَّهُمْ  
أَبْصَرُوا فوق السفينة أَنفُسَهُمْ يَتَحادَثُونَ ويضحكون.

كان الأبُ نيقولاوس يشاهد وكأنَّه في فيلمٍ  
سينمائيٍّ - في عصره، دعونا لا ننسى أَنَّ السينما لم تكن  
قد وُجِدَتْ بعد - ليس نَفْسَهُ فقط بين المسافرين، بل وكلُّ  
ما كان يَحْصُلُ في السفينة حتَّى أدقِّ التفاصيل: الرِّكَّابِ

في قمراتهم. القبطان في كابينته، وحتى دفعة السفينة والقردة نيللي أيضاً وهي تأكل موزاً وتصعد على السارية الرئيسية. كان الانذهال من هذا المنظر قوياً جداً بحيث أن ذهنه وقلبه كانا قد صمتا.

في الوقت ذاته كان المسافرون معه وهم جالسون في تلك الفسحة في الهواء الطلق مضطربين على كل ما شاهدوه. بدأ قلب الكاهن الرسولي يخفق بقوة. استحوذ عليه خوفٌ غريبٌ. بدأت شفثاه تتحركان وتقولان: "يا ربّي يسوع المسيح ابن الله ارحمني أنا الخاطيء".

وللحال شعر براحةٍ. قلٌّ وكأنّ سلاسل خفيفة سقطت عنه. كانت صلواته تصبح أكثر تركيزاً. وكان السلام يعود إلى نفسه مترافقاً مع صلواته.

استمرّ في التّحديق باتجاه الشجرة. وفجأة تشوّشت الصورة وانحلت وكانّ هناك ريحاً ما طردتها. لم يكن الأب نيقولاوس يرى أيّ شيءٍ بعدها ما عدا الشجرة الضخمة تحت ضوء القمر والدرويش جالساً بجانب النار. ولكنّ رفاقه كانوا لا يزالون يحدّقون في الصّورة التي لم تكن قد اختفت بالنسبة إليهم وعندها حصل شيءٌ ما

للدرويش لأنه فقدَ انسجامه واستدار على الجانب. أسرع الشاب إلى قربه وانقطع المشهد فجأةً.

نهض المشاهدون وهم متأثرون عميقاً بخبرتهم. أخذوا يتحدثون بحيويةٍ ويناقشون انطباعاتهم من دون أن يفهموا لأيّ سببٍ انقطعت هكذا كلّ الأشياء فجأةً. عزى الشاب الأمر لإنهاك الدرويش الذي كان يجلس الآن كمثل السابق ولكن برأسٍ منخفضٍ غير معيرٍ أيّ اهتمامٍ للغرباء. والمسافرون بعد مكافأتهم الدرويش بنفسٍ سخيةٍ على المشهد العجيب الذي قدّمه لهم عن طريق الشاب، هبّوا أنفسهم للعودة.

وبينما كانوا يتحرّكون ليفادروا أدار الأبُ نيقولاوس بصره لا إرادياً ليرى المشهد بأكمله. وعندها أصابه شعورٌ بشعٍ. تقابلت نظرته مع نظرة الدرويش الذي كان يتطلّع نحوه بنظرةٍ مليئةٍ بالكره.

## الثوم مع دبابيس

في إحدى جنبات الكنيسة الفارغة، كانت الراهبة المسؤولة عن خدمة الكنيسة تتحدث مع امرأةٍ. قالت الراهبة:

- لستُ أظنُّ بأنهم عملوا لكِ سحراً.  
- إذا كانوا قد عملوا لي سحراً كيف أستطيع أن أفكّه، أريدك أن تخبريني.

- إنني أعرف وأقول بأنه لا يوجد سحر. وهذه الأشياء التي تتفوهين بها ما هي إلا ثرّهات.

- أنا يا عزيزتي المسيحية أتعدّب منذ سنين عديدة.  
قولي لي فقط هل الأب الروحي موجودٌ هنا كي أستشيرهُ؟  
قيلَ الأبُ الروحيُّ خرامبوس فاسيليوبولوس الدائم الذكر (١٩١٠-١٩٨٢م) بعد قليل المرأة في غرفة الاعتراف. كانت المرأة ترتدي لباساً أسود وتبدو حزينةً. كانت تبدو بأنها قد حرّمت الفرح والبسمة منذ وقتٍ طويل. وبدأت المرأة حديثها:

- إنني تعيسة يا أبت. لقد عملوا لي سحراً وأنا أعاني منذ ستة أعوام. إنني لا أرى يوماً جيداً. أمراض، ضربات ومصائب. مكثت ابنتي عادمة الزواج. كثيرون طلبوا يدها للزواج ولكنهم تركوها في نهاية المطاف. كيف أروي لك عذاباتنا.

- كيف تعرفين بأن هذه الأمور كلّها صارت بسبب

## السُّحْرُ؟

- نحن في خصام مع جارةٍ رديئةٍ تربطها علاقة صداقة مع سَاحِرَةٍ. وقد قالت لنا: "سوف أحرق قلبكما".

- هل كانت تذهب إلى الكنيسة؟

- هي تذهب إلى الكنيسة؟ أبداً.

- وهل أنت قريبة من الله؟ هل تتناولين، تعترفين

بخطاياك وتصلين؟

- وأنا يا أبتِ فلأقل خطيئتي، أنا بعيدة عن

الكنيسة. لم أتناول المقدسات منذ...حتى أنا لا أعلم منذ متى. كنا في حالة محاكمات مع أحدهم. لا تسأل عن هذه الأمور.

- يا بنيّتي. إن الذي يتبع طريق الله لا يستطيع السُّحْرُ

أن يصيبه بسوء. من هو أعظم؟ الله أم الشيطان؟

- الله طبعاً.

- فإذاً أمام القوة الإلهية ماذا يستطيع الشيطان أن

يفعل؟ الشخص الذي يعيش مع الله لا يخاف هذه الأمور.

فلو سلكتِ أنتِ أيضاً طريقَ الله، بالاعتراف، بالمناولة

الإلهية، بالذهاب إلى الكنيسة والصلاة لما كان

بإستطاعة السّحر أن يؤثّر فيك أبداً. لو اجتمع سحرةٌ  
وساحراتُ العالم بأسره كي يعملوا لك سحراً فلن  
يستطيعوا إيذاءك مطلقاً.

- وأنا يا أبتِ بمعرفتي القليلة قلتُ: "لن أذهب إلى  
السّاحرات كي أفكّ السّحر، بل إلى الكنيسة كي  
أستشير الأب الروحي".

- حسناً فعلتِ. الكنيسة وحدها تمتلك القوة كي  
تفكّ السّحر بواسطة صلوات خاصة وليس أيّ شخص آخر.  
- فلتقرأها لي يا أبانا. تفضّل قد أحضرتُ لك أيضاً  
المادة السّحرية التي وجدناها في الحديقة.

ولما قالت هذه الأقوال، أعطت للأب شيئاً دائرياً مثل  
الكرة. وفي داخلها كان هناك قطعة صابون مخاطة،  
وشعر، وعظام وقطعة ثوم كان قد أُدخل فيها عدد كبير  
من الدبابيس. وقالت المرأة:

- هل ترى يا أبانا بأيّ جنونٍ وضعوها كي يزجّونا في  
وضعٍ حرجٍ؟

- إنه أمرٌ شيطاني يا ابنتي. إنه كُرةٌ شيطاني وشرٌّ  
يلهبان قلوبهم. إنهم يُستحقون الشفقة، يخسرون نفوسهم.

يقعون في خطيئة ثقيلة ولهذا تفرض الكنيسة عليهم قانوناً  
ثقيلاً.

- كيف تؤدّبهم الكنيسة؟

- تفرض عليهم أن يبقوا مدة خمس أو ست سنوات

بدون مناوله.

- ولماذا كلّ هذه السنين؟

- لأنهم ينكرون المسيح. ماذا نقول في المعمودية

المقدّسة؟ "أرفض الشيطان وأقبل المسيح". ولكن حين

يذهبون إلى السّحرة فهم ينكرون المسيح ويقبلون

الشيطان.

بعد ذلك غطّى الكاهنُ الأداةَ السّحريةَ بالبطرشيّل

وبدأ يقرأ صلواتِ أمام المصلوب: "إني أقسم عليك أيتها

الشياطين الشريرة التي لا تمتلكين قوة أو سلطةً على جيلةِ

الله أو بيته، أن لا تتسببي بالآلام أو مخاوف أو ضررٍ أو شرٌّ

أو أي شيءٍ آخر في جسدها ولحمها وأعضائها. احفظي يا

ربُّ أمّتك كيلا يظلمها أو يضرّها شرُّ الشيطان رئيسِ

الشرور أو سحره أو عملته أو إنسانٌ شرير أو امرأة شريرة،

في الليل، في النهار، في الأرض أو في البحر."

وتردّد صوتُ همسِ المؤمنةِ البائسةِ تقول: يا إلهي اغفر لهم. كان الألمُ قد ليّن قلبها حتى كانت تسامح أعداءها. وتابع الأبُ الروحي تلاوة الصلاة: "وكما حرّرتَ مريمَ المجدلية من الأرواح السبعة النجسة، أنتَ أيضاً حرّرتَ أيها السيّد أمتك هذه من كلِّ رباطٍ، كلِّ سحرٍ، عرافةٍ، وتطيُّرٍ وكلِّ هجومٍ شريرٍ لأعدائنا المنظورين وغير المنظورين"

- آمني بالله يا ابنتي ولا تخشي شيئاً بعد الآن.

- نعم يا أبانا. ولكن في بيتي يحصل الأمر التالي:

حين أذهب عند المساء كي أعبّر الباب المتوسّط هناك يدُ غير منظورة تعيقني عن العبور. ولكن حالما أرسم إشارة الصليب أعبّر من الباب. قبل أمس، بينما أنا في طريقي كي أعبّر أمسكت اليدُ بيدي اليمنى كي لا أتمكّن من رسم إشارة الصليب الكريم. وعندها وضعتُ يدي اليسرى أفقياً على صدري فرسمتُ بها وبجسدي إشارة الصليب فعبرتُ.

حين سمع الأبُ الروحيّ هذا الكلام انطلق حالاً إلى

بيتها حيث وجدَ الجميعَ حزّاناً وكأنهم قد ودّعوا ميتاً.



وقال لهم: أعطوني كأس ماءٍ كي أقيم خدمة تقديس الماء ولا تخافوا مهما شاهدتم. قد فقد الشيطان صوابه لأنه يشرف على الرحيل ولربما يكسر الكأس على رأسي.  
بعد ذلك قام بتبخير البيت كله وتلى خدمة تقديس الماء ناضحاً بالماء المقدس الغرف، الساحة، الأثاث وخاصةً الباب الأوسط. كان الجميع يتابعون الخدمة بتقوى. والشكر لله لم يظهر الشيطان.

مضى بعض الوقت على هذا. ذهبت المرأة ثانيةً إلى غرفة الاعتراف فرحةً ومرتدية ثياباً بيضاء. وقالت للأب:  
- أشكرك يا أبتِ على الخير الذي فعلته لنا. توقفت كلُّ شيء. وأعمالنا تسير الآن بشكلٍ جيد.

- اشكري الله يا ابنتي. هو الذي أعطانا نحن الكهنة القدرة أن نطرد الشيطان. ولكن فقط انتبهي أن تسلكي دوماً طريق الله: اعترافاً بالخطايا، مواظبةً على الكنيسة، صلاةً ومناولةً إلهية، من دون أحقاد، شرور وخصامات. فلتكن حياتك مسيحيةً بحق.

## روايات الأب أفرام

الحدث التالي الذي يُظهر كم يرذل الله السُّحْرَ،

رواه الشيخ بابا - أفرام الكاتوناكي المغبوط  
(١٩١٢-١٩٩٨م). قال:

"مرّة كنتُ أصلي لأجل إحدى بنات خالي التي  
كانت متألّمة جداً. ولكنها كانت قد انزلت في السّحر.  
كانت صلاتي حارّة ومتواصلة. تجاوزتُ كلَّ حدٍّ متضرّعا:  
"يا مسيحي لأجل الدم الذي سفكته على الصليب ارحم  
هذه النفس".

وفجأةً تلقيتُ صفةً! الله يحتمل كلَّ شيءٍ وأمّا  
السّحر... بعيداً.

"اختبرتُ مرّةً أخرى شيئاً مشابهاً و جلبتُ غضبَ الله  
ولكنني أسرعْتُ وطلبتُ المغفرة من الله وبهذه الطريقة لم  
أتلّق صفةً. هذه الأمور مخيفة ومرعبة".

وروى الشيخ أيضاً حدثاً آخر يُظهر كم تختلف  
الممارسات السّحرية عن الأسرار الإلهية. قال:

"مرّة عبّر السيد. ن إلى قلايتي وقال لي:  
- أيها الشيخ، أحد العساكر عمل لي سّحراً وأنا  
الآن لا أقدر أن أتزوج من. ي.

- اذهب إلى بابا - خرامبوس فاسيلوبولوس. هو يعرف

الأمر المختصّة بالسّحر.

فعلاً ذهب الشاب واستشاره فسأله ذاك قائلاً:

- خلال الوقت الذي عملوا لك السّحر هل كنت

تتناول المقدّسات؟

- كلا.

- لهذا السبب يا بنيّ استطاع السّحرُ التأثير فيك.

وبعد ستة أعوام جاء ذاك الشاب إليّ فسألته: ماذا

يجري معك يا . ن؟ هل تزوّجت من . ي؟ فأجابني: أنا لا أخذ

سواها وهي لا تأخذ سواي.

## يا سيدتي الفائزة القداسة

يخشى الشيطانُ شيئاً خاصاً ألا وهو اسم والدة الإله

الفائزة القداسة حسبما يبدو من الحادث التالي:

في العام ١٩٩٣م في أثينا، في مستشفى "الصليب

الأحمر" كان هناك سّاحرٌ يتلقى العلاج. تحدّث هذا

السّاحرُ مع إحدى الممرضات وكشف لها جميع أسرارها.

فمكثت تلك مبهورَةً. وقال لها: إذا كنت تريدين أن أقول

لك أشياء أخرى عديدة، فتعالى إلى بيتي حين أخرج من

المستشفى.

وفِعْلاً ، ذهبت. ولدى دخولها إذا بها موجودة في غرفةٍ مليئةً أيقونات، بخوراً وجماجمَ. وبعدما جلسا على طاولةٍ مقابل بعضهما البعض قال لها السَّاحِرُ: إذا خضتِ لا تقولي "يا والدة الإله الفاتقة القداسة" لأنك أحرقتني.

ثم ابتدأ يستدعي الشياطين فكانت تأتي. ارتفعت الطاولة الكبيرة والكراسي في الهواء، سقطت الأيقونات عن الجدران وكان البيت كله يرتجُ بزلزال قوي. وعندها صرخت الممرضة بسبب دُعرها: أيتها الفاتقة القداسة. وعندها، توقّف كل شيء في حين سقط السَّاحِرُ أرضاً غائب عن الوعي تقريباً.

## الصليب الصغير

كان الشيخ باييسوس الأثوسي (١٩٢٤-١٩٩٤م) يعرف امرأةً مسيحية مؤمنةً وكانت هذه تعيسةً لأن زوجها كان قد انخرط مع السُّحرة. وبما أنه لم يكن يرغب أن يرتدي صليباً، ففي سبيل أن تساعدته قامت بخياطة صليب صغير في ياقة قميصه خفيةً.

وذات يوم كان زوجها مضطراً لعبور أحد الأنهار. وحالما داس فوق الجسر الذي كان يربط بين الضفتين

سمع صوتاً يقول له: يا تاسوس! يا تاسوس! اخلع قميصك  
كي نعبّر الجسرَ سوياً.

حمداً لله أن الطقس حينها كان شتاءً. ولهذا أجابه  
تاسوس:

- كيف أخلعه؟ إنني أشعر بالبرد.

- اخلعه، اخلعه كي نعبّر سوياً، تردّد الصوت ثانيةً.

كان ذلك هو الشيطان وأراد أن يُلقِي بتاسوس في  
النهر. ولكنه لم يقدر لأنه كان يرتدي صليباً. في نهاية  
الأمر استطاع أن يُلقِي به في إحدى جنبات الضفة على  
جانب الجسر. وعثر أقاربه عليه هناك مرمياً على الأرض،  
بعدما فتشوا عنه الليل كله. لو كان خلعَ قميصه لكان  
الشيطان رماه في النهر. حفّظَه الصليبُ الذي كان مخفياً  
في ياقة القميص.

## الحماران

هناك أناس ومن بينهم أشخاص متعلّمون يؤمنون  
بنظرية التقمُّص الضالة، وبموجبها من بعد موت الإنسان  
تدخل نفسه في جسد إنسان آخر أو في جسد حيوان،  
وتتوالى الأمور هكذا في حلقة من الولادات والميتات. بسبب

الإيمان بالتقمّص تحصل حالات مضحكة كمثّل  
الحادثتين التاليتين:

• مرةً زار الشيخُ بايبيوس في جبل آثوس يونانيّ من  
سويسرا. وفي لحظةٍ معينة سمع الشيخُ ينادي حماراً باسم  
ناصر، كان الشيخُ قد أطلق عليه اسم ناصر لأنه كان  
مفعماً بالحيوية.

وبعد فترة أتى الرجلُ نفسه لزيارة الشيخ بايبيوس  
محضراً معه علبتي حلويات، واحدة رخيصة الثمن والأخرى  
غالية. وأعطى الشيخُ علبة الحلويات الرخيصة وقال له:  
هذه لك. وهذه الحلويات الممتازة هي لناصر. أنا فهمتُ من  
المرّة الماضية من كان ناصر. حين قابلته نظر إليّ نظراً  
حزينةً فطرت قلبي.

كان الرجل يعتقد بأن ناصر قد تقمّص وصار  
حماراً كان يؤمن بهذا. امتعض الشيخُ منه وقال له: يا  
رجل هل أنت بخير؟ أنا الذي أطلقتُ عليه اسم ناصر لأنه  
كان حماراً مفعماً بالحيوية. ولكن الرجل لم يبدل رأيه  
بأيّ شكلٍ من الأشكال.

• قبل سنوات ذهبَ بعض الألمان إلى كريت مريدين

أن يُقيموا ذكرانيةً لأبناء وطنهم الذين كانوا قد ماتوا في زمن الاحتلال (١٩٤١-١٩٤٤م). وفي أثناء إقامة الذكرانية كان هناك شخصٌ كرיתי يعبر مع حماره المحمّل بالبضائع. حين شاهد الحمار حشداً كبيراً من البشر مجتمعاً هناك أخذ ينهق. وعندها واحدٌ من الألمان اعتقد بأن الحمار لم يكن سوى أخوه الذي قُتل في الحرب وتقمّص. اعتقد بأنه تعرّف عليه وكان يُلقى عليه السلام من خلال النهيق. وللحال وقف الألماني منتبهاً وحيّاً الحمار-أخاه- تحيةً عسكريةً. وتأثّر كثيراً وأخذ يبكي. ومن دون أن يضيّع الوقت اقترب إلى الكرיתי وقال له:

- كم تريد من المال كي تعطيني حمارك؟

- ارحل من هنا.

ولكنّ الألماني كان قد بدأ يعدُّ له النقود الورقية، فقال له القرويُّ الكرיתי صاحب الحمار: ارحل من هنا ودعني. وعندها قال له أحدهم: يا أحمق إنه يدفع لك ثمناً للحمار مبلغاً يشتري لك سيارة مرسيدس وأنت لا تريد أن تبيعه! بعه.

أنزل الكرיתי أغراضه عن الحمار وفك قيوده

وأرِبطته ثم أعطاه للألماني الذي أخذه ومضى به إلى وطنه.

## السَّاحِرُ ذُو السِّتَةِ عَشْرَ عَاماً

ذاتَ يومٍ قامَ بزيارة الشيخ باييسويوس الآثوسي المغبوط سَاحِرٌ شابٌّ من التَّيْبِتِ، اسمه جورج وروى له أشياء كثيرة عن حياته.

كان قد وُلِدَ من أبوين يونانيين في السويد. ولما بلغ الثالثة من عمره تقريباً ذهب به أبوه إلى التَّيْبِتِ وسلَّمه إلى مجموعة سَحَرَةٍ تتألف من ثلاثين سَاحِرًا كي يرثوه على مهنتهم.

لما بلغ الفتى السادسة عشر من عمره كان قد بلغ إلى الدرجة ما قبل الأخيرة في السَّحَرِ، وهي الدرجة الحادية عشر، وفي الوقت ذاته كان قد تقدَّم أيضاً كثيراً في اليوغا. كان باستطاعته أن يستدعي أيَّ شيطانٍ يريد. وكان يرتدي حزاماً أسود اللون ويعرف الكاراتيه بشكلٍ لا يُعلَى عليه. وبمساعدة الشيطان كان يقوم بأمور تستجلب إعجاب الناس. كان يضرب على سبيل المثال صخرة كبيرة بيده فيقطعها مثل حبات الجوز. وكان باستطاعته أن يقرأ كتاباً مغلقاً.



رحل في هذا العمر من التيبث وذهب إلى السويد ليري والده. وهناك قابل على سبيل المصادفة كاهناً أرثوذكسياً مؤمناً كثيراً فطلب منه أن يتحدثنا قليلاً مع بعضهما لأنه لم يكن قد شاهد من قبل إكليريكياً من كنيستنا.

وفي القاعة التي كانا جالسين فيها، وفي سبيل أن يُظهر الشاب قدرته، أخذ يعمل بعض حركاته السحرية. استدعى أحد رؤساء الشياطين، مينا، وقال له: أريد ماءً. وللحال ارتفع كأس ماء في الهواء من المطبخ وذهب وحده إلى الصنبور. انفتح الصنبور من تلقاء ذاته وملاً الكأس، الذي عبر من الزجاج المفلق وجاء فوقف بين يدي السّاحر.

ثم وهما في القاعة قام بإظهار الكون كله، السماء والنجوم للكاهن، مستعملاً سحرَ الدرجة الرابعة. تخيلوا ماذا كان بوسعه أن يفعل لو استمر حتى الدرجة الحادية عشر! ثم سأل السّاحر الكاهن قائلاً: كيف ترّون هذه الأمور كلّها؟ (وقد قال الشاب السّاحر لاحقاً للشيخ باييسوس: لو أغاظني الشيطان لكنتُ قتلته). ولكن الكاهن صمّت. وعندها سأله الشاب: لماذا لا تعمل أنت أيضاً لي أشياء عجيبة؟ "إنّ إلهي متواضع" أجابه الكاهن

بهدهوءٍ ثم أخرج صليباً. وقال له: "خذ هذا". وأعطاه الصليب.  
فأخذه الشاب بيده. وعندها قال الكاهنُ له: فلتعمل الآن  
عجائب.

استدعى السَّاحِرُ الشابُ ميّناً ثانيةً، ولكنَّ الشيطان  
لم يكن يجسر على الاقتراب. وعندها استدعى إبليسَ فلم  
يأت ولا هذا أيضاً. كان يرتعد لرؤيته الصليب. وتردد  
فقط صوته من بعيد يقول للسَّاحِر: انهض وارحل! انهض  
وارحل إلى التّيب.

بعد هذا حصلت ردةٌ مؤثّرة في نفس السَّاحِر الشاب.  
صار واعياً مرةً واحدةً لصيغَر الشيطان أمام عظمةِ الإله  
الحقيقي. وقال للشيطان: الآن فهمتُ. إن قوتك الكبيرة  
هي ضعفٌ كبيرٌ.

بعد ذلك قام الكاهن الطيّب بتعليمه بعض أمور  
الإيمان وحكى له عن الأماكن المقدّسة، عن جبل آتوس  
وعن أماكن مقدّسة أخرى للكنيسة الأرثوذكسيّة. غادر  
الشاب من السويد وذهب إلى أورشليم حيث شاهد الظهور  
العجائبي للنور المقدّس. ولاحقاً قام بزيارة الجبل المقدّس  
حيث قابلَ الشّيخَ باييسيوس.

روى مرةً الشيخ باييسوس فقال: "مرةً بينما كنا نتحدث، قام فجأةً، أمسك بيديّ وأعادها إلى الوراء، وقال لي: إذا كان حجي أفندي يقدر فليات كي يحرّرك. شعرتُ بالأمر وكأنه تجديدٌ. حرّكت يديّ قليلاً فرجع إلى الوراء. بعد ذلك، كردّة فعلٍ منه رفع رجله عالياً وكاد أن يضربني على وجهي ولكن وكان هناك عائقاً خفياً منعه من إصابتي. حماني الله. أبقيته في الليل فنام في قلايتي. سحّبتّه الشياطين إلى الجب وضربته بسبب فشله. وفي الصباح أخذ يعترف وهو مليءٌ جراحات في حالة سيئة فقال: ضربني الشيطانُ لأنني لم أقدر أن أهزمك".

على أيّ حال، ساعد الله جورج في عودته لأنه، حسبما كان الشيخ يقول، كان قد ظلّم منذ طفولته. حاربته الشياطين كثيراً وهي التي لم تكن تزعجه طيلة مدة صداقته معها، بل كانت تساعد وتخدمه.

## حمص السّاحرة

كانت هناك امرأة تعيش في أثينا ولم تكن تحيا بانسجام مع زوجها لأنه كان يخونها. اقترح عليها بعض الناس اللجوء إلى سّاحرة كانت ستساعدها وتحلُّ

مشكأنتها بسرعة. وتلك السأجرة قرأت عليها بعض  
التعاويد السحرية وأعطتها تسع حبات من الحمص لتضعها  
في بيتها. ولكنها منذ ذلك الحين أخذت ترى أثناء نومها  
كوابيس. كانت ترى إنساناً متوحشاً بمنظر مخيف  
يتهددها بأنه سيقتلها.

انقضى بعض الوقت. وذات يوم وبينما كانت هذه  
المرأة تعبر من أمام كنيسة في أثينا، شاهدت أناساً يبيعون  
أيقونات لوالدة الإله المسماة إيكوسي فينيكيساً  
(وكانت تلك أيقونات منسوخة عن أيقونة والدة الإله في  
دير يحمل الاسم ذاته بالقرب من منطقة دراما). اشترت  
أيقونة وصلت لوالدة الإله كي لا ترى ثانية ذلك الكابوس  
الليلي.

ولكن في الليل، ظهر ذلك الإنسان الهمجي ثانية في  
نومها فصرخت المرأة حالاً: يا سيدتي الفاتكة القداسة  
أنقذيني. وفي اللحظة ذاتها ظهرت في باب بيتها امرأة تحمل  
طفلاً على حضنها. وفي هذه الأثناء حالما شاهد الرجل  
الهمجي تلك المرأة مع الطفل، ولم تكن المرأة سوى الفاتكة  
القداسة، اختفى. وعندها دخلت والدة الإله إلى الغرفة

وقالت للمرأة: أنا الفاتئة القداسة. هذا الشخص يأتي إلى هنا ويخيفك لأنك تحتفظين بحبات الحمص. ارميها ولن يعود ثانيةً. حين تستيقظين انظري إلى أيقونتي في الأيقونسطاس.

وفعلاً، حين استيقظت المرأة نظرت إلى أيقونة والدة الإله في الأيقونسطاس حيث كانت قد وضعتها في الليلة السابقة. قامت على الفور برمي حبات الحمص وهكذا لم يعد الكابوس يراودها.

## ماء المحبة

أحد الكهنة من روسيا، من بعد تقديس عيد الظهور الإلهي، كان يملأ قوارير أبناء الرعية بالماء المقدس. ودنت إليه امرأة متوسطة العمر وأعطته قارورة جميلة. ولكنه حالما وضع فيها ماءً مقدساً انكسرت القارورة وصارت أشلاء. فسأل الكاهن المرأة متشوّشاً: سيدتي! ماذا كان بداخل القارورة؟

حنت المرأة رأسها بخجل واعترفت قائلةً:

- أبانا، أأأ.. كنت أستلطف شاباً وأردتُ تزويجه ابنتي. وفي سبيل أن أحقق ذلك ذهبتُ إلى سَاحِرَةٍ قروية

فأعطتني "ماء المحبة"، حسبما قالت. ولكنني كنتُ  
أخشى أن أعطيه لابنتي كي تشربه. ولكي أكون  
أكيدةً بأنه لن يقع أيُّ شرٍّ فكَّرتُ أن أخلطه بماء مقدّس.  
- هل رأيتِ كيف أن ماء الله وماء الشيطان لا  
يتسعان في قارورة واحدة؟ لهذا السبب صارت القارورة  
قطعاً منثورة. يجب أن ينتبه المرءُ كثيراً. أيُّ شيء نريده  
ينبغي أن نطلبه فقط من الله أبينا. وهو سيعطينا إياه إذا  
كان لفائدتنا. ولكن على العكس من ذلك، الشيطان  
يقوم بالآلاف المحاولات كي يُفرحنا ظاهرياً وبعد ذلك  
يقودنا إلى الهلاك.

## عمليات القديس نكتاريوس الجراحية

هناك حالة معاصرة لفكِّ سِحرٍ على يد القديس  
نكتاريوس العجايب أسقف المدن الخمس (١٩٢٠م) يرويها  
الأرشمندريت قسطنطينوس رامبوتيس الذي كان شاهداً  
عياناً للحكاية كلّها.

قبلَ سنوات، تزوجت امرأةٌ برجلٍ مؤمنٍ وجيد  
الأخلاق. وبعد العرس، ومنذ الأسبوع الأول بدأت المشاكل  
تظهر في علاقتهما: تعارضات، تدمُّرات وخصومات من

دون سببٍ موجب. وبدون تفسيرٍ، كانت الأمور تزداد سوءاً. بدأت المرأة تصلي وتطلب مساعدة القديس نكتاريوس. اعتادت أن تقوم بزيارة ديره في جزيرة إيبينا، وكانت تسجد لقبره وتتضرع إليه بدموعٍ سخية كي يجلب السلام إلى بيتها. وكانت تأخذ معها وهي تغادر الدير زيتاً من قنديله وتشرب منه كل يوم.

ثم اعتراها مرضٌ. كانت تصاب بالدوار. وكانت معدتها تؤلمها. ذهبت إلى أطباء كثيرين وكانت تواظب القيام بالفحوصات الطبية في مستشفى "البشارة" ولكن لم يجد الأطباء في جسمها خللاً.

ولكن لم يطل الوقت حتى مرض والدُها أيضاً. ظهر لديه سرطانٌ في مؤخرة رأسه وعنقه. وكان هو أيضاً يداوم الذهاب إلى جزيرة إيبينا والتضرع للقديس نكتاريوس من أجل شفائه.

كان الوقت يمضي وحياة الزوجين تسير دوماً في خصامات لا مبرر لها وكره متصاعد. ولسوء الطالع بسبب طغيان مشاكل أخرى عليهما لم يكونا يعيران اهتماماً خاصاً لحدوث غريب بكل تأكيد: كل صباح حين كانا

يستيقظان وينهضان من الفراش كانا يشاهدان فوق فراشهما أشياء غريبة مثل نجاسات فئران وشعر. حين كانت الزوجة تقوم بترتيب الفراش كانت تحاول التقاطها ولكنها لم تكن تقدر أن تمسك شيئاً أبداً.

وفي غضون ستة أعوام كانت الحالة قد بلغت وضعاً حرجاً طبعاً ولم يكونا بعد قد أنجبا أولاداً. وعند مساء أحد الأيام، كانت المرأة تجلس متضايقَةً على أريكةٍ في الصالون. وفجأةً بدا أن الباب انفتح وعندها ماذا رأت! ظهر القديس نكتاريوس حياً أمامها. وكان يسير خلفه جدُّها، الذي كان كاهناً في حياته، وهو مرتدي ثياباً كهنوتية بيضاء اللون. وقال لها القديس: أتيتُ. لا تقلقي. اليوم سأجري لك ثلاث عمليات جراحية في بطنك. استلقي!

أطاعت المرأة. كان حضور القديس الحيّ قد جلب إلى نفسها سكيناً وسلاماً لا حدَّ له. وحالما استلقت، أجرى لها رئيسُ الكهنة ثلاث عمليات جراحية في بطنها. لم تشعر بالألم مطلقاً. ثم قال لها القديس نكتاريوس: سوف آتي غداً بعد الظهر أيضاً.

كانت دهشة المرأة وتأثرها غير محدودين. وبعد ظهر



اليوم التالي، فعلاً، قام القديس نكتاريوس وجدُّها بزيارتها مرة أخرى. وقال لها القديس: اليوم سوف نجري لك تسعَ عشرة عملية جراحية.

أجرى لها العمليات التسع عشرة في بطنها وهو يحصيها واحدةً فواحدةً. وحين بلغ إلى العملية الأخيرة قال لها: انظري الآن من أين سيخرج الروح الشرير الساكن في داخلك. سيخرج من الإصبع الصغير لقدمك اليسرى.

وفعلاً عند العملية التاسعة عشرة شعرت بوضوح أنّ روحاً نجساً يخرج من داخلها وشاهدته وهو يخرج من الإصبع الصغير لقدمها اليسرى. وبعد تحرُّرها من الشيطان، جلس القديس نكتاريوس وشرح لها ما كان قد حصل قائلاً:

"تزوَّجتِ وأتيت إلى هذا البيت. كان فراشك جديداً. ولكنّ ربّة منزلك كانت تمتلك نسخةً عن مفتاح البيت، وحين كنتما تتغيبان عنه دخلت إلى الداخل ووضعت على فراشك هذه التي ترينها هنا". وأشار لها القديس على نجاسات الفئران والشعر التي كانت تشاهدها على فراشها. ثم تابع القديس حديثه: "سكبتُ على سلّم بيتك

زيتاً من قنديل ميت. كان الشخص الأول الذي عبر فوق الزيت هو أبوك ولهذا السبب أصيب بالسرطانات. ولكن ذات مرة أتى إلى ديري وشفيته. بينما كان يغادر الدير، وحين كان عند الطريق المنحدر إلى أسفل أخرجتُ من جسده السرطانات ومئة وخمسين غراماً من الدم الفاسد. وهو لم يرجع كي يشكرني".

من بعد هذا الشرح، اختفى القديس نكتاريوس وجدُّ المرأة. لم يكن امتعاض القديس بلا مبرر، لأنه فعلاً، ذات يومٍ بينما كان والد المرأة الذي كان يصلي لأجل شفائه، يسير في الطريق المنحدر من الدير رفع بلا شعور يده وأمسك بعنقه. وعندها اكتشف أن التورم السرطاني كان قد اختفى. ومع ذلك لم يرجع ليشكر القديس. وبما أنه كان يرتكض من الفرح استعجل كي يذهب إلى بيته ويبشّر ذويه بالأعجوبة التي حصلت.

### أبوان قتلوا طفلتهما

حين كانت الطفلة ماريالينا في عمر شهرين تقريباً، نُقلت إلى مستشفى بوليستانيا في كالافريا، ولكن كان الوقت قد تأخر على ذلك. لفظت الطفلة أنفاسها الأخيرة

بعد ليلة أُقيمت فيها خدمة طقسية شيطانية، مقتولةً بضربات على رأسها على يد أبويها وأقاربها المنتمين إلى فئة شيطانية.

تمّ زجُّ تسعة أشخاص في السجن قبل عدة سنوات من أجل حادثة القتل، وكان أبواها يقولان: لم تقم نحن بهذا بل الشيطان هو الذي قتل طفلتنا.

والدا ماريالينا، ٢٠ و ٢٣ سنة، كانا قد اقتنعا بأن بكاء طفلتهما المتواصل يعود لشيطانٍ فيها وبأنها في سبيل أن تتحرّر منه ينبغي أن يقام "قدّاس" شيطاني. أثناء الخدمة التي صارت ضمن حلقة عائلية، كان السّاحرُ واحداً من الأقارب. وهناك حصلت الجريمة الشنيعة.

## ملكة السّحر الأسود

وُلدتُ في لندن عام ١٩٢٢م. في سنيّ شبابي انغمستُ عميقاً في الخطيئة كزانية وراقصة.<sup>٢</sup> أدمنتُ المخدّرات ولاحقاً انخرطتُ في حلقاتٍ كانت تخدم الشيطان صراحةً. وعلى هذا المنوال صرتُ كاهنةً للشيطان وأداةً للقوات

٢- مقتطف موجز من سيرة حياة دورين إرفين، ملكة السّحر الأسود الإنكليزية، التي في مرحلة معينة من عمرها تركت عبادة الشيطان ورجعت إلى المسيح.

## الشيطنانية.

أولّ خبرة لي للعبادة الشيطانية حصلت كما يلي:  
ذات مساءً، من بعد موعدٍ متّفقٍ عليه، وقّمتُ أمامي سيارةً  
سوداءَ كبيرة. أوماً السائق لي كي أصدع. قام ركاب  
السيارة بتعصيب عينيّ وبلغنا إلى كنيسةٍ سريعاً.

حين حلّوا الرباط عن عيني، وجدتُ نفسي في قاعةٍ  
كبيرة تضمّ خمسين شخصاً. وإلى الأمام كان هناك  
مذبحٌ مغطّى بغطاء أسود وكان مطرّزاً بصورتين،  
أفاعي وألسنة نارٍ، في حين كان يقف حول المذبح ثلاثة  
عشر شخصاً يرتدون لباساً أسود اللون. كان كلُّ شيءٍ  
جاهزاً من أجل عبادة إيوسفوروس.

بدأت الخدمة الطقسية. كان الكهنة والكاهنات  
يرتلون بإيقاعٍ غريب. وكان ترتيلهم يقوى شيئاً فشيئاً.  
وفجأةً، قام الرجل الذي كان واقفاً في وسط الهيكل  
ونزل أسفل. وللحال سقط الباقون واحداً تلو الآخر أرضاً  
وسجدوا له. كان ذلك رئيسَ عبدة الشيطان وممثّل  
الشيطان على الأرض ولهذا كان ينبغي أن يطيعه الجميع.  
من غير أن أعرف وجدتُ نفسي أمام أقدام طغمةٍ لعبدة

## الشیطان فی العالم.

وفی إحدى اللحظات، أطفأوا الأنوار وأشعلوا المشاعل. ولاحظتُ على الجدران صوراً معلقة للشیطان، وبينما كان الوقت يمرُّ بدت تلك الصور تستحيل حياةً. وفی هذه الأثناء، أحضروا ديكاً أبيض اللون كي يقدموه ذبيحة للشیطان. فوق درجات المذبح قاموا بطيِّ عنقه وخنقوه. وتم نضح كلِّ شيءٍ موجود بالدم. حصل كلُّ شيءٍ باسم الشیطان وبدا الجميع جدِّين كما لو أنهم كانوا مسحورين.

وفجأةً، نظرَ إليَّ رئيسُ عبدة الشیطان. بدا لي وكأنه اخترقني بنظرته. استمر هذا الطقس مدة ساعتين. الأمور التي حصلت بعد ذلك تسبَّب ألماً ورعباً.

كانت هذه زيارتي وخبرتي الأولى. ذهبتُ لاحقاً إلى طقوس مشابهة مقادةً بقوةٍ غير مفسَّرة. أحسستُ بالإطراء كثيراً حين دعاني رئيسُ عبدة الشیطان إلى غداء. كان شخصيةً قويةً ومن دون تعبي كبير جعلني أنخرط في عبادة الشیطان. وقال لي: يمكن أن يصبح من عبدة الشیطان أيُّ شخصٍ إلى أيِّ فئة اجتماعية كان ينتمي، سواء كان

تاجراً، مصرفياً، معلماً، ممرضات، زانيات ومدمني  
مخدرات.

وبهذه الطريقة صرتُ أنا أيضاً عضواً في جماعة عبدة  
الشیطان واندمجتُ في سائر قوائينهم. فيما يلي بعضُ  
قوائينهم:

السرية المطلقة هي القانون الأعلى.

ينبغي على الجميع أن يطيعوا الرئيس بشكلٍ أعمى لأنه ممثّلُ  
إيوسفوروس على الأرض.

ينبغي على عبدة الشيطان ألا يذهبوا أبداً إلى اجتماعات مسيحية ولا  
يطالعوا الكتاب المقدس الذي ينبغي عليهم أن يسخرُوا منه ويحرقوه في  
هياكل الشيطان.

ينبغي إبادة جميع الكتب المسيحية.

يجب ألا يأتي أحدٌ متأخراً إلى اجتماع عبدة لشیطان وإلا يُجلدُ.

الكذب، التضليل، التجديف والقتل كلها أشياء مسموحة.

ينبغي أن يصلُّوا لإيوسفوروس كلَّ يوم.

كانت خدمة تكريسي كعضوة لمجمع عبدة

الشياطين أمراً معقداً. كان حاضراً في الخدمة ثمانمائة

عضو من عبدة الشيطان من سائر هياكل إنكلترا. كنتُ

مرتدية لباساً أسود فضفاض. في البداية حصلت صلوات وتمّ ترتيل بعض التسابيح في حين أنّ المشاعل كانت تُلقى ظلالاً غريبة تعبر بسرعة على الجدران. وفي لحظة معينة نهض الرئيسُ. وعندها جئنا جميعاً وسجدنا له. أحضر اثنان من الخدام الديك الأبيض المقدّس وذبحوه من عنقه وقاموا بجمع دمه في وعاء فضي. استمرت مجدداً التسابيح والصلوات لتكريم الشيطان. كان الجو مليئاً بقوات الظلمة.

بعد ذلك دنا الرئيس مني ويسكين فتح خدشاً في ذراعي اليسرى. وقام بسكب الدم الذي نزف منها في الوعاء الفضي وخلطه مع دم الديك. شربت قليلاً منه وبعد ذلك أدّيتُ قسَمي الشخصي للشيطان. وفي النهاية غمستُ إصبعي في الدم وكتبتُ مخطوطةً. بهذه الطريقة بعثُ نفسي للشيطان وأقسمتُ أن أكون أمةً دائمةً له.

فرح جميع الحاضرين لولادة ابنة جديدة من أبناء الشيطان وبدؤوا يُظهرون علامات جنونٍ غريبة. ثم تتابعت مشاهدٌ وأمورٌ لا أخلاقية. كانت دهشتي عظيمة حين قاموا بتكريسي رئيسة كهنة، وهذا حدثٌ تكريمي

بشكل خاص، يقول: كانت هذه هي رغبة الشيطان الشخصية وكان ينبغي عليّ طاعتها. انطلاقاً من هذا الموقع كان بإمكانني أن أخدم سيدي بشكل أفضل. وسلموني مهمّة الاهتمام بالمذبح وأوانيّه. وصرتُ معروفة بأنني ديانا الكاهنة الكبيرة.

كان الشيطان حينها ربّي. كنتُ أستطيع أن أسمع صوته وممرّات كثيرة أن أراه حياً أمامي. كان يظهر أيضاً لجميع عبدة الشيطان في الهيكل. لم يكن أحد يشك بأنه الشيطان وكنا نسمع صوته في الاجتماعات يقول لنا: أنا إيوسفوروس رئيسكم. إنني أتكلّم معكم أنا بنفسي. اسمعوني يا أبنائي. اصنعوا الشرّ قدر استطاعتكم. سوف أقوم بحمايتكم دوماً. استمتعوا هذه الليلة بالشهوات والرغبات. إنني أفرح برؤيتي هذا الأمر.

في أحد الأيام بينما كنتُ أتناول كأساً من الخمر مع رئيس عبدة الشيطان قال لي: إنني أمارس السحر الأسود. أنا ساحرٌ. تستطيعين أنت أيضاً يا ديانا أن تصبحي ساحرةً ماهرةً. إنك تمتلكين موهبةً طبيعية. كنتُ أتخيّل السحرة كأمر يخص العجائز الذين



يرتدون قلنسوات كبيرة ولديهم عكاز سحري وكانوا يقومون بخداع عديدة كي يضحك الأطفال. ولكن لم يكن الأمر هكذا. السّاحرات اللواتي يمارسن السّحر الأسود يمتلكن قوةً كبيرة. إنهنّ تستدعين القوات المظلمة كي يقبلوا إلى مساعدتهنّ. إنهنّ تفتحن قبوراً، تدنّسن كنائس مسيحية، وليس يوجد بنظرهن شيء مقدّس، وهنّ لا يخفن أيّ شيء ولا يتردّدن في ارتكاب أبشع الجرائم. هنّ عادةً يفقدن نقاوة عقلهنّ ويصبن بالجنون. ويستطعن نهايةً لعن شخصٍ ما وقلب حياته رأساً على عقب. من بعد الحديث السابق، ذهبتُ وراقبتُ عملاً شيطانياً بهذا الخصوص. رأيتُ في هياكل الشياطين وعشتُ أشياءً مخيفة ولكن لم يكن هذا أسوأ ما في الأمر. تحصلُ في هذه الاجتماعات أعمال الهلاك. السّادية والمازوشية أمران موجودان في الحياة اليومية. كانت بعض السّاحرات تقمن بشقّ أجسادهنّ بسكين من دون أن يشعرن بالألم، في حين أن بعضهنّ الآخر كنّ يشربن سمّاً دون أن يحصل لهنّ شيء.

في الخدمة التي أقيمت من أجل تكريسي سّاحرة،

تمّ دهن جسدي العاري بدمٍ ماعز. وبعد ذلك حصلت أمور لا أقدرُ أن أتفوهَ بها. والآن، بخاصيةِ السّحر الجديدة التي صرتُ أتمتع بها امتلكتُ قوةً كبيرةً. كنتُ أستطيع أن أسبح في الهواء من دون الارتكاز على أيّ شيء. كما كنتُ أقدرُ أن أقتل، بأمرٍ من داخلي، طيوراً تطير في السماء. كما كان بمقدوري أن أخفي أشياء مختلفة. في غضون أسبوعٍ واحدٍ صرتُ أحمل وزر خطايا كثيرة جداً تعادل الخطايا التي قد يحمل وزرها إنسانٌ ما خلال حياته كلّها.

وذات يومٍ اقترح عليّ رئيسُ عبدةِ الشيطان أن أصعد إلى مرتبةٍ أعلى فأصير ملكة سّاحرات السّحر الأسود. ولكن كان ينبغي أن أُجري اختبارات قوة مع سّاحرات أخريات، وكانت الاختبارات ستجري في قاعة دارتمور ديفون.

في اليوم المحدّد، مساء اليوم السابق لعيد جميع القديسين، جاءت السّاحرات من جميع أنحاء إنكلترا، ومن هولندا، من ألمانيا وفرنسا. لم يأتينّ فوق مكنسةٍ حسب ما تقول الأساطير، بل في سيارات ليموزين فاخرة

وأقمن في أكثر الفنادق فخامةً. بدون مثل رجال الأعمال وبعضهن كنّ فعلاً نساء أعمال.

بدأت الخدمة الطقسية بتراتيل لتكريم الآلهة القديمة والشياطين. وبعد ذلك أطلقت المعركة الكبيرة. السّاحرات المرشّحات للفوز بلقب الملكة كنّ سبع سّاحرات.

في البداية تمّ إطلاق سراح عصفور من قفص، وبينما كان يطير قمتُ بقتله. كنتُ الوحيدة التي تمكّنت من القيام بهذا. ولكنّ الاختبار الأصعب كان العبور من النار. لم تكن النار صغيرة وخفيفة. بل كانت كبيرة وألسنتها متعالية. كان إيوسفوروس مزمماً أن يقابل السّاحرة التي ستجح في اختبار النار وذلك في مركز النار. وكان الموجودون في الاجتماع كلهم سيرون كيف سيمسك إيوسفوروس بيدها ويقتادها من بين الألسنة النارية، وسيخرجها من الجهة الثانية من دون أن يصيبها أدنى أذى أو تصدر عنها رائحة احتراق.

دخلتُ واثقةً بنفسي داخل ألسنة النار التي كانت ترتفع حوالي المترين مستدعيةً معونة معلّمي الكبير أي

الشیطان. وفجأة، رأیته أمامی حیاً ضخماً الجسم وأسود اللون تماماً. أمسكتُ بیده وسرتُ إلى مركز النار. ووقفتُ هناك فی حین كانت الألسنة النارية تتصاعد حولی وكان الحاضرون يتطلعون إليّ. ثم تابعتُ مسیرتی إلى الجهة الثانية. حالما خرجتُ من النار اختفی الشیطان. وفوق لباسی الرقیق وشعری الطویل لم یکن من أثرٍ لرائحة النار. وكان الجمیع قد سقطوا أرضاً وكانوا یهتفون: لتحیا دیاننا ملكة السّحر الأسود.

على وجه العموم كانت حاضرة هناك حوالي ألف سّاحرة. وضعتُ على رأسی تاجاً من الذهب النقیّ وألقین على كتفیّ رداءً منسوجاً بالذهب وأعطوني بیدي صولجاناً ذهبياً. وفي النهاية، صعدتُ فوق عرشٍ كان قد جُهز مسبقاً خصیصاً لهذه المناسبة.

الأمر التي حصلت بعد ذلك لا یمكن وصفها: أمورٌ مخزية للهلاك، رقصٌ، شرب كحول ومخدّرات. كنت أنا دیاننا، ملكة السّحر الأسود، عندها مركزُ الاهتمام. وكان رئیسُ عبدة الشیطان فخوراً بی.

ملكْتُ لقبَ "ملكة" وهو لقب موضع حسد

وكبيراء. ولكنّ اللقب كان يترافق بعملٍ، دراسات وأسفار. كنتُ أسافر أسفاراً فاخرةً إلى هولندا، ألمانيا، فرنسا وبلدان أخرى. لم يكن لديّ أية صعوبات فيما يختصّ باللغة لأنني كنتُ أصليّ لإيوسفوروس وهو كان يساعدي كي أفهم اللغات الأخرى وأتكلّم بها أيضاً.

كان جهدي ينصبُّ بالأكثر في كيف أجعل السّحر الأسود أكثر جاذبيةً بحيث نريح أعضاءً جددًا. كان هناك كثير من الناس الذين يهتمون بالعبادات السريّة ولكن على الأخص الشباب. وكنتُ أحاول تقديم الشّرّ بطريقةٍ جذّابة. كتّا نحن السّاحرات نكرّس وقتنا لعملنا وكنا نتحدث لساعاتٍ عنه.

بقيتُ ملكة السّحر الأسود مدةً عامٍ واحد وبعد ذلك سلّمتُ اللقب باختياري إلى سّاحرةٍ أصغر منّي سنّاً.

### الغورو الكبير<sup>٣</sup>

كان الوقت يجري وأنا أتمرّغ في الخطيئة والشطارة.

---

٣- في الرواية التالية وفي التي تليها هناك وصفٌ لبعض الخبرات الشخصية للسيد. ن، وهو شاب مليء بالحياة، علق في شباك العبادات السرية والسّحر، ولكنّه في نهاية الأمر تحرّز منها بنعمة الله.

أنهيتُ دراساتي، أديتُ خدمتي العسكرية الإلزامية ورجعتُ إلى موطني الخاص حيثُ أقيمتُ وانشغلتُ بأمورٍ مختلفة. كنتُ أكسبُ مبلغاً كافياً من المال من عملي وكان لديّ الكثير من الوقت الحرّ. كنتُ أنفق الكثير من النقود على اليانصيب واللعب في الكازينو. وفي الوقت ذاته كنتُ قد أسلمتُ ذاتي بالكلية إلى الملذات الجسدية، كما كنتُ أشعر بالعجرفة بسبب طريقة حياتي.

ذات يومٍ اشتريتُ كتاباً بعنوان "سيرة ذاتية لمدرّب يوغا". ولما قرأته أصابني الحماس. كان يتكلّم فيما بين الأمور التي يتحدّث عنها عن الـ باباجي الغورو الكبير. وكان يدّعي بأنه شخصٌ يزاوّل مستوى متقدماً جداً في اليوغا، بحيث قد صار إلهاً خالداً وهو حيٌّ منذ ١٥٠٠ سنة في الجبال مع تلاميذه. كان إذا قلنا بمثابة مسيحٍ عند الهنود. ومنذ ذلك الحين أصبحتُ داعماً كبيراً للديانات الشرقية وبدأتُ أتحدّث مع الجميع بحرارةٍ عن حلقة التجسّد المتواصل، عن قوى الإنسان الخفية وعن نظريات أخرى كنتُ أخرجها من عقلي بسهولةٍ مذهّبة، قلّ وكان أحداً كان يدبّجها لي.

اليوم أعرف أنّ الشيطان مخفيّ وراء هذه الأمور  
كلّها وهو الذي كان يدفعني بكليّتي أكثر فأكثر إلى  
الضلال.

في ربيع العام ١٩٨٤م كنتُ أشعر بأوجاعٍ في الرأس  
بصورة مستمرة وكنتُ أضطرُّ إلى تناول ثلاث - أربع حبات  
من الأسبرين يومياً. وفكّرتُ في داخلي قائلاً لعلّ وجع  
رأسي يعود إلى حسدٍ بعض الأشخاص الذين كانوا  
يكرهونني. ولهذا قرّرتُ أن أصنع مناعةً لنفسني بطريقةٍ  
"روحية".

كتبتُ أسماء خمسين شخصاً كنتُ أفترض بأنهم  
يحسدونني، وبرفقة اثنين من أصدقائي أغلقنا على أنفسنا  
في غرفة مظلمة وهادئة. وضعنا في الوسط شمعةً مشتعلة  
وبدأنا نركّز تفكيرنا في شخص الباباجي الكبير. وأنا  
أذكرُ تماماً بأنني كنتُ أكرّر بإيقاعٍ بطيء وأقول: يا  
باباجي تعال! يا باباجي تعال!

وبينما كنتُ أقرأ الأسماء واحداً فواحداً كنتُ أقول  
بعد كلّ اسم: فليرجع عليه الشرُّ الذي يفكّر به لي.  
وكان لديّ إحساسٌ قويٌّ بأنّ روح الباباجي كان حاضراً.

وفي اليوم التالي قابلتُ ثلاثة - أربعة أفراد من هؤلاء الذين كانت تحنويهم لائحتي السوداء. وبدهشة وجدتُ أنهم بالفعل قد تعرّضوا لشرٍّ ما. الأول بدأ يتلوّى من الألم، الثاني مرض فجأةً، الثالث كان يشعر بالآلام في الرأس وغثيان طيلة الليل، والآخر كان يتملّكه شعورٌ بشعٍ جداً. وتخيّلتُ بأنّ شيئاً مشابهاً لا بدّ أن يكون قد حصل للباقيين.

ومنذ ذلك الحين ازدادت ثقتي بالباباجي وتقواي تجاهه. كنتُ أعتبره بمثابة محامٍ عني وقدّيس يساعد جميع الذين يطلبونه. أذكرُ كيف أنني مرّات كثيرة كنتُ أنام في ساعة متأخرة وكنتُ أريد أن أنهض باكراً جداً، فقبل أن أنام كنتُ أركّز تفكيري وأقول: سأستيقظ في الساعة الفلانية وسأشعر بالراحة. وفعلاً كنتُ أستيقظ في الساعة المحدّدة صباحاً وأشعر بأنني مرتاح.

ذات ليلة شاهدتُ في الحلم هيئة شخصٍ يحلّق في الهواء. آمنتُ بأنه الباباجي، في حين أنني شعرتُ بحصول زلزال في الوقت ذاته. وعندها أشار لي الغورو الكبير بيده



إلى جنازة تمرُّ بالقرب من منزلي وكانت تلك الجنازة  
لعمّتي. وفي اليوم التالي دخلت عمّتي المستشفى على جناح  
السرعة وكانت عرضةً لخطر الموت. آمنتُ بأنّ الباباجي  
قد تبنّى لي بالأمر لكوني كنتُ أعتبره الشخص المفضل  
لديّ.

اليوم أعرف أيضاً أنّ الشياطين كانت تخدعني بهذه  
الأشياء كلّها بحيث تجعلني أوّمن بقوى الإنسان الخفيّة  
والباباجي والغورو.

## باريا - نيكوس السّاحر

في الرابع والعشرين من شهر حزيران عام ١٩٨٤م  
عشتُ أكثر أحداث حياتي تأثيراً وصارت تلك حجّةً  
لعودتي إلى المسيح. في ذلك اليوم زرتُ برفقة صديقي أحدَ  
أعمامه، باريا - نيكوس، الذي كان يسكن في مكانٍ  
مقفرٍ خارج مدينة نافباكتوس في منطقة ليغيا على بُعد  
١٠٠ كيلومتر من موطني. هذا الإنسان حسبما كان  
صديقي قد أخبرني، كان يمتلك قوىً تفوق الطبيعة.  
وكان غرضنا نحن من زيارته أن نقنعه بأن يأتي معنا إلى  
الكازينو ليقول لنا أية أرقام نختر كي نربح. ولكنه

حالما سمع سبب زيارتنا رفضَ مستكبراً.

كان باربا - نيكوس سَاحِراً مشهوراً حسبما عرفتُ لاحقاً. كان عدد كبير من الناس يزوره يومياً إما ليحلَّ سِحراً أو ليربطه، أو كي يستشيروه في مشاكلهم المختلفة. وكان يتباهى بأنه قد عالَجَ أناساً كثيرين وبأنه كان يستطيع أن يطلق زوجين يحبَّان بعضهما البعض في غضون أسبوعٍ واحد فقط. كان يدخُن بوحشية، وكان لديه غرفة تحتوي على أيقونات وأدوات أخرى وكان يُطلق على تلك الغرفة اسم المعمل إذ كان داخله يقوم بعمله السحري. كان يكسب مالاَ كثيراً من الزوَّار وبنتيجة ذلك جنى ثروة هائلةً.

أخذني على حِدَةٍ وكشف لي أشياء مجدَّدة من حياتي الشخصية وأشار عليَّ بالقول أنه خيرٌ لي ألا أتزوَّج بل أن أتصيِّد النساء الجميلات. وعندما سألته عن سبب قوَّته أجابني بأنه يمتلك "سلاحاً" في داخله، ولكنه لم يشرح لي أكثر (في واقع الأمر كان هناك شيطانٌ في داخله).

مباشرةً بعد ذلك تحدَّث بشأن ما كنتُ قد انشغلتُ

به بخصوص الحركات الروحية وقال لي: توقّف عن الاستهزاء بالأرواح لأنها تقدر أن ترميك خارجاً من النافذة. وعندها سألتُه خائفاً: ماذا يجب عليّ أن أفعل حين تأتي الأرواح؟ فأجابني: عليك أن تشتتها وإذا لم ترحل فعليك أن... (وهنا تَفوّهَ بعبارة بشعة).

في هذه الأثناء أخذتُ أفكّر في نفسي وأقول ولو أنّ الجميع يعتبرونه إنساناً جيداً جداً، إلا أنه بالنسبة لي هناك شيء فيه لم يعجبني. ولكن يبدو بأنه قرأ فكري وقال لي وهو يمسك بعنقي بشكلٍ ودّيٍّ يا فتاي لماذا تشكُّ بي؟

وللحال حرّك يده أمام وجهي. شعرتُ حينها بكفّه يعبر من داخل عقلي ويمحو سائر الشكوك التي كانت تراودني. ومن تلك اللحظة - كان الوقت صباحاً - وحتى بعد ظهر اليوم ذاته كنتُ أعتبره قديساً يساعد الناس. ولكن بعد ظهر اليوم ذاته أعدتُ التفكير على مهلٍ بجميع الأحداث وانتهيتُ إلى نتيجةٍ تقول إن باربا- نيكوس هو أيُّ شيء ما عدا قديس. وعندها بدأ يسود عليّ إحساسٌ بشع.

رجعتُ إلى بيتي في حدود الساعة العاشرة ليلاً. وحالما دخلتُ إلى البيت اجتازني تيارُ هواء بارد ووقَّفَ شعري رأسي. وللحال بدأتُ، كما كان السَّاحِرُ قد قال لي، أشتُمُ وقلتُ: ارحل من هنا أيها المثلثُ اللعنة! ارحل.

وفي اللحظة ذاتها توقَّفَ شعري عن الانتصاب. صعدتُ إلى الطابق الأول ودخلتُ الغرفةَ وللحال تكررَت الظاهرةُ ذاتها تماماً فاشتمتُ أيضاً بخشونةٍ فعادت الأمور وهدأت مجدداً. ولكنَّ الخوف كان قد بدأ يسود في داخلي. وبغير شعورٍ مني، من دون أن أعرف لماذا، فتشَّتْ في غرفة والدتي فعثرتُ على كتاب العهد الجديد فأخذته ووضعته تحت وسادتي وغادرتُ المنزل على جناح السرعة. بقيتُ في الساحة حتى ساعة متأخرة من الليل وأنا لا أعرف ماذا أفعل.

في النهاية اتَّخذتُ قراراً أن أعود إلى البيت وليحصل ما يحصل. كتبتُ فوق إحدى الأحجار الأقوال التالية: (اليوم هو يوم الأحد ٢٤ حزيران ١٩٨٤م سوف تحصل حرب بين الخير والشر الموجودان داخلي. سأخوض المعركة الكبيرة مع الشيطان وأرجو أن أنتصر). كتبتُ هذه

الأقوال كي تبقى لأنني كنتُ أخاف من أنني قد أموت. رجعتُ إلى بيتي ودخلته. لاشيء. صعدتُ إلى الأعلى، لا شيء. استلقيت على الفراش، لا شيء. لا يوجد أيُّ إزعاج، ولكنَّ الخوف كان لا يزال موجوداً بعدُ. ومن دون أن أفهم كيف، وجدتُ نفسي أقرأ العهدَ الجديد. وبعد قليل بدأ النعاس يغلبني. أهملتُ كلَّ شيءٍ متعلِّق بالشياطين ونمتُ. وهناك حيثُ كنتُ نائماً، في حدود الساعة الرابعة صباحاً، سمعتُ صوتاً يهمس في أذني ويقول: إيه، إيه!

استيقظتُ حالاً ولكني لم أشاهد أحداً. لم يكن هناك شيء إلا الظلمة. وفكرتُ في داخلي فقلتُ: لا بدُّ أنه حلم. ورجعتُ لأغفو. ولكن سريعاً ما عاد الصوت ذاته يقول لي: أنت نائم أيها القدر، إيه. الآن سوف أرتب أمورك. وفي اللحظة ذاتها بدأت قوةٌ خفيّة ترفعني أعلى وأسفل، وبالغريزة هممتُ بالنهوض من الفراش ورفعتُ يديَّ وللحال جاء شيءٌ كالجبال الهوائية وقبّدت يديَّ بسرعةٍ خيالية. أردتُ أن أصرخ وإذا بيدٍ هوائيةٍ جاءت وأغلقت فمي. كان هناك شخصٌ ما قد أوقعني في فخٍّ كمثّل مجال مغناطيسيٍّ وفي الوقت ذاته كان يضربني

ويرفعني مع السرير إلى فوق وأسفل. وعندها، من دون أن أفهم كيف، وأنا مملوءٌ يأساً صرختُ بقلبي: يا يسوع اطرِد الشيطان. وللحال، يا للعجيب! ترددَ صوتٌ دويٌّ قويٌّ وتحرّرتُ. توقّف كل شيء. نهضتُ من الفراش وأشعلتُ النور. في هذه الأثناء جاءت أمي مضطربة إلى غرفتي. رسمت إشارة الصليب ومكثنا بدون نوم حتى الصباح. طيلة الأسبوع كنتُ أبقى مستيقظاً طوال الليل وأناام في النهار بسبب خوفي.

على أية حال، استخرجتُ عندها نتيجتين مهمّتين من هذه الخبرة المرعبة: أولاً أنّ الشياطين موجودة بما أنني شعرتُ بها حين هاجمتني، وبعد ذلك بأن يسوع المسيح الذي يساعدنا ويخلصنا من الأرواح الشريرة حين نلتمس معونته هو أيضاً موجود.

كانت هذه بداية عودتي إلى المسيح. لم أذهب مرّةً أخرى إلى باربا - نيكوس. شعرتُ بأنني أخشاه. ولاحقاً فهمتُ بأنه كان ساجراً، ذئباً بهيئة حملٍ حسبما يقول الإنجيل. كان يتعاون مع الشياطين، وطبعاً كان فيه واحدٌ من بينهم بحيث يخبره كلُّ شيء عن الناس.

بعد مرور وقتٍ قصيرٍ عرفتُ بحادثٍ حصلَ معه:  
كان قد حلَّ سَحْرًا قام به سَاحِرٌ آخرٌ من المنطقة ذاتها  
لأحد الزبائن. وعندها غضب السَّاحِرُ الآخرُ، وكان أكثر  
قوَّةً منه، وأرسلَ له الشياطين لتضربه، فأشبعته ضرباً مدة  
أسبوعٍ كاملٍ على فتراتٍ، وقد ضربتَه ضرباً مبرحاً بحيث  
كان الدم يسيل من فمه وأنفه.

### أيقونة اللاهوتي

في يومٍ أحدٍ من العام ١٩٨٥م قام الأب كوزما  
الغريغوريّ (١٩٨٩م) مُرسَلٌ إفريقيًا الدائم الذِّكر بزيارة  
كنيسة القديس يوحنا اللاهوتي في مدينة فوكورم في  
الكونغو من أجل أن يقيم بعض المعموديات. ومن بعد  
نصائحه الأخيرة للمستعدين للاستتارة قال لهم: جميع  
الذين قد انشغلوا بالسَّحْرِ من بينكم قبلاً، عليهم أن  
يحضروا جميع العقاقير التي كانوا يستعملونها من قبل في  
مهلةٍ حتى المساء.

عددٌ لا بأس به من بينهم جلب أصناماً خشبية،  
سوائل سحريَّة وجلود أفاعي وأشياء أخرى. ولكنَّ واحداً  
من بينهم واسمه سباكيلا لم يُحضِرْها له. وفي اليوم التالي

اعتمدَ من دون أن يسلم أدواته السحرية ولا أن يعترف  
بخطاياها.

مضت أشهرٌ لم يكن يذهب خلالها إلى الكنيسة  
بانتظام. وفي يومٍ أحدٍ قرّر أن يذهب إلى الكنيسة وهو  
يحمل "إلهة" الخاص في جيبه، أي صنماً خشبياً كان  
يعتقد بأنه يحميه من كل شرّ. وقبل أن يدخل الكنيسة  
جال في خاطره الفكر التالي: سأرى الآن فيما إذا كانت  
قوة الكنيسة الأرثوذكسية أعظم من السحرة وسحرهم  
كما يقولون.

دخل إلى الكنيسة ودنا ليسجد لأيقونة القديس  
يوحنا اللاهوتي، ولكنه شعر عندها بشيء كتيار هواء  
يجتاز في جسده. انتشرت في جميع أعضاء جسده آلامٌ  
قوية، وأخذ ينتظر انتهاء القداس الإلهي بقلق. مضى إلى  
بيته وهو يتألم ألماً مبرحاً.

كانت الآلام تقوى بمرور الأيام. دخل إلى مستشفى  
ولكن الأطباء لم يستطيعوا أن يفعلوا له شيئاً. مضى يائساً  
إلى الكنيسة وطلب مقابلة الأب رومانوس وقال له:  
- يا أبانا سوف أموت. انطلق مرضي من أيقونة



القديس يوحنا اللاهوتي. حين سجدتُ أمامها قبل بضعة أشهر اجتازني شيءٌ مثل تيار الهواء وتخلل جسدي كله.  
- لكي تتعافى عليك أن تذهب وتسجد أمامها ثانيةً بتوبةٍ، أشار عليه الكاهن.

- إذا نظرتُ إلى عيني القديس في هذه الأيقونة فسوف أموت. قال هذا ثم غادر الكنيسة من دون أن يسجد للأيقونة.

وبعد وقت قصير قام الأب كوزما بزيارة المستيرين حديثاً في مدينة فوغورون. روى له ساباكيلا مأساته. قال له الأبُ المرسلُ الشيء ذاته الذي قاله الأب رومانوس، أي أن يسجد أمام القديس. رفض الرجل ثانيةً قائلاً بأنه سيموت إذا فعل ذلك. ولم تقنعه حتى نصائحُ الطبيب اليوناني ثانوس نزوتزوس. وهكذا لم تتأخر نهايته عن المجيء. مات بعد أيامٍ قليلةٍ موتاً مؤلماً منخرطاً مع الشيطان ومتجاوزاً للمعمودية المقدسة.

## السَّاحِرُ الْإِفْرِيْقِيُّ ذُو الثَّلَاثَةِ عَشْرَةِ سَنَةً

في آب عام ١٩٩٠م كان المسؤول عن المركز البشاري في زائير هو الأب ملاتيوس الغريغوري. أخبرت

عائلتان مسيحيان إفريقيتان في كلويز الأب ملاتيوس أن يذهب إلى بيتيها كي ينظر في مسألة لها علاقة بالسحر.

أرسل الأب ملاتيوس الأب يعقوب بانزا وهو كاهن أرثوذكسي إفريقي، بسبب كونه من أهل المنطقة وكان يعرف لغة أهل بلده وطريقة تفكيرهم بشكل أفضل. ما الذي كان قد حصل؟

فتى عمره ثلاثة عشرة سنة من قبيلة بلوبا من منطقة سيابا، كان ساجراً منذ كان عمره سبع سنوات. كان جدّه قد أدخله في أسرار السحر الأسود المظلمة. كان أبواه قد طرداه من بيتيها ولهذا كان يُقيم في منزل عمّه. وكانت تسكن في الجوار هناك عائلة مسيحية أرثوذكسية. وكانت تسكن هناك أيضاً امرأة ساهرة كانت تربطها علاقات وطيدة مع الفتى.

وذات يوم أعطته الساهرة الوصفة التالية باللغة السحرية الاعتيادية: اذهب لتعثر على طعام لعيد الميلاد ورأس السنة.

وجد الفتى عمّه "طعاماً"، أخذ خفيةً أحد ثيابه الداخلية ومضى به إلى الساهرة. وبعد ذلك ذهب إلى بيت

أحد المسيحيين الأرثوذكسيين المجاور وأعطى لشقيقين صغيرين كي يأكل واحداً باذنجاناً والثاني سمكةً. ولما كان الطفلان جائعين أكلا ما قدّم لهما ولكنهما شعرا بطعمٍ مختلفٍ. اعتقدا بأنهما يأكلان لحماً إنسانياً. الأول لما أكل الباذنجانة الظاهرية فقد عقله.

ينتمي عمُّ السّاحر الصّغير إلى جماعة بروتستانتيّة يُقال لها بسادو. ذات يومٍ قال القسّ أمام جميع تابعيه لعمّ الولد: إنَّ عائلتك ليست بخير. لديك فتىٌ سّاحرٌ في بيتك.

وعندها أحضر العمُّ ابنَ أخيه إلى كنيستهم. وحين بدؤوا يقيمون صلواتهم أخرج الفتى من فمه حبلاً فيه ثلاث عقدة. كان قد ربط به ثلاثة أشخاصٍ كي يقتلهم. سأله القسّ قائلاً: ما هو هذا الحبل؟ فأجابه الفتى: هناك عقدة لأجل عمّي والعقدتان الأخرتان هما لأجل أولاد عائلتي أرثوذكسيّة. إذا أردتم هياً بنا إلى هناك.

ذهبوا إلى بيت الأرثوذكسيين وطلبوا الدخول إليه. تحت سرير الطّفل الأوّل كان يوجد جذرٌ سميكٌ فقاموا بإخراجه. ثمّ ذهبوا إلى الغرفة المجاورة وأخرجوا جذراً آخر من تحت سرير الطّفل الثاني. كانت تلك الجذور ستسبّب

بتأثير شيطانيّ حين يذهبان للنوم.

حين غادر البروتستانتيون إلى بيوتهم، قام أهل  
الطفلين الأرثوذكسيين بإخبار الأب ملاتيوس وهو بدوره  
أرسل الأب يعقوب حسب ما قلنا أعلاه. استدعى الأب  
يعقوب والديّ السّاحر الشاب ومن ثم جلسوا جميعاً  
يتحدّثون. عندها سأل الكاهنُ عمّ الفتى: هل تعرف  
مشكلة ابن أخيك؟ فأجابه نعم أعرف إنه سّاحر.

استدار الأب يعقوب باتجاه الفتى وسأله:

- هل أنت سّاحر؟

- نعم أنا سّاحر.

- أعطني أدواتك السّحريّة.

- لا أستطيع أن أعطيك إياها فهناك امرأةٌ ستهجم

عليّ وتقتلني.

- كلا لن تقتلك. إذا كنت مؤمناً بالإله الحقيقي

فلن تموت.

كانت يدا الفتى مربوطتين. حلّ الكاهنُ وثاقه قائلاً

له:

- أنا أحبك وأؤمن أن إلهنا سوف يساعذك.

- نحن نعمل صلواتنا وأسرارنا في المقبرة عند منتصف الليل.

- كيف تباشرون فنونكم السحرية لكي تسحروا أناساً آخرين؟

- نأخذ قطعةً من ثياب الشخص الداخلية أو خيطاً من ثياب الشخص الذي نريد أن نسحره أو نقتله أو نحضره إلى مجموعتنا.

- إذا احتفظتم بطرف ثوب أحد الأشخاص فهل تستطيعون أن تسحروه؟

- نعم إنه أمرٌ سهلٌ جداً.

- يعني إذا أمسكت الآن بقطعة من ثيابي فهل تقدر أن تسحرنني؟

- كلا، صرخ الفتى، أنت لا!! أنت كاهنٌ ويوجد نارٌ حولك. إذا اقتربتُ إليك تحرقني.

وعندها سأل الأب يعقوب والدي الفتى: هل حقيقةً ابنكما سَاحِرٌ؟ فأجابه والداه: نعم يا أبانا إنه سَاحِرٌ منذ السابعة من عمره.

قال الأب يعقوب عندها: ينبغي أن تساعداه كي يترك السحر لأنه سيتعرّض لمشاكل في حياته. اليوم صنعَ

سِحراً لبيتِ مسيحيين وغداً سيدخل إلى بيتٍ وثنيين، وبعد غد سيقيدونه ويمضون به إلى السجن. ستتورطان أنتما أيضاً.

بعد ذلك أقام الكاهنُ خدمةَ تقديسِ الماءِ ثم قام بنضح المكانِ والمسيحيين الموجودين هناك بالماءِ المقدّسِ. وقرأ استقساماتِ القديسِ باسيلْيوسِ الكبيرِ على الطفلين ثم دهَنَ جبهتيهما بزيتِ عذراءِ ماليفي. ومنذ ذلك الحين لم يُظهرِ الطفلانِ أيةَ عوارضِ شيطانية. كانا يذهبان إلى الكنيسة، يعترفان بخطاياهما ويتناولان جسد الرب ودمه المقدسين. وأمّا السَّاحِرُ الشاب فلما عاد إلى بيته فقدَ عقله وجنَّ جنونه تماماً.

### سِحْرٌ فِي حَانَةِ

في قرية كادو في زائير كان يعيش مع زوجته شخصٌ اسمه برديه وهو إفريقي أرثوذكسي. وكان هذا ابناً للكاهن الأب فوتيوس. تبعد قرية كادو خمسين كيلومتراً عن مدينة كولويز، حيث مركز البشارة الأرثوذكسية.

كان برديه صاحب حانةٍ ولكنه لم يكن يجني

الكثير من المال من عمله. في أيار عام ١٩٩١م جاء إلى قريته سَاحِرٌ. شاهدَ بيته الجميل وطلبَ منه الإذن بأن يدخله. وقال له: إنني أقدر أن أجلب لك حشداً كبيراً من الزبائن وأجعلك غنياً خلال وقتٍ قصير. وللحال أمام عدد كبير من الناس بدأ يمارس فنونه السُحريّة. أخذ ورقةً ووضعها في فمه ثم أمسكها بيده وبصقَ داخلها. ضغطها بيده قليلاً فصارت ثعباناً. ثم حوّل الثعبان إلى ورقة، وهذه بدورها حوّلها إلى حيوانات وأشياء أخرى.

كان جميع المشاهدين يتعجبون وكأنّ هناك إلهاً يقف أمامهم. وقال برديه الشاب للسّاحر: أنا مسيحيٌّ أرثوذكسي لا أعرف إذا كان هذا الذي تريد أن تفعله من الله أم من الشيطان. سوف أناقش الأمر مع زوجتي وسنتكلم لاحقاً. لم تكن زوجته مسيحية فنصحته أن يقبلَ مساعدة السّاحر. وقالت له أيضاً: أنا أيضاً في السابق كنتُ أبيع المشروبات الكحولية ولكنني لم أتقدّم في مهنتي. من الممكن أن يحصل شيءٌ ما الآن. وكان الزوج يتردّد ويقول: إنّ قلبي ثقيل ويقاوم الأمر. وفي نهاية الأمر ساد رأيُ المرأة التي أكّدت لزوجها القول: إذا أخذنا

العقاقير السَّحْرِيَّة فسوف ترى بأنَّ الفرح سيأتي إلى بيتنا.  
قاما باستدعاء السَّاحِر لمساعدتهما. وحين جاء ذلك  
ألقى بدواء ما في زجاجتين تحتويان على الماء. وللحين  
استحال لون الماء إلى اللون البرتقالي وقام بتغطية إحدى  
الزجاجتين بمنديلٍ نسائيٍّ ثم حفَرَ حفرةً في باحة البيت  
وطمرها هناك. وقال لهما: هذه الزجاجاة ترمز إلى امرأة  
ماتت قديماً وهي ستدعو الناس كي يشتروا  
مشروياتكما.

ثم وضع صورةً برديه في الزجاجاة الثانية ودفنها في  
حفرةا قام بفتحها داخل البيت خلف باب المدخل. وبعد  
ذلك فتح جرحاً صغيراً في اليد اليمنى لكل واحد من  
الزوجين ودهنَ ذلك المكان بأحد الأدوية ثم علّق ما بقي  
منه في سقف البيت وجعله يتدلى. وفي النهاية أخذ أربعة  
جذور من إحدى الأشجار ووضع كل واحد منها في زاويةٍ  
من زوايا البيت. وقال: بهذه الجذور والدواء الذي علّقته في  
السقف لن يستطيع سَاحِرٌ أن يدخل بيتكما ولا أن تضربه  
صاعقة. الآن سيأتي أناس كثيرون إلى حانتكما  
وستكسبان مالاً وفيراً. وهنا سأله برديه:



- ماذا تريدني أن أدفع لك لقاء عملك؟

- ستعطيني مالاً.

- كم تريد؟

- سأقيم هنا في بيتك ثلاثة أيام، وستدفع لي قبل أن

أغادر بيتك. عندها سأقول لك كم تدفع لي.

كسبَ برديهِ في اليوم الأول ٥٠٠٠٠٠٠ زائيرية. وفي

اليومين التاليين ربح المقدار ذاته على التوالي. وهكذا

خلال ثلاثة أيام كان قد جمع مبلغ ١٥٠٠٠٠٠٠ زائيرية.

وعندها قال له السّاحر: "الآن سأرحل. أعطني جميع المال

الذي ربحته. انتبه ألا تذهب مع امرأةٍ أخرى سوى امرأتك.

وإذا مات أحد أخوتك فلا تقترب إليه بل قف من بعيد". ثم

أخذَ النقود ورحلَ.

كان برديهِ ينتظر في الأيام التالية أن يأتي أناس

كثيرون إلى حانوته ولكن عبتاً. ساد الشقاء في بيته

بسبب غياب الأطعمة. ماذا عساه يفعل؟ ذهب ذات يوم إلى

الحقل وجمع نوعاً من الأعشاب القابلة للتجفيف وتصبح

بعد تجفيفها مسحوقاً وتُطهى، وذهب إلى مدينة غولويز

ليبيعها. وبالنقود التي أخذها لقاءها اشترى بعض الذرة.

في تلك الليلة قام برديه بتأثير من الشيطان باغتصاب امرأة غريبة. وبعد ذلك شرب لتوكو وهو مشروب إفريقي قوي مُسكر. وبعدها أكل نباتاً اسمه دياما ففقد عقله تماماً. جُنَّ حقيقةً ولم يكن يعرف ماذا يفعل. كان ينام في ساحات البيوت الغربية ويطوف في الشوارع ويصرخ ويزعج الناس.

كان الأولاد يلقون عليه الطين والجنود يضربونه. تمّ إيصال الخبر إلى والده الأب فوتيوس بأن ابنه برديه قد جُنَّ وأنه يطوف كالكلب في شوارع كولوينز. فذهب إلى مركز البشارة الأرثوذكسي وروى لهم الحدث الحاصل، في حين أرسل أولاده الثلاثة الباقين كي يمسكوا برديه ويقيّدوه ويحضروه إلى قريته كيسوتي. وحين أحضروه مقيّداً قال للكاهن: يا أبانا حين أمسكتني أخوتي شاهدتُ أمامي نوراً قوياً مثل البرق وأؤمن بأنني لن أموت.

سأله الأب فوتيوس: لماذا هو موجود في هذه الحالة فروى له كلّ شيء. دخلا إلى الكنيسة. اعترف بخطاياهم وبعد ذلك قرأ الكاهنُ عليه استقسامات القديس باسيليوس الكبير. وللحال غادره الروح النجس. وخرج

برديه من الكنيسة ينعم بالسلام تماماً. ثم قال لأبيه:  
فلنذهب الآن إلى بيتي كي تُخرج العقاقير التي وضعها  
السَّاحِرُ هناك.

أخذَ الأب فوتيوس بركةً من مسؤول الإرسالية الأب  
ملا تيوس وذهب مع ابنه إلى قرية كادو. قرأ خدمةً تقديس  
الماء الصغرى ثم أخرج الزجاجات والجدور ورسم عليها  
إشارة الصليب الكريم. حين أخرجَ المنديل من الزجاجة  
الأولى وصورةَ برديه من الزجاجة الثانية، رسمَ إشارة  
الصليب على العقاقير السُّحريَّة وسكبها على الأرض.  
وعندها تردَّدت أصوات صرخات عالية. كانت الشياطين  
تنتحب. قام برشَ البيت كله بالماء المقدَّس وأعطى لبرديه  
فشرب منه.

قال ابنه بتوبةٍ: يا أبتِ كنتُ أريد أن أعمل بحسب  
مشيئة الله ولكنني ضللتُ. لن أفعل هذه الأشياء مجدداً  
وسأبقى أميناً لكنيستنا.

عاد الأب فوتيوس بسلامٍ إلى الإرسالية وروى للأباء  
كلَّ الأمور التي حصلت، فمجدوا الله. والآن حيثما يذهب  
الأب فوتيوس إلى إحدى رعاياه السبعة يروي للمسيحيين ما  
حصل لابنه كدرسٍ تعليميٍّ.

## النعش الذي هدمَ بيوتاً

تقوم الإرسالية الأرثوذكسية في الكونغو بزراعة حقل كبير بالقرب من قرية لوانكوكو على بُعد ٣٢ كيلومتراً من مدينة كولونيز. يعملُ سكّانُ المنطقة في هذا الحقل بغضّ النظر عن دينهم.

ذات ليلة من ربيع العام ١٩٩٩م مضى ناطور الحقل تريفون، وهو مسيحيّ أرثوذكسيّ، برفقة شخصٍ آخر ليسرقا وقوداً من الجرّار الذي كان هناك. شاهدهما كاتوكا الحارسُ الليلي، وكان بروتستانتياً، واشتكى عليهما إلى الأب ملاتيوس رئيس الإرسالية.

ومنذ تلك اللحظة دخل إلى قلب تريفن الحقد والتعطُّش للانتقام من كاتوكا. واتفق مع سّاحرين من القرية وهما جورج وخريسوستوموس، وكانا مسيحيين أرثوذكسيين ظاهرياً، وحبكَ معهما خطة لإيذاء الحارس.

كانوا يصعدون ليلاً فوق بيت نملٍ عالٍ عن الأرض حوالي ٣ - ٤ أمتار ويعملان هناك سحرهم الذي استطاعوا به في ٢١ تموز من العام ١٩٩٩م أن يقتلوا كاتوكا. وهذا الأخير قبل أن يموت كان قد قال لأولاده: إذا متُّ بحسب

مشيئة الله فلن يحصل شيء، أما إذا قتلني آخرون فسوف ترون ما الذي سيحصل بعد موتي.

ولاحقاً سأل الأب دامسكينوس أولاد الميت ما الذي كان والدهم قصده بهذه الأقوال فشرحوا له قائلين: الشخص الذي يريد أن يُظهر لأقاربه سبب موته في المستقبل، أي إذا كان قد مات بشكل طبيعي أو أن أناساً قتلوه بقوة السحر، يقوم بالأمر الشيطاني التالي: يشقُّ جلد يده اليسرى وبدمه يعقد معاهدة مع الشيطان الذي يصبح مضطراً أن يكشف لأقارب الميت من بعد موته هوية الأشخاص الذين قتلوه. ولكن إذا مات الشخص بشكل طبيعي بحسب مشيئة الله فعندها تبقى المعاهدة بدون تفعيل.

وهذا ما كان كاتوكا قد فعله قبل موته. وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز عام ١٩٩٩م رفع أربعة رجال النعش الموضوع فيه جسد كاتوكا وانطلقوا إلى القبر الذي كان في وسط الغابة على بعد ثمانية كيلومترات من القرية. وكان يتبعهم جمعٌ من الرجال عدده ٥٥٠ رجلاً. وحين وصلوا إلى المقبرة، حدث شيء لا يُصدّق: علق النعش

فوق أكتاف الرجال ولم يكن ينزل أبداً إلى القبر. وبدأ  
النعش، أو الشيطان الذي كان يستعمله كأداة له يقود  
الرجال حيثما يشاء. كان يسوقهم بسرعة كبيرة ويطوف  
بهم وراءه ويجبرهم على الركض بطريقة منهكة مجتازاً  
وسط السهول، الغابة، الشوك، في حين أن الجمع كان  
يتبعهم.

حين اجتازوا القرية الأولى المسماة مايبندو حاول  
السُّحْرَةُ القَتْلَةَ بواسطة أعمالٍ سُّحْرِيَّةٍ أن يعيقوا عودة  
النعش. رفعوا شبكةً بحرية على عرض الطريق وربطوا  
أطرافها بأشجار. وحين وصل النعشُ إلى هناك ولم يستطع  
العبور سار بمحاذاة الشبكة واجتازها ثم تابع طريقه  
والناس يسيرون خلفه.

قبل ٣٠٠ متر من وصوله إلى قرية لوانكوكو من  
حيث كان قد انطلق توقَّفَ النعشُ وانتصب واقفاً. وبعد  
ذلك صعد ثانيةً فوق أكتاف حامليه ودخل القرية. اقترب  
بسرعة كبيرة من بيت أحد القَتْلَةَ وهدمَ الحائطَ واجتاز  
داخلاً وجلس فوق أحد الأسرَّة.

قام أبناء البلدة بموجب عاداتهم بتغطية النعش كي

يستريح الميت. وقال أبناء الميت الذين كانوا يسرون وراء أبيهم بأنهم كانوا يسمعونوه وهو داخل النعش يتهدد. وكانوا يسألونه: يا أبانا قل لنا من الذي قتلك؟ ما الذي تريد أن نفعله لك؟ اذهب بنا حيثما تشاء.

بعد أن بقي النعش هناك لدقائق قليلة، صعد فوق أكتاف الرجال الأربعة وخرج خارجاً لكي يظهر القتلة لآخرين. هنا نرى بغض الشيطان للجنس البشري. هو ذاته قاد السحرة إلى القتل وهو ذاته أيضاً يظهر السحرة لكي يقسم بين البشر ويرمي الشقاق بينهم. قديماً، بسبب الأعمال السحرية كان قد قُتل أكثر من ٦٢ إنساناً في غضون شهر واحد.

ثم ذهب النعش إلى بيت آخر وهدم الباب مع عتبه ودخل داخلاً. كان يبحث عن الساحر الثاني. وهذا غادر البيت راكضاً لكي يختبئ في كوخ. ولكن النعش خرج من البيت وراءه ثم وجه له ضربة قوية على صدره فألقاه أرضاً. وفي النهاية توجه إلى بيت الساحر الثالث العشبي، وكان ذلك يخرج من باب بيته وقتها فضربه النعش أيضاً ضربة قوية على صدره ملقياً إياه أسفل مع الكوخ.

قام سكّان تلك القرى الوثنية الذين يعرفون  
تصرفات الشيطان بإلقاء القبض على السحرة الثلاثة فوراً  
وقيدوهم وسألوهم إذا كانوا هم الذين قتلوا كاتوكا. لم  
يكن باستطاعتهم أن ينكروا بما أن الميت ذاته أظهرهم،  
أو بالحقيقة كان الشيطان هو الذي كشف أمرهم.

بعد ذلك ذهب النعشُ ووقف في بيت الميت "ليستريح"  
حسبما يقول أهل القرية. ثم خرج من البيت وصعد فوق بيت  
النمل العالي ليُظهر المكان الذي كان السحرة يعملون فيه  
السحر. مكث هناك منتصباً وقتاً طويلاً ثم نزل إلى  
السهل.

حان الوقتُ كي يطلب أقارب الميت تعويضاً من  
السحرة. وإلى أن يحضر هؤلاء ما كان يحوزتهم وما لم  
يكن فيرضون الميت، بقي النعشُ أرضاً ولم يكن من  
الممكن تحريكه.

فعلاً، أحضر السحرةُ أغطيةً، ماعزاً، راديوهات،  
نقوداً وكلّ شيء آخر كان موجوداً في أكواخهم  
ووضعوها عند النعش. وفي سبيل أن يشير الميتُ أنه رضي  
بما قدّموه كان ينبغي أن يصير النعشُ خفيفاً بحيث



يستطيعون حمله وينقلوه إلى القبر. ولكنه بقي غير قابلٍ للرفع. كان الشيطان قد ألقى بهم في مأزقٍ.

وللحال أرسلوا شاباً مسيحياً على دراجةٍ إلى كولويز وروى للأب دامسكينوس الأمر الذي حصل وقال له: هناك مشكلةٌ خطيرة تشغلنا. انطلق المبشّرُ حالاً برفقةِ كاهنين من أهل المنطقة وثلاثة عمّال إلى مكان المأساة. أخذوا معهم ماءً مقدّساً، رفات قديسين شريفة، بخوراً وكتاب الصلوات. وبعد ساعةٍ وصلوا إلى القرية. كان الجميع هناك واقفين حول النعش. في حين أنّ السحرة كانوا راكعين عند رأس الميت.

بحَثُ من الأب دامسكينوس ركع الأرثوذكسيون وصلّوا. والكهنة باشروا "تبارك الله إلهاً... وتلوا استقسامات القديس باسيليوس الكبير. بعد ذلك فتَحَ الأب يعقوب غطاء النعش وأخرج من هناك الرياطات البلاستيكية الثلاثة، التي حسبما قال كانت التعويذة السحريّة قد حصلت عليها. ألقى ماءً مقدّساً في الوعاء الذي كان السحرة قد عملوا سحرهم فيه، وبينما هو يرتل: "خلّص يا ربُّ شعبك..." نضَحَ الميت وجميع الموجودين

هناك بالماء المقدس. كان معظم الحاضرين هناك من الوثنيين وكانوا يعتقدون أنّ الكهنة كانوا سحرَةً فهربوا بعد رشّ الماء. وفي الوقت الذي كانت تُتلى فيه الصلوات كان البعض يقول: لن يقدر كهنتهم أن يفعلوا شيئاً. لن يتبعهم النعشُ.

وبعد الصلوات قال الأب دامسكينوس للسَّحرة وللحاضرين: خذوا النعش وتعالوا معنا. انذهل السَّحرة الثلاثة. حاولوا النهوض ولكنهم جلسوا أرضاً ثانيةً. كانوا يخشون الاقتراب من النعش. وبحسب ما عرفَ الأب دامسكينوس لاحقاً، في كل مرة كانوا يحاولون النهوض كان النعشُ يقوم ويضربهم ويُجبرهم أن يسقطوا أرضاً ثانيةً.

حقيقةً كيف للمبشِّر أن يصدِّق بأن هؤلاء المسيحيين الثلاثة كانوا سحرَةً وقَتَلَةً؟ كان تريفنُ معاوناً في الإرسالية، وجورج معلماً للدروس الدينية في لوانكوكو والثالث حارساً للقرية.

في نهاية الأمر استدار الأب دامسكينوس باتجاه الحشد وقال: من منكم أرثوذكسيٌّ؟ فأجابته بعض

الشبان: أنا يا أبانا، أنا يا أبانا. فقال لهم: خذوا النعش وضعوه في السيارة. وللحال حملوا النعش دون أدنى صعوبة ورفعوه إلى السيارة. ثم قفز داخل السيارة خمسة عشر رجلاً. وبعد قليل وصلوا إلى القبر. كان البعض يقولون للعمال: فلننظر هل سيستطيع كهنتكم أن يُنزلوا النعش في القبر أم سيرجع النعش أدراجه كما حصل البارحة؟

كان الليل يرخي بسدوله ببطء على الغابة الإفريقية. ألقى الكهنة ماءً مقدساً في القبر ورسموا عليه إشارة الصليب بالرفات المقدسة. بعد ذلك قام الشبان المسيحيون بإنزال النعش داخل القبر ثم غطّوه بالتراب ووضعوا صليباً فوقه. وفي اليوم التالي قام الأب ملاتيوس والكهنة المحليون الثلاثة بزيارة مكان الحادثة المؤلمة. زاروا بدايةً أقرباء الميت ثم مضوا إلى البيوت المهدومة بسبب النعش الشيطاني. وبعدها تحدّثوا مع السّاحرين - كان السّاحر الثالث قد هرب - طلبوا منهما أن يعطوهم أدواتهم السّحرية. فرفضوا. لم يكن ترفنُّن يقبل الاعتراف بأنه سّاحرٌ ولديه أدوات سّحرية. وفي نهاية الأمر، وبعد كثير من القسر، مضى ليحضرهما.

إلى حين عودته قام السّاحر الآخر، خريسوستموس بكشف أعمالهم الشيطانية كلّها: كان جورج هو رئيس السّحرة في المكان منذ زمان طويل، وكان لسنواتٍ قسّاً للجماعة البروتستانتية البشارية الجديدة. بعد ذلك اعتمد أرثوذكسياً وصار معلّماً للذين يريدون الدخول في المسيحية في الرعية. كان لجورج علاقة بشيطان مخيف يستدعيه لأجل كل مشكلة تعترضه ويُقال له بلغة السّحرة "فطُوم". حين يظهر كان يُخرج ناراً ويتسبّب بضجة كبيرة لدى سيره. إذا رآه أحدٌ ليلاً من الممكن أن يموت بسبب الخوف.

ثم تابع السّاحرُ كلامه فتفوّه بأمرٍ مخيفٍ جداً: قبل أن نعتمد اقتربت منا الأرواح الشريرة وقالت لنا: "لا تشهدوا علينا أمام الكاهن الأرثوذكسي. اتركونا داخلكم وسترون كيف أننا أكثر قوة من الله الذي تريدون أن تتبعوه. لسنواتٍ كثيرة كنا نساعدكم خلالها هل كانت لديكم أية شكوى؟".

جاءت أقوال السّاحر "الأرثوذكسي" لتؤكد ملاحظة كان قد تفوّه بها كاهنٌ محليٌّ وهو الأب يعقوب

الذي من مدينة كولوبز الذي كان ينتقد الموقف المرئي للإفريقيين تجاه المسيح قائلاً لهم: "إنَّ معموديتكم تطال جلدكم فقط لأنكم سلّمتم أنفسكم للشيطان. خلال الاستقسامات أنتم تعترفون بضمكم أنكم تتكرون الشيطان ولكنكم تنفّذون مشيئاته في حياتكم".

في النهاية ذهب السّاحر خريسوستموس إلى بيته وأحضر أدواته السّحرية كلّها ووعد بالتوبة. وقال: إنَّ كلّ سّاحرٍ يمتلك أدواته السّحرية الخاصة به ولكنّ الجميع يعرفون ماذا يمتلك كلُّ واحد من الآخرين.

وبعد نصف ساعة عاد تريفن وطلب أن يخرج خريسوستموس خارجاً. وبعد ذلك جثا على ركبتيه وأخرج من جيبه شيئاً يشبه أفعى اصطناعية كانت تحتوي داخلها على أدوات كثيرة وانحناءات على مسافات مختلفة. سأله الأب يعقوب:

- ماذا تفعل بهذه؟

- أحمي بها عائلتي حين أغادر المنزل.

أظهر تريفن موقعين كان قد وضعَ فيهما سّحراً. الأول حيث انتصب النعش واقفاً قبل أن يدخل إلى القرية،

وفي الثاني كان قد وضع دلواً بلاستيكياً داخل الأرض  
يحتوي على أدوات سحرية. ولكن أمه كانت قد أحرقتها  
خفية قبل بضعة أيام.

## الغورو، الشاب والشيخ بايسيوس<sup>٤</sup>

خلال سني حياتي الدراسية كنتُ متأثر بعوامل  
كثيرة. كان لصلاة الشيخ بايسيوس تأثيراً قوياً عليّ،  
والتي كنتُ أشعر بها في لحظات مختلفة تملأ نفسي  
المضطربة بالسّلام.

ولكن إلى جانب الشيخ، كنتُ أتلقى تأثيرات من  
مكانٍ آخر. اهتمامي بخصوص الجمعيات السرية،  
الفلسفات الباطنية، السّحر الأبيض، اليوغا، الجنّ وبودا،  
وكلّ تلك الأمور لم تكن قد نقصت في داخلي. ولا كنتُ  
أملك فكرة واضحة عن هذه الأمور. كانت تبدو لي  
مهمة وتحمل رجاءً، الأشياء التي كانت لتساعدني في  
حياتي. كانت الوعود كبيرة وكثيرة، وأنا صدّقْتُها.

طبعاً كان الشيخ قد أُنذرتني مسبقاً وقال لي: انتبه

---

<sup>٤</sup> - مقتطفات من الروايات ديونيسيوس فاراسيوتيس عن الأمور التي شاهدها وعاشها في الهند في  
العام ١٩٨٣ م.

يا بني يوجد قوتان في العالم. الله والشيطان. الأمر يعتمد على موضوع إلى أيّ منهما نحاول التقرب. أنا مع الله، مع المسيح. هذه الأشياء مع من؟ الشيطان أيضاً يمتلك قوة. وهو أيضاً يجترح أعاجيب كاذبة. كان رئيس ملائكة وهو يحتفظ بقوته كرئيس للملائكة. كما ترى عطايا الله غير متبدّلة.

كنتُ قد سمعتُ هذه الأشياء كلّها ولكنني لم أصدقها. لم أرفضها ولم أقبلها. كنتُ معلقاً دون قرار. وأخذتُ أفكر: "قد يراها ذلك هكذا، ولكن يمكن أن يفوته الواقع. الآن أنا متأثر بشخصيته القوية وبيئة جبل آثوس. ولكن إذا ابتعدتُ قد أرى الأمور بطريقة مختلفة".

وهكذا، قرّرتُ أن أعطي فرصة مساوية لمعلمي اليوغا الهنود. قرّرتُ أن أفتح نفسي لهم أيضاً وأعيش معهم. في سبيل أن أكون غير متأثر مطلقاً بأي شيء مسبق، خلعتُ رمزياً الصليب الصغير من عنقي، وكان الشيخ قد صنعه بيده، وذهبتُ إلى الهند بذهنية منفتحة حسن النية. كنتُ أعتقد في الواقع أنّ اليوغا ثلاثمني بشكل أفضل. اعتقدتُ بأنها طريقٌ إلى الله.

أصبحتُ مقيماً في الهند وعشتُ لشهورٍ داخلَ الأشم (أديرة هندية) مع السوام والغورو<sup>٥</sup>.

حين كان عمري ١٩ سنة، كنتُ قد قرأتُ كتاب "سيرةُ أحدِ معلّمي اليوغا" للكاتب يوغانادا باراهمسا. ومن بين الأمور الغربية التي يذكرها حديثه عن شخص يدعى الـ باباجي. هذا الشخص، الباباجي، كان متقدماً جداً في اليوغا وكان قد صار بمثابة إله خالد. هو الذي كان قد علّم اليوغا للبشر. كان هو معلّم المعلمين. كان يتّخذ هيئةً شابٍ ويظهر بين الحين والآخر خلال الدهور فقط لتلاميذٍ محدّدين متميّزين. كان يطير في الهواء ويعبر من الجدران، يختفي عن عيون الناس الذين يرونه، يشفي، يُقيم أمواتاً بكلمة، وكان أحد آلهة الهند.

قبل أن أغادر إلى الهند بقليل، كنتُ قد قرأتُ هذا الكتاب مرةً ثانية. هناك، بالتحديد في مدينة بيناريس تعرّفتُ بشابٍ من ألمانيا اسمه بافيس وكان هذا قد اقتبل

---

٥- معلّم اليوغا.

٦- شخص متقدّم جداً في اليوغا وهو حبير كبير باليوغا وأكثر من معلّم.



ديناً هندياً. وبدأ يتكلم لي عن معلّمه الذي كان يسكن في ديرٍ في هيمالايا. استضافه معلّمه هناك سابقاً مدة أسبوعٍ وحصلت معه خلاله أحداث مؤثرة كثيرة. كان لا يزال متأثراً ومندهشاً.

أثناء حديث بافيس عن معلّمه كان يُطلق عليه اسم باباجي. وبينما كان يخبرني بعض القصص عنه بدأتُ أعرّف فيه على شخص الباباجي الكبير. وقلتُ له:

- لحظة.. أنت تتكلم عن ال... باباجي!!!

- نعم.

- عن الباباجي الكبير!!! قلتُ له مندهشاً.

- نعم!! أجايني بتأكيد.

- عن هذا الذي تتحدّث عنه الكتب المقدّسة؟؟؟  
سألته مجدداً طالباً شرحاً.

- نعم!! أجايني ذاك بتأكيد أكبر.

مكثتُ مندهشاً. وشرح لي بافيس بالقول: إنه لا يزال أسفل هنا على الأرض في أيامنا. وفي اللحظة ذاتها قررتُ أن أذهب إلى هناك كي أرى بأمّ عيني. كي أخرج استنتاجاتي. ثمّ إنني لأجل هذا أتيتُ إلى الهند، لهذا كنتُ

أجيشُ في داخلي وأفتشُ طيلة حياتي. حتى أجعل الأمور واضحةً أمام عينيّ. وسألتُ بافيسَ: كيف أذهب لأعثر عليه؟

شرحَ لي التفاصيلَ عن الطريق، الباص، الفنادق، القرية وكل ما هو ضروري. كان يُقالُ لأشرمِ الباباجي هيراكان، وكان موجوداً في أعالي الهيمالايا بعيداً عن كل مكان يسكنه البشر. وصلتُ إلى هناك بعد مسيرٍ على الأقدام مسافةً ٨٠٠ كيلومتر. حيثما كنتُ أصادف مشكلةً ما كنتُ أعثر على أحد أتباع الباباجي على غير توقُّعٍ مني فيساعدني.

كان أشرم هيراكان فوق أعلى هضبةٍ وكان هناك أيضاً مباني قديمة. كان هناك بالقرب منه هيكلٌ هنديّ قديم قد أُصلحت بعض أقسامه حديثاً. وعلى الطرف المنحدر من الهضبة كانت توجد درجات صخرية عددها مئتان. وكان النهر يعبر عند أسفل الهضبة.

بالقرب من السهل كان يوجد هرمٌ يعلو عن الأرض خمسة أمتار وكان هناك مكان تتقد فيه النار بشكل متواصل بالإضافة إلى وجود رموز أخرى مصنوعة من

الصخور. كلما كنتُ أقرأه في كتب الجمعيات السريّة أو في كتب السّحر الأبيض، وعلى وجه العموم أية معلومات كنتُ لديّ عن هذا المكان الواسع، وأية أخبار سمعتها كانت كلّها حقيقة ماثلة أمامي. كنتُ قد وصلتُ إلى النبع وعثرتُ على المركز. لا حاجة الآن إلى الكتب التي تصف بشكلٍ بسيطٍ بل عملٌ وحياء. لا نظريات بل عيشٌ. هناك شيءٌ أكثر من أكيد وهو أنني لو لم أكن قد ذهبتُ إلى جبل آثوس ولم أمتلك الخبرات مع الشيخ باييسوس لكنتُ بقيتُ في ذلك الأشرم ولكنك كنتُ صرتُ تلميذاً للباباجي. ولكن الآن كان يوجد داخل نفسي شكٌ. كنتُ قد سمعتُ رأياً آخر مختلفاً.

اقتربتُ من بداية الجبل وكان يفصلني النهرُ عن الدرج، حين أصيب بالاضطراب حشدٌ من الناس ممّن كانوا يعملون في الأشرم. استدار الجميع نحو قمة الهضبة وأخذوا يرددون بقوة قائلين: "بوله بابا كه تزه" الذي يعني حسبما قالوا لي لاحقاً: "أيها الأب القديس الغالب". صرخةٌ تكريمٍ وتمجيد. وعندها شاهدتُ الباباجي للمرة الأولى. وقف قليلاً فوق قمة الهضبة. كان في الثلاثين من عمره،

شعره أسود اللون يتدلى حتى كتفيه، سميناً يبلغ وزنه ٤٠ كغ وطوله حوالي ١٧٠ سم.

كان ينزل الدرج بسرعة، بخطوات كبيرة وحيوية، وكان يقبلُ تقريظات الحشد بفرحٍ وطريقةٍ طبيعية. وعندها حصل لي شيء غريب، خبرةٌ ذكّرني بالمرات التي كنتُ فيها أنام نوماً مغناطيسياً. وفجأةً هناك حيث كنتُ أحدّق إليه وهو ينزل السلم فقدتُ وعيي لعدة دقائق، وكأنّ عقلي طار بعيداً عني. لبرهةٍ من الزمن كنتُ قد فقدتُ الإحساس بنفسي، لم أكن واعياً لجسدي أو بماذا كنتُ أفكّر أو حتى فيما إذا كنتُ أفكّر. بدا الأمرُ وكأنني لم أكن موجوداً. فراغٌ في ذاكرتي. لم أعرف ما الذي حصل، ماذا فعلتُ، وحتى فيما لو كنتُ أنا موجوداً في تلك البرهة من الزمن والتي لا أعرف كم إذا كانت دقائق أو ثواني.

الفكرة الأولى التي راودتني حين عاودني الشعور بنفسي كانت: "حسناً! لماذا تبسم مثل الأبله؟". حالما وعيتُ بأنّ هناك ابتسامة عريضة قد ارتسمت على وجهي، شعرتُ بأنّ أحداً ما قد اقتسرنني. وكان أحدهم قد أجبرني أن

أبتسم في حين أنني لم أرغب بالابتسام. شعرت بأن تلك  
الابتسامة العريضة التي بدت على وجهي كانت تقتسر  
حريتي وتتعارض مع قلبي وأحاسيسي. كنتُ منزعجاً من  
الحدّث ولكن من جهةٍ ثانية كان فضولي قد اشتعل في  
داخلي.

في هذه الأثناء كان الباباجي قد نزل الهضبة وهو  
يتقبّل المديح من الحشد ويوزّع الأوامر والبركات. ثم دنا  
إلى الزوّار. الباقون كانوا قد سجدوا له وأخذوا إذنه بأن  
يبقوا في الأشرم، كئناً قد بقينا أنا وصديقي الذين لم نقم  
بأية حركة. كئناً مأخوذين بالمنظر - لم أعرف ماذا أفعل -  
كان قد جاء ووقف بقربي على بعد خمسة أمتار مني  
وكان هناك خوفٌ يسيطر عليّ. كان العرق قد غطّى  
جسدي بسبب القلق ومكثتُ مندهشاً من تصرف الباباجي  
الطبيعي. كان شيئاً غير بشريّ بالكلية. أي هذا المخلوق  
الواقف أمامنا كان له شكل إنسان، جسدٌ بشريّ،  
ولكن لم يكن فيه شيء آخر بشريّ.

لو كان أحد قال لي بأنه خيال أو من الفضاء  
الخارجي كان الأمر سيبدو لي قابلاً للتصديق ولكان

خَلَقَ فِي دَهْشَةٍ أَصْغَرَ. كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فَوْقَهُ غَرِيباً. كَانَتْ عَيْنَاهُ تَمْتَلِكُ تَأْتِيراً كَبِيراً، قُوَّةَ وَطَاقَةٍ كَبِيرَتَيْنِ بَحِثْ كَانَتَا تَتِيْرَانِ الْخَوْفِ. كُنْتُ خَائِئِماً كَثِيراً وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ كُنْتُ شَدِيدَ الْإِنْتِبَاهِ وَمُضْطَرِّباً وَمَشْوِشاً.

وَعِنْدَهَا اقْتَرَبَ إِلَيَّ أَحَدُ مَعْلَمِي الْيُوغَا مِنْ حَاشِيَتِهِ - كَانَ هُنَاكَ ٤-٥ أَشْخَاصٍ حَوْلَهُ - وَهُوَ يَلْفُ جَسَدَهُ بِثِيَابٍ سُودَاءٍ وَحَامِلاً قَرْناً بِيَدِهِ فِي نَهَائَتِهِ ثَلَاثَةَ تَشْعِبَاتٍ (رَمَزَ الْإِلَهَ صِيْبَا). نَظَرَ إِلَيَّ عَيْنَاً بَعِينٍ وَقَالَ لِي بِلَهْجَةٍ أَمْرَةٍ وَخَشِنَةٍ: اخْلَعْ حِذَاءَكَ وَاسْجُدْ لَهُ.

وَبَيْنَمَا كَانَ يَقُولُ لِي هَذِهِ الْأَقْوَالُ اتَّسَعَتْ قَرْنِيَّةُ عَيْنِهِ وَصَارَتْ كَبِيرَةً حَتَّى غَطَّتِ الْقَرْحِيَّةَ كُلَّهَا وَكَانَتْ تَبْدُو سُودَاءً جِداً. كُنْتُ أَعْرِفُ هَذِهِ الْخَدْعَةَ. إِنَّهَا مِنَ الْخَدْعِ السُّحْرِيَّةِ. مَحَاوَلَةٌ لِلْجِزْمِ فِي الْكَلَامِ.

وَبِالرَّغْمِ مِنْ خَوْفِي فِي تَجَاهُلْتِهِ تَمَاماً. اقْتَرَبْتُ مِنْ مَكَانٍ وَجُودِ الْبَابَا جِي وَلَكِنْ لَمْ أَجْسِرْ عَلَى الْإِقْتِرَابِ أَكْثَرَ مِنْ مَسَافَةِ تَفْصِلِنِي عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَمْتَارٍ. قُلْتُ وَكَأَنَّهُ كَانَ يَوْجِدُ حَوْلَهُ حَقْلُ رَعْبٍ. وَقُلْتُ لَهُ: "تَامَاشْتَهُ" مَوْجَّهاً لَهُ التَّحِيَّةَ الْهِنْدِيَّةَ اللَّطِيفَةَ الْيَوْمِيَّةَ. أَشَارَ إِلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْأَشْرَمِ. كَانَ

قد قبلنا وبات باستطاعتنا أن نبقي هناك.

ابتعدنا عنّا فشعرتُ بارتياح. شعرتُ حينها بأنّ ذاك الشعور بالقلق الذي كان يراودني طيلة وجوده بقربي بدأ ينحلّ. كنتُ مندهشاً. ما كان هذا؟ الشيء الأكيد هو أنّه لم يكن إنساناً. يا للقوة الهائلة! لماذا كان هكذا؟ أهو إلهٌ أم شيطانٌ؟ سَاحِرٌ أم قَدَيْسٌ؟ إنسانٌ أم شخص من الفضاء؟ إنها مشكلة هائلة بالنسبة إلى وعيي الشخصي.

كان الوقت بعد الظهر حين شرعتُ أصعد الدرجات المنحدرة لأصل إلى القمة التي يوجد عليها الأشم. وبينما كنتُ أصعد خائفاً، مندهشاً، مليئاً بالفضول والحيرة، شعرتُ بكيونونةٍ ما غير منظورة تقترب إليّ وعزّتني، بثّت السكينة في نفسي ودعمتني، في حين أنني في الوقت ذاته كنتُ أسمع بوضوح في داخل ذهني صوتاً يقول لي: "لا تسجد للأوثان ولا تعبدها. أنا الربُّ إلهك لا يكن لك إلهٌ آخر إزائي". كانت تلك الوصية الأولى التي أعطهاها الله لموسى على جبل سيناء.

وبينما كان الصوت لا يزال يطنُّ في ذهني، انتهت الدرجات وإذا بي وجهاً لوجهٍ مع هيكلٍ صغير. كانت

توجد هناك سائر آلهة الهنود. كان أحد الآلهة يمتلك جسم إنسان ورأس فيل، وآخر كان قرداً بشكل إنسان، وآخر بستة أذرع وقدمين ضخمتين. كما كان هناك أيضاً تماثيل أخرى متنوعة تتقبل العبادة من سكان الأشرم. وتساءلتُ في داخلي: إذا لم تكن هذه التماثيل أوثاناً فما هي؟ كان الأمر بمثابة كشفٍ بالنسبة لي. كان القوم وثنيين على شبه اليونانيين القدماء. على شاكلة الشعوب القديمة قبل المسيح.

وفي سبيل أن يتمكن شخصٌ من دخول الأشرم كان يجب عليه أن يجتاز من هذا الهيكل المفتوح الصغير. لم يكن هناك طريقٌ آخر. أوقفوني هناك وقالوا لي أن أخلع حذائي وأجتاز حافي القدمين طالما أنا داخل الهيكل لأنّ المكان مقدّس. كانت الأوثان مزينةً بالزهور والتقدمات الأخرى. إذا لم تكن هذه عبادةً للأوثان فما هي إذاً؟

تابعتُ السيرَ في الهيكل أحمل حذائي بيدي، ورأيتُ تمثالاً أسود تماماً، لامعاً، وكان الشيء الأبيض الوحيد الموجود فيه هو بياض عينيه. كان يمثلُ شاباً سميناً يجلس مثل زهرة اللوتس. لاحقاً عرفتُ أنّ التمثال كان يصوّر



الباباجي وكان تلاميذ الباباجي هم الذين صنعوه في إيطاليا. كان في الهيمالايا وكان الناس يعبدونه مع بقية الأصنام. كان مصنوعاً من البورسلان.

كان الناس المقيمون في الأشرم يعتقدون أن الباباجي إله!!! طبعاً إله!!! متجسداً!!! ولهذا السبب كانوا يقدمون له العبادة صباحاً مساءً.

تم توزيع الطعام وأكلنا متبعثرين على مجموعات ثم أخذنا نجتمع في بيت قديم فيه أعمدة ضخمة وسقف من دون جدران ومفتوح من ثلاثة أطراف. الغربيون (الأوروبيون، الأمريكيون والإفريقيون) كانوا على الأقل يمثلون نصف العدد الموجود ما لم يكن أكثر من سكان الأشرم.

كنت من بين أوائل الذين ذهبوا إلى هذا المبنى. جذبتني الموسيقى التي كانت تصدر من طبلين صغيرين. وكان أحدهم يرتل موسيقا الكرتان وهي ترانيم هندية دينية. وبعد قليل التأم الجميع واكتظ المكان بنا بشكل كثيف واقفين الواحد بجانب الآخر. جاء الباباجي مع حاشيته التي كانت 5 - 6 من معلّمي اليوغا أنفسهم دوماً. أي حلقة تلاميذه الأكثر قرباً إليه. وقد أثار لدي انطباعاً

كونهم جميعاً غريبين، بيض البشرة.

جلس الباباجي، واستلقى على أريكة في الهواء الطلق وبدأ الناس يعبرون من أمامه ويسجدون له ويقدمون له هدايا. كان الباباجي يأخذ منهم الهدايا ويعطيهم بدوره مكاناً مع "بركته". استمرت هذه العملية حوالي الساعتين تقريباً وربما أكثر. كان من الغريب أنني لم أقدر أن أحول عيني عنه. كانت لدي الأحاسيس ذاتها التي تولدت عندي في المرة الأولى، ولكنني الآن كنت بعيداً عنه حوالي خمسة عشر متراً. كنت أحقق إليه وأحاول أن أفهم ما كانت هويته. أحاول أن أستنتج شيئاً عن هذا المخلوق الغريب. كنت أمتص كل حركة من حركاته وكل تعبير من تعابيره. استطعت التعرف على كثير من الأشياء، التي كنت قرأتها في كتب تتحدث عن السحر، لدي قيامه بها. خلفه، على الحائط، كانت هناك لوحة كبيرة معلقة تصوّر جبلاً بثلاث قمم وشمساً لها شكل خاص جداً. تعرفت حالاً على هذا الذي كنت رأيتة وقرأته في كتاب في اليونان وكان يتحدث عن السحر. كانت تلك اللوحة رمزاً للسحر ذي المستوى العالي.

كانت العبادة التي يقدمها له كلُّ شخص تختلف في العمق والاتقاد. ولكن على أي حال كان الجميع ينتبهون نحوه. اقتربوا مني ثلاث مرّات وحُثوني أن أذهب أيضاً وأسجد له. لم أفعل ذلك. حاولتُ فقط أن أنظر إليه في عينيه مباشرةً.

وفي إحدى اللحظات تقابلت نظراتنا. هو لم يكن ينظر إليّ على وجه التحديد. كانت نظرتَه تجول في القاعة ولم تتوقّف عليّ. هي ببساطةٍ تقابلت بنظرتي. إيه! في تلك اللحظة فقدتُ الإحساس بمحيطي، ووجدت نفسي في "نشوة" لا كان ذلك وكأنني أشاهد صدري وسط الظلمة، شاهدتُ قلبي بالألوان وسط ألسنة نارية.

ثم فجأةً عدتُ إلى ذاتي وأدركتُ ما كان قد حصل لي. تابعتُ التحديقَ إليه وأنا متأثر. أيضاً جاء شخصٌ وقال لي أن أذهب أنا أيضاً وأقف أمامه وأسجد له. لم أذهب، لم أعرف من كان. كنتُ خائفاً. أي لماذا كان ينبغي عليّ أن أسجد له؟

وفجأةً، هناك حيث كان الباباجي مستلقياً، نهض

واتخذ شكل زهرة اللوتس بسرعة كبيرة وعمق، في حين صارت عيناه كجمرتين سوداوين ملتهبتين. وأمامه كان يوجد شخصٌ يقدم له العبادة بعمقٍ كبير، الأمر الذي كان واضحاً من حركاته، سجدياته المتكررة ومنظره بأكمله. قدّم له هدايا كثيرة ثمينة جداً.

وعندها سمّر الباباجي نظره فوقه بقوة. جمع الرجلُ يديه بقوة أمام صدره وجعل قدميه بينهما. صار جسمه مثل القوس. وفي الوقت ذاته بدأ يرتجف ويقفز راقصاً في مكانه بطريقةٍ غير طبيعية، قل وكأنه كان يمتلك نوابضَ تحت قدميه، وكان في الوقت ذاته يخور بقوة. أيّ خوارٍ كان ذلك! كان يخور مثل البقرة المجروحة الغاضبة. أبقاه الباباجي في هذه الحالة حوالي دقيقة. وبعد ذلك "تركه" لبعض الوقت، قبل أن يعي الرجل ذاته، ثم "أمسكه ثانية" في الحالة ذاته ولكن بقوة أكبر هذه المرة. كان يتمايل أمامه مثل الهزاز ويخور بقوة. كان الجميع ينظرون مندهشين عادمي الصوت. ثم تركه نهائياً. استمر "المؤمنون" في العبور من أمامه، في حين أنه اتخذ وضعه المستلقي المسترخي المعتاد. كانت هناك فتاة بجانبه

تحدّثت إلى الجمع وقالت بأنّ الباباجي للتوّ قد منح ذلك الرجل الاستشارة!!! بهذه الطريقة اختصر له تطوّره الروحي خلال حلقات مستمرة من التقمُّص. ألم يكن هذا برهاناً بأنّه كان إلهاً؟ ألم تكن أعماله تقول ذلك؟ هكذا كان يفكر كلّ واحد كان قد اعتنق النظرة الهندية للعالم.

الرأي المسيحي يقول بأنّ الغورو الفائق الطبيعة هو كائن فائق الطبيعة لأنه ممسوس بالشیطان. أي قد سمح أن تسكن في نفسه البشرية أرواح شيطانية. القوة التي يتم التعبير عنها داخله هي قوة الشياطين الروحية. الرجل الذي يعبد الغورو يعبد الشياطين التي تسكن فيه، وهو بهذه الطريقة يعطيها الحقوق لتدخل في نفسه هو أيضاً. تالياً، "الظاهرة" التي شاهدناها كانت عملية استحواذ الشياطين على نفس الرجل.

أيّ الرأيين هو الصحيح؟ تعارض الرأيين حادّ جداً. ما هو "معلّم المعلمين"؟ ساحرٌ أم قديسٌ؟ إلهٌ أم شيطانٌ؟ هذه الأسئلة كانت تعذبني في ذلك الحين. وكان من الواجب أن أعرّ على "معيّار" كي أحكم وفقه، على "ميزان" كي "أثمن" وعلى مقياس كي أقيس وفقه.

وبعد قليل نهض الباباجي مع تلاميذه وغادر المكان. اجتاز من أمامي من دون أن ألاحظ عبوره حتى ولو أنني حاولت أن أراه عن كُتْب. رأيتُ ظهره فقط. "أمسك" بذهني ولم يسمح لي أن أنظر إليه حين اجتاز من أمامي.

في الصباح كان يجب بكل تأكيد أن نذهب إلى الخدمة الطقسية التي كانت تحصل أمام الغورو. هذه المرة كان الباباجي يقبل تلاميذه في ساحة غرفته. دخلنا نحن أيضاً إلى هناك. أيضاً تكررت الأمور ذاتها. كانت مشاهدة هذا المخلوق مفعمة بالفضول. كنت ترى أمامك مشهداً مخيفاً. من ناحية أخرى كان فقط شاباً سميناً.

كنت أنظر وأحاول أن أفهم شيئاً، عنصراً ما يعطيني معلومات. وأتت المعلومة، أعتقد أن الأطفال الصغار، بما أنهم أختار، يمتلكون إحساساً مرهفاً أكثر من الكبار. يشعرون مباشرةً بشكل أكبر. يعيشون العالم في قلوبهم. العقل لا يشتتهم بمعاني مختلفة قد لا تمتلك أي وجود.

كان هناك إذن زوجان من أستراليا وسط ذيل الموجودين تقريباً. وكان لديهما طفلٌ عمره أربع سنوات.

فجأة طلب الباباجي أن يحضروا الطفل إليه. فعلاً، أخذه أحد المعلمين من والديه ليمضي به إلى الباباجي.

حالما اقترب الطفل بدأ يبكي، يُصدر أصواتاً، يضرب في الهواء ويحاول أن يبتعد عنه. بكاءه فطَرَ قلبي. كان والداه يجلسان بدون أية ردة فعل. أخذ الغورو الطفل في حضنه ووضع قفا يده على فمه وغطى بإبهامه ما بين أجفانه، وللحال نام الطفل فجأة. هل كان ذاك نوماً أم شيئاً آخر؟ هل كان تويماً مغناطيسياً؟ أبقى على الطفل طيلة الخدمة الطقسية على هذه الحالة.

كان بكاء الطفل وخوفه مؤثرين فيّ. تذكرتُ من الإنجيل كيف كان الأطفال يحتضنون المسيح بثقة وفرح. مرة أخرى اقتربوا إلينا.. ثانيةً حثونا على الذهاب والسجود للباباجي... ولكننا لم نذهب.

عبرَ الجميع من أمامه ما عدانا نحن. وبعد قليل بحثوا عنّا وقالوا لنا أن تغادر الأشرم. لم يعجبهم سلوكنا! ما الذي فعلناه؟ لأننا لم نسجد له؟

وقعتُ في حيرةٍ من أمري. هل أرحل؟ من دون أن أصل إلى نتائج؟ من دون أن أستقرّ في مكانٍ ما؟ ولكنني لهذا

أتيت إلى الهند. هل أرحل بيدين فارغتين؟

طلبتُ أن أرى الغورو<sup>٧</sup> ذهبوا كي يسألوا وبعد قليل عادوا ليأخذوني كي أقف أمامه. وبينما كنتُ أدخل إلى ساحته، رسمتُ إشارة الصليب وطلبتُ إلى الله أن يساعدي. لم أعرف ما الذي فعله بي من بعيدٍ، ولكن عقلي لم يكن يعمل جيّداً. بدا وكأنه كان يبتعد. فوجدتُ نفسي أسير باتجاهه. وحين وصلتُ إلى مسافة قريبة منه لا تتعدى المترين أخذتُ أتطّلع لأجد مكاناً أجلس فيه لأنني كنتُ أعتقد بأننا سنتبادل أطراف الحديث.

نظر إليّ بوحشيةٍ بخوفٍ وقرَفٍ. جمعَ قدميه وأشاح بوجهه عني إلى أحد الجهات وكأنه لا يريد رؤيتي، وكأنه كان يخافني، كأنه كان يقرف مني وصرخ بقوة قائلاً: "أخرج من هنا". لم أعرف ماذا أفعل. نظرتُ نحوه بحيرة. ثم عاود الصراخ في وجهي بقوة أكبر قائلاً: "ارحل من هنا". فقلتُ له: لديّ سؤال واحد فقط. فأجابني: "لا يوجد أسئلة هنا. هيّا ارحل". فاستدرتُ وغادرتُ المكان

٧- الغورو والباباجي هنا في هذا المقطع هما لقبان للشخص ذاته (للمترجم).



وأنا مصاب بالدوار.

**ملاحظة:** (قابل ديونيسيوس فاراسيوتيس للمرة الثانية الباباجي في مدينة الله آباد المقدسة عند الهنود بعد عدة أشهر وذلك أثناء أحد الاحتفالات الدينية. وهناك كان "غورو الغورين"<sup>أ</sup> هو الشخص المركزي في كل الطقوس، التي كان يشارك بها معلّميو يوغا وغورو من سائر أنحاء الهند على قاعدة أن يقدموا العبادة للإله الهندي العام. شارك في هذه الاجتماعات الدينية الطقسية ديونيسيوس وسجدَ للآلهة الكاذبة. ولكنه في نهاية العيد صادفَ حدثاً مؤملاً).

بدأ الناس يتجمعون في مجموعات. كان الغورو قد انسحب من المكان. قررتُ أن أغادر. عثرتُ على معلم اليوغا الهولندي الذي أعرفه وكان جالساً على العشب. ذهبتُ لألقي عليه التحية. طيلة فترة الطقوس كان هذا الرجل عارياً تماماً يطوف في المكان وكانت بحوزته قطعة قماش حمراء، كان يقوم ببسطها حيثما يشعر بالتعب ويجلس. جلستُ قربه فوق العشب. تجاذبنا بعض الأحاديث. وقلتُ له: "هل سأراك ثانية؟" وضرِبته بمودّةٍ فوق فخذه.

<sup>أ</sup> - بكلمات أخرى معلّم المعلمين المحترفين لليوغا (المترجم).

وعندها شعرتُ بشيء يخرج من جسده ويدخل جسدي.  
فاضت في داخلي قوةٌ ما. نظرَ إليَّ بدهشةٍ. ثم نهض ورحل  
من غير أن يقول كلمةً واحدة. رحَلَ على عَجَلٍ.

أصابتنى الحيرة بسبب ما أحسستُ ومن تصرفِ معلم  
اليوغا أيضاً. لم أكن أفهم ما الذي كان يحصل معي.

نهضتُ وذهبتُ إلى الفندق. ذهبتُ سيراً على الأقدام.  
كان الطريق طويلاً سيراً على الأقدام واحتاج لساعات  
عديدة بما أنني انطلقتُ عند الساعة الرابعة بعد الظهر  
ووصلتُ عند منتصف الليل. مشوار غريب. شعرتُ بحيويةٍ  
كبيرة. كنت أمشي بكبرياء وعجرفة في الشوارع. لم  
أكن أخشى إنساناً أو شيئاً. لم أشعر أبداً في حياتي كلها  
بقوّة كتلك. كان الناس جميعاً يبدوون في نظري ضعفاء.  
كنتُ أنا المعلم الذي لا يُهزَم. وفكّرتُ في داخلي قائلاً:  
"إنني لم أسِر أبداً في حياتي حرّاً بهذا الشكل على  
الأرض".

كان هذا الإحساس بالحرية يأتي من غياب أدنى  
أشكال الخوف أو الإحساس بعدم الأمان. كنتُ أكيداً  
بأنني قادر أن أواجه أيَّ شيءٍ يعترضني، الأمر الذي لم

يتأخر عن الحصول.

كان الليل قد هبط حين كنتُ قد دخلتُ شارعاً  
ضيّقاً ومظلماً. على بُعدِ خمسين متراً شاهدتُ مجموعة  
رجال يبلغ عددهم عشرة. وحين بلغت المسافة بيننا عشرة  
أمتار هجموا عليّ مجتمعين بوحشيةٍ خرساء. لم يراودني  
الشعور بالخوف ولو للحظة.

وحالما طوّقوني جمدوا جميعاً في أماكنهم. أصابهم  
السحرُ. تفوّه أحدهم بقربي بكلمات يتهدّد فيها ويشتم.  
استدرتُ ونظرتُ إليه فتسمّر في مكانه فجأةً. فتحتُ  
طريقاً بينهم وسرتُ بارتياح وأنا أبعدهم عن طريقي بسُلطةٍ  
وتابعت سيرتي بدون أن أهتمّ لهم.

بالشكل الطبيعي، هؤلاء كانوا سيهجمون عليّ  
وسيخطفون حقيبتي الثمينة والنقود وجواز السفر،  
وسيضربونني ويلقون بي أرضاً. ظواهر كهذه كانت أمراً  
مألوفاً في فقرٍ وبأسٍ كهذين الموجودين حيث كنتُ  
مجتازاً.

ما الذي حصل؟ ما الذي شاهدوه في وجهي فركعوا  
خائفين؟ كانت وجوههم تشير إلى أناسٍ قساةٍ خشنين،

ولم يكونوا أطفالاً. كانوا قد فعلوا هذا من قبل. كان لديهم رفاقٌ أيضاً. بالتأكيد لا بدّ أن هؤلاء أيضاً أُصيبوا بالدهشة وكانوا يتساءلون عني. أمّا بالنسبة لي، فقد عرفتُ أنني كنتُ أملك "قوة" الغورو التي أخذتها بحسب تصوّري من "صديقي" معلم اليوغا بينما كنتُ مغادراً.

تابعتُ سيرتي. كان الليل قد حلّ تماماً ودخلتُ في إحدى الحدائق. كنتُ عندها مستغرقاً في تفكيرٍ عميق. كنتُ أمتلك قوةً كبيرة! عشتُ القوة. وأخذتُ أسأل نفسي قائلاً: هل هو أمرٌ بشعٌ أن تمشي على الأرضِ كمثلي رئيسٍ؟ كمثلي سيّدٍ؟ أن لا تخشى إنساناً ولا شيئاً؟ أن تكون الأمور كلها سهلةً؟ لماذا هو أمرٌ بشعٌ؟ وتابعتُ حديثي مع نفسي: من ذا الذي يقدر أن يعارضك؟ أية امرأة هي تلك التي تريدها ولن تحصل عليها؟ أية راحة مادية ستتحصلك بعد الآن؟ عن أية معرفة ستبحث ولن تجد؟

كان الشيطان قد خلق عندي الشعور الكاذب بأنه كان يمتلك المقدرة التي لا تُحدُّ ليقدم لي هذه الأشياء كلها.

قضيتُ اليوم التالي في التفكير. ما الذي قد حصل؟

أية استنتاجات أستطيع أن أستخلص؟ ما الذي حصل مع هدي في الأول؟ مع من كان معلّمو اليوغا، مع الله أو مع الشيطان؟ هل كانت اليوغا طريقاً آخر إلى الله أم فخاً من فخاخ الشيطان، ضلالة شريرة جداً كانت تجعل الناس يبدّدون حياتهم بلا هدف، بلا معنى؟ لم أستطع حينها أن أجيب على المعضلة.

**ملاحظة:** (في نهاية الأمر قرّر ديونيسيوس أن يرجع إلى اليونان وهو يحمل خيرات قوية، ولكن متعباً ومنقسم الرأي. لم تكن العودة أمراً سهلاً. كان يشعر، بطريقة روحية، أنّ الشيخ بايسيوس والغورو، اللذين تعرّف عليهما، كانا يتدخلان يومياً في حياته اليومية).

في صبيحة أحد الأيام انطلقت ثلاث مرّات كي أذهب وأرتّب موضوع التذكرة لأجل عودتي إلى اليونان. ولكنني في المرّات الثلاثة كنتُ أعود أدراجي مغيّراً رأبي. أغلقتُ على نفسي في غرفتي غاضباً. كنتُ أشعر وكأنّ شخصاً يشدّني من ياقتي. كنتُ قد وصلتُ بعد الظهر. وكانت الشمس تحرق بشدة. كان الضوء قوياً وعيناي تؤلمانني. جلستُ وأخذتُ أفكّر. تذكرتُ تلاميذ

الباباجي الذين كانوا يقولون لي بأنه "إذا ناديتَه فسوف يأتيك مباشرة". فقررتُ أن أناديه للمساعدة.

وبينما كنتُ أفكرُ صرتُ أصلي في ذهني وأناادي: "تعال يا باباجي". وللحال شعرتُ بظلمةٍ تملأُ ذهني. وبينما أنا متشوّشٌ فتحتُ عينيّ وارتعدتُ بالذي شاهدته. كانت الظلمة موجودةً أيضاً حولي. سادت في غرفتي. شمسُ الظهيرة ونورها كانت موجودةً فقط خارج النافذة. كانت غرفتي الخالية من نور الشمس تبدو كمفارةٍ مظلمةٍ. كانت الظلمة قد ابتلعتني تقريباً. سيطر عليّ خوفٌ وقلقٌ. وهنا بقلقٍ وشغفٍ أخذتُ أنادي الأب بابييسوس. ناديتُه وكأني شخصٌ يفرق: النجدة أيها الشيخ!...

وللحال بدأتُ نسمة هواء منعشة تلامس نفسي. بدأتُ الظلمة تُعبرُ عن مشاعرها. قُل وكأنها كانت شخصاً. ليس شخصاً غاضباً فحسب بل ومربوطاً بشرةٍ وكان يغادر بسرعةٍ. غمّر النورُ غرفتي من جديد.

دخلت الشمسُ الغرفةَ بشكلٍ نظامي. كانت نفسي تشعر بالقوة والسلام. قفزتُ من مكاني، وارتديتُ حذائي ثم أخذتُ حقيبتني وذهبتُ كي أحجز بطاقةً عودتي إلى

اليونان. لم أكن أحلل أو أفكر فيما كان ذاك الأمر.  
كنت عائداً إلى اليونان.

وبينما أنا أنتظر رحلتي الجوية إلى اليونان، قابلتُ في  
الأشرم تلميذة قديمة من تلميذات الباباجي وكنتُ قد  
تعرفتُ عليها في الهيمالايا في أشرم هيراكان أي دير معلّم  
المعلّمين الهنود. رويتُ لها ما حصل معي فبدأ الأمر طبيعياً  
بالنسبة إليها. كان لهذه الشابة خبرات مشابهة وبدأتُ  
تتحدث لي عنها. فسألْتُها: حسناً ولكن لماذا... ظلمة؟  
وعندها أجابتنِي: أراد الباباجي أن يُظهر لك ظلمة عقلك.

لم أجبها. لم تكن تلك ظلمتي الشخصية لا يعني  
بأنني كنتُ أمتلك عقلاً مستتيراً، أي شيء آخر عدا ذلك،  
ولكن لم يكن لعقلي القدرة أن يُبقي الأشعة الشمسية  
خارج النافذة. كلا. بعد ذلك شعرتُ بأنه داخل تلك الظلمة  
كان يختبئ شخصٌ ما، أو لعلّه من الأفضل أن أقول إنَّ  
تلك الظلمة كانت تتبع من شخصٍ. أي شخصٍ؟ شخصِ  
الباباجي الذي استدعيته. ألم أكن قد استدعيته؟

بعد ذلك شعرتُ بجنونه حين طلبتُ مساعدة الشيخ  
باييسوس. وبعد ذلك بدأ ضعفه، وارتعاده جلياً أمام

الشيخ. رحلَ بسرعة كبيرة راكضاً. فليتفوهوا إذن بتلك الحماقات لأشخاص لا يمتلكون الخبرة وقد يفكرون في الأمر على أنه محتمل. أنا عشتُ الأمور، عشتُ الهوان! إنهم يمتلكون دوماً ما يقولونه لكي يقنعوك. سنين في هذا الموقف. لديهم خبرة. وهم لا يتوقفون أبداً عن المحاولة. كلما أمسكتُ أيماهم. والتلاميذ قد شربوا الخدعة. حسناً قال شعبنا المثل: "ستتعلم أموراً تتلاءم مع المعلم الذي تتلمذ على يده". ما الذي يناله التلاميذ بدلاً من ذلك؟

### خدمات اجتماعية!!

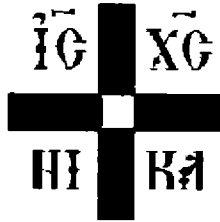
أخبرتني هذه التلميذة لاحقاً بأنها طلبت بعقلها من بعيدٍ من الباباجي أشياء مختلفة، كمثل أن تعثر على عمل في الهند، غرفة جميلة لتقيم فيها، مالاً، مسرات مختلفة، وتحققت كلها بسرعة بقوة الغورو.

يقدم "السحر الأبيض" واليوغا والسحر بصورة عامة "الخدمات" ذاتها. طبعاً يقدم الشيطان، الشياطين وأدواتها هذه "الخدمات" فقط لأشخاص محددين وفقاً للحقوق التي يكونون قد نالوها من هؤلاء الأشخاص عليهم، وبالمقدار الذي يسمح به الله لهم.



ما هو الأمر الذي كانوا يطلبونه لقاء تلك  
"الخدمات"؟ أن تصير "مُلكاً لهم"، أن تنتمي إليهم بالنفس  
والجسد، وعلى الأخص بالنفس.

عارضتُ التشجيعَ. كلا شكراً لن آخذ. سأتدبّر  
أمور وحدي. فلأتعب أكثر قليلاً. الآخر يطلب الكثير.  
ليس من مصلحتي. هو لا يطلب لا قليلاً ولا كثيراً، إنه  
يطلب نفسي! كلا شكراً... لن آخذ.  
رجعتُ إلى اليونان.





---

## القسم الرابع

---

### ممسوسون

---

#### ممسوس كورة الجرجسيين

مرةً جاء يسوع وتلاميذه بالسفينة إلى كورة الجدرين، وهي منطقة تقع مقابل ضفاف الجليل لبحيرة جنيسارت. وهناك، حالما خرج الرب إلى اليابسة قابله إنسانٌ من المدينة كان فيه شيطانٌ منذ وقتٍ طويل. لم يكن يرتدي لباساً ولا يسكنُ في بيت. كان يعيش بين القبور ويطوف في الجبال. وكان يصرخ بجنون ويقطع جسده بالحجارة. لم يكن من إنسانٍ يستطيع أن يقيده.

ومرات كثيرة كان بعض الأشخاص يقيدونه بقيود حديدية في قدميه ويربطونه بالسلاسل. ولكنه كان يقطع القيود ويكسر السلاسل. وحين شاهده يسوع من بعيد قال: "أيها الروح النجس اخرج من هذا الإنسان". وعندها صرخ الممسوس. ثم ركض وسجد له وبدأ يتوسل إليه قائلاً: "ما لنا ولك يا يسوع ابن الله العلي؟ أستحلفك بالله ألا تعذبني".

فسأله الرب: "ما اسمك؟" أجابه: "اسمي لجئون لأننا كثيرون. نرجوك ألا ترسلنا إلى الهاوية". وكان هناك قطع خنازير يرمى. فسألت الشياطين الرب: "اسمح لنا أن ندخل في الخنازير". سمح لهم يسوع. وهكذا خرجوا من الإنسان ودخلوا في الخنازير. وفي اللحظة ذاتها هجم القطيع كله إلى الجرف وغرق في البحيرة. وكان عدد القطيع يقارب الألفين.

وللحال هرب الرعاة ونشروا الخبر في المدينة وكل مكان. جاء سكان المدينة ليروا ما الذي حصل. وعندها وجدوا ذلك الإنسان الذي كانوا يعرفونه ممسوساً جالساً هادئاً بقرب الرب يرتدي ثياباً ويتصرف كأنسان عاقل. جميع الذين شاهدوا الأعجوبة رووا لهم كيف خلص

الممسوسُ وغرقت الخنازير. وعندها طلب الجميع وهم خائفين إلى يسوع أن يبتعد عن منطقتهم.

وبينما يسوع يدخل إلى السفينة ليعود أدراجه رجاء المسوس سابقاً أن يأخذه معه. ولكنّ الربّ لم يقبل بل قال له: "أذهب إلى بيتك وأخبر أقاربك عن الخير الذي صنعه الله لك. ومن ثم رحل الرجل إلى ناحية المدن العشر مديعاً بإحسان يسوع له". (مر ٥: ١-٢٠، لو ٨: ٢٦-٣٩).

## الطفل الأكم

بعد تجلّي يسوع المجيد أمام بطرس، يعقوب ويوحنا، نزل من جبل ثابور وذهب ليقابل التلاميذ الباقين. وشاهد حولهم جمعاً كبيراً من الناس. اقترب إلى يسوع رجلاً وسجد أمامه وقال له:

- يا ربّ أشفق على ولدي الصغير. هناك روحٌ شريرٌ في داخله يجعله أكم. وفي كلّ مرّة يُمسكه ويُلقيه أرضاً. وعندها يخرج زبداً ويصرف بأسنانه ويبس جسمه. قلت لتلاميذك أن يطردوا هذا الروح ولكنهم لم يقدرُوا.

- أيها الجيل غير المؤمن! قال يسوع. إلى متى أكون معكم؟ حتى متى أحتملكم؟ أحضِر ابنك إلى هنا.

قام الرجل بإحضار ابنه. وحالما رأى الروح النجسُ  
الربَّ صرَعَ الصبيَّ فأخذ يرغي ويزيد وسقط أرضاً. فسأل  
الربُّ أباه:

- منذ متى يحصل له هذا؟

- منذ كان صغيراً. وهو مرّات كثيرة يُلقيه في النار  
وفي الماء ليقّته. إذا كنتَ تستطيع أن تفعل شيئاً فأشفق  
علينا!

- إذا كنتَ تستطيع أن تؤمن فكلّ شيء مستطاع،  
أجابه الربُّ.

- أوّمن يا ربُّ فأعِن قَلّة إيماني، أجاب والدُ الصبي  
دامع العينين.

ولما رأى يسوعُ بأنّ الجمع يتزايد أمرَ الشيطانَ قائلاً:  
أيها الروح الأصبم الأبكم أمرك: اخرج منه ولا ترجع إليه  
ثانيةً. خرج الروحُ بعدما صرخ بقوةٍ وألقى الصبيَّ أرضاً. بقي  
الولدُ أرضاً عادم الحركة كالمت. وكثيرون اعتقدوا بأنه  
مات. ولكنّ يسوعُ أمسك بيده وأقامه وسلّمه إلى أبيه.

دُهش الجميع على الأمر العجيب الصائر ومجدوا  
الله. ولاحقاً سأل التلاميذُ الربَّ على حدّة قائلين: لماذا لم

نستطع نحن إخراج الشيطان؟ فأجابهم يسوع: بسبب عدم إيمانكم. لأنني الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان كحبة خردلٍ لكنتم تقولون لهذا الجبل "اذهب من هنا إلى هناك" فيذهب. ولا يكون شيء غير مستطاع لكم. ولكن هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم.

(مت ١٧: ١٤-٢١، مر ٩: ١٤-٢٩، لو ٩: ٣٧-٤٣).

### ممسوس كفرناحوم

كان يسوع يعلم في أحد السبوت في مجمع كفرناحوم. اندهش الجميع من تعليمه لأنه كان يعلمهم بسلطان.

وكان هناك إنسانٌ يوجد روح شرير متسلط عليه، فصرخ بقوة قائلاً: آه! ما لنا ولك يا يسوع الناصري! هل أتيت لتعذبنا؟ أعرّك من! أنت قدوس الله.

وعندها انتهر الربُّ الشيطان قائلاً: "اسكت واخرج منه". وللحال خرج الروح الشرير بعدما صرغَ ذلك الإنسان وألقاه أرضاً من دون أن يؤذيه. استحوذ الخوف على الجميع وقالوا: ما هذه الكلمة! إنه يأمر بسلطانٍ وقوة الأرواح النجسة فتخرج. وكان صيْتُ يسوع ينبسط في كلِّ

مكان. (لوقا: ٣١-٣٧).

## الحمال المطيع

كان القديس أفركيوس أسقفاً لمدينة هيرابوليس من أعمال فريجية (ق٢م). وبحياته المقدسة، عجائبه التي لا تُحصَى وقوة كلامه قاد حشداً كبيراً من الشعب إلى إيمان الكنيسة الصحيح ولهذا سُمِّي أيضاً المعادل الرسل.

كانت شفاءات المسوسين من عجائب القديس المعتادة. ذات يوم، أراد أحد الشياطين أن ينتقم من رئيس الكهنة القديس لأنه قيده باسم يسوع المخيف وأجبره أن يخرج من شابٍ يستحق الرثاء كان يعدُّه بشكلٍ مخيف. وكان الشيطانُ يتهدده وهو يغادر قائلاً: أنت طردتني من هنا يا أفركيوس ولكنني سأجبرك أن تذهب إلى روما رغماً عن إرادتك.

وبعدما عاد القديسُ إلى بيته أسلمَ ذاته إلى جهاد صلاةٍ وصومٍ. بقي مصلياً مدة سبعة أيام وهو صائمٌ يتضرع إلى الله كيلا يعطي الشيطانَ سلطةً ليجرِّبه. وفي الليلة السابعة شاهدَ في رؤيا المسيحَ السيِّدَ، الذي قال له:

- "يا أفركيوس ستذهب إلى روما لتكرز باسمي،

فلتتسجّع لأنّ نعمتي سوف تحميك".

- "فلتكن مشيئتك يا مسيحي"، أجاب خادمُ الربِّ

الأمين.

في تلك الأثناء، الشيطان الذي خرج من ذاك الشاب، رحل بعيداً. وصل إلى روما ودخلَ في ابنة الإمبراطور ماركوس أفريليوس (١٢١-١٨٠م). كانت فتاةً في ربيعها السادس عشر، طويلة وجميلة وكان اسمها لوكيلاً. ومنذ اللحظة التي استحوذ عليها الشيطان أخذت تتخبّط وتعضُّ يديها وتأكل لحم جسمها.

خيّم على أمّها أوغوسطينا والملك حزنٌ كبير. استدعوا أفضل الأطباء ولجؤوا إلى أكثر السحرة مهارةً وطلبوا مساعدة كهنة آلهتهم الخاصة. ولكنهم كانوا يتعبون بلا جدوى. كان الروح الشرير يزداد توحُّشاً ويصرخ: إذا لم يأت أفركيوس، أسقف هيرابوليس من فريجيا فلن أخرج من هنا.

وللحال طلب الإمبراطور من الوالي كورنيليانوس أن يمدّه بالمعلومات الخاصة. وبدون تأجيل أرسل إلى الشرق أناساً ليجدوا أفركيوس ويأخذوه إلى روما.



انقضى شهران تقريباً على الحادثة وكان رئيس الكهنة القديس يتابع تنفيذ المخطط الإلهي بأمانة، ويات الآن في عاصمة الإمبراطورية الرومانية.

كان الملك غائباً عن المدينة لأسباب حربية، ولهذا استقبلت أوغوستينا أفركيوس في القصر، وتلك تعجبت من هيئة القديس واحتشامه. وقالت له:

- أرجو قداسك أيها الإنسان الطيب بأنك مثلما شفيت أناساً فقراء كثيرين أن تحسن أيضاً إلى العائلة الملكية. امنح الصحة لابنتنا. وسوف نكافئك بهدايا وعطايا ثمينة.

- أشكرك على نيتك الصالحة. ولكنني لا أحتاج هداياكم الفانية لأنني كما ترين قد أنكرتُ بطلان هذا العالم. إن إلهنا الحقيقي يأمرنا أن نعطي مواهبه مجاناً مثلما أخذناها نحن منه مجاناً. والآن فلنذهب لنرى ابنتك. . .  
حالما دخل القديسُ إلى غرفة لوكيلاً ألقى الشيطانُ بها أرضاً وجعلها تتخبّط وترتجف. ثم صرّخَ صرخة الظفر قائلاً: تفضّل يا أفركيوس. ها إنني قد أحضرتك إلى روما كما قلتُ لك. فأجابه القديسُ: اقترفتِ شرّاً بنفسك.

ثم أمر القديسُ الخدَّامَ أن يخرجوا الفتاة إلى الهواء  
الطلق. وهناك استمر الشيطان في تعذيبها والصراخ:  
أجبرْتُك يا أفركيوس أن تقطع طريقاً طويلاً عبثاً.  
وعندها رفع القديسُ يديه نحو السماء وصلَّى بحرارة.  
ثم استدار نحو الشيطان وأمره بخشونة قائلاً: مسيحي  
يأمرُك أيُّها الروح الشرير أن تخرج حالاً من الفتاة دون أن  
تصيبها بمكروه أبداً.

وعندها تحوّل الشيطان من أسدٍ هائج إلى أرنبٍ جبان  
وبدأ يتوسّل إلى القديس قائلاً: أستحلفك أنا أيضاً باسم  
المسيح ألا ترسلني إلى الصحراء أو أيِّ مكانٍ آخر، بل أن  
تبقيني حيث كنتُ أسكن.

أجابه القديس: حسناً لا تذهب إلى الصحراء. اذهب  
إلى مكانٍ أبيض. ولكن بما أنك اضطررتني أن آتي إلى  
هنا فأنا أمرُك باسم يسوع أن تحمل هذه الصخرة وتذهب  
بها إلى هيرابوليس وتضعها عند بوابة المدينة الجنوبية.

أمره القديس بهذا ثم أشار بيده إلى صخرةٍ كبيرة  
موجودةٍ هناك كانت هيكلاً وثياً منقوشةً بفضنٍ كبير.  
وفي اللحظة ذاتها أطاع الشيطان كعبدٍ يطيع سيِّده: خرج

من الفتاة ورفع تلك الصخرة الكبيرة وهو يتتهد بثقل. ثم حملها ورفعها وعبر من طريق الخيول الموجود في الوسط وارتفع في الهواء واختفى في الأفق.

الجميع شاهدوا الأعجوبة الكبيرة وخافوا. أخذ الشيطان الصخرة الهيكل إلى هيرابوليس وتركها في المكان الذي حدده له القديس.

في هذه الأثناء أسلم القديسُ الفتاةُ الأميرة حرّةً من الشيطان إلى أمها. وبعد عدة أيام رحل من روما راجعاً إلى قطيعه.

لاحقاً، في عمر ٧٢ سنة غادر القديسُ هذه الفانية إلى أورشليم السماوية، وقام تلاميذه بوصية منه بدفن جسده المتقدّس بقرب تلك الصخرة الهائلة التي كان ذاك الحمّال الغريب قد أحضرها من روما.

## قوة الصوم

أصعد بعض القوم إلى مناسك نتريا الصحراوية المصرية شاباً ممسوساً بالشيطان كي يشفيه الآباء بصلواتهم. ولكن، هناك بسبب تواضعهم كانوا يُعرضون عن ذلك. كان الإنسان البائس يتعدّب بسبب الشيطان لمدة

طويلة إلى أن أشفق عليه أحدُ الشيوخ ورسم عليه إشارة الصليب بالصليب الخشبي الذي كان موجوداً في حزامه وطرده الروحَ الشرير. فقال الروح الشرير للشيخ: بما أنك تطردني من مسكني فسوف آتي إليك. أجابه الشيخ بشجاعة: تعال.

وهكذا دخل الشيطان وبقي يتعذّب منه مدة اثنتي عشر سنة. صبر الشيخ كثيراً وحارب العدو بصوم فائق البشر وصلاة غير منقطعة. طوال تلك المدة لم يضع في فمه طعاماً مطبوخاً. وكان طعامه اليومي اثنا عشر قطعة من التمر. وفي نهاية المطاف ابتعد الشيطان مغلوباً. فسأله الشيخ: لماذا أنت راحل؟ على أية حال أنا لم أطرده. فصرخ ذلك: إن صومك لاشاني. ثم اختفى.

## الأنبا لونجينوس والأنبا زينون

مضى بعضهم مرةً بممسوسٍ إلى الأنبا لونجينوس. فقال لهم الأنبا بتواضع: لا أقدر أنا أن أفعل شيئاً. من الأفضل أن تذهبوا إلى الأنبا زينون. فمضوا إلى الأنبا زينون الذي بدأ يقرأ صلوات ليطرد الشيطان. وفعلاً خرج هذا الأخير من الإنسان ولكنه صرخ قائلاً وهو بيتعد: هل

تعتقد أيها الأنبا زينون أنني أخرج بسببك؟ ها في هذه الساعة الأنبا لونجينوس يصليّ ضدّي. إنني أخشى صلاته وأخرج. وأمّا أنت فلا أحسب لك حساباً.

## القديس برثينوريوس

القديس برثينوريوس أسقف لمساكون الحامل الإله (ق٤م) كان يجترح الكثير من المعجزات بنعمة الله التي كانت تظله بسبب تواضعه ومحبه للناس، وأول تلك المعجزات شفاء الممسوسين بالشياطين. من بين أعاجيبه الكثيرة المذكورة في سيرة حياته نورد حادثتين:

• مرة زار القديس شخصاً فيه شيطان من دون أن يعلم بالأمر الأسقف ولا الرجل الذي فيه الشيطان. فهم رئيس الكهنة المستتير بالله الأمر. وحين حيّاه الرجل لم يُجبه بكلمة عمداً. ولما رأى الشيطان القديس يصمت كالأبكم، غضب وصرخ به:

- نحن كئنا نريد أن نراك ونحييك وأنت لا تقبلنا ولا

تردّ علينا بكلمة؟

- تفضّل، ها قد رأيتني، أجابه القديس.

- نعم رأيتك وفهمت، قال الشيطان متمرماً.

- بما أنك رأيتني وفهمتَ فأخرج من جبلةِ الله ، أجابه  
القديسُ.

وهنا صار صوتُ الشيطان خائفاً مرتجفاً. فقال له:  
- إني أقيم في هذا الإنسان منذ سنين كثيرة، مذ  
كان صبيّاً صغيراً ولم يعرف أحداً بالأمر حتى الآن. ولكن  
أنت أظهرتني. أين أذهب إذا أخرجتني؟ لستُ أعرف.  
- اخرج أنت وأنا سأعطيك إنساناً آخر لتسكنه إذا  
أردت، وعده القديسُ.

وللحال خرج الشيطان من الإنسان وسأل القديسَ  
على عجلٍ:

- فيمن أدخل؟  
- ها إنساناً! ادخل في. قال القديس برثينيوس وفتح  
فاه.

وعندها وكأنّ ناراً أحرقت الشيطان هرب وهو  
ينتحب ويصرخ: الويل لي! فقط لدى رؤيتي لك أحترق  
فكيف لي أن أتجاسر على الدخول فيك؟  
وبعد تفوّه بهذا اختفى عن الأنظار. تأثر الرجل  
المنقذُ بهذه الأعجوبة وشكرَ القديسَ ومجدَّ اللهَ.

• بعد فترةٍ من هذه الحادثة، جلب أحدُ الكهنة مع زوجته ابنتهما ميكونوس إلى القديس برثينيوس، وكان ابنتهما يتعدّب كثيراً من شيطان قاسي جداً، وسقطا عند قدمي القديس وطلبا إليه بدموعٍ قائلين:

- أيها السيد المكرّم اعمل خيراً واشفِ ابنتنا.

ولكنّ القديس رمقَ الشاب ميكونوس بنظرةٍ قاسيةٍ وقال: هذا الولد المتطاوّل ليس جديراً بالشفاء! أنتما تعلمان جيداً كم أغضبكما وكم مرمركما بسلوكه المشين. أنتما ذاتكما ألم تتضرّعا إلى الله أن يؤدّبهما؟ اتركاها فليشقى من أجل فائدة نفسه.

ولكنّ الأبوين إذ كانا يتألّمان لوضع ولدهما طلبا إلى القديس بإصرارٍ أن يرحمه. وعندها، القديس الحنون، في سبيل ألاّ يحزنهما صلّى بحرارةٍ إلى الرب. وقبل أن يفرغ من صلاته نهائياً نجا الشاب من الروح الشرير.

## القديس بولس والشيطان

كان القديس بولس البسيط تلميذ القديس أنطونيوس الكبير يمتلك موهبة طرد الشياطين. ذات يومٍ أحضروا إلى القديس أنطونيوس شخصاً ممسوساً بشيطانٍ

مخيف كان يشتم السماءَ ذاتها. فقال لهم: ليس عملي أن أُخرجَ شياطين كهذه. بولس يمتلك موهبةً موافقة. فمضى بهم إلى القديس بولس وقال له: أيها الأب بولس أخرج الشيطانَ من هذا الإنسان كي يعود صحيحاً إلى بيته. فأجابه القديس بولس: ولماذا لا تخرجه أنت؟ فقال القديس أنطونيوس: ليس لدي وقت. عندي الكثير من العمل.

ثم تركهم القديس أنطونيوس وذهب. وعندها صلّى القديس بولس بحرارةٍ واستدار نحو المسوس وقال له:  
- قال الأنبا أنطونيوس أن تخرج من هذا الإنسان.

- لن أخرج أيها الراهب، أجابه ذلك.

وبدأ الشيطان يشتمُ القديس أنطونيوس. وعندها خرج البار بولس من قلايته عند وقت الظهيرة وصعد فوق صخرةً متقدة بالنار من حرارة الشمس وصرخ قائلاً: يا ربّي يسوع المسيح لن أنزل عن هذه الصخرة، لن أكل ولن أشرب شيئاً إلى أن أموت إذا لم يخرج هذا الروح الشرير وتحرّر عبدك.

وقبل أن يُنهي صلاته كان الشيطان قد خرج من الرجل واختفى.



## "حَسَنَات" الافتراء

كان للقديس إيسيدوروس كاهن الإسقيط تلميذاً فاضلاً هو الشماس بافنوتIOS. حسدَ أحد الرهبانِ الشماسَ بافنوتIOS وللأسف صار أداةً للشيطان. وماذا فعل هذا الإنسان الذي لا يخاف الله؟ في وقت الصلاة المشتركة خرج من الكنيسة وأخذ أحد كتبه ومن دون أن يعرف أحدٌ بالأمر تركه في قلاية الشماس بافنوتIOS. ثم مضى إلى البار إيسيدوروس وقال له:

- أحد الإخوة سرق لي الكتاب الفلاني.

- ماذا تقول؟ لم يحصل أبداً شيءٌ مماثلٌ في

الإسقيط!

- ولكن! فلتأذن أن يمضي معي اثنان من الآباء

لنبحث في القلاية.

وفعلاً بحثا في كل القلاية. وفي نهاية المطاف مضوا

إلى قلاية الشماس بافنوتIOS حيث عثروا على الكتاب.

أخذه الراهب الخبيث ومضى إلى البار إيسيدوروس في

الكنيسة ليقم الدليل على السارق المزعوم. وللحال، سجد

الشماس بافنوتIOS أمام البار إيسيدوروس وجميع

الحاضرين في الكنيسة وقال: أخطأتُ أيها الشيخ.  
فلتعاقبني.

حدّد له البار قانوناً ألا يتناول المقدسات طيلة ثلاثة  
أسابيع. وفي هذه المدة كان الشماس بافنونتيوس يسجد  
كلّ مرة عند نهاية الخدمة الليتورجية في الكنيسة ويطلب  
من الآباء قائلاً: سامحوني على الخطيئة التي اقترفتُ.  
وحين انقضت الأسابيع الثلاثة مضى وتناول  
القدسات. وللحال دخل الشيطانُ الراهبَ الذي افترى عليه  
وبدأ يصرخ: أنا افتريتُ على عبدِ الله.

صلى الآباء جميعاً في الكنيسة من أجل نجاته من  
الشيطان ولكن من دون نتيجة. وعندها قال الأنبا  
إيسيدوروس أمام جميع الحاضرين: أيها الأب بافنونتيوس  
ينبغي أن تصلي أنت لأنك أنت الذي تعرّضتَ للافتراء.  
صلاتك وحدها تستطيع أن تشفيه.

وفعلاً، صلى الأب بافنونتيوس وشفيَ الممسوس.

## كأسُ نبيذٍ

وصل الأب كسانثياس ماشياً من الإسقيط إلى  
المدينة المجاورة المسماة تيرينوٲس. وهناك حيث استقرّ به

المقام، وبينما كان لا يزال متعباً أحضروا إليه كأس نبيذ ليشرب.

في هذه الأثناء انتشر في المدينة نبأ قدومه. وأحضروا إليه رجلاً ممسوساً ليشفيه. وحالما شاهد الشيطانُ الشيخَ أخذ يستهزئ به قائلاً: هل جلبتموني إلى سكرانٍ هنا؟ في بداية الأمر لم يرغب الشيخ أن يشفيه بسبب تواضعه. لكن بعد ذلك من أجل أن يخزي الشيطان قال له: أو من أن قوة المسيح سوف تُخرجك من خليقتك قبل أن أفرغ هذا الكأس.

وفعلاً حالما بدأ يشرب النبيذ، صرخ الشيطان: "أنت تحرقني، أنت تحرقني". وقبل أن يشربه كله، بنعمة المسيح خرج الشيطانُ من المريض.

## وصية يسوع

روى الأب دانيال أنه كانت تعيش في بابل امرأة ممسوسة بالشيطان. والدها الذي كان أحد رؤساء المدينة كان يعرف أحد الرهبان فطلب مساعدته. فقال له ذلك: ليس من أحد يقدر على مساعدة ابنتك ما خلا النساك

الذين أعرفهم. ولكنهم بسبب تواضعهم لن يقبلوا إذا طلبت منهم شفاءها. ولهذا ماذا سنفعل؟ حين يأتون إلى البازار كي يبيعوا عمل أيديهم سنذهب ونشتره نحن. وحين تُحضرهم إلى بيتك كي تدفع لهم سنقول لهم أن يصلوا. أو من أن ابنتك ستُشفى بهذه الطريقة.

خرجنا إلى السوق وقابلنا راهباً هناك كان يبيع عمله اليدوي. اقترب إليه ذلك الشخص الرئيس واشترى بعض عمل يديه وأخذه إلى بيته كي يدفع له.

وحالما دخل الراهب البيت اقتربت إليه الممسوسة وصفعتها صفةً. والراهب بسبب إخلاصه للوصية السيديّة أدارَ للحال خدّه الآخر. وعندها لم يحتمل الشيطانُ فصراً: يا للقوة التي لا تُهزَم! إنَّ وصية يسوع طردتني.

وفي اللحظة ذاتها تحرّرت الصبية من الشيطان.

## ماذا تخاف الشياطين وماذا تحبُّ

حين كان القديس يوحنا اليوستيريّ موجوداً لبعض الأعمال في أنطاكيا السوريّة جلبوا إليه أربع ممسوساتٍ كنَّ يتفوّهن بكثيرٍ من الأشياء بفعل الشيطان. ولدى

سماح القديس يوحنا لهمّ سألهمّ عن مواضيع مختلفة،  
كمثل سقوط الشياطين من السماوات، عن الفردوس،  
عن الثمرة التي أكلها آدم، عن الحية وعن أشياء أخرى لا  
نأتي على ذكرها هنا بسبب ضعف الكثيرين. ولكننا  
نذكر من بينها أمرين أساسيين لتوطيد القراء.

سأل القديس يوحنا الشياطين التي كانت ساكنة  
في المسوسات:

- هل تخشون الصلاة الربّية "أبانا الذي في  
السماوات..."، المزمور التسعين "الساكن في عون العلي..."  
و "معنا هو الله..." التي تقوّه بها القديس أشعيا النبي؟  
- نعم لأنّ هذه الصلوات نافعة، أجابته الشياطين.  
- وهل تخشون صلاة: "ليقم الله وليتبدّد جميع  
أعدائه..."؟

- توقف، لا تتفوّه بهذه الأقوال، صرخت الشياطين.  
لا يوجد في الكتاب المقدّس كلّ قول أقوى من هذا يبّد  
قوّتنا.

- أية أمور تخشونها من المسيحيين؟

- فعلاً لديكم ثلاثة أمور عظيمة:  
الأول هو هذا الذي ترتدونه في عنقكم  
الثاني هذا الحمّام الذي تغتسلونه في الكنيسة  
والثالث هو ما تأكلونه في الاجتماع الليتورجي

أي:

الصليب المقدّس  
المعمودية المقدّسة  
المناولة الإلهية

- وأيّ هذه الثلاثة تخشون أكثر الجميع؟  
- إذا حافظتم جيداً على هذا الذي تتناولونه، فلا  
أحد منّا يستطيع أن يؤذي أيّ مسيحيّ.  
مجدّد القديس يوحنا الله على ما سمع وبعد ذلك سأل

ثانية:

- أيّ إيمانٍ تحبُّون من بين ديانات العالم؟  
- نحبُّ كل الديانات التي لا تمتلك الأشياء الثلاثة  
التي ذكرناها، ولا تعترف بابن مريم إلهاً وابتناً لله.  
- وكيف تعترفون أنتم به عندما تهتفون: "ما لنا ولك

يا يسوع ابن الله؟"

صممت الشياطين قليلاً ثم أجابت: صرخنا أنه ابن الله ليس لأننا أردنا ذلك بل لأن قوته أجبرتنا. وذلك كي يخزي اليهود الذين كانوا يجدفون عليه ويقولون إنه عاصٍ للناموس.

كشفاً الشيطان بضم المسوسات أشياء كثيرة أمام كثيرين وهؤلاء قالوا لآخرين كل ما سمعوه وشاهدوه.

## تواضع اللصّ

عانت فتاةً بشكلٍ متكرّرٍ من إزعاجات شيطانية. فمضى بها والداها البائسان من راهبٍ إلى آخر ملتمسين صلوات الرهبان ولكنها لم تُشف. وفي نهاية المطاف، قال لهما أحد الرهبان وكان والداها يحبانه كثيراً: إذا كنتما تريدان شفاء ابنتكما فاذهبا إلى الصحراء. ستجدون هناك رهباناً قديسين وأؤمن أنهم سيشفونها بصلواتهم.

تالياً، أخذ الوالدان وجهة الصحراء وساروا. وعندها صادف أن راهباً جديداً كان نازلاً إلى العالم. وحلما شاهداه قادمًا من بعيد غمرهما الفرخ. وقالوا: إن الله أشفق علينا وأرسل لنا هذا الراهب القديس كيلا نتعذب وسط

الصحراء اللامتناهية.

وحالما اقترب ذلك سقط الوالدان على قدميه مع  
ابنتهما متضرعين:

- يا أخي إنَّ ابنتنا تتعذب من شيطان. لأجل محبة  
المسيح صلّ كي تتحرّر منه.

- أنا لست من هؤلاء الرهبان القديسين الذين  
يستطيعون أن يشفوا. أنا خاطئ وغير مستحق.

- لأجل الله أظهر لنا محبة. أشفق علينا وصلّ لأجلها.

- قلتُ لكما أنا خاطئ وغير مستحق، أصرّ ذلك

بالقول.

اعتقدَ الوالدان بأنّ الراهب كان يتحدث هكذا  
بسبب التواضع واستمرا في التوسّل إليه ولكن الراهب  
كان يتفوّه بالأقوال ذاتها. وفي نهاية الأمر، لدى مشاهدته  
دموعهما تأثّر. فأخرج من حقيبته كتاباً صغيراً وقال لهما:  
صدّقاني هذا الكتاب سرقتُه من هناك ولهذا رحلتُ عن  
المكان. وحالما تفوّه بهذا القول خرج الشيطان من المريضة.  
لم يحتمل لا تواضع الراهب ولا إيمان الوالدين.

### مداوون سينائيون

• نسك القديس موسى الفاراني (ق٤م) ثلاثة وسبعين



عاماً في الصحراء السينائية. كان بالحقيقة كمثل إيليا نبيّ ثاني لأنه كان ينال من الله حالاً مهما يطلب.

كان يُغلق على نفسه كلّ صومٍ أربعيني مقدّس في مغارته محتفظاً فقط بعشرين حبة تمرٍ وآنية ماء. لم يكن يقبل زيارة أحد في مغارته حتى يوم الخميس العظيم. كانت الصلاة غير المنقطعة هي عمله الوحيد خلال هذه الفترة.

ذات مرة، خلال صيامٍ أربعيني أُصيب أحد رؤساء الإسماعيليين واسمه بديانوس في المنطقة بمسّ شيطاني. أخذه أقاربه وأصدقائه وانطلقوا به إلى القديس مؤمنين بأنه يقدر أن يشفيه. ولكن بينما هم يقتربون من مغارة الشيخ، على بُعد عشرين متراً، إذا بالشیطان يُلقِي بالرجل أرضاً وأخذ يصرخ قائلاً: آخ، كم يدفعني وبالقوة يطردني! كل هذه السنين وأنا أحاول ولم أقدر أن أعيق هذا الراهب الشرير عن قانونه وصلاته ولو بمقدارٍ بسيط. ولدى تفوّهه بهذه الأقوال خرج الشيطان من المريض. آمن بديانوس وصحبه بالمسيح واعتمدوا لاحقاً على يد القديس ذاته.

• كان القديس أورنديوس (ق٦م) عمودَ بركة سيناء الصائفة الشهير الذي بقوة الله كان يجترح عجائب كثيرة. ذهبت مرةً إلى جبل سيناء امرأةٌ أرسقراطية من أصحاب المناصب الرفيعة برفقة ابنتها الصغيرة التي كانت تعاني من شيطانٍ. ولما علمت المرأةُ بفضيلة القديس الكبيرة أرادت أن تذهب وتسجد له. ولكن القديس لم يسمح بحصول شيء من هذا القبيل. ولكنه بدافع المحبة أخذ عنقود عنب وأرسله إليها. وحالما شاهد الشيطانُ العنقود بدأ يصرخ: يا أب أورنديوس ما جئت تفعل هنا؟ وبعدما خبط الفتاة بقوة خرج منها إلى الأبد.

## "أنا روح الزنى"

كان يعيش في لافرا القديس إفتيموس الكبير (٤٧٣م) راهبٌ روميّ النسب يُدعى إلميانوس. ذات ليلة، بينما كان صباح الأحد بيزغ، حوربَ بشراسة من شيطان الزنى. ولكنه لم يقاوم بشجاعة. تشوّش ذهنه بالأفكار القبيحة.

وفي وقت صلاة السحرية، بينما كان القديس إفتيموس ذاهباً إلى الكنيسة قابلَ إلميانوس في مكانٍ

مظلم. وللحال شعَرَ برائحةٍ شيطانية فنفخ قائلاً: فليُقمرك  
الله أيها الروح النجس.

وفي اللحظة ذاتها سقط الراهب الشاب أرضاً يزيدُ  
لأنّ الشيطان كان مستحوذاً عليه. طلب القديس إحضار  
نورٍ إلى المكان. ثم تحدّث تعليمياً إلى الآباء الذين اجتمعوا  
في المكان فقال لهم: انظروا إلى هذا الراهب. جاهدَ حسناً  
منذ صباه وعاش بطريقة تُرضي الله حتى الآن حافظاً عفته  
الجسدية. ولكن بما أنه انجذب قليلاً من اللذة الجسدية  
فقد استحوذ عليه الشيطان حتى هذه الدرجة. ولهذا أقول  
لكم باستمرار ينبغي أن نبتعد عن كلِّ تخيلٍ قبيح. لأننا  
وإن لم نزنِ بالجسد، فيما أننا نقبل أفكاراً جسدية  
فتحن نزني بالفكر. ولهذا فلنحفظنَّ ذهننا نقياً ولنحفظه  
من التخيلات الرديئة.

روى لي بعض الشيوخ المصريين عن ناسكٍ كان له  
صيتٌ قديس، ولكنه كان يُغضب الله بسبب خضوع  
خفيٍّ للأفكار القبيحة. وذات يومٍ مرض مرضاً ثقيلاً.  
أسرع كثيرٌ من المسيحيين إليه لينالوا بركته قبل أن  
يموت. وكان بينهم شخصٌ يتمتّع بموهبة الرؤية والبصيرة.

أبصرَ هذا الإنسانُ الاستعدادات من أجل جنازة الشيخ  
ولكن بعينيه الروحيتين شاهد شيئاً آخر أيضاً: شاهد  
جلاد الجحيم وهو يُمسك بيده شوكة نارية ثلاثية  
الرؤوس. غرسها في قلب الشيخ وأخرج نفسه وهو يعدّبه.  
وترددَ صوتٌ من السماء يقول: "مثلما لم يُرحني هذا يوماً  
واحداً هكذا أنت لا تتوقف عن تعذيبه واقتلاع نفسه".

وأنهى القديسُ إفتيميوس حديثه قائلاً: "رويتُ هذه  
الأشياء كلها لكي نحترس لأنفسنا فلا نحصل في لذة  
قبيحة. سمح الله أن يستحوذ على هذا الأخ شيطانٌ من أجل  
بث الحكمة فينا وفي آخرين. هلمُّوا الآن نعمل ابتهالاً إلى  
الله الذي يُؤدّب ولا يُميت، كي يحرّر جبلته من روح حبّ  
اللذة النجس".

ثم صلّى القديسُ فخرج الشيطان حالاً وهو يصرخ  
قائلاً: أنا روح الزنى. وللحال امتلأ المكان برائحة كريهة  
جداً. تحرّر إلميانوس من فكر الزنى وصار "إناءً مختاراً".

## البار بطرس الهدوثي

كان عمرُ القديس بطرس الهدوثي (ق ٥م) سبعة  
أعوام تقريباً حين غادر أهله في البنطس وذهب إلى مناسك

غلاطية. ومن هناك مضى إلى فلسطين وبعد ذلك إلى أنطاكيا حيث حبس نفسه في قبرٍ وأسلم ذاته إلى الصوم والصلاة. اجترح عجائب كثيرة وذاع صيته في المنطقة المحيطة.

ذات يوم أخذوا إليه طبّاحاً كان فيه شيطانٌ، لكي يشفيه. بعدما صلى القديسُ، سألَ الشيطان: قل لي لماذا تتسلط على جبلة الله؟

لم يرغب ذلك أن يجيبه. ولكنّ الخوف اضطرّه أن يقول الحقيقة تماماً كما يتفوّه بها مُدانٌ أمام القاضي. وبدأ يروي تطور الأحداث: في هليوبوليس من أعمال سوريا مرض حيناً سيّدُ هذا الطّبّاح. كانت زوجته تجلس إلى جانبه لكي تخفّف عنه مرضه. وكان لديهما في بيتهما جاريات قد جلسن حيناً يتحدّثن عن حياة رهبان أنطاكيا وكنّ يتعجبن لقوتهم ضدّ الشياطين. وهؤلاء الجاريات كنّ فتيات صغيرات في السن فبدأن يلعبن. كنّ يتظاهرن بأنّ خوفاً استحوذ عليهنّ في حين أن هذا الراهب الذي كان يرتدي ثوباً جليدياً كان يمثّل دور الراهب ويقوم بتلاوة الاستقسامات عليهنّ. وفي الساعة التي كانت تلك

الأشياء تحصل في البيت كنتُ أنا واقفاً عند باب البيت. ولما لم أحتمل الأقوال التقريضية التي كانوا يتفوهون بها على الرهبان أردتُ أن أعرف ما هي قوتهم. ولهذا دخلتُ في الطباخ أنتظر لأرى بأية طريقة سيخرجني الرهبان منه. ولكنني الآن فهمتُ ولستُ بحاجة إلى خبرة مشابهة بعد الآن. ها إنني أخرج حالاً. ولدى تفوّهه بهذه الأقوال خرج بسرعة من الطباخ تاركاً إياه حرّاً.

لاحقاً، قام القديس بطرس العجائبي بشفاء قرويٍّ ممسوس بالشیطان ولكن هذه المرّة حصل الشفاء بعد عدة محاولات. سأل القديسُ الشيطان: من أعطاك الإذن كي تتسلط على هذا الإنسان؟ ولكن الشيطان لم يُجبه. سجد القديس وصلى: يا إلهي أظهر قوة تلاميذك لهذا العاصي. وبعد قليل نهض وسأله ثانية، ولكنه مكث صامتاً. استمر جهاد القديس حتى الساعة الثالثة بعد الظهر. وعندها من بعد صلاة حارة جداً وملحاحة، نهض القديس وهتف: ليس بطرس هو من يأمرك بل إله بطرس. أجب فإنّ قوة الرب تُجبرك.

وهذه المرّة خزي الشيطان الوقح واعترف بصوتٍ

قوي: شاهدتُ هذا الإنسان مرّةً في جبل أمانوس حيث أقيم أنا. وكان يشرب ماءً من نبعٍ هناك فأردتُ أن أجعله مسكني.

فقال له القديس: هيّا اخرج. يأمرُك بهذا المسيح الذي صُلبَ لأجل البشر. وللحال خرج الشيطان وتحرّر المسوس.

### الزاني الذي سكنه شيطان

كان للقديس سمعان المتباليه لأجل المسيح (٥٩٠م) في مدينة حمص السورية حيث عاشَ صديقاً فاضلاً يخاف الله، واسمه الشماس يوحنا.

كان ابن يوحنا الصغير على عكس أبيه تماماً فاسقاً لا يخاف الله. مرّةً، أخطأ مع امرأةٍ متزوجة. وفي اللحظة التي كان يخرج من بيتها دخله شيطانٌ. بعد عدة أيام شاهده القديسُ سمعان وهو يلعب مع بعض أصدقائه لعبةً جماعيةً وكان الشاب راكضاً خارج المدينة مع بعض الشبان. وبموهبةٍ رؤية الخفايا التي كان القديس يتحلّى بها عرف كيف أنّ ابن صديقه قد سقط في خطيئة الزنى ولهذا تسلّط عليه الشيطان. وإذ أراد أن يشفيه ويعيده إلى جادة الصواب أيضاً، قال للشبان: إذا لم تسمحوا لي أن

أَلْعَبَ فَلَنْ أَدْعَمَكُمْ تَرْكُضُونَ. وبدأ يرميهم بالحجارة.  
أَدخَلُوهُ فِي اللَّعْبَةِ وَقَالُوا لَهُ أَنْ يَشَارَكَ فِي الْمَجْمُوعَةِ  
الَّتِي يَلْعَبُ مَعَهَا ابْنُ الشَّمْسِ يُوْحَنَّا. ولكنه ذهب عمداً إلى  
المجموعة الأخرى. وحين باشروا الركضَ هَجَمَ القديس  
على الشاب الممسوس فلحق به من دون أن ينتبه أحدٌ للأمر  
ثم ضربه على ذقنه قائلاً: لا تزنين مرةً أخرى أيها الشقي  
فلا يضايقك الشيطان.

ثم صرعه الشيطان. اجتمع اللاعبون حوله. وبينما  
كان مطروحاً على الأرض يزيدُ، شاهدَ القديسَ سمعان  
يطرد منه كلباً أسود ضارباً إياه بصليبٍ خشبيٍّ.  
وبعدما عاد إلى ذاته بعد عدة ساعات سأله رفاقه ما  
الذي حصل. لم يكن باستطاعته أن يقول لهم شيئاً ما عدا  
التالي: أحدهم قال لي ألا أزني مرةً ثانية.

ولكن بعد موت القديس سمعان، وكان ذهن  
الشاب تتقى فروى للجميع بكلِّ دقةٍ ما حصل معه.

## الشيطان والخسّ

كان يعيش في القرن السادس الميلادي في منطقة  
فاليريا وهي منطقة إيطالية لاتينية، شخصٌ قديسٌ اسمه



إيكيديوس، وكان هذا بسبب فضيلته وحكمته أباً روحياً لكثير من الأديرة في الأبرشية.

مرّة، مضت راهبة من إحدى تلك الأديار إلى البستان. وهناك شاهدت خسةً فاشتتها. فتناولتها والتمتها بدون أن تباركها بإشارة الصليب. وللحال استحوذ عليها الشيطان وسقطت أرضاً.

وبينما هي تتعدّب، أخبروا إيكيديوس طالبين منه أن يأتي بسرعة ليساعدها بصلاته. وفعلاً جاء، وحالما دخل إلى البستان بدأ الشيطان يدافع عن نفسه بضمّ الراهبة: ماذا فعلتُ أنا. كنتُ ببساطة جالسةً فوق الخسة فأتت تلك والتمتني. وبهذه الطريقة دخلتُ فيها.

فصرخ به إيكيديوس اخرج من أمة الله ولا ترجع ثانيةً. فخرج الشيطان حالاً ولم يدنو إلى الراهبة مرة أخرى.

## لجئون

كان فرتوناتوس الحسن العباد في القرن السادس الميلادي أسقفاً على مدينة توزرتيا، وهي مدينة قديمة في إيطاليا ما بين توسكيا وأومبريا، إلى الجنوب من روما. كان رئيس الكهنة القديس هذا قد نال من الله موهبةً

ضدّ الأرواح الشريرة بحيث أنه بصلاته القوية كانت يطرد  
لجئون كاملاً من الناس، حسبما سيظهر من الحادثة  
التالية:

دُعِيَتْ مرّةً امرأةٌ تقيّةٌ من مدينة توسكيا من طرف  
كنّتها الجديدة إلى تدشين كنيسة القديس سيبيستيانوس  
الشهيد الجديدة. ولكن في الليلة السابقة للتدشين غُلِبَتْ  
العروس الجديدة من حبّ اللذة ودعت زوجها إلى الممارسة  
الزوجية.

وفي الصباح كان ذهنها يبيكّها ولكنها بسبب  
خجلها من الناس اضطرت أن تذهب إلى التدشين. ولكن  
حالما دخلت رفات القديس سيبيستيانوس الشهيد إلى  
الكنيسة، تسلّط على العروس الشابة روحٌ شرير وبدأ  
يعذبها أمام جميع الناس.

حمل المسيحيون الفتاة ومضوا بها إلى بيتها. استمر  
الشیطان في تعذيبها ولهذا سلّمها أقاربها إلى أيدي السحرة.  
أي إنهم فضّلوا أن تهلك نفسها كي يساعدوا جسدها أنياً  
بواسطة الفنون السحرية.

قادها السحرة إلى نهرٍ وغطسوها داخل المياه وبعملهم

السَّحْرِي حَاولُوا إِخْرَاجَ الشَّيْطَانِ مِنْهَا. وَلَكِنَّ اللَّهَ سَمَحَ بِحُصُولِ شَيْءٍ مَخِيفٍ: خَرَجَ الشَّيْطَانُ بِوِاسْطَةِ الْأَعْمَالِ السَّحْرِيَّةِ. وَلَكِنْ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ دَخَلَ فِيهَا لَجْئُونَ. وَهَكَذَا بَدَأَتِ الْمَرْأَةُ تَضْرِبُ نَفْسَهَا بِحَرَكَاتٍ كَثِيرَةٍ وَتَصْرُخُ عَلَى عِدَدِ الْأَرْوَاحِ الَّتِي كَانَتْ بِدَاخِلِهَا.

وَعِنْدَهَا فِكْرٌ وَالدَّاهَا بِتَعَقُّلٍ. بَعْدَمَا اعْتَرَفَا بِغَلْطِهِمَا وَعَدَمِ إِيمَانِهِمَا، أَخَذَاهَا إِلَى الْأَسْقَفِ فُورْتُونَاتُوسَ. فَأَبْقَاهَا إِلَى جَانِبِهِ وَاسْتَسَلِمَ إِلَى صَلَاةٍ حَارَةٍ. وَيَقْدِرُ مَا قَاوَمَ لَجْئُونَ بِقَدْرِ مَا كَانَ الْقُدَيْسُ يُصَلِّي بِالْحَاحِ. وَفِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ حَرَّرَهَا بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَسَلَّمَهَا إِلَى وَالِدِيهَا صَحِيحَةً مُعَافَاةً.

## الصليب الكريم

أَحَدُ الرَّهْبَانِ وَيَدْعَى غْرِيفُورِيُوسَ مِنْ أَرْمِينِيَا كَانَ يَسْكُنُ فِي بَرِيَّةٍ سِينَاءَ مَرَضَ بِسَبَبِ رُوحِ نَجَسٍ. وَكَانَ الْفِعْلُ الشَّيْطَانِيَّ يَجْبِرُهُ أَنْ يَصْرُخَ بِقُوَّةٍ وَدُونَمَا تَوَقُّفٍ بِحَيْثُ لَمْ يَكُنْ يَدْعُ أَحَدًا مِنْ جِيرَانِهِ يَتِمَكَّنُ مِنَ النَّوْمِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ جَالِسًا مَعَ بَعْضِ الْأَبَاءِ وَكَانُوا قَدْ أَتَوْا كِي يَقْفُوا إِلَى جَانِبِهِ وَسَاعَدُوهُ. وَفَجْأَةً بَدَأَ يَصْرُخُ

باللغة الأرمنية: لا تأتِ إلى هنا! لا تقترب! أنت تحرقني! لا  
تأتِ! لا تدنوني!

ما الذي كان قد حصل؟ في تلك الساعة كان هناك  
راهبٌ قادم، وكان يلبس في عنقه صليباً فضياً صغيراً.  
وكان قد وضع داخله قطعةً من خشبة صليب المسيح  
الكريم.

اقترب الراهبُ. حين شاهده الممسوسُ بالشيطان بدأ  
يضرب نفسه ويصرخ بقوة. وفرَّ بعيداً راكضاً وكأنه  
كان يحترق بالنار. وعندها أمسكه الآباء وربطوه بصعوبةٍ  
كبيرة وعلقوا في عنقه ذاك الصليب المقدس. وللحال تحرَّر  
الراهب الأرمني من الروح النجس.

## القديس بطرس الذي من أترواس

لما كان ملتهباً بالعشق الإلهي، ترك القديس بطرس  
(٨٢٧م) الذي من أترواس، وهو في عامه الثامن عشر،  
موطنه إيلايا التابع لمدينة أفسس وصعد إلى جبال لاغوتيس  
في فريجيا. بعد ذلك قاده الفائقة القداسة ذاتها إلى منسكٍ  
صحراوي في منطقة كريبيتيس. وهناك صار راهباً. بعدما  
جاهدَ وتعرَّضَ لتجارب قاسية في بداية حياته الرهبانية

لبعض السنوات، شُرطنَ كاهناً. وبعد رسامته، وبينما هو يغادر الكنيسة هجماً عليه شخصٌ يسكنه شيطان وهو يصرخ ويناديه باسمه. ولكنه للحال هداً وتحرراً من الشيطان.

كانت هذه أولى عجائب القديس. وتبعها عجائب كثيرة أظهرته غير منهزمٍ في الحرب ضدَّ الأرواح المظلمة. حين قاربَ أن يبلغ الثلاثين من عمره صار رئيساً للدير. عاش مدة عشرة أعوام مع رهبانه بسلامٍ، ولكن في العام ٨١٥م اضطهادُ الإمبراطور لاون الأرمني وحره للأيقونات (٨١٢-٨٢٠م) شتتتهم. امتلأت السجون بالإكليريكين والرهبان المدافعين عن الأرثوذكسية والأيقونات الشريفة. ذات يومٍ كان القديس يعبر من أمام ديرٍ نسائيٍّ. خرجت الراهبات كي يطلبن بركته. وكانت إحداهن واقعةً في مرضٍ غريب: إحدى يديها كانت تُسحب بقوة إلى الأمام بحركاتٍ متقطعةً ساحبةً معها الجسد بأكمله.

وحالما شاهدت الراهبة القديس هجمت عليه بدون إرادتها باسطةً يدها المريضة. فهم القديس أن الأمر متعلق بشيطانٍ فقال له: أيها الروح النجس أمرك باسم المسيح أن

لا يكون لديك أية قوة على جبلته. وفي اللحظة ذاتها شفيت يدُ الراهبة.

قُتِلَ الإمبراطور لاون الأرمني في العام ٨٢٠م. وخلفه على العرش ميخائيل الثاني (٨٢٠-٨٢٩م) المحارب للأيقونات أيضاً ولكن ليس بقسوة كسابقه.

في السنة الأولى لتملكه، أحد مستشاريه، مكرمٌ بمرتبة الحاكم، أخذ زوجته التي يسكنها شيطانٌ إلى أساقفةٍ ورؤساء أديار هراطقةٍ. ولكن استقساماتهم لم تُثمر. وفي نهاية الأمر أخذ الحاكم زوجته إلى القديس بطرس، فحرّرها من الشيطان برسم إشارة الصليب فقط.

ولاحقاً، أحضر له الحاكم أحد أقاربه الشبان وكان يتمتع بقامةٍ وقوةٍ غير اعتيادية. كان يعاني حسبما كانوا يعتقدون من مرضٍ خفيٍّ. ولكنه كان ممسوساً بالشیطان. حين وضع الشيخ القديس يديه عليه لكي يشفيه، صرخ ذلك قائلاً: هل تعتقد بأنك تقدر أن تغلب

قوتنا؟ ماذا يستطيع إنسانٌ واحد أن يفعل أمام لجئون؟

أسلم القديس ذاته إلى الصلاة. بدأت الشياطين تغادر واحداً بعد الآخر. وفجأة، قبل أن يتحرّر الشاب تماماً نهض

وغادر المكان. ذهب إلى القسطنطينية من أجل أن ينخرط  
في جيش توما الكبادوكي الثائر الذي كان يروّع  
العاصمة حينذاك.

ولكنّ القديس لم يستسلم. بدأ يصليّ بحرارة  
للقدسين الطيبين قزماً وداميانوس ملتصقاً منهما  
مساعدة المسوس. وحصلت الأعجوبة: هناك، في حقل  
توما العسكري، أمام القسطنطينية، شاهد الشابُ في  
نومه القديسين وهما يلبسان ثياب طبيبين وسمعهما يقولان  
له:

- اذهب لتقابل بطرسَ خادمَ المسيح الذي نال من  
السماة قوةً ليشفيك.

- كيف أذهب وهناك خصومٌ يقاوموني؟ كما  
تشاهدان ينبغي أن أعبراً أولاً من المدينة.

- انهض باكراً جداً وامطّ الحِصانَ الذي ستراه  
أمامك واذهب إلى المدينة. سوف تجد الأبواب مفتوحةً بلا  
حراسة، بابي الدخول والخروج.

فعلَ الشابُ كما قالوا له وعبرَ من الباب الرئيسي  
وقابلَ القديس بطرس وروى له حلمه. فشفاه القديسُ في

اللحظة ذاتها بإشارة الصليب الكريم.

## الرهبان الثلاثون

كان القديس لافرنديوس الروسي (ق ١١م)، الذي لا تزال رفاتة غير بالية حتى اليوم في لافرا مغاور كييف، قد انطلق في حياته الرهبانية من دير القديس ديمتريوس. عاش هناك سنين عديدة كحبيسٍ. وبنعمة الله وجهاداته القاسية تنقى من الأهواء وبلغَ قِمَمًا عالية من الفضيلة. ونال من الله السلطان كي يشفي المرضى ويطرد الأرواح النجسة.

مرةً أحضروا إليه شخصاً من كييف كان يتعدّب من روح نجسٍ مخيف. كان قوياً جداً بحيث أنّ المسوس كان يستطيع في غضون لحظات أن يقتلع شجرة كبيرة من جذورها ويرميها بعيداً، الأمر غير الممكن لعشرة رجال أشداء.

لافرنديوس المغبوط قرّر مسبقاً بسبب تواضعه أنه غير قادر أن يُخرج الشيطانَ وقال لهم أن يقتادوا المسوس إلى دير المغاور. ولكنه حالما سمعه بدأ يصرخ مذعوراً: إلى أين ترسلني؟ أنا لا أجسر أن أقرب إلى هذا الدير. يوجد



هناك ثلاثون قديساً قد أخزوني! مع الآخرين أنا أحارب  
وأما مع هؤلاء فلا. قد أحرقوني! إنني أخافهم! لا لا لا لا  
ترسلني إلى هناك.

والآن بما أن القديس عرف من فم الشيطان ذاته  
فضيلة إخوة الدير وقوتهم الروحية، أمر مرافقي المسوس  
أن يمضوا به إلى هناك. كان أقارب المسوس يعرفون أنه  
لم يكن قد ذهب إلى دير المغاور في السابق ولا يعرف أحداً  
هناك من الرهبان. وبينما كانوا في طريقهم إلى الدير  
سألوه: أي الرهبان تخشى؟ بحسب معرفتنا يعيش اليوم في  
الدير ١٧٠ راهباً، فمن هم هؤلاء الثلاثون الذين قد  
"أحرقوك"؟

وعندها ذكر المسوس أسماء الإخوة الثلاثين واحداً  
فواحداً، وأردف القول: هؤلاء الثلاثون يقدر أن  
يطردوني كالغبار بكلمة منهم. فقال له أقارب المسوس:  
إذن فلنغلق عليك في المغارة التي تحتوي على رفات الرهبان  
الراقيدين. فأجابهم: وهل تعتقدون بأنني أقدر أن أحارب  
الأموات؟ هؤلاء أيضاً غير مغلوبين. ويمتلكون دالة كبيرة  
لدى الله. إنهم يصلون بلا انقطاع من أجل رهبان المغاور

والبشر الذين يلجؤون إليهم. ولكن إذا كنتم تريدون أن  
تشاهدوا قوتي فخذوني إلى الدير ولكن ليس إلى الآباء  
الثلاثين الذين ذكرتُ لكم أسماءهم فأنا أستطيع محاربة  
الباقيين جميعاً.

وبينما هم يقتربون إلى الدير فاجأتهم المسوس نوبة.  
فمكث لوقتٍ قصير كمثل إنسان يرى رؤيا ولا اتصال له  
مع البيئة المحيطة به. وكانت تخرج من فمه عبارات غريبة  
وغير مفهومة، شيءٌ خليطٌ من العبرانية واليونانية  
واللاتينية. وبعد ذلك يا للعجب! أمام بوابة الدير تماماً  
تركه الروح النجسُ وصار دخاناً. عاد الرجل الشقيُّ إلى  
وعيه وأظهر علامات انعاقه نهائياً من التعذيب الشيطاني.  
وبينما كان الرجل المحرَّزُ وصحبه يمجِّدون الله،  
دخلوا إلى الدير وذهبوا إلى الكنيسة الكبرى ليشكروا  
الله. علم رئيسُ الدير بالحدث فجاء إلى الكنيسة برفقة  
بعض الإخوة. لم يكن الرجل الذي صار صحيحاً يعرف  
رئيسَ الدير ولا أحداً من الرهبان الثلاثين الذين ذكرهم  
خلال فترة مسه الشيطاني. فسأله الآباء باهتمام: من الذي  
شفاك؟ وكيف شفاك؟

أشارَ الرجلُ إلى أيقونةٍ عجائبية لوالدة الإله الفاتئة  
القداسة وقال لهم: عند مدخل الدير قابلنا الآباء القديسون  
الثلاثون وهم يحملون هذه الأيقونة. وحالما رأيتها شُفيتُ.

## القديس سيرافيم ساروف

كان القديس سيرافيم ساروف (١٨٣٣م) يشفي  
بصلاته المسوسين بالشیطان حين كان حياً، ولكنه  
أيضاً يشفيهم بعد موته بشفاعاته المقدسة حسبما تُظهر لنا  
الحوادث التالية المميّزة:

• ذات يوم قام بعض الرجال بنقل امرأةٍ ممسوسةٍ إلى  
مكان تتسكّ القديس سيرافيم الذي لم يكن يبعد كثيراً  
عن دير ساروف، وكان ذلك بصعوبةٍ كبيرة. كانت المرأة  
تقاومهم طيلة الطريق. وحالما وصلوا إلى الباحة سقطت  
أرضاً وأدارت رأسها إلى الوراء وصرخت: إنه يحرق! إنه  
يحرق!

خرج القديس من قلايته. وبما أنّ المرأة لم ترغب أن  
تفتح فمها، قام برشّها ببعض قطرات من الماء المقدّس. وفي  
اللحظة ذاتها خرجت من فمها سحابةٌ دخانٍ. ثم رسم الشيخُ  
عليها إشارة الصليب المقدّس وصلّى. وعندها تركها

الشیطان. عادت إلى وعيها وبدأت تصلي هي أيضاً. وبعد قليل غادرت المكان ممجدةً الله.

• بعد بضعة أشهر من رقادہ، شفى القديس سيرافيم عجائباً الراهب المبتدئ ثيودوروس ساروف من مدينة كوزلوف من أعمال تابوف، وكان ثيودوروس يتعدّب من شيطان. سكنَ شيطانُ ثيودوروس حين كان لا يزال بعد في العالم. بعدما جرّب عدة وسائل للشفاء من دون نتيجة، مثل أمام نيفن رئيس دير ساروف وطلب إليه بدموع أن يقبله في الأخوية ليعيش بتوبة. واعترف أنه بسبب خطاياہ سمحَ الله للشيطان أن يتسلط عليه.

قبله رئيس الدير. كان الشاب يقوم بواجباته بكلّ غيرة. وأمّا الساعات القليلة الحرّة فكان يكرّسها للصلاة، ويكتفي بنذرٍ يسيرٍ من النوم. وذات يوم بعد صلاة خشوعية كثيراً غلبه النوم. وشاهد أمامه القديس سيرافيم. فقال له: فلتعمل براكليسي لوالدة الإله وذكرانية لسيرافيم المتواضع وسوف أشفيك.

قام الراهب بإيمانٍ لا ينتلم بما قاله له القديس. وبعد البراكليسي بدأ الذكرانية. في الساعة التي كان

الشماس يقول فيها: "الدُّكْر المغبوط والراحة الأبدية لعبد الله سيرافيم الراهب المنتقل..." سقط ثيوذوروس أرضاً مُخرجاً من فمه دخاناً أسود اللون. وبقي عادم الحركة مدة نصف ساعة. ومنذ ذلك الحين بصلوات القديس سيرافيم تحرَّرَ بشكل تام من الشيطان.

• في العام ١٨٥٠م، استحوذ شيطانٌ على السيدة أولغا. ن وهي قرويةٌ شابة من مدينة ريزان. كان لمرضها الاستشهادي عوارضٌ غريبة: فُواق (حازوقة) مستمر، تشاؤمٌ وتشتُّت. كانت تصرخ، تضرب ذاتها بضراوة وتمزق ثيابها.

في العام ١٨٥٨م ذهب برفقة ثلاث زائرات طالبات للبركة إلى ساروف وديفييفو. في الطريق جاءتها النوبات عدة مرات ولكنها استطاعت أن تسير. ويقدر ما كنَّ يقتربن إلى الدير كانت الأزمان تقوى. وحين أبصرت الدير سقطت أرضاً ولم ترغب أن تتابع المسير.

أحضرنها إلى هناك بتعبٍ جزيلٍ. وبعدما صلَّين براكليسي لوالدة الإله وذكرانيةً للقديس سيرافيم، انطلقن باتجاه نبع الماء الشافي. وهناك أصابته نوبةٌ غير

اعتيادية. وصارت تصرخ وتقول: لماذا تفرقني؟ أنا قوي. لماذا تعصرني؟ أنا راحل، أنا راحل.

وبعدما خبطها الروح النجسُ عدة مرات بقوة على الأرض، تركها عمياء وبكماء مدة ساعتين. ثم بعد ذلك بدأت تصرخ: خرج ثلاثة وبقيتُ أنا وحدي. تناولت المريضة المقدسات في دير ساروف ثم غادرت إلى دير ديفيفو. في الطريق كان الشيطان يعصرها مثل الإسفنجة. وبالقرب من الدير رماها الشيطان أرضاً.

وبصعوبة كثيرة أحضروها مساءً إلى مضافة الدير. كانت مضطربةً طيلة الليل. لو لم يمسكوها لكانت هربت.

وفي الصباح قادتھا النسوة إلى كنيسة التجلي. في الهيكل توجد قلاية القديس سيرافيم وفيه كل ثيابه. ورغم أن كثيرين كانوا يمسون بها إلا أنها كانت تقاومهم بقوة تفوق الطبيعة. وكان الروح الشرير الساكن فيها يصرخ: أنا راحل، أنا راحل؟ سأصمت!!

وبيدين وقدمين ملتوية وجسد متكور على ذاته ورأس راجع إلى الخلف أخذوها إلى قرب الصخرة التي

صلى القديس سيرافيم فوقها ألف نهار وألف ليلة. وبعدها بسطوها فوق الصخرة غطوها بمنديل القديس وبطرسيله. وحين ألبسوها أكمامه مكثت عادمة الحركة كالميتة. وشيئاً فشيئاً بدأت أعضاؤها ترجع إلى وضعها الطبيعي. وبعدها مكثت نصف ساعة لا تشعر بما حولها، تحررت من الشيطان. عادت إلى وعيها، صلت بدموع وشكرت القديس على شفائه لها. ولكنها كانت ضعيفة ولم تستطع التحدث كثيراً. كانت تهمس همساً فقط وتقول: لم أشعر أبداً في حياتي بأني خفيفة وفي سلام بهذا القدر. قدمت لها رئيسة الدير صورة للقديس سيرافيم وقطعة من صخرته. وفي اليوم التالي، بعد القداس الإلهي والبراكيسي والذكرانية غادرت إلى موسكو.

## ثيودوسياً القروية

حالما كانت الروسية القروية ثيودوسياً، التي كانت تعيش في قرية زيليزنوها بقرب بطرسبرغ في بدايات القرن الماضي، تسمع صوت قرع أجراس الكنيسة كانت تسقط أرضاً وتصرخ وتضرب ذاتها. لم تكن ترغب المشاركة في الاجتماعات الليتورجية. ولما كانوا يجبرونها

على ذلك كانت تظهر تلك الأعراض ذاتها ثانيةً.

قرّر والداها أن يطلبوا مساعدة القديس يوحنا كرونشتادت العجائبي (١٩٠٨م). أحضروها إليه في الرابع عشر من شهر آذار عام ١٩٠٢م إلى بطرسبرغ، إلى كنيسة أمطوش دير ليوسينسكي حيث كان القديس يقيم قداس القدسات السابق تقديسها في ذلك اليوم. في نهاية القداس أحضروها وأوقفوها أمام الكأس المقدّسة. أغلقت الفتاة عينيها وبدأت ترغي وتزيد. صار وجهها ضارباً بحيث كان الناظر إليه يخاف. ولكي تفرّ من هناك أخذت تضرب بيديها ورجليها الناس الذين كانوا بقربها. كان هناك ثلاثة رجال أقوياء يحاولون ضبطها في مكانها.

أوقف القديس يوحنا المناولة الإلهية ووضع يده فوق المريضة ونظر إليها بإمعان ثم صرخ بصوتٍ خشنٍ قائلاً: آمرك باسم ربنا يسوع المسيح أن تخرج أيها الشيطان. كرّر القول عدة مرّات. ساد الصمت في الكنيسة. وكان هناك صوتان مسموعان فقط، هما صوت الكاهن وصوت الشيطان. كان الكاهن يقول بسُلطةٍ أمراً:

- فلتخرج سريعاً! اخرج الآن حالاً.



وكان الثاني يجيبه: سأخرج. نعم سأخرج حالاً.  
استمر هذا الأمر عدة دقائق. بعد ذلك توقفت الأصوات.  
والمريضة، بعينين مغلقتين، كانت تتهدد عميقاً. تركها  
الرجال الذين كانوا يمسكونها. قال لها القديس يوحنا  
ثلاث مرات: افتحي عينيك. ففتحتها بصعوبة كبيرة. ثم  
قال القديس يوحنا: ارسمي إشارة الصليب. فرسمت إشارة  
الصليب ببطءٍ وتعب. ثم قال لها أيضاً: ارسميها مجدداً.  
فرسمت إشارة الصليب بحرية أكبر.

- ما هو اسمك؟

- ثيوذوسيا، قالت ذلك ثم رسمت إشارة الصليب  
للمرة الثالثة بسهولة.

دعاها القديس كي تتناول جسد الرب ودمه.  
فاقتربت بهدوء وتناولت بتقوى ظاهرة من دون مساعدة  
أحد. كانت قد نجت من الشيطان الذي كان يعذبها  
بشكلٍ نهائي.

## اسبيرو من جزيرة إيبينا

في نهايات الصيف من عام ١٩٠٤م ذهب القديس  
نكتاريوس أسقف المدن الخمس (١٩٢٠م) إلى جزيرة إيبينا

من أجل أن يؤسس هناك دير الثالوث القدوس حيث  
تستريح اليوم رفاته العجائبية الشريفة.

وبينما كانت السفينة التي تنقله تقتربُ إلى ميناءِ  
الجزيرة، سقطَ شابٌ استحوذَ عليه الشيطان وكان اسمه  
اسبيرو على بابِ صيدلية الجزيرة وبدأ ينادي: ها هو آتٍ،  
ها هو المطران آتٍ. اسرعوا لتستقبلوه. ها هو آتٍ القديس  
الذي سيخلصُ الجزيرة.

حاولوا أن يهدئوا من روعه ولكنهم لم يقدرُوا.  
اجتمعَ حوله حشدٌ من الناس. كان الجميع ينظرون بحزنٍ  
إلى الشاب المتكومٍ ويسألون عن أصوله. ركضَ بعضهم  
إلى الكاهن الأب بابا - ميخائيل. وقالوا له: يا أبانا إن  
اسبيرو يتطيرُ عن أحد المطارنة. ويصرخُ هناك مطرانٌ قادمٌ  
وسيخلصُ الجزيرة.

أسرعَ بابا - ميخائيل ليرى ما الذي يحصل. عبرَ من  
بين الحشده واقترَبَ إلى اسبيرو. وهذا الأخير استمرَّ في  
الصراخ مُخرجاً زبداً من فمه. وقال: ها هو المطران قادمٌ  
من ريزاريو. أشفقَ الله على المكان! ها هو ملاك المدن  
الخمسة قادمٌ.

بعدهما راقبَ الكاهنُ صامتاً لبعضِ الوقتِ الشابَّ  
البائسَ، مضى وهو يفكرُ باتجاه المرفأ. في تلك الساعةِ  
وصلت السفينة من مدينة بيريا. استطاعَ الكاهنُ أن يميّزَ  
المطرانَ بين المسافرين. انحنى بتقىَّ وقبّل يدهُ وقال:

- أهلاً وسهلاً بكم في إيينا يا صاحب السيادة. هل

هذه هي المرة الأولى التي تأتون بها إلى هنا؟

- نعم إنها المرة الأولى، أجابَ القديسُ مبتسماً.

- تفضلوا لنذهب إلى البيت... فقط...

- أتريدون أن تقولون شيئاً؟

- هنا إلى الأمام قليلاً... أترّ فينا حدثٌ.

- ما هو هذا الحدث؟

- هناك شابٌ فقيرٌ يجرُّ جسده على الأرض في

السوق، يغلُقُ عينيه ويتبأُ بالأمر المستقبليّة. إنه موجود

الآن وهو متكومٌ على نفسه وينادي بأنكم ستأتون

وستخلصون المكان. وهو يسميكم رجل الله... قديساً.

- وأين يوجدُ هذا الشاب؟

- تفضلوا من هنا يا صاحب السيادة.

بعد قليل وصلنا إلى الصيدلية. كان اسبيرو لا يزالُ

موجوداً هناك واقعاً على الأرض. كانت عيناه مفتوحتين  
وقمه مزيداً، وكان يقول ويعاود القول: ها المطران قادم...  
إنه قادم ليخلص المكان... سوف يصلح كنيسة... سوف  
يبني ديراً كبيراً.

وقفَ القديس نكتاريوس بالقرب منه. رفعَ عينيه إلى  
السماء وصلّى داخلياً. ثمَّ رفعَ عكازه ولمسَ فم الشاب وقال  
بلهجة الأمر: يا روحَ الحيَّة الشرير النجس أمرك باسم  
المسيح المصلوب أن تخرج من هذا الشاب.

في اللحظة ذاتها تهدد اسبيرو وفتحَ عينيه ثمَّ قامَ  
ناهضاً. كان قد نجا من الشيطان. ثمَّ انحنى وهو مملوءٌ  
امتناناً وقبَّل يدَ رئيسِ الكهنة الشريف الذي شفاهُ.

## ابن أخ العسكري

في تشرين الأول من عام ١٩١٣م قامَ القائد العام  
للجيش والقوات المسلحة ذوسمانيس بإرسال أحد أولاد  
أخيه، وكان ممسوساً بشيطان، برفقة جنديين إلى دير  
القديس ديونيسيوس في جبل آثوس.

وكتب الضابطُ في رسالةٍ رسمية إلى آباء الدير يقول:  
"أيها الآباء، هنا في موطني (كيركيرة) يوجد أفضلُ

مستشفى للأمراض النفسية في اليونان، وكان ابن أخي هذا يوحنا يقيمُ هناك ولكننا لم نرَ لديه أيَّ تحسن وقال لنا الأطباء بأنهم استفذوا كل وسائل العلم. من هنا قررنا أن نرسله إلى أدياركم المقدسة ونرجوكم أن تقبلوه وتقبلوا له ما هو بالإمكان روحياً. لربما يصلواتكم يشفق الله علينا وعليه ويشفيه".

قَبْلَهُ الدِيرُ بداعي الواجب والمسؤولية تجاه الضابط الذي كان أحد المنفذين الرئيسيين لمعارك ١٩١٢-١٩١٣م الضافرة. أخذَه الجنديان مقيّداً بلطف ولكنهما قالاً للرهبان أن ينتبهوا له لأنه كان يُظهر بوادر هروب ولم يكن لديه معرفة بالخطر. وهكذا أغلقوا عليه في غرفةٍ داخلِ المضافة وكانت نوافذها مسيّجة بقضبان حديدية. كان الكهنة يذهبون إليه ويقرؤون صلواتٍ واستقسامات. في العادة كان هادئاً. ولكن عندما كانت تتتابه الأزمات كان يصرخُ، يجدفُ ويفكُ رباطاته. ذات يوم قام مسؤول الصيد في الدير بتقييده بعقدٍ بحرية ولكنه حلَّ وثاقه في غضون دقائق قليلة. حين كان أحد الأخوة يقوم بزيارته كان معتاداً، مقاداً من الشيطان، أن يكشفَ له

ماضيه وعلى الأخصّ الخطايا الغير المعترف بها. في ذلك  
الحين كان هناك راهبٌ شابٌ مسؤولٌ عن ضيافة الغرباء  
في الدير، وكان قد عمل لسنوات في فنادق أثينا  
وملاهيها. كان هذا الراهبُ يأخذ له الأشياء الضرورية،  
ولكنه في كل مرة كان يُسمعه قصصاً عن حياته  
الخاطئة القديمة: هاكم بعض أشياء عن راهبٍ متشحٍ  
بالإسكيم الكبير. ألا تتذكريا هذا ماذا فعلت على  
مقاعد زابوس وفي الفنادق؟

كان يقول له أشياء كهذه وغيرها. مرةً قال الراهب  
المسؤول عن ضيافة الغرباء مضطرباً لأحد الأخوة: لن  
أذهب إلى هناك ثانية. سأقول للشيخ أن يرسل شخصاً آخر.  
في كل مرة يراني يعيرني. فسأله الراهب الآخر: وهل  
الأشياء التي يعيرك بها حقيقية؟ أم هو ينبح بمساعدة  
الشيطان؟ فأجابه الأخ: كلا بل هي حقيقية. وعندها قال  
له الراهب الثاني: ألم تعترف بهذه الخطايا؟ فأجابه الآخر  
متهدداً: كلا لأنني أخجل. وعنده نصّحه الراهب الثاني  
قائلاً: فلتذهب إلى بابا - نيوفيطوس لتعترف بكل تدقيق  
وسوف يزول الثقل عن كاهلك ولن يستطيع الشيطان

تعيرك ثانيةً.

وفعلاً، ذهب الراهب إلى الأب الروحي واعترف بخطاياها. ولدى عودته قام ثانيةً بزيارة الممسوس. ولما رآه هذا صرخ: سأبدأ الآن مجدداً تصفح الكتاب وسأقولها لك كما ينبغي. ولكنه فجأةً اهتاج وبدأ يصرخ: إنني لا أرى شيئاً. من الذي محاها؟ من الذي أرشدك؟ ماذا أفعل بك الآن فأنا لا أرى شيئاً في الكتاب؟

فلما سمع الأخ هذه الأقوال مجدّ الله الذي يدبرُ خلاصنا بسرّ الاعتراف. أما بالنسبة إلى يوحنا فبفضل صلوات الآباء واستقساماتهم تحرّروا من الشيطان في عيد رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل في الثامن من تشرين الثاني. وهاكم كيف حصل هذا: كانت السهرانية قد بدأت للتو. قال رئيس الدير للآباء بعدَ قليل سوف تُنزل الأخ يوحنا إلى الكنيسة. فلنبتهل جميعاً أن يشفق عليه الله ورئيسا الملائكة القديسين بحيثُ ينجوا من رباطات الشيطان.

بالفعل جاء يوحنا وجلسَ في أحد الكراسي هادئاً نسبياً. وعندَ ترتيل كل نسمة مضوا به ليسجدَ لأيقونة

رؤساء الملائكة. ولكن حينَ أَعادوهُ إلى مكانهِ كانَ يبدو مضطرباً ويقومُ مُريداً أن يغادر الكنيسة. عند قطعة المجد التي تُقال لرئيس الملائكة ميخائيل: "حيث تظلل نعمتك يا رئيس الملائكة فهناك تطرد قوة الشيطان.. إلخ"، عندها انتفضَ يوحنا في مكانهِ وخرج من الكنيسة كالبرق. ولدى خروجه من الكنيسة هجمَ باتجاه مكانٍ يطل على البحر كان يرتفعُ مائة متر. ركضَ الآباء خلفه مذعورين ألا يقع من فوق إلى أسفل. ولكن شكراً لله لحقوا به عند القوس وكان رؤساء الملائكة مرسومين من عن يمينه ويساره. وقف هناك بلا حراك. سأله الآباء بلهفة: ما الذي حصل لك يا يوحنا؟ فأجابهم: لم يحصل لي شيء. تعافيتُ. شفاني رؤساء الملائكة.

وبعدما رسمَ إشارة الصليب قبلاً أيقوناتهما بتقوى. وبعد عدة أيام غادر الدير معافىً. لاحقاً أرسلَ الضابطُ ذوسمانينوس رسالةً يشكرُ فيها الآباء على شفاء ابن أخيه.

## توركاالا العروس الجديدة

ذات يومٍ أحضروا إلى فاراسا في كبادوكيا عروساً



جديدة اسمها توركالا من منطقة تساخيروديس من أجل أن يصلّي لها "حجي أفندي" القديس أرسانيوس (١٩٢٤م)، وكانت المرأة تتعدّب من شيطان. ولكن في ذلك اليوم كان الشيخ مغلقاً على ذاته في صلاة مستمرة. توسّل أقرباء المرأة إلى أعضاء لجنة الكنيسة كي يتوسّطوا لدى القديس أرسانيوس لكي يقبلهم لأنهم ولتّن كانوا قد قيّدوها بحبال إلا أنهم لم يكونوا قادرين على الإمساك بها بشكلٍ مستمر.

قبلهم القديس وأشار لهم كي يحلّوا وثاقها. ولكن حالما فكّ وثاقها هجمت توركالا عليه، وأمسكت بإحدى قدميه وعضّتها. كان البار يُمسك بالإنجيل المقدّس ليقراً منه ولكنه لم يفتحه. ضرب به على رأسها ثلاث مرات بشكلٍ خفيف فخرج الشيطان حالاً.

بدأت المرأة حينها تبكي وتقبّل بتقى رجل الكاهن المعضوضه. فجثا والدها أيضاً على قدميه ورجاه أن يقبل منه كيس الدراهم الذي كان بحوزته. وقال له: خذها كلّها. إنها لك لأنك خلّصت ابنتي. فأنهضه القديس وقال له: احتفظ بمالك. إنّ إيماننا لا يُباع.

## المتدئ يوحنا

فئ العام ١٩٢٥م كان يسكن فئ دفر القدفس  
دفونفسفس شابً عمره خمس وعشرون عاماً من مدفنة  
إدفسا؁ وكان اسمه فوحنا. بعدما خدَم فئ مضافة الدفر؁  
أرسله الآباءُ إلى الشفخ فعقوب كف فخدم فئ أمطوش  
مونوكسفلففس. وبفنا هو مسافرٌ فئ الطرفق على متن  
قارب صغفر؁ بدأ ففصرفُ على منوال غرفب؁ فحرُكُ قدمفه  
بقوةً وفصرخ بصوت عالٍ وفغنى أغانف عالفة. اضطربَ  
الشفخُ فعقوب. ومن دون تأففل وضعه فئ قاربٍ آخر وأرسله  
إلى الدفر ثانفةً.

وهناك ضبطوه فئ قلافة وكانوا فقدمون له ماء  
وخبزاً فقط. اسفمر الأخ فئ الفصرف بالشكل ذاته:  
أغانف؁ أصوات ورقص. ولدى رقصه كان فضرب الأرض  
بقدمفه ففتردد الصوت فئ كل مكان. أنهكفه هذه  
الأشفا؁ ولهذا فكر آباء الدفر أن فرفطوه كل مساء كف  
فسفرف فئ اللفل على الأقل.

أحضر راهبٌ قوف حبلاً مفنناً وربطه فإحكام ففف  
لم فكن بمقدوره أن فخطو خطوةً واحدة. وبفنا كان

يقيده كان يوحنا يقول له: اربطني أيها الراهب وسترى ما سيحلُّ بالحيال.

وبعد ساعتين كان يوحنا مفكوك القيد والحبل مرميَّ في الحديقة. وفي الليلة التالية حصلت الأمور ذاتها. اضطرُّ الآباء أن يربطوه بسلاسل حديدية فلم يكن بمقدور يوحنا أن يحلَّ قيوده لوحده. وذات يوم كان البائسُ متعباً من الرقص فطلب ماءً ليشرب. قدموا له الماء ولكنهم كانوا قد وضعوا ماءً مقدساً في الكأس من دون أن يعلم هو بالأمر. فصرخ: أحرقتني يا راهبُ أحرقتني.

وبصق الماء وألقاه بوجه الراهب الذي قدّمه له. ثم قدموا له ماءً عادياً فشربه فرحاً. وذات يوم، كان يوحنا يجدفُّ على الإلهيات. وحين رأى أحدُ الرهبان وقاحة الشيطان صفعه على وجهه. وبينما كان الراهب ينتظر من يوحنا صفةً موازية غاضبة، حصلَ العكسُ. قال يوحنا بصوتٍ هادئٍ ومتواضع: كنتُ أنتظر هذا. حسناً لا يهمّ. ثم هدأً حالاً.

في كلِّ مرّة كان الكاهن يقرأ له الصلوات ويضع البطرشيل على رأسه كان يوحنا يصرخ: أبعد هذا عني.

أخرجه. إنني لا أحتمله. لقد ملأني رائحة كريهة. إنه  
يسبب الاتساخ والقرف.

ذات مرة سأله الآباء:

- أي الأشياء تخاف أكثر من الأخرى: الماء المقدس

أم الأنديزورون أم المناولة الإلهية؟

- إذا حافظتم على هذا الذي تتناولونه في الكنيسة

فلا أحد يستطيع أن يضركم.

- ولماذا يا يوحنا تخاف المناولة الإلهية؟

- اتركوا يوحنا وشأنه لا تسأله. ليس يوحنا من

يتكلم معك. اسمعني ما أقوله لك أنا: فك وثاقي كي

أغطس في البحر وأذهب حالاً إلى أثينا.

بقي المسوس شهراً في الدير حبيساً بصوم قاسي

وصلوات واستقسامات كان الآباء يقرؤونها عليه بانتظام.

وينعمة الله تحسنت حالته وغادر الدير بشكل نهائي.

اعتقد كثيرون من الآباء أن حالة يوحنا كانت ترجع إلى

والديه. هؤلاء لم يريدوا أن يصير راهباً فلجأ إلى ساحر

بحيث يتمكنان بمساعدته من إرجاع ولدهما من هدفه

المرضي لله.

## أجرة المعصية

ذات مرة كان جيران الأب الروحي بابا - إغناطيوس (١٨٢٧-١٩٢٧م) في حالة من العمل الدؤوب: كانت أخوية الشيخ مكاريوس تصنع طابقتاً ثانياً في قلايتها. وكانوا قد تقدموا كثيراً في العمل ووصلوا إلى مرحلة بناء السقف. أعطى الشيخ وصيته للإخوة قائلاً: فلننتبه. حجارة السطح ثقيلة. فنرفعها بصبرٍ واحداً واحداً. لا نستعجلن كثيراً. بدأ الجميع الرفع. لم يحتمل الأب إيلازيون، وكان أصغر الجميع حينها، أن يرفع الحجارة واحداً فواحداً ففكر أن يرفعها ثلاثة ثلاثة. فقال له الآباء: أيها الأب إيلازيون إن الحجارة ثقيلة. لا تحملها ثلاثة ثلاثة لأنه سيصيبك مكروه بسبب هذا.

ولكن لم يبدو أن الأب إيلازيون أعطى أدنى اهتمامٍ لاقتراح الإخوة. وكان يقول في نفسه: "فليُنظر هؤلاء إلى عملهم. أنا أعرف كم ينبغي أن أنقل".

وصل الخبر عن الحالة إلى الشيخ فوجّه له ملاحظةً ولكنه لم يُغيّر موقفه. وهكذا، بسلوكه غير المحترس كمبتدئ جعل الشيخ يمتعض من تصرفه. وذلك لأن الأمر

كان متعلقاً بكبرياء شيطاني ومعصية.

ووفقاً للتقاليد الرهبانية، التلميذ الذي يجعل شيخه يمتعض تنتظره جلداتٌ قاسية. وجاءت ساعة الجلدات. كان الراهب، الذي أراد أن يتصرف من تلقاء ذاته، وهو يحمل ثلاثة حجارة مسطحة على ظهره، صاعداً إلى القلاية. وفي اللحظة التي وضع فيها الحجارة أسفل نال الضربة. سلّم إلى سلطة الشيطان. سيطر عليه شيطانٌ مخيف ومرعبٌ. تلك البقعة كلها قامت قائمتها ولم تقعد بسبب الغضب الشيطاني. كانت الأقوال التي تخرج من فم المسوس مخزية. وكانت تعابيره تسبّب الرعب والخوف. وكان الآباء في القلاية المجاورة يسألون: ماذا حصل؟ ماذا يجري؟ وكان الجواب على هذا السؤال: إيلاريون تلميذ الشيخ مكاريوس تسلط عليه شيطانٌ. سيطر عليه شيطانٌ مرعبٌ. فليضع الله يده.

عرف بابا - إغناطيوس الذي كان مجاوراً لهم بالأمر. ولكنه كان خبيراً بهذه الأمور ففهم أنه كانت هناك حاجة إلى معركة كبيرة كي يُطردَ ذاك الشيطان المتوحش. ودونما تأجيل، أوصى أن يجتمع رهبانٌ وكهنةٌ

كثيرون في قلاية الميلاد. وأن يوحّدوا صلواتهم وقيموا سرّ الزيت المقدّس من أجل الأخ البائس.

شارك سبعة آباءٍ رُوحِيّون في خدمة هذا السرّ المقدّس. وكان هناك شيءٌ ما استثنائي في هذه الخدمة. كان الجوُّ مشبعاً بالخشوع. كان المنظرُ يليّن القلب. وكان إيلازيون المسوس مطروحاً في وسط الكنيسة مقيداً بحبال كثيرة فوق إحدى الحجارة. كان يريد ثلاثة أحجار، لكن ها هو الآن مربوطٌ فوق واحدة. كان بعض الرهبان الأقوياء يقفون إلى جانبه لأنّ الشيطان كان يقطع الحبال بقوة مخيفة.

بدأت الصلوات تتوالى بنغمةٍ تضرّعيّةٍ، بحيث أنّ جلال الخدمة كان يهتّرُ من الصرخات والشتائم الشيطانية. بدأ بابا - إغناطيوس يتضرّع بحرارةٍ إلى الربّ الرحيم قائلاً: "أيها الذي لا بداءة له، يا قدّوس القديسين فليكن هذا الزيتُ زيتَ ابتهاجٍ، زيتَ تقدّيسٍ، ثوباً ملوكياً مُبطلاً كل فعلٍ شيطاني".

بصلوات الآباءِ ودموعهم، بتوسّط الكهنة وقوة السرّ المقدّس، حصلت الأعجوبة. رحل الشيطانُ المخيف عن الأب

إيلاريون. انتهت التجربة. انتهت بعد إعطاء درسٍ جيدٍ للراهب المتكبر، وإعطاء درسٍ نافعٍ لكثيرين آخرين.

## مرض أنجيليس

شخصٌ يوناني في أمريكا اسمه أنجيليس كيوسيس من قرية ليونداري في ثيفا، استطاع بذكائه وعمله الجاد أن يصير ثرياً ثراءً فاحشاً. ولكنّه في عقده الرابع خاض خبرةً مخيفة. لما عمي من غناه وأظلم بسبب تعجرفه، علق في شباك هرطقةٍ شيطانية. تسمّمت نفسه كثيراً بحيث بلغ إلى مرحلة المشاركة في طقوسٍ رسميةٍ والوطء فوق أيقونات المسيح ووالدة لإله الفاتكة القداسة.

هناك بعض الأشخاص ممن قاموا بالشيء ذاته دون أن يحصل لهم شيء. ولكنّ الله الذي يصمت بطولِ أناةٍ، في بعض المرات، حين هو يرى ذلك مناسباً، يقطع صمته. وهذا ما حصلَ في حالة أنجيليس. فبينما كان يغادر القاعة حيث قام بالعمل الشائن تلقى جلدةً تأديبية من الله. سمحَ الله أن يُسكّم إلى سلطة الشيطان. وكان يبدو خارجياً وكأنّه أُصيبَ بجنونٍ مفاجئ.



وبدأ اليونانيون مواطنوه يقولون: حصلَ شيء ما  
لأنجيليس الغني. إنه ليس على ما يرام. ضاع عقله. إنه لا  
يعرف ما يفعل وما يقول.

منذ تلك الساعة بدأ إخوته يطوفون به من طبيب إلى  
آخر ومن مستشفى للأمراض العقلية إلى مستشفى آخر.  
شكراً لله أنهم كانوا يمتلكون المال من أجل هدفهم.  
فحصه أفضل أطباء العالم الذين كانوا يقدمون أفضل  
أنواع الأدوية ولكن دونما فائدة.

وبدأ إخوته يفهمون بأن مرض أنجيليس كان يتجاوز  
مجال العلم الطبي. فكروا أن يلجؤوا إلى مكان آخر.  
تذكروا الإيمان المزدري وقاموا بإحضار أنجيليس إلى  
وطنه. التجؤوا إلى الكنيسة ومساعدة الكهنة. حلت  
استقسامات القديس باسيليوس الكبير محل الأدوية.  
المحاولة لشفاؤه اتخذت منحىً آخر. وقاد هذا الطريقُ  
المريضَ إلى جبل أثوس. نصحهم بعض الناس قائلين: لم  
تأخذوه إلى الجبل المقدس كي يصلّي له أحد الرهبان  
الأتقياء؟

تمّ تبني الاقتراح حالاً، وقام جورج شقيق أنجيليس

بمرافقته إلى الإسقيط الجديد حيث كان يوجد بعض معارفهما. وبحسب ما يروي الراهبُ إفستراتيوس رسّام الأيقونات، الذي استضافه، كان يمسك بيده أربعة أو خمسة كرات تشبه البرتقالات وكان يسكّي نفسه بها. كان يقوم برميها في الهواء واحدةً واحدةً بسرعةٍ كبيرة ثم يعود ويمسكها بيده ليرميها من جديد من دون أن تسقط إحداها إلى الأرض. وكان يتحدّث إلى نفسه.

جاهد الآباء في الإسقيط الجديد كثيراً كي يحرّروه من الشيطان ولكنهم لم ينجحوا. كان الروح الشرير قاسياً جداً. ولهذا قرّروا أن يرسلوا المريض إلى قلاية رقاد السيدة في منطقة كاتوناكيا. كان ينسك هناك الأب الروحي الشهير بابا - إغناطيوس (١٨٢٧-١٩٢٧م) الذي كان قد وهب الشفاء بمعونة الرب لكثير من المسوسين بالشيطان.

اقتيد أنجيليس إلى كاتوناكيا. حصل التعارف مع الأب الروحي ووُضعت الخطة للمعركة. فهم الأب الروحي بأنه كان بحاجة إلى عرقٍ كثير كي يخرج الروح الشرير. وكان تلميذه المسمّى إغناطيوس أيضاً سيساعده في

الجهاد ، في القدايس والاستقسامات. كانوا سيصومون مدة أربعين يوماً و يقيمون القدايس الإلهي يومياً و يقرؤون الاستقسامات و يلمسون رحمة الله.

وفقاً لوصية الأب الروحي ، كان ينبغي على أنجيليس أن يعترف كل يوم مُظهراً أفكاره الخفية وكل شيء يقوله له الشيطان.

استمرت هذه المعركة القاسية مدة تسعة وثلاثين يوماً. ولم يكن اليوم الأربعون قد حلّ حين تتسّم المريضُ هواء الحرية. انكسرت قيوده التي كانت تبقيه مقيّداً لسنوات. كانت راحته أكثر من أن توصف. كان يعيد من الفرح ، وعاد إلى وطنه لاحقاً ثم عاد بعدها إلى أمريكا حيث تابع حياته "متعقلاً".

## رجمُ الحجارة الغريب

في العام ١٩٠٠م قرّر شابٌ اسمه أستيريوس من مدينة تسالونيك يعمل في صناعة الحلويات أن يتسرّب إلى الإسكيم الرهباني و يقيم في دير القديس ديونيسيوس طالباً التوبة عن حياته السالفة الخاطئة. وهناك أرسلوه كتلميذ مبتدئ إلى قلابة مونوكسيليتيس أي أمطوش الدير في جبل

آثوس.

ولكنّ والديه في تسالونيك بداعي اضطرابهما وتمرمرهما من خطوة ابنهما، أهاجا الأرض والسماء كي "يخلّصاه" أي كي يعيداه إلى العالم. ولم يتأخّرا عن طلب مساعدة الشيطان ملتجئين إلى السحرّة.

بدأ أستيريوس فجأةً يشعر بنوعٍ من الضغط في داخله، كشيءٍ كان يضغطُ على قلبه محزناً. وبما أنه لم يكن بريئاً من مواضيع كهذه لأنه هو ذاته كانت لديه علاقات من سحرّة إبان حياته في العالم، استنتج بدقّة أفعال والديه. استحوذَ عليه قلقٌ كان يزداد باضطراباً. وبداعي حاجةٍ داخليةٍ كان يُكثّف صلواته ويلتمس معونةَ الله ويكرّر صلاة "أبانا" مشدداً على قوله: "لكن نجنا من الشرير".

الإخوة الآخرون في قلاية مونوكسيليتيس لم يلاحظوا حتى ذلك الوقت شيئاً. ولكن ذات صباح، بعد انتهاء الخدمة الصباحية بدأت الحجارة تنهار عليهم من فوق فجأةً، من الغابة. والشكر لله أن أحداً منهم لم يُصب بسوء ولا تأذّت محتويات الأمطوش.

تركوا بعض الوقت يمضي. بعض عابري السبيل،  
على ما يبدو كانوا يمتلكون شهيةً للمزاح. وحالما انطلقوا  
إلى أشغالهم، بدأت الحجارة ترجمهم من الخلف.  
فركضوا خائفين وأغلقوا على أنفسهم داخل الكنيسة.  
لم يكونوا يجرؤون على الخروج من هناك لأن رجم  
الحجارة كان يبدأ فوراً.

وبعد طلب بهذا الخصوص من طرف الشيخ  
دوروثيوس جاء بعض الحراس من كاربيس. وبعد تق  
ويبحث ناحية المكان الذي يأتي منه رجم الحجارة وجدوا  
أن المسؤول عن ذلك لم يكن إنساناً. تأكّدوا بأن الموضوع  
متعلق بأعداء غير منظورين.

وعندها تكلم المبتدئ أستيريوس وألقى بعض الضوء  
على الموضوع: أنا سبب الشرّ الحاصل. ولكي تقتنعوا  
اتركوني أخرج وحدي. سوف ترون كيف ستتجه الحجارة  
باتجاهي.

وفعلاً، هذا ما حصل. كانت الحجارة تتساقط حوله  
دون أن تصيبه. ولكن الأمر الأكثر استغراباً أنه حين  
كان أستيريوس يتجه نحو كنيسة القديس أرتامبوس في

الطريق المتَّجه إلى العالم كان رجم الحجارة يتوقَّف  
ولكنه كان يعود حالما اتَّجه المبتدئ نحو الأمطوش.

وبعد أن تيقنَ الإخوة من الأمر قاموا بوضعه وحيداً  
في الكنيسة. كان المبتدئون والرهبان الجدد قد أُصيبوا  
بالخوف ولهذا طلب الشيخُ ذوروثيوس برسالةٍ خطيَّةٍ قارباً  
من الدير كي يأخذ أستيريوس.

وحين وصل القاربُ بعد بضعة أيام، نزل أستيريوس  
ومرافقه بابا - مرقس كاهنُ الأمطوش إلى الشاطئ دون  
أن يواجهها أيَّة مشكلةٍ. ولكن حالما صعدا على متن  
القارب بدأت الحجارة تتساقط حولهما كالمنزل. أُصيب  
البخَّارون بالذعر وأطلقوا العنان للقارب ولكن الحجارة  
كانت تصل إلى موضع القارب في البحر. وعندها قام  
بابا-مرقس الكلِّي الورع ووضع بطرشيته على عنقه وبدأ  
تلاوة مدائح العذراء. وللحال توقَّف الفعل الشيطاني. وبهذه  
الطريقة وصلوا إلى الدير بهدوء.

وبدأ بعض الرهبان القليلو الإيمان، حالما علموا  
بالأمر الحاصل، يعتفون الكاهن: أين هي الحجارة؟ ها  
إنه لا شيء يحصل. كانت تلك الأمور كلها خداع

أحاسيس. ولكن للحال أصمَّتْهم رجمُ الحجارة الذي بدأ يتساقط فوقهم وكان آتياً من فوق البرج المجاور. في تلك الأثناء كانت صحة أستيريوس قد ضعفت وكان يشعر بالم كبير في حلقه وكان يشعر بأنه سيقتياً. ولهذا السبب لم يكن يتناول المقدسات. وللحال قرّر مجمع شيوخ الدير الذي انعقد على الفور أن يتم إرسال المبتدئ إلى الأب الروحي الشهير بابا - سابا الذي كان ينسك في إسقيط القديسة حنة الصغير (١٨٢١-١٩٠٨م). كانت هناك قناعة راسخة عند الآباء في الدير بأن صلوات بابا - سابا المتّشح بالروح كانت تجلد الأرواح الشريرة وتجبرها على الهرب.

قضت قلاية القيامة حيث يسكن بابا - سابا ثلاثة ليالٍ مليئة بالتشويش. منذ الساعة لتي دخل فيها أستيريوس إلى هناك، وبخاصة أثناء الليل، كانت هناك حجارة كثيرة تُقَطَع من الصخور المجاورة وتتطاير بجانب القلاية وتسقط باتجاه البحر وهي تصدر صوتاً مخيفاً. كانت هناك أصوات متوحّشة تطلق المنطقة كلّها. وكانت هناك تجاديف مرعبة تلوّث الهواء.

بابا - سابا وبالرغم من شيخوخته أسلم ذاته إلى صلاةٍ مستمرة وصومٍ تام طيلة ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع قرأ على أستيريوس الصلاة الاستقسامية: "أقسم عليك أيها الروح النجس. أخرج من عبد الله أستيريوس وامض إلى أرضٍ لا ماء فيها، إلى أرضٍ غير مفلوحة".

هذا ما حصل. سعلَ أستيريوس بقوة. وخرج من فمه شيء مثل حيوان، يشبه الثعلب، وبعدما نظر إلى الأب الروحي نظرة وحشيةً وصرف بأسنانه، اختفى. شاهده بوضوح تلاميذ بابا - سابا الأربعة الذين كانوا موجودين هناك، وهم الآباء أنوفريوس، إيلاريون، بطرس وسابا.

هدأ المبتدئ وتنفّس بارتياح. وسقط عند قدمي الأب الروحي مملوءً بشعور الامتنان له وذرف دموع الفرح. وقال له: يا قديس الله لقد خلّصتني. تعافيتُ. رحل النُّقلُ المؤلم عني. كيف أشكرك؟

وفي اليوم التالي، تناول أستيريوس جسد الرب ودمه. أبقاه بابا - سابا هناك ثلاثة أيام بقربه وبعد ذلك نصحه أن يذهب إلى كاربيس ويعيش لوحده في قلاية صائماً ومصلياً. وفعلاً، أستيريوس الذي صار لاحقاً أثناسيوس



عندما صار راهباً قضى بقية حياته في قلالية متواضعة تابعة لدير كوتلوموسيو وتميّز بتقواه وتواضعه ونسكه. رقد رقاد الأبرار في السابع من آب عام ١٩٤٥م.

## مِثْلُ ثَعْلَبٍ

العالمُ الكيمائي اسبيرو ميناغياس، الذي صار لاحقاً الراهب جراسيموس الأثوسي (١٨٨١-١٩٥٧م) بعدما عبّر من دروب الإلحاد المظلمة والشطارة والجمعيات الروحية السريّة، خرج إلى النور مكتشفاً الإيمان الحقيقي بيسوع الإله الإنسان. وعندها، كان في التاسعة والثلاثين من عمره، ازدري المجدَ والمالَ وشهوات هذا العالم وحكمته وذهب إلى الجبل المقدّس وتسريل الزيّ النسكيّ المتواضع وعاش في عدم قنيّة يُحتدّي به حتى نهاية حياته البارة.

ولكن بسبب انخراطه سابقاً في شباك الجمعيات الروحية السريّة، كانت الأرواح الشريرة قد اكتسبت عليه حقوقاً وكانت تعذّبه كثيراً. مع مرور الوقت ازدادت حالته سوءاً. وهكذا، ذات يوم، من بعد تصغيره راهباً في منسك القديس جراسيموس التابع لدير كوتلوموسيو، قال

له شيخه الروحيّ، الأب اليقظويّ الكبير كالينيكوس  
(١٨٥٣-١٩٣٠م):

الآن يا أخي سوف نجاهد سويّةً ضدّ الشيطان.  
سنصلّي باستمرار مدة أربعين يوماً إلى الرب وإلى والدة  
الإله الفاتحة القداسة والقديس يوحنا المعمدان والقديس  
جراسيموس وجميع القديسين طالبين إليهم أن ينقذك من  
تعذيب الشرير، وفي هذه المدة سوف تعترف بخطاياك يوماً  
بتواضع. حاول أن توضع نفسك أمام الله والبشر وأن تؤمن  
إيماناً لا شكّ فيه أنك أسوأ الناس جميعاً.

مدة أربعين يوماً لم يضع الشيخ ولا تلميذه لقمةً في  
فمهما. فقط كلّ يومين حين يقيم القديس الإلهي كانا  
يتناولان قطعة أنديزورون وماء مقدّساً. وفي هذه الأثناء  
حارب الشيطان بضراوة كثيرة الأب جراسيموس الذي  
فقدَ وعيه خمس مراتٍ وهرب من القلاية راكضاً. وفي  
كلّ مرّة كان أخواه في النّسك الأب نيوفيطوس  
وبابا-دانيال يلحقان به ويعيدانه بأقوال محبةٍ وتعزيةٍ.

وفي اليوم الأربعين لهذه المسيرة، شعر الأب  
جراسيموس بانتفاخ كبير وثقلٍ لا يُحتمل في بطنه. وكان

يشرف على التقيُّو ولكنه لم يقدر. وفي ساعة صلاة الغروب، عند قطعة "يا نوراً بهياً..." وبالتحديد عند قولهم "نسبح الآب والابن والروح القدس الإله..." ازدادت رغبته بالتقيُّو. وفجأة شعر بأن شيئاً يخرج من فمه. وحالما أخرجه ماذا رأى!! كان حيواناً صغيراً يشبه الثعلب واختفى حالاً تاركاً وراءه رائحة كريهة لا تُطاق.

سقط الأب جراسيموس أرضاً نصف فاقد الوعي. أنهضه الآباء وأجلسوه على أحد المقاعد. وبعد قليل شعر بأنه أفضل حالاً. وعندما تقوَّه الشيخ كاللينيكوس بـ "الآن تطلق عبدك أيها السيّد..." تعافى الأخ جراسيموس تماماً. كان خفيفاً مثل عصفور. تنقى ذهنه. الدُّوار وألم الرأس اللذان كانا يلازمانه لسنواتٍ اضمحلاً إلى الأبد. لم يعد الشيطان يزعجه من جديد. وبعد هذا قال له الشيخ كاللينيكوس: طالما أنا حي لا تذكر لأحدٍ أعجوبة شفائك هذه.

## الحارقُ

في منطقة تريكالاً من أعمال كورنثية وُلد القديس جراسيموس في العام ١٥٠٦م وكان ابن أخ الدوق لوقا

نوداراس (١٤٥٣م) رئيس وزراء آخر إمبراطور روماني أي  
قسطنطين الحادي عشر باليولوغوس (١٤٤٨-١٤٥٣م).

قاده عطشُهُ للحياة المعادلة للملائكة إلى جبل آثوس  
حيث صار راهباً. ومن هناك ذهب للحج في الأماكن  
المقدّسة وانسحب إلى جبل الأربعين لكي يحارب ضدّ  
الشیطان على شبه المسيح. أقام هناك أربعين يوماً وحارب  
بقسوة ضدّ الشرير وخرج من المعركة منتصراً ونال من  
الله كجائزة على غلبته السُلطة أن يُخرج الشياطين،  
وحتى اليوم يرتعد الشيطان من القديس جراسيموس. حين  
يجلب الناسُ المسوسين ليقضوا أمام رفات القديس  
جراسيموس غير الفانية الموجودة في منطقة كيفالونيا فهم  
إمّا يجدفون أو يصرخون: "يا جراسيموس الحارق أحرقتنا".  
"سوف أرحلُ فأنت نارٌ". وأمور أخرى مشابهة. عجائب شفاء  
المسوسين لا تُحصى، تلك التي اجترحها القديس ولا يزال  
حتى اليوم. سوف نأتي هنا على ذكر خمسة حوادث منها  
فقط:

• في العام ١٩٢٤م استحوذ الشرير على الشاب غم  
من مدينة الأقصر. كانت حالته عادمة الشفاء. كان قد  
صار فزاعةً للناس ولهذا السبب ربطوا يديه ورجليه بقيود

حديديّة. أخذّه أقاربه إلى دير القديس جراسيموس هناك حيث أقام رديحاً من الزمن عائشاً بالصلاة والدموع. كان المريض يقول بأنه سينتحر. وذات يوم غافل ذويه وصعد إلى برج الأجراس وقفز في الهواء. أطلق الجميع صرخات الفزع ولكنّ الشاب لم يُصَبْ بأذى. كان القديس جراسيموس قد صنع أعجوبتين في آنٍ معاً: نهضَ قوياً معافىً وشُفيَ من ذاك الشيطان المخيف.

• فتاة اسمها زويي من باترا جاءت مع والديها إلى الدير وأقامت وقتاً لا بأس فيه هناك. كانت تواصل الصراخ مدة شهرٍ كامل بلا انقطاع إلى القديس قائلةً: سأخرج، سأخرج أيها المحرق ولكنني سأكسر الحمالة التي تحملك حين يصلُ الزياح إلى السهل. وفعلاً، يوم العيد وفي اللحظة التي وصل فيها الزياح إلى السهل قالت زويي: سأخرج سأخرج. وعندها سقطَ عمودٌ ضخماً للخطوط البريدية فوق الحمالة والناس الذين كان المكان مكتظاً بهم ولكنه سقطَ بطريقةٍ لم يُصَبْ أحداً بأذى. وفي اللحظة ذاته خرج الشيطانُ من المريضة. جميع الناس مجدّوا الله والقديس وأخذوا يتكلّمون عن الأعجوبة وهم يذرفون

دموع الفرح.

• في العام ١٩٣١م أحضروا السيدة ي.ب من منطقة تروياناتا إلى الدير. كان هناك شيطانٌ مخيفٌ يعذبها. لم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منها لأنها كانت تصرخ كثيراً وتُظهر خطايا غير معترفٍ بها. وكانت أيضاً تُجدّف على القديس وتشتمه باستهزاء وتقول له: أيها المحرق لن أخرج من هنا مهما تضرعتَ إلى إلهك. لن أعود أبداً إلى المكان الذي كنتُ فيه أولاً. سوف أبقى هنا كي أنتقم منك أنت الذي حاربتني كثيراً في حياتك. لم أقدر أن أغلبك أبداً ولو للحظةٍ واحدة. كنتُ مثل عمودٍ نارٍ. سوف أحارب ديرك. سوف أبعدك لأنك تجمع العالم كله بعجائبك وتضربنا وتحرقنا.

وفي هذه اللحظات وبينما القديس جراسيموس يقترب من السيدة بطريقةٍ غير منظورةٍ بدأت ترتعد من الخوف وتصيح: هل ترونه؟ إنه قادمٌ بعكازه ليضربني. أين سأختبئ؟ الويل لي. ارحل يا جراسيموس المحرق يا من توجه قوتك كلها نحونا نحن الشياطين. فقط من أجل أن تطردنا تعبت كثيراً في حياتك. الويل! لا أقدر أن أقيم هنا.

ولكني إذا خرجتُ سأكسر لك القنديل المتوسّط وسأضع علامةً وبعد ذلك سأرحل. ألن أكسره؟ سوف أكسره. لن أخرج دون علامة. أنت تأمرني أن أرحل؟ نعم سأرحل.

ولدى قوله "سأرحل" طارَ القنديلُ في الهواء بسبب نفخةٍ قويةٍ ومكثت المسوسةُ عادمة الحركة والصوت مثل الميتة. وحين عادت إلى وعيها كانت قد تحررت من الروح الشريرة. مجدّ الجميعُ اللهَ والقديس الذي يجترح عجائب كثيرة للذين يدعونه بإيمان.

• في العام ١٩٣٦م أحضرَ والدان من منطقة إيتوليكوس كذلك ابنتهما المسوسةُ وكانت مقعدةً أيضاً وتدعى فاسليكي وكانت ملفوفةً بغطاءٍ وشكلها متغيّر بسبب الروح النجس. وكان والدان يقولان للراهبات: هل من الممكن لهذه المخلوقة أبداً أن تصير إنساناً عادياً؟

كانت ابنتهما تصرخ وتتوغ كالماعز وترفع شعرها بشكلٍ همجيٍّ وتُخرج لسانها من فمها. كانت مرعبةً للنظر.

كانت الفتاة تصرخ إلى القديس وتقول له: أيها

المحرق. إنني أنتهز الفرصة كي أبعدك لأنك تحرقنا. إذا استطعتُ فسأخفيك عن وجه العالم كيلا تكون مع هؤلاء المتشحات اللباس الأسود اللواتي تجمعهنّ هنا. ولكن لا قدرة لي. أنا مضطّر أن أرحل. أنت نار بكاملك بسبب الصوم والصلاة وأخاف أن أنظر إليك.

تعدّبت فاسيليكي وقتاً طويلاً. ولكن في نهاية المطاف أنقذها القديس جراسيموس من الشيطان. غادرت الدير متبدّلة الشكل كمثل ملاكٍ ومضت إلى بلدها ممجّدةً الله والقديس المحسن إليها.

• نقرأ في جريدة "بيلوونيز" الصادرة في اليوم

السادس عشر من تشرين الأول عام ١٩٤٩م الخبر التالي:  
"في أيار الماضي هاجم شيطانٌ تلميذاً من الصف السادس الابتدائي في ليفكاذا. وذات يوم بينما كان الأب اسبيريدون لينارذاتوس كاهن دير القديس جراسيموس يقرأ له الصلوات الخاصة، كان التلميذ يصرخ ويضرب في الهواء ويقول: لقد أحرقتني يا جراسيموس. أين ستلقيني؟ ماذا سيفعل بي ربك؟ أين سيضعني؟ أنا لجئون الذي أمرني المسيح أن أدخل في قطيع الخنازير.



في تلك اللحظة علّق الكاهنُ على صدر الولد الصليبَ الذي كان القديس جراسيموس يستعمله في حياته. وعندها عضّ الولدُ الصليبَ وصرخ: الصليب هو السلاح الذي لا يُهزَم، إنه السيف القاطع من جذّيه. وبينما الكاهن يتابع الاستقسامات صرّخ الشيطانُ بفم الولد وقال بأنه سيرحل في اليوم التالي. وهذا ما حصلَ خلال القديس الإلهي، اضطربَ بشكلٍ مرعب وصرخ أمام جمجمة القديس جراسيموس المقدسة وقال: يا جراسيموس، يا جراسيموس لقد جعلتني أطقُ. أنا شيطان الشياطين. لقد جعلتني أنفجر، لقد جعلتني أنفجر. افتحوا النافذة كي أرحل. وبعد أن مكث الفتى عادمَ الإحساس بأي شيء لبعض الوقت، قام ناهضاً معافىً. ولاحقاً صار كاهناً.

## المئة دولار

في برية كاتوناكيا في جبل آثوس، في قلالية رئيسي الملائكة، كان يعيش تلميذٌ يشقى من شيطانٍ. وهذا الشاب، قبل أن يأتي إلى جبل آثوس كان متزوجاً. ولكن حين دخل فيه شيطانٌ طلقته زوجته. بعد ذلك تطلّب في

منطقة دفني. وفي نهاية الأمر ذهب إلى الجبل المقدس راجياً  
أن يخلص بالطاعة.

بالفعل، طالما كان يحفظ الطاعة لشيخو القلاية لم  
يكن الشيطان يظهر له. وفي زمن الاحتلال الألماني  
(١٩٤١-١٩٤٤م) كان يذهب ليلاً، على ضوء القمر، إلى  
مكان استخراج الملح من البحر ويجمع ملحاً. ثم يعطيه  
للقلالي في كيراسيا ويأخذ بدلاً منه بطاطا، فاصولياء  
وثوماً.

ذات يوم أرسلوا له من أمريكا مئة دولار، وهو بدل  
من أن يعطيها لشيخه وضعها في جيبه. وللحال ظهر له  
الشيطان وقال له: يا رجل هل تعتقد بأنني سأخرج منك؟  
ماذا يقول المسيح؟ "هذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم  
والصلاة". وأنت هنا تأكل وتشرب مع الشيخو وتظن بأنني  
سأخرج بهذه الطريقة؟

كان الشيطان يتفوه بهذه الأقوال لأنه كان يريد  
بعدهما يخرج من الطاعة للشيخو أن يلقي به في اليأس  
ويقوده إلى الهلاك. وفي نهاية الأمر استطاع تحقيق مأربه  
مقنعاً إياه أن يرجع إلى العالم، حيث ضاع الرجل.

## ممسوسة إيفاليوس

السيدة ماريا غوما، امرأة من جزيرة كينثوس، وقد صارت معروفة بين الناس في أواسط القرن العشرين بسبب جريدة أثيناية عامة بلقب: "ممسوسة إيفاليوس". كانت تواجه في عائلتها مشاكل خطيرة. كما كانت في حالة نفسية محزنة، فهربت من منزلها. دخلتها عندئذ الشياطين وصارت حياتها استشهاداً. بدأت تُجذّف على الإلهيات وتكسر كل شيء تصادفه في طريقها. وكانت معتادةً على الصعود إلى جبل إيفاليوس والتدحرج فوق الوديان المنحدرة كي تقتل نفسها.

كان أقاربها يلحقونها ويمسكون بها ويعيدونها إلى البيت. ولكن في تلك الأثناء كانت الفتاة تستحيل وحشاً. كان لسانها يكبر وأذناها تستطيلان وعيناها يرجعان إلى الوراء ووجهها يدلهم. وكان تغيير شكلها أمراً مؤثراً ويدفع إلى الفضول حتى أن شرطياً كان يقف في مدخل بيتها ليمنع الناس الذين كانوا يذهبون ليروها.

كان هناك عدد كبير من المسيحيين الحسني العبادة يجتمعون هناك كل يوم وقيمون ابتهالات إلى والدة

الإله الفاتقة القداسة من أجل شفاء المريضة. وقد اجترحت  
نعمة والدة الإله الفاتقة القداسة أعجوبتها.

كان ذلك مساء يوم الجمعة، السادس عشر من شهر  
آذار من عام ١٩٥٢م. المؤمنون وهم مجتمعون كانوا يبتهلون  
إلى الله أن يحرر نفسَ ماريّا البائسة من رباطات الشيطان.  
فجأةً عند منتصف الليل بدأت الشياطين تصرخُ بقم  
المريضة قائلةً: سوفَ نخرج من العينين. وكان المسيحيون  
يجيبون: كلا بل من الأظافر.

كان الجهاد مُستمرّاً. كانت اللحظات مخيفة والجوّ  
مشحوناً. كانت الممسوسة تضرب ذاتها وهي مربوطة فوق  
السريّر. خمسة رجالٍ أشداء كانوا يمسكون بها لئلا  
تقتل نفسها. وفي اللحظة ذاتها كان المؤمنون يتضرعون  
وهم راكعين إلى والدة الإله كي تُسرّع في معونتهم. بلغَ  
قلق الجميع ذروته. اجتمع الناس عند الباب والنوافذ،  
وبنفسٍ مقطوعٍ كانوا يتابعون المأساة. وفجأةً زلزالٌ  
مكانيٌّ قويٌّ زعزع البيت من أساساته. ارتعدَ الناسُ  
واضطربوا ولم يفهموا جيداً ما الذي حصل. ولكن في

اللحظة ذاتها ، حسبما اعترفت المسوسة ، لاحقاً شاهدت سقفَ البيتِ ينفتحُ وامرأةٌ تظهر. كان رداؤها أسود اللون ومُرطباً من أسفل في حين كان وجهها يُنير مثل الشمس وللحال سُمع صوت رعد قويٍ ثانٍ وفي الوقت ذاته تحطّم زجاج النافذة وصار قطعاً منشورة. وصرخت ماريا : سيّدة كامالا. اسجدوا. صارَ وجهُ المسوسة هادئاً وشابهَ وجه ملاكٍ. رسمت والدة الإله الفاتقة القداسة على وجه المسوسة إشارة الصليب ثلاث مراتٍ ، ثمّ قالت لها : " محبة يا ابنتي ، محبة". وبهذه الأقوال ابتعدت شيئاً فشيئاً مباركةً بيدها الفاتقة الطّهارة جميع الحاضرين. وعندها سمعت مارياً ترانيم ملائكية وبشكلٍ واضحٍ ترنيمه :

"إني أنا عبدك..." كان أمراً بهيئاً ولم يكن بمقدورها أن تصفه بالأقوال. لاحقاً لما فتحت عينيها تعرّفت على ابنها ، أقاربها وأصدقائها. وبفرح قالت: المسيح قام. تعالوا كي أقبلكم. أنا بخير.

عقبت فرحَ المؤمنين صلاتهم طوال الليل ، تحوّلت تضرعاتهم المرطّبة بالدموع إلى تمجيداتٍ شكريةٍ نحو

والدة الإله الغالبة.

## أنا والدك

في العام ١٩٦٢م استحوذ روحٌ شريرٌ على ياكومينا كودو من باروس ، من بعد تجديف إحدى قريباتها. كانت حالتها تدعو لليأس. كانت قد صارت وحشاً ضارياً بقوى فائقة. لم يكن باستطاعة زوجها أن يربطها. وفي سبيل أن يأخذها إلى الأطباء كان يجب أن يساعده رجال أقوياء بما أنه كان من المستحيل أن يتمكن من القيام بهذا لوحده. ورغم ذلك الأطباء لم يستطيعوا أن يقدموا لها أية مساعدة. وعندها أشارت أمها على زوجها أن يأخذها إلى رئيس دير النبع القابل للإله لونغوفارذاس إلى الشيخ فيلوثيوس زرفاكوس المغبوط (١٨٨٤-١٩٨٠م).

وفي سبيل أن ينقلوها اضطروا أن يربطوها بنير. وهكذا وصلوا إلى الدير ضابطين إياها. المرأة البائسة وبالرغم من كل تشوشها لاحظت - حسبما روت لاحقاً حين شفيت أن - الأب فيلوثيوس لدى خروجه من بوابة الدير لم يكن يمشي على الأرض. لدى مشاهدة الروح النجس للشيخ القديس جعل المرأة تهتاج. ولكن الشيخ دنا

إليها وقال لها بمحبة أبوية: ألا تريدني يا ابنتي؟ أنا أبوك.  
ثم رسمَ عليها إشارة الصليب وقرأ لها صلواتٍ  
مختلفة. ثم تحدّث على حدةٍ مع زوجها وقال له: فلتصوما  
وتصلياً كثيراً. ومن تلك الساعة تحرّرت المرأة من  
الشیطان.

## الشابُّ والوسيطُ

في العام ١٩٧٢م عاد ديمتري. ك، الذي يعيش في  
مدينة تسالونيك، وكان عندها في ربيعهِ الثالث  
والعشرين، من بعد أن أنهى خدمته العسكرية الإلزامية  
إلى بيته وبدأ يفكر بمستقبله. ولكنّ حدثاً غير مرتقب  
غيره هو وعائلته: ذات يومٍ وجدوا زوج أخته ميتاً تحت  
الجرار كان يعمل به في الحقول. شخصٌ ما قتله.  
وهم في تعطُّشٍ للانتقام، بدؤوا البحث كي يعثروا  
على القاتل. ولكنهم لم يستطيعوا العثور عليه. وبعد جلسةٍ  
عائلية للتفكير في الأمر قرروا اللجوء إلى وسيطٍ روحيٍّ  
كي يظهر لهم هوية القاتل. وبما أنّ ديمتري كان الأصغر  
سنّاً في العائلة فقد تعهد هو القيام بهذه المخططة.  
حين دخل إلى غرفة الوسيط الروحي جمداً من خوفه.

ظلمة!! وبعد قليل أشعل الوسيطُ عدة شموع وهو يتمتم  
بعبارات غير مفهومة في الوقت ذاته، كان من خلالها  
يستدعي الأرواح الشريرة. عندها رأى ديمتري أنَّ الجدران  
كانت مطلية باللون الأسود ومزينة بصورٍ شيطانية،  
ومخططات غريبة وأشكال هندسية وأدوات حديدية.  
وكان هناك فوق طاولةٍ جمجمة ميت وكتاباً أسود اللون  
وذيلاً محنطاً وبعض العظام.

وجد ديمتري ذاته فجأةً في عالمٍ آخر لم يكن قد  
عرفه أبداً من قبل. وفجأةً بدأ يفقد إحساسه بنفسه ويفقد  
تفكيره. شعر بقوةٍ غريبة تدخل فيه وكانت تلك المرة  
الأولى التي يختبر شيئاً كذلك القوة الغريبة، قوة الشيطان  
الذي صدمته.

في هذه الأثناء كان الوسيط يستدعي القوات  
المظلمة، الشياطين كي يأتوا ليساعدوه. وبعد قليل سُمعت  
في المكان أصواتٌ وحشية مخيفة. ارتجف المكان من  
حضور الشياطين الخفي. وفي اللحظة ذاتها استحوذ شيطانٌ  
على ديمتري.

هبَّ من مكانه كالمجنون وخرج من غرفة الوسيط



عابد الشيطان. ومن تلك الساعة كان الشيطان يدير تصرفاته. ذهب إلى بيته على غير دراية منه. يتطلع بشكل غير صحيح. لم يكن يعرف ما الذي يقوم به. كان يفوه بالحماقات. وفهم والداه بأنهما خسرا ابنيهما بسبب إرساله إلى الوسيط.

وبعدما طاف في بيته وفي الشوارع أياماً كثيرة بدون هدف، وضع الشيطان في ذهنه الفكرة الشريرة القائلة إن الحياة تافهة، وعادمة النفع وأن عليه أن ينتحر. وذات يوم، بحض من الشيطان، صعد فوق البرج الأبيض في تسالونيك بهدف أن يسقط من فوق. ولكن في اللحظة الأخيرة غير رأيه. نزل من البرج وغادر المكان. على ما يبدو كان لديه شيء من خوف الله. وهذا الأمر هو الذي نجاه.

ولكن الشيطان لا يئأس بسهولة. كان يزرع في داخله عشقاً جسدياً مخالفاً للشرعية نحو ابنة عمه. وبدأ الشاب يبكي ويتوسل إلى والديه أن يطلبوا يدها للزواج. ذاك العشق الشيطاني المخالف للشرعية لم يتسبب بالجنون لديمتري فقط بل وكادت عائلته أيضاً تصاب بالجنون. وبقدر ما كانوا يقولون له إن هذا الأمر غير ممكن كان

يصاب بالجنون أكثر فأكثر. كان يضرب نفسه  
ويكسر أثاث البيت ويدير عينه بشكلٍ مخيفٍ ويلقي  
الخوف في قلوب الجميع.

وفي نهاية الأمر، حين أصيب والدا ديمتري وإخوته  
باليأس، عادوا إلى ذاتهم وتابوا. والتجؤوا بخشوع إلى الله،  
والفائقة القداسة والقديسين. وكانوا يصرخون بدموعٍ في  
صلواتهم قائلين: يا ربُّ ارحمنا. خلِّص ديمتري. لقد  
ممرناك ولكننا إليك نأتي ثانيةً. ساعدي أيتها الفائقة  
القداسة ولدنا. اجترحي أعجوبتك.

في منطقة ميخانيونا الجديدة في تسالونيك، في  
كنيسة الفائقة القداسة الظاهرة توجد أيقونة عجائبية  
للعدراء تُدعى "ميخانيوتيساً". نقلها اللاجئون اليونانيون  
سكانُ ميخانيونا القديمة الواقعة في آسيا الصغرى إلى  
هناك في العام ١٩٢٢م من بروبوديز. عجائب تلك الأيقونة  
معروفة في تسالونيك كلها.

سمع والدا ديمتري وإخوته بأمر الأيقونة. وكان  
هناك كثيرٌ من أصدقائهم ممن حضُّوهم إلى الذهاب إلى  
هناك والالتجاء إلى نعمة والدة الإله الفائقة القداسة

العجائبية. وهكذا، ذات يوم وصل ديمتري المسوس برفقة أخته إلى كنيسة العذراء الظاهرة في ميخانيونا الجديدة. وحالما وطئت قدمه الدرجة الأولى من درجات الكنيسة قام الشيطان بهجومه الأخير اليأس لأنه عرف بأنه سيخسر ضحيّته. شعر ديمتري فجأة بأنّ النار اتقدت فيه. كان يكتوي بأكمله محترقاً وكأنّ هناك من ألقاه في أتون ناري. كان يظنّ بأنه يضيء من تلقاء النار المتقدة فيه، وبأنه سيدوب وسيموت. ولكنه رغم ذلك لم يفقد إيمانه. تقدّم بإيمان وبمساعدة أخته.

وبعد قليل، أمام أيقونة الفائقة القداسة قرأ له الكهنة الاستقسامات. وعندها شعر الشاب بأنه يتحرّر من سلطة الروح الشرير. هدأ وسكن. غادر الكنيسة شخصاً آخر. عاد إلى الكنيسة عدة مرّات. بنعمة والدة الإله تعافى تماماً. سيدة ميخانيونا اجترحت أعجوبتها.

## لا تتفوّه بهذا الاسم

الشيخ باييسيوس الآثوسي المغبوط (١٩٢٤-١٩٩٤م) كان يتألم كثيراً لحال المسوسين ويجاهد لأجل شفائهم. وبإيمانه الحيّ وصلاته الحارة كان يُخرج الشياطين مانحاً

السكينة لأناسٍ كثيرين معذبين. نورد هذه الحادثة المؤثرة من حياة الشيخ البار:

كان الشيخ مرةً في دير القديس يوحنا اللاهوتي في منطقة السوروتي. في ذلك الحين جاء إلى المنسك شخصٌ ممسوس وحالماً دخل إلى الكنيسة حصلت له أزمةٌ وبدأ يصرخ. أخذ الشيخ بابيسيوس جمجمة القديس أرسانيوس الكبادوكي المقدسة ووضعها فوقه. فصرخ الممسوس صرخةً واحدة وسقط على الأرض.

وعندها وضع الشيخ الرفات المقدسة فوق صدر المريض وصلّى مع الراهبات. تحرّك الممسوس بشكلٍ متقطعٍ وبسّ جسمه وبدأ كأنه غير قادر على الكلام. كان الشيطان قد تركه. وحين عاد إلى وعيه شكر بحرارة الشيخ والأخوات اللذين صلّوا لأجل شفائه. ومن ذلك الحين هو يذهب إلى الدير بشكلٍ متواصل.

ولكن لاحقاً هاجمته أعداد كبيرة من الشياطين. وكانت تظهر أمامه حيةً تماماً. صارع ضدها بقساوةٍ وشجاعةٍ. كانت الشياطين تضربه وتلقي به أرضاً فكان يقول لها: لا تأتوا مع بعضكم. تعالوا واحداً واحداً. حصلت

له أزمات شيطانية ولكنه كان يواصل الدعاء: "يا ربّي يسوع المسيح ارحمني" وكانت الشياطين تقول له: لا تتفوّه بهذا الاسم! لا تتفوّه بهذا الاسم.

طلباً للمساعدة ذهب إلى جبل آتوس وقابل الشيخ باييسوس مرة ثانية. حكى له عن شقائه الجديد وطلب منه أن يصلي لأجله. فبدأ الشيخ الصلاة فوراً. وفجأة سُمع صوت صغير مثل انفجار قنبلة. وفي اللحظة ذاتها اختطف الشياطين الشاب البائس وقذفته في الهواء على بعد خمسة أمتار.

بدأ المسوس يثور ويغضب. كانت الشياطين الساكنة فيه تصرخ وتهدد. كانت تقول له أقوالاً قذرة وتحاول تعريته. للحظة من الزمن فقد الشيخ السيطرة على الأمور. لم يكن يعرف ماذا يفعل. ولكنه عاد إلى ذاته سريعاً وتناول إصبع القديس أرسانيوس الكبادوكي وبدأ يرسم به إشارة الصليب على الشاب متفوّهاً بصلوات مختلفة. وأماً الشاب فكان هادئاً طيلة الوقت الذي كان الشيخ يرسم عليه إشارة الصليب. ولكن حالما تركه عاد إلى وضعه السابق. استمرت هذه الحالة ٢-٣ ساعات.

وبعدها تعافى الشاب وشكرَ الشيخَ باكياً وقال له: قد  
اختطفتني أربعة شياطين وضربتني بالحائط وكان هناك  
شيطان خامس يشدُّني من أنفي. لدى مغادرة الشاب قلاية  
الشيخ بايسيوس كان متعافياً كلياً.

## مسيحةُ الراهب

قبل سنواتٍ، ذهب راهبٌ من دير القديس بولس في  
جبل آثوس إلى دير القديس جراسيموس في منطقة  
كيفالونيا. وفي وقت القداس الإلهي بقي في الهيكل  
وكان يصلي بالمسيحة قائلاً الصلاة الذهنية.  
وصدَّفَ أن قوماً أحضروا إلى الكنيسة حينها  
شخصاً ممسوساً بالشیطان كي يشفيه القديس. وبينما  
كان الراهب يُصلي بالمسيحة بدأ الشيطان يصرخ في  
صحن الكنيسة قائلاً: لا تسحب هذا الحبل أيها الراهب  
لأنه يحرقني.

لما سمع الكاهن تلك الأقوال قال للراهب: صلِّ يا  
أخي بالمسيحة قدر ما تستطيع كي تتحرَّرَ جيلةُ الله من  
الروح الشرير.

وعندها صرخ الشيطان غاضباً: أيها الكاهنُ اللعين

لماذا تقول له أن يسحب الحبل؟ إنه يحرقني.  
ولكنَّ الراهب تابع صلاته بالمسبحة وهكذا تحرَّر  
الإنسان المسوس من الشيطان.

## الشيطان، الملاك والفائقة القداسة

كان آذار من عام ١٩٨٤م حين رجعتُ إلى اليونان.  
كان لديَّ إحساسٌ قويٌّ بـ"القوة". كنتُ أشعر بأنني لا أهرَمُ  
وبأنني أقوى من جميع الناس من حولي. وأستطيع العثور  
على بداية هذا الشعور بدقَّةٍ: "شيءٌ" ما قد خرج من جسم  
معلِّم اليوغا الهولندي ذلك، تلميذ الباباجي، ودخل فيَّ.  
عندها "تغيَّرتُ".

لم يكن قد انقضى شهران على عودتي من الهند  
ووصولي إلى اليونان حين مضيتُ إلى جبل آتوس. لم يكن  
الربيع قد حلَّ بشكل كامل، ولهذا قال لي الشيخُ  
بايبيسيوس أن أدخل إلى داخل مضافته.

تحدَّثنا ولكنني لا أذكر جيداً عن أي موضوع  
بالتحديد. هذه المرة كان الوقت يمضي ولم يقل لي الشيخ  
أن أرحل. وبعد قليل رنَّ الجرس. تركني الشيخُ داخل  
الغرفة وذهب ليفتح الباب. ولم يتأخر الوقت حتى ظهر زائرٌ

في حدود الخمسين من العمر. حيّاني وجلسنا نحن الثلاثة معاً في الغرفة.

وبعدما قدّم الشيخ الضيافة من راحة الحلقوم للضيف بدأ حديثاً اعتيادي. وبعد قليل قال لي الشيخ أن أدخل الغرفة المجاورة حيث كانت كنيسته. نهضتُ ودخلتُ إلى الكنيسة. سجدتُ أمام الأيقونات وجلستُ في أحد الكراسي، أقول الصلاة حيناً وحيناً آخر أتطلع من النافذة الصغيرة الموجودة مقابلي. كان بعد ظهر غائمٍ.

وفجأةً، هكذا فجأةً. قلُ وكأنّ مؤشراً ما رجع إلى الوراء وأنار فجأةً نورٌ قويٌّ في الغرفة. هكذا فجأةً اكتسبتُ "إحساساً" جديداً. كان جسدي عادمَ الحراك. كانت الأشياء داخل الكنيسة تسطعُ بالنور كالبرق. قلُ وكأنّ كلّ شيءٍ كان يُشعُّ نوراً من داخله. حتى جدران الكنيسة كانت منيرةً بطريقةٍ من الطرق.

وشاهدتُ وسط النافذة "سحابةً صغيرةً" بيضاء كالماء لامعة كالبرق لا حدود ظاهريّة لها ولا شكل لها. كان هناك نورٌ أبيض كالبرق كان ينسكبُ من داخلها أو فلاقل كان ذاك نورٌ لا هيولي محدود في المكان



يتحرك بسرعة بالغة. كان كائناً نورانياً!!! كان يطيرُ  
حول القلاية.

بدأ هذا التغيُّر الذي حصل لي فجأةً حالماً رأيتُ النور  
وانطفأ شيئاً فشيئاً. شعرتُ بسكينةٍ عميقة، بسلامٍ غير  
متقلقلٍ، بكمالٍ وبيقينٍ أنه لا يوجد أيُّ خوفٍ. ليس لنوع  
المشاعر التي تملكنتني أو قوتها أيُّ علاقةٍ بأيِّ شيءٍ أعرفه  
من قبل، قبل أن تحصل معي أشياء كهذه.

بقيتُ جالساً بهدوءٍ في مقعدي. وبعد قليلٍ دخلَ  
الشيخُ. استدرتُ بهدوءٍ كبيرٍ وقلتُ له: أيها الشيخُ رأيتُ  
ملاكاً.

نظرتُ في وجهي جيداً، داخل عينيّ وكأنه كان يقرأ  
علامةً ما. ثم قال بهدوءٍ: أ، أ، حسناً هيّا لندخل. أخذني  
ودخلنا غرفةً ثانيةً حيث كان الزائرُ ينتظرنا. كانا قد  
انتهيا من حديثهما. كان قد انقضى على وجودي ساعتان  
في القلاية وكنتُ أتوقَّع أن يُخرجنا شيئاً فشيئاً. ولكنَّ  
الشيخ لم يُظهر شيئاً من هذا القبيل. بدأ يقصُّ علينا  
قصصاً جميلة بروحٍ ظريفةٍ جداً.

كان الزائرُ جالساً بجانب الشيخ على المقعد ذاته،

وأنا على حدةٍ مقابلهما فوق جذع شجرة. وبدأ الشيخ يحكي عن أحد الأشخاص فقال: برأيكم أين قد ذهب شخصٌ إلى المناطق السفلى (بدأ الشيخ يحاول العثور على الكلمة). فلنقل إلى باكستان (تقوّه بالكلمة فرحاً لعثوره عليها وكان يتطلع نحوي) هناك حسبما يقول، وقع ذلك الإنسان في مصيدة لطفوه على وجهه بالرماد.

تذكرتُ الختمَ من زبدة الضحية المحروقة الذي صنعه لي تلميذ الباباجي في الهند بين عينيّ وتسمّرتُ في مكاني. وبينما كان يتحدثُ كان يتطلّع إليّ بين الحين والآخر بنظرةٍ تحمل معنىً في حين أنه كان يتوجّه بحديثه في معظم الأوقات نحو الزائر. وسرعان ما فهمتُ بأنه كان يتكلّم عني. عن رحلتي إلى الهند وكان يتحدثُ بطريقةٍ بحيث لا يفهم الشخص الآخر بأنه يتكلّم عني.

كان هناك شعورٌ غريب يراودني. اضطرابٌ، تشويشٌ. كان هناك شيءٌ ما في داخلي ينتفض. وتابع الشيخ كلامه: هناك جرّيه الشيطانُ ولكنه كان يتقوّه بالصلاة ولم يدع الشيطانَ ينعّم بالهدوء. استدار نحوي متطلعاً، ففهمتُ وبدأتُ أتلو الصلاة: "يا ربّي يسوع المسيح

أرحمني" ولم أعد أهتم بعدها للحديث الدائر وإنما كانت الصلاة تجتذب انتباهي.

وهناك حيث كان يتكلم، بدا كأنه يتفوّه بعبارة ما في القصة فاستدار نحوي وقال: "أيها الروح النجسُ أخرج من هذه الجيلة". وللحال تابع سرد حكايته وهو يُمسك بالآخر من رسغ يده. وبعد قليل عاد فتطلّع نحوي ثانية وقال وكأنه يتابع قصّته: "أيها الروح النجس أخرج من هذه الجيلة".

كان وجهه يشعُّ بنورٍ خفيٍّ سرّيٍّ بحيث بالكاد كنتُ أستطيع رؤيته. كان جدّياً وكانت عيناه تبدوان في منظرٍ قلّمًا رأيته فيه، كانت تعابيرهما تُظهرُ مجدَ نفسه الخفيّ. وأنا تابعتُ قول الصلاة بقوة. وفي تلك اللحظة لم أقدر أن أعرف معنى ما كان يجري. استدار نحوي للمرة الثالثة وقال: "أيها الروح النجسُ أخرج من هذه الجيلة".

شعرتُ بشيءٍ يخرج من داخلي، شيءٌ لا هيوليٌّ ينفصل عني. شعرتُ بأن عقلي ونفسي يتحرران من تأثيرٍ قويٍّ لروحٍ ما. شعرتُ برفعٍ ثقلٍ كبيرٍ لم أكن أعي وجوده عني، ولم أكن أعي وجود هذا الثقل سابقاً. في تلك

اللحظة شعرتُ كم كنتُ أعيش تحت القسر. هذا الشيء الذي خرج مني شعرتُ به يقف ورائي إلى اليسار، وكان وجوداً تُحيرُك قوّته. كان يُثقلُ نفسي من بعيدٍ.

نهضتُ لأبتعد عن هذا الحضور وقتّشتُ عن ملجأٍ مستريحاً وهادئاً عند ركبتي الشيخ. ذهبتُ وجلستُ على الأرض بجانب قدميه. وفي تلك اللحظة، تقريباً في الوقت ذاته تزامناً مع أقوال الشيخ وتحرُّري، نهض الزائرُ واقفاً فجأةً بإعجابٍ وعجَبٍ جعلاه لا يتمالك ذاته وصرخ وكأنه كان يشكرُ: يا سيدتي الفاتقة القداسة، يا سيدتي الفاتقة القداسة ما هذه الرائحة العطرة؟ أيها الشيخ أيها الشيخ، الفاتقة القداسة في الجوار.

فرحٌ عظيمٌ قد استحوذ عليه وجعله ينسى القصّة، وسلوكه وكل شيء. كان يصرخ ويصرخ من فرحه ويرجوناً أن نذهب إلى الكنيسة المجاورة. أنا توقفتُ عن الإحساس في داخلي بالحضور المخيف لهذا الشيء داخل الغرفة، قبل أقوال الشيخ، كنتُ قد حملته في نفسي. هل كان الشيء الذي طرده هو إشعاعُ مجد الفاتقة القداسة التي كانت قد طردت "الروحَ النجس"، حسبما كان

الشيخ يسميه، من نفسي ومن الغرفة؟ هل شذا نفسها،  
طيبُ الفاتكة القداسة الروحي هو الذي استحوذ على نفس  
الزائر فكان يقفز مثل الطفل من الفرحة؛ لمثل هذه الأمور  
ليس أحدٌ واثقاً بذاك النوع من اليقين الذي يرتكز على  
الأمور التي شاهدتها أعيننا وسمعتها آذاننا. ولكن يوجد  
نوعٌ آخر من اليقين وهو يولدُ داخل نفس الإنسان من "خبرٍ  
إلهي". هذا اليقين الإلهي عميقٌ جداً وأكد.

دخلنا شيئاً فشيئاً إلى الكنيسة. أردتُ أن أشكرَ  
الشيخَ وذهبت كي أضرب له سجدةً. فأشار لي بيده  
باتجاه الهيكل قائلاً: اسجدُ هناك حيث أيقونةُ الفاتكة  
القداسة. وهو نفسه، وكأنه قد اضطرَّ أن ينتبه لي، كان  
ناظراً إلى هناك وكانت طريقة وقوفه تشير إلى احترامٍ  
عميق.

أردتُ رأسي باتجاه الأيقونة ولكني لم أشاهد شيئاً  
حيث أنني من الطريقة التي كان الشيخ ينظر بها حول  
الأيقونة كنتُ أنتظرُ رؤيةَ شخصٍ ما. وقلتُ له: سجدتُ  
مسبقاً. فأجابني وهو يُشيرُ بتحركاته لي كي أستعجل:  
اسجد الآن حيث أقولُ لك. سجدتُ أنا أيضاً.

ولكن حين سجدتُ فرحَ كثيراً. فرحَ لأجلي كمثل  
 أبٍ يشاهد ابنه، فلنقل، حين يصيرُ مقبولاً عند الملك. هذا  
 ما كنتُ أشعرُ به وأفهمه حينها. كانت الأحداثُ كثيرةً  
 وقويّةً، ويعقبُ واحدها الآخر. وهكذا لم نع ثقلَ الأشياءِ  
 التي كانت تحصل في تلك اللحظة. اليوم وأنا أكتب  
 أعترفُ بأنّ الأمور التي حصلت كانت عظيمةً جداً من دون  
 أن أشكُ بعدم استحقاقي الشخصي ولا بقداسة الشيخ  
 الذي تألّم قلبه الحنون لرؤيتي في وضعٍ بائسٍ كذلك. ولهذا  
 صلّى إلى الله كي يشفيني بأدويةٍ قويّةٍ لأنني كنتُ مريضاً  
 مرضاً ثقيلاً، والله الذي يستمعُ للمتواضعين صنعَ له  
 المعروف الذي طلبه.

والسُبْحُ لِلَّهِ دَائِماً

